

بمقتضى كسره  
عبد السلام محمد هارون

مكتبة الجاحظ  
أبي عثمان عثمان بن بحر الجاحظ  
٢٥٥ - ١٥٠

# رسائل الجاحظ

## الجزء الثالث

القسم الأول من  
الفصول المختارة من كتب الجاحظ  
اختيار الإمام عبيد الله بن حسان

[ الطبعة الأولى ]

١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م

الناشر  
مكتبة الخزانة بمصر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

أيدك الله ، وأسئلكم من عظيم فضله وجبيل نعمته ، مائتري به  
وتطمئن إليه . وحفظك أخاً كريماً ترعى الود ، وتقيم على العهد .

وكنيت قد وعدتكم من قبل أن أتبع المجموعة الأولى من الرسائل ،  
وهي ( مجموعة مكتبة داماد ) ، بمجموعة أخرى لاتقل عنها قدراً إن لم  
تفقهها ، وهي ( مجموعة مختارات عبيد الله بن حسان ) .

وعدت عواد أن أبادر بإنجاز هذا الوعد ، مع بقائى عليه ، علم الله ،  
وامتداد بصري إلى صونه ورعايته .

فلما أذن الله ، وله الحمد ، أن أنهض بإتمام تحقيق هذه المختارات ،  
ضاعفت شكره ، وسعيت إلى نشرها بين يديكم ، لتعلم أنى على موعدى .

وقد أشرت فى مقدمة الجزء الأول من رسائل الجاحظ إلى حصر أبرز  
المجموعات التى حفظت بها هذه الرسائل ، وهى :

١ - مجموعة مكتبة داماد ( وقد نشرتها سنة ١٣٨٤ فى جزأين بهما  
١٧ كتاباً ورسالة ) .

٢ - مجموعة فان فلوتن .

٣ - مجموعة الفصول المختارة لعبيد الله بن حسان .

٤ - مجموعة محمد ساسى المغربى .

٥ - مجموعة ريشر .

٦ - مجموعة حسن السندوبى .

٧ - مجموعة يوشع فنكل .

٨ - مجموعة بول كراوس وطه الحاجرى .

ولست أعيد القول فيما اشتملت عليه كل مجموعة من هذه المجموعات الثمانية ، فإنها مسطورة بالتفصيل فى مقدمة الجزء الأول من الرسائل .

ولنأى يعنى القول فى مجموعة واحدة هى المجموعة الثالثة من هذه المجموعات ، وهى ( الفصول المختارة من كتب الجاحظ ) ، إذ هى الأصل الذى اعتمدت عليه فى إخراج الجزأين الثالث والرابع من رسائل الجاحظ .

وقد طبعت هذه المجموعة من قبل محرقة مبتورة ، على هامش كامل المبرد بمطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ بعناية الشيخ على بن أحمد الهوارى .

وكان الذى حدانى إلى إعادة نشر هذه الفصول المختارة أمور :

أولها : مالها من القدر الأدبى والتاريخى ، إذ أنها تشتمل على عيون من كتب الجاحظ ، هى فى قمة ما أنشأه ، من حيث موضوعاتها المختلفة فى الشؤون الإنسانية العامة . فهى دراسات نفسية واجتماعية ، ودينية وكلامية وجدلية ، وأدبية عالية ، وترفيهية سامية ، وإن كانت معظم كتب الجاحظ تلم بأطراف مما ذكرت ، ولكن التناول العميق لهذه الدراسات ، مما اختصت به أفراد هذه المجموعة النادرة .

فلا ريب أن الجاحظ قد تكلم فى الحاسد والمحسود فى أثناء كتبه كلاماً عابراً ، ولكنه حين يخص هذا الأمر بالدراسة والقول المستفيض ، يضىء لنا جميع الجوانب التى يمكن أن تحيط به ، بقدر ما يثير إعجابنا وإمتاعنا .

وهو حين يقدم دراسة عن المعلمين ، يبسطها لنا مستوعباً أقصى ما يمكن كتابته فى هذا اللون الأدبى من الكتابة فى طائفة عظيمة من طوائف الناس .

وحين يتكلم على النساء والمرأة يجلو صفحة عريضة من نظرتة ونظرة

دنياه ، بل دنيانا نحن ، إلى نصف هذا البشر الذى يعاملنا وتعامل معه ، فى ثقة العالم وصراحة الدارس الموضوعى .

كما أن الدراسة التاريخية والسياسية فى «مناقب الترك» تطلعننا على جوانب كانت غامضة على الكثير منا ، إذ فيها تباين نظرة الناس إلى هذا العنصر البشرى وغيره من عناصر الدولة الإسلامية فى ذلك العهد السحيق . وهى وثائق سياسية لها قدرها السياسى إلى جانب قدرها الاجتماعى والإنسانى . وهو الأمر الذى دعا أحد الأدباء<sup>(١)</sup> إلى أن يضع كتاباً عنوانه : « الترك فى مؤلفات الجاحظ » ، وهو بحث له قدره ووزنه .

وكتابه فى « المعلمين » حملنى من قبل أن أكتب فى هذا الجانب دراسة مستفيضة نشرت فى مجلة « الكتاب » فى عدد أغسطس سنة ١٩٤٦ .

وآراء الجاحظ فى « حجج النبوة » ، و « خلق القرآن » جديرة بأن تلقى دراسة وتمحيصاً .

وكتاب « الرد على النصارى » مظهر مضىء من مظاهر الحركات الفكرية التى كانت سائدة فى أزهى العصور الإسلامية ، ونموذج رائع للجدال العلمى الرفيق مع أهل الكتاب بالتى هى أحسن .

وفى الحق أن فى كل كتاب أو رسالة فى هذه المجموعة التى بلغ تعدادها ٢٩ تسعة وعشرين كتاباً أو رسالة ، مثاراً للبحث والتأمل ، والمتعة التى لا حدود لها .

وإننا لنجد بين القدماء من يغلو فى تقدير كتب الجاحظ ، ويتجاوز حدود الوقار فيقول<sup>(٢)</sup> : « رضيت فى اللجنة بكتب الجاحظ عوضاً عن نعيمها » .

---

(١) هو الأديب زكريا الكتاجى . وقد نشر كتابه فى دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٧٢ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن هود الزبيدى الأندلسى ، تلميذ السيرافى والفارسي والقالى . بغية الوعاة ٨٢٢ .

والأمر الثاني : أن النشرة الأولى لهذه المجموعة نشرة غير علمية ، وإن كان لناشرها- المغمور فضل السبق في إظهارها ، وتمكين الباحث إلى قدر ما من الاستعانة بها في المجال العلمي .

وثالثها : أن بتلك النسخة المطبوعة سقطاً كبيراً تناول نحو عشر رسائل . وهو قدر كبير كان لابد من إثباته في نشرة جديدة ، كتب الله لي فضل إخراجها .

وهذا السقط يبدأ من منتصف كتاب النصارى إلى أوائل كتاب « النبل والتنبيل وذم الكبر » .

ورابعها : أن أصل النسخة المطبوعة غير معروف ، شأنها في ذلك شأن كثير مما نشر من أفراد التراث العربى وأظهرته المطابع في هذا العهد المتطلع إلى النهوض من عثرات التخلف .

وخامسها : أن مخطوطة التيمورية التى جعلتها أحد أصول التحقيق في نسختي هذه ، تنتمى إلى أصل عتيق ، فى نهايتها نجد هذا النص :

« انتهاء الفصول التى اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة فى يوم الجمعة المبارك الموافق لثلاث خلت من شهر ذى القعدة من شهر سنة ١٣١٥ خمسة عشر وثلاثمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم . وقد تم نسخها بيد العبد الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد أهل السنة والجماعة ، الخاضع لله بالدعاء والطاعة ، الراجى لطف ربه الغنى ، محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمرانى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، والحمد لله وحده . تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه آمين .

وقد نقلت هذه النسخة المباركة من نسخة تاريخها فى أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمئة ، كاتبها أبى القاسم ( كذا ) عبيد الله بن على » .

وهذه النسخة التيمورية وقرينتها نسخة الأزهر المودعة برقم [٢٣١] أباطة ٦٨٣٦ كتبهما وراق واحد، هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمراني ، كتب نسخة التيمورية سنة ١٣١٥ ومن قبلها نسخة الأزهر سنة ١٣١٣ . وفي آخر نسخة الأزهر ما نصه :

« انتهاء الفصول التي اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة خامس يوم شهر محرم الحرام افتتاح سنة ٣١٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية ، بقلم العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير محمد بن عبد الله بن إبراهيم الزمراني ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين » .

وقد رجح لدى أن هاتين النسختين منقولتان من نسخة واحدة هي التي أشار إليها الناسخ في ختام التيمورية .

لذلك ، ولأن الكاتب للنسختين وراق واحد ، ولأن التحريف والأسقاط والزيادات فيهما واحدة اعتمدت على النسخة التيمورية ، واكتفيت بها عن صنوها نسخة الأزهر .

وهذه النسخة التيمورية تعد من حيث الصحة والكمال فوق نسخة المتحف البريطاني .

وعلى هذا فقد استقرت المقابلة في نشرتي هذه على ثلاثة أصول :

١ - الأصل الأول : نسخة المتحف البريطاني ، وهي أقدم الأصول الثلاثة تاريخاً ، وكتب على صدرها :

« هذا كتاب مختارات فصول الجاحظ عني عنه ، كتب برسم خزانة الأمير الفاضل موسيو كريمير النمساوي<sup>(١)</sup> ، بمحروسة مصر سنة ١٨٧٧ م » . وهي تقابل سنة ١٢٩٤ الهجرية .

---

(١) هو البارون النمساوي فون كريمير ( ١٨٢٨ - ١٨٨٩ ) . ولد في فيينا وتخرج في جامعتها ، فأرسلته دولته قنصلاً لها بمصر ثم بيروت سنة ١٨٧٠ . وكان من أصحاب النشاط =

ومنها نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩ وهى فى ٢٩٩  
لوحاً فى مجلدين ، تشتمل صفحة اللوح على ١٧ سطراً بكل سطر نحو ثمانى  
كلمات . وقد التزم فيها علامات الإلحاق فى أسفل الصفحات اليمنى .  
وقد كتبت النسخة بخط نسخى جيد مجرد من الضبط . وجاء فى خاتمتها :

« انتهاء الفصول التى اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبى عثمان  
عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى . وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة  
يوم الجمعة المبارك الثامن عشر من شهر صفر الخير من سنة ١٢٩٤ بعد  
الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية ، على  
يد كاتبها الفقير عبد الله المنصورى . اللهم اغفر له ولوالديه . آمين آمين .

وقد رمزت إلى هذه النسخة فى التعليقات والمقابلات بالرمز (ب)  
إشارة إلى المتحف البريطانى .

٢ - الأصل الثانى : نسخة المكتبة التيمورية ، وهى مودعة بدار الكتب  
المصرية برقم ١٩ أدب تيمور . وكتب على صدرها :

« هذا كتاب مختارات فصول الشيخ الهام ، العالم العلامة والبحر الفهامة ،  
أبى عثمان الجاحظ ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، بمنه وكرمه .  
آمين » .

وهى كذلك مكتوبة بالخط النسخى الجيد ، مجردة من الضبط ، إلا  
ما قام به المغفور له أحمد تيمور باشا من بعض الضبط والمقابلات فى الرسالة  
الأولى منها ، وهى « رسالة الحاسد والمحسود » . وهى مقابلات على مطبوعة  
الساسى فى مجموع رسائله . وكذلك بعض المقابلات على تلك المطبوعة أيضاً  
فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى « مناقب الترك وعامة جند الخلافة » .

---

= السياسى والاستشرافى . وقد ابتاعت مكتبة المتحف البريطانى مكتبته الشرقية ، كما ذكر نجيب  
العقيدى فى كتابه المستشرقون ٢ : ٦٣١ . ومن منشوراته : المغازى للواقى بمقدمة وشروح  
انجليزية ( كلكتا وبرلين ١٨٥٥ - ١٨٨٨ ) ، والقصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميرى  
( ليبزيج ١٨٦٥ ) .



وهى فى ٢٠٨ ورقة عدد صفحاتها ٤١٧ صفحة ، بكل صفحة ٢١ واحد وعشرون سطرأ بكل سطر نحو ١١ كلمة .

وقد أشرت إلى ختام هذه النسخة فىما سبق .

ورمزت لهذه النسخة بالرمز ( م ) مقتبساً من التيمورية .

٣ - الأصل الثالث : أصل استثناسى ، هو النسخة المطبوعة بهامش كامل المبرد فى مطبعة التقدم العلمية سنة ١٣٢٣ وعنوانها : « الفصول المختارة من كتب الإمام أبى عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥ هجرية ، اختيار الإمام عبيد الله بن حسان رحمه الله ونفعنا به آمين » .

وخاتمتها : « انتهت الفصول التى اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين » .

وهى فى جزأين : الأول فى ٣٩٦ صفحة ، والثانى فى ٣٠١ صفحة . وهذه النسخة بها كثير من النقص كما أشرت إلى ذلك من قبل ، ولكنها مصححة محررة بشيء من العناية ، قام على تصحيحها مقرونة بكامل المبرد « راجى عفو البارى ، على بن أحمد الشهير بالهوارى » .

ولا يعلم الأصل الذى طبعت منه ، ولا ريب أنه غير النسخ التى سبق الكلام عليها ، أى النسخة الأزهرية ونسخة تيمور ، ونسخة المتحف البريطانى .

وقد أشرت إليها بالرمز ( ط ) .

وليك فهرسها مقارناً بفهرس النسخة التيمورية ونسخة المتحف البريطانى :

فالرقم الأول لصفحات التيمورية ، يليه رقم ألواح مصورة نسخة المتحف البريطانى ، وبعده أرقام صفحات النسخة المطبوعة على هامش الكامل للمبرد :

## مطبوعة هامش الكامل

المتحف البريطاني	التيمورية	الحاسد والخسود
٢ و ٨ - ١٢ : ١	٢ - ١٣	١ - الحاسد والخسود
١٧ - ٣٠	١٣ - ٣٢	٢ - الملمين
٣٠ - ٩٧	٣٢ - ٦٩	٣ - الترييح والتدوير
٩٧ - ١٢٠	٧٠ - ٨١	٤ - مدح النبذ
١٢٠ - ١٣٠	٨١ - ٨٦	٥ - طبقات المغنين
١٣٠ - ١٦٦	٨٦ - ١٠٤	٦ - النساء
١٦٦ - ٢٧٥	١٠٤ - ١٠٥	٧ - مناقب الزرك
٢٧٥ - ١١٧	١٠٥ - ١٤٣	٨ - حجج النبوة
١١٧ - ١٤٨	١٤٣ - ١٩٠	٩ - خلق القرآن

(١) نشر أيضاً في صدر مجموعة الساسي ٢ - ١٣ بأرقام مستقلة عن المجموعة ، كما ورد في دراسات ريش ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) هو أيضاً في مجموعة ريش ١٠١ - ١٠٨ .

(٣) نشر في مجموعة فان فلوتن ٨٦ - ١٥٦ والساسي ٨٢ - ١٤٧ وريش ٢١٢ - ٢٥٥ والسندوبي ١٨٧ - ٢٤٠ ، ونشره مستقلاً

شارل بلا في دمشق سنة ١٩٥٥ .

(٤) السندوبي ٢٥٨ - ٢٩١ وريش ١١١ - ١١٢ .

(٥) مجموعة الساسي ١٨٦ - ١٩٠ وريش ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٦) أو المشرق والنساء . مجموعة الساسي ١٦١ - ١٦٩ وريش ١٨٨ - ١٩٤ والسندوبي ٢٦٦ - ٢٧٦ .

(٧) سبق نشره من مجموعة داماد في ٨٦ : ١ . وهو في مجموعة ريش ٢٠٧ - ٢١٠ باسم فضائل الأثرالك ، ذكر فيها نحو يائه .

(٨) نشر أيضاً في مجموعة ريش ١١٢ - ١٥٩ والسندوبي ١١٧ - ١٥٤ . وهو في الحيوان ١ : باسم « كتاب الحجة في تثبيت النبوة »

(٩) لم ينشر منه شيء إلا في هامش الكامل . وانظر الحيوان ١ : ٩ إذ أشار إليه .

مطبوعة هامش الكامل	المتصفح البريطاني	التيمورية	
١٨٤ - ١٤٨	١٢٩ ظ - ١٥٥ ظ	٢٣٦ - ٢٠٢	١٠ - الرد على النصراري
-	١٥٥ ظ - ١٦١ و	٢٤٤ - ٢٣٦	١١ - الرد على المشبية
-	١٦١ و - ١٧٥ و	٢٤٤ - ٢٦١	١٢ - مقالة العشانية
-	١٧٥ و - ١٨٥ ظ	٢٦١ - ٢٧٥	١٣ - المسائل والجوابات في المعرفة
-	١٨٥ ظ - ١٩٠ ظ	٢٧٥ - ٢٨٢	١٤ - المعاد والمعاش
-	١٩٠ ظ - ١٩٤ ظ	٢٨٢ - ٢٨٧	١٥ - الجبد والعزل
-	١٩٤ ظ - ١٩٩ و	٢٨٧ - ٢٩٣	١٦ - الوكلاء
-	١٩٩ و - ٢١٩ ظ	٢٩٣ - ٣١٩	١٧ - الأوطان والبلدان
-	٢١٩ ظ - ٢٢٠ ظ	٣١٩ - ٣٢٠	١٨ - البلاغة والإيجاز

(١٠) مجموعة ريش ٤٠-٦٧ ويوشع فنكل ١٠-٣٨ وقد أشار إليه الجاحظ في الحيوان ١ : ٩ بقوله « وكتاني على النصاري واليهودي »  
والكتاب يتناولهما معاً ، ولكن هكذا وردت تسميته مختصرة في الخطوط والمطبوعات .

(١١) لم تنشر قبل . ولكن نشر مثيل لها في الموضوع ، وهو « نفى التشبيه » . انظر الجزء الأول من الرسائل ٢٨٣-٣٠٨ .

(١٢) نشر السنوبي خلاصتها في مجموعته ص ١ - ١٢ . ونشرت كامنة بتحقيق عبد السلام هارون . دار الكتاب العربي

١٩٥٥ - ١٣٧٤ . وانظر الحيوان ١ : ١١ .

(١٣) لم يسبق نشر شيء منها . وهي رسايتها مما سقط من النسخة المطبوعة على هامش الكامل . وانظر الحيوان ١ : ٩ .

(١٤) سقط من النسخة المطبوعة على هامش الكامل أيضاً . وسبق نشره من مجموعة دماذ في الجزء الأول من الرسائل ١ : ٨٧ - ١٣٣ .

(١٥) سبق في مجموعة دماذ بالجزء الأول ص ٢٢٧ - ٢٧٨ . (١٦) مجموعة الساسي ١٧٠ - ١٧٢ وريشر ١٩٤ - ١٩٥ .

(١٧) ويسمى أيضاً « الأصهار وصحائب البلدان » . وهو غير كتاب « الحنين إلى الأوطان » الذي سبق نشره في الرسائل بتحقيقنا ٢ : ٣٧٩ .

(١٨) لم تنشر من قبل .

مطبوعة هامش الكامل

المتحف البريطاني

التيمورية

—	ظ ٢٢٠ — ٢٢٧	٣٢٩ — ٣٢٠
١٩٩ — ١٨٤	ظ ٢٣٨ — ٢٢٧	٣٤٢ — ٣٢٩
٢١٢ — ١٩٩	ظ ٢٤٥ — ٢٣٨	٣٥٢ — ٣٤٢
٢٢٠ — ٢١٢	ظ ٢٥٠ — ٢٤٥	٣٥٨ — ٣٥٢
٢٢٧ — ٢٢٠	ظ ٢٥٤ — ٢٥٠	٣٦٢ — ٣٥٨
٢٣٨ — ٢٢٧	ظ ٢٦٠ — ٢٥٤	٣٧٠ — ٣٦٢
٢٤٦ — ٢٣٨	ظ ٢٦٥ — ٢٦٠	٣٧٦ — ٣٧٠
٢٥١ — ٢٤٦	ظ ٢٦٨ — ٢٦٥	٣٧٩ — ٣٧٦
٢٦٩ — ٢٥١	ظ ٢٧٨ — ٢٦٨	٣٧٩ — ٣٧٦
٢٩١ — ٢٦٩	ظ ٢٧٨ — ٢٩١	٤٠٧ — ٣٩١
٣٠١ — ٢٩١	ظ ٢٩٩ — ٢٩١	٤١٧ — ٤٠٨

١٩ — تفضيل البطن على الظهر

٢٠ — البيل والتبيل ودم الكبر

٢١ — المودة والخلطة

٢٢ — استحقاق الإمامة

٢٣ — استنجاز الوعد

٢٤ — تفضيل النطق على الصمت

٢٥ — صناعة الكلام

٢٦ — مدح التجارة ودم عمل السلطان

٢٧ — الشارب والمشروب

٢٨ — استحقاق الإمامة

٢٩ — مقالة الزيدية والرافضة

(٢٠) لم ينشر منها إلا قطعة على هامش كامل المبرد.

٣٣٢ — ٣٢١ .

١٩٩ — ١٩٥ .

١٦٣ — ١٥٩ .

٢٧٦ — ٢٧١ .

٣٠٠ — ٣١٦ .

١٦٨ — ١٧٩ .

١٨٦ — ١٨٢ .

١٥٤ — ١٤٨ .

١٨٨ — ١٨٦ .

٢٥٩ — ٢٤١ .

٧ : ١ .

(١٩) لم تنشر من قبل .

(٢١) هي رسالة إلى أبي الفرج السندي .

(٢٢) ريش ١٦٨ — ١٧٩ .

(٢٤) الساسي ١٤٨ — ١٥٤ .

(٢٦) الساسي ١٥٥ — ١٦٠ .

(٢٨) السندي ٢٤١ — ٢٥٩ .

(٢٩) لم يسبق نشرها إلا في الفصول المختارة على هامش الكامل .

## جامع الفصول المختارة :

أجمعت المخطوطات والمطبوعات أن جامع هذه الفصول ومختارها هو ( عبيد الله بن حسان ) لم تزد على ذلك شيئاً . فليس هناك ما يدل على بلده ، ولا على نسبته ، أو ما يدل على صفته العلمية بين أهل العلم من الفقهاء ، أو المحدثين أو المؤرخين ، أو المشتغلين بعلوم العربية . وليس هناك أيضاً ما يعين مولده أو ينص على سنة وفاته .

وقد بحثت ما أمكنني البحث ، وتقصيت ما أمكن التقصي ، أن أعثر له على ترجمة أو خبر فيما لدى من المراجع ، وكذا في جميع المظان ، ولا سيما تلك التي تعنى بتراجم الرجال من أهل الحديث أو الأدب أو علوم العربية ، وساءلت عنه فلم أجده له ترجمة أو خبراً .

ولكن ما لاريب فيه أنه أديب قديم جداً ، أمكنه أن يظفر بجمهرة عظيمة من كتب الجاحظ قبل أن تبديد ويعنى عليها الزمان ، فحفظها لنا ، واستحق بذلك أن يخلد اسمه على كتب صانها وانتزعها من أكف البلى والضياح .

وإذا حاولنا أن نعرف زمنه استطعنا أن نقول : إن حياته لم تتجاوز القرن الخامس الهجري ، إن لم نقل الرابع ، أي إنه قريب عهده من عصر الجاحظ نفسه المتوفى سنة ٢٥٥ ، أي في النصف الثاني من القرن الثالث .

وهذا مستفاد مستخلص مما كتبه الوراق محمد بن عبد الله الزمراني في ختام النسخة التيمورية ، إذ نص على أنه نقل نسخته من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعائة ، كاتبها أبي القاسم ( كذا ) عبيد الله بن علي (١) .

---

(١) أمكنني أن أعثر على ترجمة لهذا الفاسخ القديم ، فهو أبو القاسم عبيد الله بن علي بن عبد الله الرقي . قال الخطيب : سكن بغداد في درب أبي خلف من قطيعة الربيع . وكان أحد العلماء بالنحو والأدب واللغة ، عارفاً بالفرائض وقسمة الموارث ، وحدث شيئاً يسيراً عن أبي أحمد الفرضي كتبت عنه وكان صدوقاً . وسألته عن مولده فقال : ولدت في سنة إحدى وسبعين وثلثمائة . ومات في يوم الخميس الثاني من شهر ربيع الآخر سنة خمسين وأربعائة . ودفن في يومه في مقبرة باب حرب . تاريخ بغداد ١٠ : ٣٨٧ - ٣٨٨ .

ومما لا ريب فيه أيضاً أن عبيد الله بن حسان قد جمع فأحسن التأليف ، واختار فأجاد الاختيار ، وكأنه لم يرتفع إلى القدر الذي يرقى به إلى أن يوضع في دائرة المترجمين الأعلام .

وأما بعد ، فهذا جهد متواضع أضمه إلى ماسبق لي من جهود . وعسى أن أوفق فيما أستقبل من دهرى إلى أن أقوم بنشر ما لم تمسه يد التحقيق منى من مؤلفات شيخنا الجاحظ وآثاره الحسان ، مما أفلتته عوادى الزمان وصار إلينا كنزاً و ذخراً .

والله الموفق والمستعان .

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة في } أول ربيع الثاني سنة ١٣٩٩ هـ  
٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٩ م

١

من كتابه في  
الحائِد والمحسُود





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تفتي

## ١ - فصل

من صدر كتابه

في الحاسد والحسود<sup>(١)</sup>

وَهَبَ اللَّهُ لَكَ السَّلامَةَ ، وَأَدَامَ لَكَ الْكَرامَةَ ، وَرَزَقَكَ الْاسْتِقَامَةَ ،  
وَرَفَعَ عَنْكَ النَّدَامَةَ .

كُتِبَتْ إِلَيَّ - أَيَّدَكَ اللَّهُ - تَسَالُنِي عَنْ الْحَسَدِ مَا هُوَ ؟ وَمَنْ أَيْنَ هُوَ ؟  
وَمَا دَلِيلُهُ وَأَفْعَالُهُ ؟ وَكَيْفَ تُعْرِفُ أُمُورَهُ وَأَحْوَالَهُ<sup>(٢)</sup> ، وَبِمِمْ يُعْرِفُ ظَاهِرَهُ  
وَمَكْتُومَهُ . وَكَيْفَ يَعْلَمُ مَجْهُولَهُ وَمَعْلُومَهُ . وَلِمَ صَارَ فِي الْعُلَمَاءِ<sup>(٣)</sup> أَكْثَرَ مِنْهُ  
فِي الْجَهْلَاءِ ؟ وَلِمَ كَثُرَ فِي الْأَقْرِبَاءِ وَقَلَّ فِي الْبُعْدَاءِ<sup>(٤)</sup> ؟ وَكَيْفَ دَبَّ<sup>(٥)</sup>  
فِي الصَّالِحِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الْفَاسِقِينَ ؟ وَكَيْفَ خُصَّ بِهِ الْجِيرَانُ مِنْ بَيْنِ  
جَمِيعِ أَهْلِ الْأَوْطَانِ<sup>(٦)</sup> .

وَالْحَسَدُ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - دَائٌّ يَنْهَكَ الْجَسَدَ ، وَيُفْسِدُ الْوَدَّ<sup>(٦)</sup> ، عِلَاجُهُ

---

(١) نشرت كاملة من قبل في مجموعة رسائل الجاحظ نثرة الساسي ١٣٢٤ . وقد أشرت إليها

بالرمز « مج » .

(٢) مج : « وكيف تفرقت » . وفي ب : « أموره أحواله » ، تحريف .

(٣) ب : « ولم صاروا العلماء » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) مج : « وقل منه في البعداء » .

(٥) مج : « من جميع الأوطان » .

(٦) م : « الرد » تحريف . وفي ط ، مج : « الأود » ، وهي بضم الواو جمع ود بالكسر

وهو الحبيب ، مثل قدح وأقدح .

عَسِير<sup>(١)</sup> ، وصاحبه ضَجِر<sup>(٢)</sup> . وهو بابٌ غامضٌ وأمر متعذرٌ ، وما ظهر منه فلا يُدَاوَى ، وما بطن منه فمُداوِيهِ في عَناء . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ<sup>(٣)</sup> مِنْ قَبْلِكُمْ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ » . [ وقال بعض الناس لجلسائه : أَىُّ النَّاسِ أَقْلُ غَفْلَةٍ ؟ فقال بعضهم : صاحبُ لَيْلٍ ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يُصْبِحَ . فقال : إِنَّهُ لَكَذَا وَلَيْسَ كَذَا . وقال بعضهم : الْمَسَافِرُ ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يَقْطَعَ سَفَرَهُ . فقال : إِنَّهُ لَكَذَا وَلَيْسَ كَذَا . فقالوا له : فَأَخْبِرْنَا بِأَقْلِ النَّاسِ غَفْلَةً . فقال : الْحَاسِدُ ، إِنَّمَا هُمُ أَنْ يَنْزِعَ اللَّهُ مِنْكَ النِّعْمَةَ الَّتِي أَعْطَاكَهَا ، فَلَا يَغْفُلُ أَبَدًا .

ويروى عن الحسن أنه قال : الحسد أسرعُ في الدِّينِ من النارِ في الحطبِ اليابس<sup>(٤)</sup> . [

وما أُتِيَ المحسودُ من حاسده إلا من قبل فضل الله عنده ونعمه عليه<sup>(٥)</sup> قال الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا<sup>(٦)</sup> ﴾ .

والحسد عقيدُ الكُفْرِ ، وحليفُ الباطل ، وضدُّ الحقِّ ، وحربُ البيان . فقد ذمَّ الله أهل الكتاب به فقال : ﴿ وَذَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ نُو يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ<sup>(٧)</sup> ﴾ .

(١) ب : « وعلاجه عسير » م « علاجه عسير » ، وأثبتت ما في ط ، ومج .

(٢) م « ضجير » ، تحريف .

(٣) داء الأمم ، ساقطة من ب . والحديث رواه أحمد والترمذي . الجامع الصغير ١ : ٥٦٣ .

(٤) هذه التكلفة من ط ، مج .

(٥) مج : « من قبل فضل الله تعالى إليه ونعمته عليه » .

(٦) الآية ٥٤ من سورة النساء .

(٧) من الآية ١٠٩ من سورة البقرة .

منه تتولد العداوة<sup>(١)</sup> ، وهو سبب كل قطيعة ، ومُنتج<sup>(٢)</sup> كل وحشة ، ومُفرِّق كل جماعة ، وقاطع كل رحم بين الأقرباء<sup>(٣)</sup> ، ومُحدث التفرُّق بين القرناء ، ومُلْقِح الشرِّ بين الخطاء<sup>(٤)</sup> ، يكُمِّن في الصدر كمون النار في الحجر .

ولولم يدخل على الحاسد بعد<sup>(٥)</sup> تراكم الغموم على قلبه ، واستمكان<sup>(٦)</sup> الحزن في جوفه ، وكثرة مَضْضه ووسواسِ ضميره ، وتنغصص<sup>(٧)</sup> عمره وكدرِ نفسه ونكد عيشه<sup>(٨)</sup> . إلا استصغاره<sup>(٩)</sup> نعمة الله عليه<sup>(١٠)</sup> ، وسخطه على سيِّده بما أفاد غيره<sup>(١١)</sup> . وتمنّيه عليه أن يرجع في هبته إياه ، وأن لا يرزق أحداً سواه ، لكان عند ذوى العقول مرحوماً<sup>(١٢)</sup> ، وكان لديهم<sup>(١٣)</sup> في القياس مظلوماً . لا وقد قال بعض الأعراب : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد : نفس دائم . وقلب هائم . وحزن لازم<sup>(١٤)</sup> I

( ١ ) مج : « فنه » ، ب فقط : « يتولد » .

( ٢ ) ب : « وسخ » بإهمال الحرف الثاني ، ولعلها « سنخ » بكسر السين ، بمعنى الأصل . وأثبت ما في سائر النسخ .

( ٣ ) ب ، ط : « من الأقرباء » .

( ٤ ) ب ، ط : « بين الحلفاء » .

( ٥ ) م : « غير »

( ٦ ) ب ، ط : « واستمكان » ، تعريف .

( ٧ ) مج : « وتنغصص » .

( ٨ ) مج : « ونكد لذاذة معشه » .

( ٩ ) م : « إلى » .

( ١٠ ) ط ، م : « نعمة الله فقط » ، وفي مج : « لنعمة الله عنده » ، وأثبت ما في ب .

( ١١ ) مج : « بما أفاده الله عبده » .

( ١٢ ) م ، ط : « مرجوماً » بالجمع . وفي هامش م : « لعله مرحوماً » .

( ١٣ ) مج : « وكان عندهم » وكذا أثبتت بخط مخالف فوَّتها في م .

( ١٤ ) الكلمة من ط ، مج .

والحاسد مخذول وموزور<sup>(١)</sup> ، والمحسود محبوب ومنصور . والحاسد مغموم ومهجور ، والمحسود مغشى ومزور<sup>(٢)</sup> .

والحسد - رحمك الله - أول خطيئة ظهرت في السموات . وأول معصية حدثت في الأرض ، خص به أفضل الملائكة فعصى ربه . وقايسه في خلقه<sup>(٣)</sup> . واستكبر عليه فقال : ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ، فلعنه وجعله إبليساً ، وأنزله من جواره بعد كان أنيساً ، وشوّه خلقه تشويهاً ، وموّه على نبيه<sup>(٥)</sup> تمويهاً نسي به عزم ربه ، فواقع الخطيئة ، فارتدع المحسود<sup>(٦)</sup> وتاب عليه وهدى . ومضى اللعين الحاسد في حسده<sup>(٧)</sup> فشقى وغوى .

وأما في الأرض فابنا آدم<sup>(٨)</sup> حيث قتل<sup>(٩)</sup> أحدهما أخاه ، فعصى ربه وأثكل أباه . وبالحسد طوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .

لقد حمله الحسد على غاية القسوة<sup>(١٠)</sup> ، وبلغ [ به<sup>(١١)</sup> ] أقصى حدود

- 
- (١) موزور ، من الوزر ، وهو الذنب والإثم ، ويقال مأزور ، أيضاً بالإبدال ، ومنه في الحديث : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » . وفي مج : « ومأزور » على الإبدال .
- (٢) مغشى : يغشاها الناس ويزورونه . م : « مغمور ومسرور » وبخط مخالف فوقها : « مغشى ومزور » كما في مج . وفي ب : « مغشى ومسرور » .
- (٣) مج وتعليقات م : « وقايسه بخلق » .
- (٤) من الآية ١٢ من الأعراف ، ٧٦ من سورة ص .
- (٥) ب ، ط : « على مثله » ، م : « على تمثيله » ، مج : « على أنبيائه » ولعل وجهه ما أثبت .
- (٦) ب : « فارتجع » ، وأثبت ما في سائر النسخ .
- (٧) مج وبخط مخالف في م : « على حسده » .
- (٨) ب فقط : « فأبناء آدم » ، تحريف .
- (٩) ب ، ط : « حسد » موضع « حيث قتل » .
- (١٠) ب ، ط : « فقد حمله الحسد إلى غاية القسوة » .
- (١١) التكلفة من م ، مج .

العقوق ، فأنساه من رَحِمِهِ جميعَ الحقوق<sup>(١)</sup> ، إِذْ أَلْقَى الحجر عليه شادخاً<sup>(٢)</sup> وأصبح عليه نادماً صارخاً .

ومن شأن الحاسد إن كان المحسود غنياً أَنْ يوبِّخه على المال فيقول<sup>(٣)</sup> : جَمَعَهُ حراماً ومنعه أثاماً<sup>(٤)</sup> . وأَلَبَّ<sup>(٥)</sup> عليه محاويجَ أَقاربه فتركهم له خُصماً<sup>(٦)</sup> . وأعانهم في الباطن وحمل المحسود على قطيعتهم في الظاهر وقال له<sup>(٧)</sup> : لقد كفروا معروفك ، وأظهروا في الناس ذمك ، فليس<sup>(٨)</sup> أمثالهم يُوصلون ، فإنهم لا يَشْكرون . وإن وجد له<sup>(٩)</sup> خصماً أعانه عليه<sup>(١٠)</sup> ظلماً ، وإن كان ممن يعاشره فاستشاره غشاً ، أو تَفَضَّلَ عليه بمعروفٍ كَفَره<sup>(١١)</sup> . أو دعاه إلى نصرٍ خذله . وإن حضر<sup>(١٢)</sup> مدَّحَه ذمَّه وإن سُئِلَ عنه همزه ، وإن كانت<sup>(١٣)</sup> عنده شهادةٌ كتمها ، وإن كانت منه إِلَيهِ زَلَّةٌ<sup>(١٤)</sup> عَظَّمها ، [ وقال : إِنَّه<sup>(٥)</sup> ] يحب أَنْ يعاد ولا يعود ، ويُرى عليه العُفود<sup>(١٦)</sup> .

( ١ ) ب ، ط : « من رحته » ، وأثبت ما في م ، وهذه العبارة ساقطة من مج .

( ٢ ) الشدخ : الكسر والتشيم . ماعداً مج : « تدخا » ، والمعروف التدخ ، فدخه يقدحه « تدخا » : شدخه .

( ٣ ) م ، مج : « وقال » .

( ٤ ) الأثام ، كسحاب : الإثم والذنب . ماعداً مج : « أيتاماً » .

( ٥ ) ألهم تأليفاً : جمعهم على عداوته . ماعداً مج : « وغلب » .

( ٦ ) خصماء : جمع خصيم ، وهو المخاصم . كالجليس بمعنى المجالس . ب ، ط : « خصماً »

( ٧ ) ب ، ط : « فقال » فقط .

( ٨ ) ب ، ط : « ليس » فقط . م : « وليس » ، وأثبت ما في مج .

( ٩ ) ط ، ب : « لهم » ، صوابه في م ، مج .

( ١٠ ) م : عليهم » ، تحريف .

( ١١ ) ب : « أو يفصل عليه معروف كفره » . صوابه في سائر النسخ .

( ١٢ ) م ، مج : « أو حضر » .

( ١٣ ) مج : « أو كانت » .

( ١٤ ) الزلة : الخطيئة والسقطة . ب فقط : « ذلة » تحريف .

( ١٥ ) التكلة من مج .

( ١٦ ) هذا ما في مج . وفي سائر النسخ : « القعود » . وكان العرب يقدحون الخنز

لعرث سائهم وداوكهم . انظر م : ميثاق في نهاية هذا الفصل ص ١٠ .

وإن كان المحسود عالماً قال : مبتدع . ولرأيه مُتَّبِعٌ <sup>(١)</sup> . حاطبٌ ليلٍ ومبتغى نيلٍ <sup>(٢)</sup> ، لا يدرى <sup>(٣)</sup> ما حمل ، قد ترك العمل . وأقبل على الحيل <sup>(٤)</sup> . قد أقبل بوجوه النَّاسِ إليه ، وما أَحْمَقَهُمْ إِذْ انْتَالُوا عليه <sup>(٥)</sup> . فَقَبَّحَهُ اللَّهُ مِنْ عَالِمٍ ما أَعْظَمَ بليته <sup>(٦)</sup> ، وأَقْلَ رِعته <sup>(٧)</sup> ، وأسوأ طعمته <sup>(٨)</sup> .

وإن كان المحسود ذا دينٍ قال : مُتَّصِنٌ يَغْزُو لِيُوصَى إِلَيْهِ <sup>(٩)</sup> ، ويحجُّ ليشنئ بشئٍ عليه <sup>(١٠)</sup> ، ويصوم لتُقْبَلَ شهادته <sup>(١١)</sup> ، ويُظْهِرَ النَّسْكَ لِيُودَعَ المَالُ بَيْتَهُ . ويقرأ في المسجد ليزوجه جاره ابنته ، ويَحْضُرَ الجنائز لتُعرف شهرته .

وما لقيت <sup>(١٢)</sup> حاسداً قطُّ إِلَّا تَبَيَّنَ لَكَ <sup>(١٣)</sup> مكنونه بتغيُّر لونه وتخصُّص عينه <sup>(١٤)</sup> وإخفاء سلامه ، والإقبال على غيرك والإعراض

(١) أى إنه يتبع غيره في الرأي ، ليس بذى رأى . ب ، ط : « لرأيه » بسقوط الواو .

(٢) مج : « ومبتغى نيل » .

(٣) م ، مج : « ما يدرى » .

(٤) ب ، ط : « فأقبل على الحيل » .

(٥) انتالوا عليه : انصبوا وتتابعوا . ب : « انتالوا » صوابه في سائر النسخ .

(٦) ب : « باليته » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) الرعة ، كمدة : الورع والكف عن السوء والقبیح . م ، مج : « رعيته » وهي

الاسم من الرعى ، كما في اللسان ( رعى ٤٢ ) .

(٨) الطعمة ، بالضم والكسر : وجه المكسب .

(٩) ب ، ط : « يتصنع أن يوصى إليه » ، صوابه في م ، مج .

(١٠) ب « ويحج لشئٍ عليه » م ، مج : « ليشنئ عليه » ، وأثبت ما في ط . وما بعده من

الكلام إلى « بيته » ساقط من مج .

(١١) ب م : « ليقبل شهادته » .

(١٢) م : « وارتأيت » .

(١٣) كلمة « لك » ساقطة من ط ، م وبدلها في ب : « لى » .

(١٤) التخصُّص ، من الخوص ، وهو ضيق العين وغشوه رها . والمعروف المخاصصة والتخصُّص

« وتخصُّص » مج : « وتخصُّص » ، وأثبت ما في ب ، ط .

عنك<sup>(١)</sup> ، والاستثقال لحديثك<sup>(٢)</sup> ، والخلاف لرأيك<sup>(٣)</sup> .

وكان عبد الله بن أبي<sup>(٤)</sup> . قبل نفاقه ، نسيج وحده<sup>(٥)</sup> لجودة رأيه وبُعد همّته ، ونُبُل شيمته ، وانقياد العشيرة له بالسيادة ، وإذعانهم له بالرياسة . وما استوجبَ ذلك إلا بعدما استجمع له لُبُه<sup>(٦)</sup> ، وتبينَ لهم عقله ، وافتقدوا منه جهله<sup>(٧)</sup> ، ورأوه لذلك أهلاً ، لما أطاق [ له<sup>(٨)</sup> ] حملاً . فلما بعث الله نبيّه صلى الله عليه وسلم وقدم المدينة ، ورأى هو عز رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٩)</sup> شميخ بأنفه<sup>(١٠)</sup> فهدم إسلامه لحسده<sup>(١١)</sup> ، وأظهر نفاقه . وما صار منافقاً حتّى كان حسوداً ، ولا صار حسوداً حتّى صار حقوداً . فحُمقَ بعد اللُب<sup>(١٢)</sup> ، وجَهِلَ بعد العقل ، وتبوّأ النار بعد الجنة .

(١) مج : « والإعراض عنك والإقبال على غيرك » .

(٢) ب ، ط : « والاستقبال لحديثك » ، تحريف .

(٣) بعده في مج : ولذلك قال القائل :

طال على الحاسد أحزانه	فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه	ما هاج منه حر نيرانه
الغيب أشهى عنده لذة	من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله	تسلم من كثرة بهتانه

وقد انفردت نسخة ط بهذا الإنشاد في نهاية هذا الفصل ، كما سيأتى .

(٤) عبد الله بن أبي بن سنول ، رأس المنافقين في أول الإسلام . وسلول جدته نسب إليها . وجده مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الحبلى بن غنم بن عوف بن الخزرج . وابنه عبد الله ابن عبد الله كان من فضلاء الصحابة بديراً ، قتل يوم البمامة . جهرة أنساب العرب ٣٥٤-٣٥٥ .

(٥) يقال هو نسيج وحده ، أى لا نظير له ، كما أن الثوب إذا كان كريماً لم ينسج على منوائه غيره لدقته . ط : « يسج وحده » وكذا في أصل م . وأثبت ما في ب ، ومج .

(٦) م : « له إليه » ، ط : « لهم له » ، وأثبت ما في ب ، مج .

(٧) ب : « وفقد بينهم جهله » ، و « وجه ما أثبت من سائر النسخ » .

(٨) التكملة من م ، مج .

(٩) ب ، م ، ط : « ورأى غيره » وصححت في م : « ورأى عز رسول الله » ،

وأثبت ما في مج .

(١٠) شميخ بأنفه : تكبر . ماعدا مج : « تشمخ بأنفه » ، تحريف .

(١١) مج : « فحسده فهدم إسلامه » .

(١٢) لب : لعقر . ب فقط : « بعد الله » تحريف .

ولقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه إلى الأنصار .  
فقالوا : يا رسول الله لا تَلُمَّهُ <sup>(١)</sup> ، فَإِنَّا كُنَّا عَقَدْنَا لَهُ الْخَرْزَ <sup>(٢)</sup> قَبْلَ  
قُدُومِكَ لِنَتَوَجَّهَ .

ولو سَلِمَ المَخْذُولُ <sup>(٣)</sup> قَلْبَهُ مِنَ الْحَسَدِ لَكَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ ،  
وَمِنَ السُّودِدِ فِي ارْتِفَاعٍ . فَوَضَعَهُ اللَّهُ لِحَسَدِهِ ، وَأَظْهَرَ نِفَاقَهُ <sup>(٤)</sup> .  
[ وَلِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ :

طال على الحاسد أحزانه	فاصفر من كثرة أحزانه
دعاه فقد أشعلت في جوفه	ما هاج من حر نيرانه
العيب أشهى عنده لذة	من لذة المال لأحزانه
فارم على غاربه حبله	تسلم من كثرة بهتانه <sup>(٥)</sup> ]

(١) ب فقط : « لا تكلمه » .

(٢) خرزات الملك : جواهر تاجه . ويقال : كان الملك إذا ملك عاماً زيدت في تاجه -  
خرزة ليغن عدد سني ملكه .

(٣) يعني عبد الله بن أبي ، خذله الله . ط . ب : « للمخذول » . سلم قلبه من الحسد :  
وقاد إياه وبرأه منه .

(٤) معج : « بحسده وإظهار نفاقه » .

(٥) اكتملة من ط . وقد وردت في معج قبل هذا الموضع كما سبقت الإشارة إليه في ص ٩٠ .  
وأثبت أحمد تيمور بخطه في هذا الموضع .



## ٢ - فصل

## في حسد الجيران

وذلك أَنَّ الجيران - يرحمك الله - طلائعُ عليك ، وعيونهم نواظرُ أ  
إليك ، فمَنى <sup>(١)</sup> كنتَ بينهم مُعدِّماً <sup>(٢)</sup> فأيسرت ، فبذلت وأعطيت ،  
وكسوت وأطعمت . وكانوا في مثل حالك فاتَّضعوا . وسُلبوا النعمة  
وألبستَها [ أنت <sup>(٣)</sup> ] . فعظمت عليهم بليّة الحسد . وصاروا <sup>(٤)</sup> منه  
في تنغيص آخر الأبد <sup>(٥)</sup> . ولولا أَنَّ المحسود بنصر الله إيّاه مستور ،  
وهو بصنعه محجوب <sup>(٦)</sup> لم يأت عليه يوم إلّا كان مقهوراً ، ولم  
تأت ليلة إلّا وكان عن منافعه مقصوراً . ولم يُمسِر إلّا وماله مسلوب ،  
ودمه مسفوك . وعرضه بالضرب منهوك .

---

(١) ب ، مج : « فمَنى » .

(٢) معدِّماً ، ساقطة من ب .

(٣) التكلة من مج .

(٤) ب فقط : « وصاروا » .

(٥) م : « لآخر الأبد » .

(٦) ما عدا مج : « محجور » بالراء .

## ٣ - فصل منه

وأنا أقول حقاً<sup>(١)</sup> : ما خالط الحسد قلباً إلا لم يمكنه ضبطه :  
ولا قدر على تسجينه<sup>(٢)</sup> وكتمانه ، حتى يتمرّد عليه بظهوره وإعلانه ،  
فيمستعبده<sup>(٣)</sup> ويستميله<sup>(٤)</sup> ، ويستنطقه لظهوره عليه<sup>(٥)</sup> فهو أغلب على  
صاحبه من السيّد على عبده ، ومن السلطان على رعيته ، ومن الرجل  
على زوجته ومن الأسر على أسيره<sup>(٦)</sup> .

وكان ابنُ الزُّبير بالصبر موصوفاً ، وبالدَّهاء معروفاً ، وبالعقل  
موسوماً ، وبالمداورة منهوماً<sup>(٧)</sup> ، فأظهر بلسانه حسداً كان أضبّ  
عليه<sup>(٨)</sup> أربعين سنةً لبنى هاشم ، فما اتسع قلبه لكتمانه ، ولا صبرَ على  
اكتنامه ، لما طالت<sup>(٩)</sup> في قلبه طائلته<sup>(١٠)</sup> أظهره وأعلنه ، مع صبره  
على المكاره . وحمله نفسه على حتفها<sup>(١١)</sup> ، وقلة اكتراثه والتفات

(١) مج : « وأقول » .

(٢) التسجين : تفعيل من السجن ، أى الحبس ، والمراد الكتان . وفي اللسان : « وسجين  
الهم يسجنه ، إذا لم يبشه » . وأنشد :

ولا تسجنن الهم إن لسجنه عناء وحمله المهارى التواجيا  
والكلمة محرفة في النسخ ، فهي في ب : « تسخينه » وسائر النسخ : « تشخينه » ، والوجه  
ما أثبت .

(٣) ب ، ط : « فليستعبده » . وفي هامش م : « فيستفيد » ، وما أثبت من مج .

(٤) ما عدا ط : « ويستعمله » .

(٥) ب م : « لقهوره عليه » ، مج : « لقهره عليه » ، وأثبت ما في ط وهامش م .

(٦) ب : « على الأسيرة » م : « أسيرته » ط : « الأسير » وأثبت ما في مج .

(٧) المنهوم بالشيء : المولع به . وفي الحديث : « منهومان لا يشبعان : منهوم بالمال  
ومنهوم بالعلم . ط فقط : « متبوماً » .

(٨) يقال أضبّ فلان على غل في قلبه ، أى أضمره وأخفاه . م ، ط : « واضب عليه »  
عريف . والكلام بعده إلى « اكتنامه » ساقط من مج .

(٩) م : « لما طال » .

(١٠) ما عدا مج : « طيلة »

(١١) الحتف : الهلاك . ما عدا مج : « خسفها » .

لأحجار المجانيق التي<sup>(١)</sup> [ كانت<sup>(٢)</sup> ] تمرّ عليه فتذهب بطائفة من قومه<sup>(٣)</sup> ما يلتفت إليها .

حدثت بذلك عن عليّ بن مُسهر<sup>(٤)</sup> عن الأعمش، عن صالح بن حَبَّاب<sup>(٥)</sup>، عن سعيد بن جُبَيْر قال : قُدْتُ ابنَ عباس<sup>(٦)</sup> حتّى أدخلته على ابن الزُّبَيْرِ ، قال : أنت الذى تؤنّبني ؟ قال : نعم ، لأنّى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس بمؤمن من بات شبهاناً<sup>(٧)</sup> وجارهُ طاو<sup>(٨)</sup> » . فقال له ابن الزُّبَيْرِ : لمن قلت ذلك ؟ إننى<sup>(٩)</sup> لأآكم بُغْضَكُمْ أَهْلَ البيت مُنْذُ<sup>(١٠)</sup> أربعين سنة . فحسر ابن عباس عن ذراعيه كأنّهما عسيبا نخل ، ثم قال لابن الزبير : نعم فليبلغ ذاك منك ، ما عرفْتُكَ .

ولقد أجَلْتُ الرأى ظهراً لبطن وفكّرت في جوابه لابن عباس أن أجدل له معنى سوى الحسد فلم أجده ، وكانت وخزة<sup>(١١)</sup> في قلبه فلم

(١) ب : « الذى » ، تحريف .

(٢) التكلّة من مج .

(٣) ب ، م : « ثوبه » ، وأثبت ما فى ط ، مج . وهامش م .

(٤) يضم الميم وسكون المهملة وكسر الهاء ، كما فى التقريب . وهو أبو الحسن على بن مسهر القرشى الكوفى قاضى الموصل . ذكره ابن حبان فى الثقات وقال : مات سنة ١٨٩ . تهذيب التهذيب .

(٥) مج : « طلح بن حبان » . ولعله « صالح بن حبان » المترجم فى تهذيب التهذيب .

(٦) كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه قد عمى فى آخر عمره ، كما عمى أبوه وجده . وقال له معاوية يوماً : ما لكم تصابون فى أبصاركم يا بنى هاشم ؟ فقال له : كما تصابون فى

بصائرکم يا بنى أمية ! نكت الهميان ١٨٠ - ١٨٢

(٧) كذا جاء مصروفاً منوناً ، وهذا بالنظر إلى أن مؤنثه شعبانة . وبالنظر إلى أن مؤنثه

شعبى يمنع من الصرف ، وكلاهما مسموع . وفى مج : « شعبان » بالمنع من الصرف .

(٨) الطلاوى : الجائع الخالى البطن ، كأنه طوى بطنه .

(٩) ب : « لأنى » .

(١٠) م : « منذ » .

(١١) الوخزة : الطعنة . ب ، م : « وخزة » بالذال ، تحريف ، وليس لوخذ مادة

فى المعاجم المتداولة . وفى مج : « وخزة ثقيلة فلم ييدها له » .

يُبْدِيهَا . وفروعُ بني هاشم حول الحرم باسقة ، وعروق دَوَّحاتهم بين أطباقها راسية ، ومجالسُهم من أعاليها عامرة <sup>(١)</sup> . وبحورها بأرزاق العباد <sup>(٢)</sup> زاهرة . وأنجمُها بالهدى زاهرة . فلما خلت البطحاء من صناديدها استقبله بما أكنَّ في نفسه <sup>(٣)</sup> .

والحاسد لا يغفل عن فرصته إلى أن يأتِيَ الموتُ على رَمْتِهِ ، وما استقبلَ ابنَ عباسٍ بذلك إِلَّا لَمَّا رَأَى عَمَرَ قَدَمَهُ <sup>(٤)</sup> على أهلِ القَدَمِ ، ونَظَرَ إِلَيْهِ وقد أَطَافَ بِهِ أَهْلُ الْحَرَمِ . فَأَوْسَعَهُمْ حُكْمًا . وَثَقَّبُوا مِنْهُ رَأْيًا وَفَهْمًا <sup>(٥)</sup> . وَأَشْبَعَهُمْ <sup>(٦)</sup> عِلْمًا وَحِلْمًا .

---

(١) مج : « غامرة » .

(٢) ب ، ط : « بأوراق العباد » م : « بأوراق العبادة » . والصواب من مج .

(٣) مج : « بما أكنَّ في نفسه » .

(٤) م ، ط : « لما رأى من تقدمه » .

(٥) ثقب رأيه ثقبوا : نفذ . وفي قول أبي حية النخري :

ونشرت آيات عليه ولم أقسل من العلم إلا بالذي أنا ثاقبه

ط : « وثقبوا » . مج : « وتعصبوا » .

(٦) ب : « وأسبقهم » ط ، م : « وسبقهم » ، وأثبت ما في مج .

## ٤ - فصل

وكيف يصبر من استكنَّ الحسدُ في قلبه على أمانيه <sup>(١)</sup> . ولقد كان إخوة يوسف حلماء . وأجلة علماء ، ولدهم الأنبياء ، فلم يغفلوا عما قدح في قلوبهم من الحسد ليوסף ، حتى أعطوا أباهم الموائيق المؤكدة . والعهود المقلدة <sup>(٢)</sup> . والأيمان المغلطة . إنهم له لحافظون . وهو شقيقهم وبضعة منهم . فخالفوا العهود ووثبوا عليه بالظلم والقوة <sup>(٣)</sup> . والقوة في غيابة الجب . وجاءوا على قميصه بدم كذب ، فبظلمهم يوسف ظلموا أباهم . ضمعا أن يخدو ضم وجه أبيهم ويتفردوا بحبه <sup>(٤)</sup> ، وظنوا أن الأيام تسليه . وحبه خم من بعد غمه <sup>(٥)</sup> يلهبه . فأسالوا عبرته وأحرقوا قلبه .

وكيف لا تقر أعين المحسودين <sup>(٦)</sup> بعد يوسف وقد ملكه الله خزائن الأرض ، بصبره على أذى حساده ومقابلته <sup>(٧)</sup> إياهم بالعفو والمكافأة . وحسن العشرة <sup>(٨)</sup> والمواخاة . بعد إمكانه منهم <sup>(٩)</sup> لما أتوه ممتارين ، ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون . فأحسن رفدهم ، وأكرم قراهم <sup>(١٠)</sup> .

(١) ب : « أمانته » م : « إمانته » ط : « إمانته » ، وأثبت م في مج .

(٢) يقال قنده الأمر : ألزمه إياه . معدا مج : « المقبلة » .

(٣) والقوة ، ساقطة من ط ، م . مج .

(٤) م : « وينفردوا بحبه » .

(٥) في هامش م : « عن بعده عنه » مج : ( من بعده عنه ) .

(٦) ب : « لا تغتر » ، م : « وكيف تغتر » ، وأثبت م في ط ، مج . وفي ص . م :

« الحاسدين » .

(٧) مج : ( ومقاصته » . وكذلك هـ م .

(٨) ما عدا مج : « بحسن العشرة » .

(٩) ب فقط : « منه » تحريف .

(١٠) م عدا مج : « وكرم قراهم » .

فَأَقْرُوا لَهُ لَمَّا عَرَفُوهُ بِالْإِذْعَانِ ، وَسَلَّوْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْغَفْرَانَ ، وَخَرُّوا لَهُ  
سُجَّدًا لَمَّا وَرَدُوا عَلَيْهِ وَفَدًا<sup>(١)</sup> .

فَإِذَا أَحْسَسْتَ - رَحِمَكَ اللَّهُ - مِنْ صَدِيقِكَ بِالْحَسَدِ فَأَقْلِلْ مَا اسْتَطَعْتَ  
مِنْ مُخَالَطَتِهِ ، فَإِنَّهُ أَعَوْنَ الْأَشْيَاءُ لَكَ<sup>(٢)</sup> عَلَى مَسَالِمِهِ . وَحَصِّنْ سِرَّكَ  
مِنْهُ تَسْلِمَ مِنْ شَرِّهِ وَعَوَائِقُ ضَرِّهِ<sup>(٣)</sup> . وَإِيَّاكَ وَالرَّغْبَةَ فِي مَشَاوَرَتِهِ ،  
وَلَا يَغُرُّكَ خُدْعُ مَلَقِهِ ، وَبَيَانُ ذَلَقِهِ<sup>(٤)</sup> ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَبَائِلِ نِفَاقِهِ .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ آيَةَ مُصَدِّقِهِ فَأَدْنِينِ<sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ مِنْ يُهَيِّنُكَ عِنْدَهُ ،  
وَيَذِمُّكَ بِحَضْرَتِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ<sup>(٦)</sup> مِنْ شَأْنِهِ لَكَ مَا أَنْتَ بِهِ جَاهِلٌ ،  
وَمِنْ خِلَافِ الْمَوَدَّةِ مَا أَنْتَ عَنْهُ غَافِلٌ . وَهُوَ أَلْحُ<sup>(٧)</sup> فِي حَسَدِهِ لَكَ مِنْ  
الذُّبَابِ ، وَأَسْرَعُ فِي تَهْرِيقِكَ<sup>(٨)</sup> مِنَ السَّيْلِ إِلَى الْحُدُورِ<sup>(٩)</sup> .

(١) مج : « لما قدموا عليه وفداً » .

(٢) ب فقط : « فإنه أهون » تحريف . وكلمة « لك » من مج وهامش م .

(٣) ط فقط : « وبوائق ضره » .

(٤) الذلق : فصاحة اللسان . ما عدا مج : « زلقه » تحريف .

(٥) ب : « فدنين » تحريف ، وأثبت ما في م ، ط . وفي هامش م : « فدنس » ، وهي  
ما جاءت به نسخة مج .

(٦) م فقط : « يظهر » وحورت فيها إلى « سيظهر » .

(٧) « ألح » بالخاء المهملة ، كما في الدرة الفاخرة للأصهباني ٣٦٩ . ونظيرها فيما أورده :  
ألح من الخنفساء ، ومن الكلب ، ومن الحمى . وفي مج : « ألج » بالجميم ، وهو المطابق لما في  
جمهرة الأمثال للعسكري ١٨٠ حيث أورد هذه الأمثال كلها بصورة « ألج » بالجميم . وكلاهما  
اقتصر في التفسير على « ألح من كلب » واتفقا في قولهما « لأنه يلح بالهريس على الناس » ،  
ولا ريب في أخذ العسكري المتوفى نحو سنة ٤٠٠ عن حمزة الأصهباني المتوفى سنة ٣٥١ .  
كما صرح بذلك العسكري في مقدمة كتابه ص ٦ . وهذا مما يؤيد رواية « ألح » بالمهملة ،  
إذ يقال ألح عليه ، ولا يقال ألج عليه .

(٨) ط ، مج : « تمزيقك » .

(٩) الحدور ، بالفتح : الموضع المنحدر . ب : « الحدود » ، تحريف .

وما أحبُّ أن تكون عن حاسدك غيباً، وعن وهمك<sup>(١)</sup> بما في ضميره نسياً<sup>(٢)</sup> :  
إلا أن تكون للذلِّ محتملاً ، وعلى الدناءة مشتملاً<sup>(٣)</sup> ، ولأخلاق الكرام  
مجانباً. وعن محمود شيمهم ذاهباً، أو تكون بك إليه حاجة<sup>(٤)</sup> قد  
صيرتكَ<sup>(٥)</sup> لسهام الرُّماة هدفاً ، وعرضك لمن أرادك غرضاً<sup>(٦)</sup> .

وقد قيل على وجه الدهر<sup>(٧)</sup> : « الحرّة تجوع ولا تأكل بشديبها<sup>(٨)</sup> ».

وربّما كان الحسود<sup>(٩)</sup> للمصطنع إليه المعروف أكفر له وأشدَّ  
احتقاراً<sup>(١٠)</sup> ، وأكثر تصغيراً له من أعدائه .

## ٥ - فصل منه (١١)

ومتى رأيت حاسداً يصوبُّ لك رأياً إن كنت<sup>(١٢)</sup> مصيباً ، أو يرشدك

(١) وهم إلى الشيء وفيه : ذهب وهمه إليه . مج : « فهمك » .

(٢) ب : « بما في ضمير نسياً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب : « مستملاً » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) ما عدا مج : « أو تكون بك لاجحة » .

(٥) ب : « صيرتها » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) ما عدا مج : « لمن أبادك » .

(٧) تى في قديم الزمان . ب : « الأرض » ، م ، ط : « العرض » ، صوابهما في مج .

(٨) ب : « تأكل ثديها » وهى رواية صحيحة مثلها في المستقصى ٢ : ٢٠ : « ثديها »

بدون باء . قال الزمخشري : معناه جعل ثديها ، كقوله :

\* يأكلن كل ليلة إكافا \*

أى ثمن . كاف . والجعل ، بالضم : أجر العامل ونحوه ويروى : « تجوع الحرة » ، و « قد  
تجوع الحرة » : انظر الفاخر ١٠٩ والميداني ١١٠ : وجهرة العسكري ٢٦١ ، ٤٩٤ .

(٩) ب ، ط : « الحسد » مج : « الحاسد » ، وأثبت ما في م .

(١٠) احتقد عليه : حقد . ط : « احتقاراً منه » . و « منه » مقحمة . وفي مج : « وأشدَّ

اجتهاداً » ، تحريف .

(١١) منه ، سقطة من ب .

(١٢) ب ، ط ، مج : « وإن » في هذا الموضع وثاليه ، والصواب ما في م بدون واو .

إِلَى صَوَابٍ إِنْ كُنْتَ مَخْطِئًا . أَوْ أَفْصَحَ<sup>(١)</sup> لَكَ بِالْخَيْرِ فِي غَيْبَتِهِ عَنْكَ<sup>(١)</sup> .  
أَوْ قَصَّرَ مِنْ غَيْبَتِهِ لَكَ<sup>(٢)</sup> .

فَهُوَ الْكَلْبُ الْكَلْبُ ، وَالنَّمْرُ النَّمْرُ<sup>(٣)</sup> وَالسَّمُّ الْقَشْبُ<sup>(٤)</sup> ، وَالْفَحْلُ الْقَطْمُ<sup>(٥)</sup> . وَالسَّيْلُ الْعَرَمُ<sup>(٦)</sup> . إِنْ مَلَكَ قَتْلَ وَسْبَى<sup>(٧)</sup> ، وَإِنْ مُلِكَ عَصَى وَبَغَى . حَيَاتُكَ مَوْتُهُ . وَمَوْتُكَ عَرْسُهُ وَسُرُورُهُ<sup>(٨)</sup> . يَصْدُقُ عَلَيْكَ كُلُّ شَاهِدٍ زُورٍ . وَيَكْذِبُ فِيهِ<sup>(٩)</sup> كُلُّ عَدُوٍّ مَرْضَى . لَا يَحِبُّ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ يُبْغِضُكَ . وَلَا يُبْغِضُ إِلَّا مَنْ يَحِبُّكَ . عَدُوُّكَ بَطَانَةٌ وَصَدِيقُكَ عَلَانِيَةٌ<sup>(١٠)</sup> .

وَقُلْتَ : إِنَّكَ رَبِّمَا غَلِطْتَ فِي أَمْرِهِ لَمَّا يَظْهَرُ لَكَ مِنْ بَرِّهِ . وَلَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ الْجَلِيلَ مِنَ الرَّأْيِ<sup>(١١)</sup> . وَالْدَّقِيقَ مِنَ الْمَعْنَى . وَكُنْتَ فِي مَذَاهِبِكَ قَطْنًا نِقَابًا<sup>(١٢)</sup> . وَلَمْ تَكُ فِي عَيْبٍ مَنِ ظَهَرَ لَكَ عَيْبُهُ<sup>(١٣)</sup> مُرْتَابًا .

(١) م : « أَوْ أَنْصَحَ لَكَ بِالْخَيْرِ فِي غَيْبَتِهِ لَكَ » مج : « أَوْ نَصَحَ لَكَ فِي غَيْبَتِهِ عَنْكَ » ، ب :

« أَوْ أَفْصَحَ لَكَ بِالْخَيْرِ فِي غَيْبَتِهِ عَنْكَ » ، وَالْوَجْدَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط .

(٢) ب ، م : « مِنْ غَيْبَتِهِ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي ط .

(٣) يُقَالُ نَمْرٌ يَنْمُرُ نَمْرًا ، إِذَا غَضِبَ وَسَاءَ خُلُقُهُ . ب : « وَالنَّمْرُ وَالنَّمْرُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط . وَفِي مَج : « وَالنَّمْرُ الْحَرْبُ » . وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَتَبَ وَاشْتَبَهَ غَضَبُهُ .

(٤) الْقَشْبُ : الْمَخْطُوط .

(٥) الْقَطْمُ : الشَّدِيدُ الشَّهْوَةِ إِلَى الْفَرْسِ .

(٦) الْعَرَمُ : السَّيْلُ الَّذِي لَا يُطَاقُ .

(٧) وَسَى ، سَاقَطَةٌ مِنْ ب .

(٨) ب فَقَطْ : « وَسُورُهُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٩) ب فَقَطْ : « عَلَيْكَ » .

(١٠) مَج : « عَدُوُّكَ بَطَانَتُهُ ، وَصَدِيقُكَ عَلَاوَتُهُ » .

(١١) م فَقَطْ : « الْكَلِيلُ » وَصَحَّحَتْ فَوْقَهَا بِالْجَلِيلِ .

(١٢) النِّقَابُ . بِالْكَسْرِ : الْعَالَمُ بِالْأَشْيَاءِ الْمُبْحَثِ عَنْهَا الْفُطْنُ الشَّدِيدُ الدَّخُولُ فِيهَا . وَفِي قَوْلِ أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ :

نَجِيجُ جِبَادٍ أَخُو مَقْطُوعٍ نَقَسَبَ يَنْعَدُثُ بِالْفَسَائِبِ

ب ، ط : « نَهَائِ » ، صَوَابُهُ ، فِي م ، مَج .

(١٣) مَج : « مِنْ أَوْضَحَ لَكَ عَيْبُهُ » .



لاستغثت بالرَّمز عن الإشارة . وبالإشارة عن الكلام . وبالسِّر عن الجهر . وبالخفض عن الرفع<sup>(١)</sup> . وبالاختصار<sup>(٢)</sup> عن التطويل ، وبالجَمَل عن التفصيل . وأرحتنا من طلب التحصيل<sup>(٣)</sup> ولكنى أخاف عليك أنَّ قلبك لصديقك غير مستقيم ، وأن ضمير قلبك له غير سليم<sup>(٤)</sup> ، وإن رفعت القذى عن لحيته<sup>(٥)</sup> . وسويت عليه ثوبه فوق مركبه . وقبّلت صبيّه بحضرتة ، ولبست له ثوب الاستكانة عند رؤيته . واغفرت له الزَّلَّة<sup>(٦)</sup> ، واستحسنّت كلّ ما يقبَحُ من جهته<sup>(٧)</sup> . وصدّقته على كذبه ، وأعنته على فجّرتة . فما هذا العناء<sup>(٨)</sup> ! كأنّك لم تقرأ المعوّذة . ولم تسمع مخاطبته<sup>(٩)</sup> نبيّه صلى الله عليه وسلم . في التّقدّمة إليه بالاستعاذة من شرّ حاسدٍ إذا حسد .

أتطلب<sup>(١٠)</sup> ويحك أثراً بعد عين ، أو عطراً بعد عروس<sup>(١١)</sup> ، أو تريد أن تجتني عنباً من شوك . أو تلتمسَ حلبَ لبني من حائل<sup>(١٢)</sup> .

(١) ما عدا مج : « وبالجهر عن الرفع » .

(٢) ب ، ط : « والاختصار » .

(٣) ب : « عن طلب التحصيل » .

(٤) ب : « أن قلبك لصديقك غير سليم له » . وفيه نقص وتحريف .

(٥) في هامش م : « عن عينه » وليست بشيء . وقد تكون : « عن جبهته » .

(٦) الزلة ، بفتح الزاى : السقطة والخطيئة . ب فقط : « الدّلة » تحريف . وفي مج :

« انزلة بعد زلته » .

(٧) مج : « من شيمته » .

(٨) ما عدا مج : « فما هذا العناء » ، ولا يقولها الجاحظ . وفي مج : « فما هذا العناء » .

وم هذا الداء العياء » .

(٩) ب ، : « ولم تسمع على مخاطبته » ، مج : « ولم تسمع مخاطبة الله تعالى لنبيه » .

(١٠) ب ، م : « تطلب » .

(١١) ب فقط : « وعطراً بعد عروس » وكذلك فيما بعده « وتريد أن تجتني .. » .

(١٢) م : « وتلتمس » . والحائل : الناقة انقطع حملها سنة أو سنوات حتى تحمل . ب ،

ط : « من حمل » ، صوابه في م ، مج .

إِنَّكَ إِذْنٌ أَعْيَا مِنْ بَاقِلٍ ، وَأَحْمَقُّ مِنَ الضَّبْعِ ، وَأَغْفَلٌ مِنْ هَرَمٍ <sup>(١)</sup> .

إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُ بَعْدَ مَا أَعْلَمْنَاكَ ، وَتَعْوِجُ بَعْدَ مَا قَوَّمْنَاكَ ، وَتَبَلَّدُ <sup>(٢)</sup> بَعْدَ مَا ثَقَّفْنَاكَ <sup>(٣)</sup> ، وَتَضِلُّ إِذْ هَدَيْنَاكَ ، وَتَنْسَى إِذْ ذَكَّرْنَاكَ <sup>(٤)</sup> ، فَأَنْتَ كَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ فَبَطَلَتْ عِنْدَهُ الْمَوَاعِظُ ، وَعَمِيَ عَنِ الْمَنَافِعِ <sup>(٥)</sup> ، فَخَتَمَ <sup>(٦)</sup> عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَشَاوَةً . فَنَعُوذُ <sup>(٧)</sup> بِاللَّهِ مِنَ الْخِذْلَانِ .

إِنَّهُ لَا يَأْتِيكَ وَلَكِنْ يُنَادِيكَ <sup>(٨)</sup> وَلَا يَحَاكِيكَ وَلَكِنْ يَوَازِيكَ <sup>(٩)</sup> .  
أَحْسَنُ مَا تَكُونُ عِنْدَهُ حَالًا [ أَقْلٌ مَا تَكُونُ مَالًا ، وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ عِيَالًا .  
[ وَأَعْظَمُ <sup>(١٠)</sup> ] مَا تَكُونُ <sup>(١١)</sup> ضَلَالًا . وَأَفْرَحُ <sup>(١٢)</sup> مَا يَكُونُ بِكَ أَقْرَبَ  
مَا تَكُونُ <sup>(١٣)</sup> بِالْمُصِيبَةِ عَهْدًا ، وَأَبْعَدَ مَا تَكُونُ مِنَ النَّاسِ حَمْدًا <sup>(١٤)</sup> .

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا فَمَجَاوِرَةُ الْمَوْتِ ، وَمُخَالَطَةُ الزَّمَنِ ،

(١) الهرم : المسن الذي يبلغ أقصى الكبر .

(٢) تَبَلَّد ، أى تَبَلَّد ، بِحَذْفِ إِحْدَى التَّوَيْنِ . م فقط : « وَتَبَلَّد » .

(٣) ب فقط : « شَفَّفْنَاكَ » تَحْرِيفٌ .

(٤) مَج وَحَوَاشِي م : « لَمَّا ذَكَّرْنَاكَ » .

(٥) ب فقط : « وَعَزَّ مِنَ الْمَنَافِعِ » .

(٦) ب فقط : « وَخَتَمَ » .

(٧) ب فقط : « وَنَعُوذُ » .

(٨) مَج : « وَلَكِنَّهُ يُنَادِيكَ » .

(٩) ب : « يَوَازِيكَ » تَحْرِيفٌ ، وَفِي مَج : « وَلَكِنَّهُ يَوَازِيكَ » .

(١٠) التَّكْلِمَةُ مِنْ مَج .

(١١) مَا عَدَا مَج : « مَا يَكُونُ » .

(١٢) ب فقط : « وَأَفْرَحُ » بِالْجِيمِ ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(١٣) مَا عَدَا مَج : « مَا يَكُونُ » ، تَحْرِيفٌ .

(١٤) مَا عَدَا مَج : « وَأَبْعَدَ مَا يَكُونُ » بِالْيَاءِ ، مَعَ سَقُوطِ الْكَلِمَاتِ بَعْدَهَا .

والاجتنان بالجدران<sup>(١)</sup> . ومَصْرُ المَصْران<sup>(٢)</sup> ، وأَكْلُ القِرْدان<sup>(٣)</sup> .  
أَهْوَنُ من معاشرته ، والاتِّصَالُ بحبله .

والغِلَّ نَتِيجُ الحَسَدِ<sup>(٤)</sup> ، وهو رَضِيعُهُ<sup>(٥)</sup> ، وَغَصْنٌ من أَغْصَانِهِ ،  
وَعَوْنٌ من أَعْوَانِهِ ، وَشُعْبَةٌ من شُعْبِهِ ، وَفِعْلٌ من أَفْعَالِهِ<sup>(٦)</sup> ، كما أَنَّهُ لَيْسَ  
فَرَعٌ إِلَّا لَهُ أَصْلٌ ، وَلَا مَوْلُودٌ إِلَّا لَهُ مُوَلِّدٌ ، وَلَا نَبَاتٌ إِلَّا مِنْ أَرْضٍ ،  
وَلَا رَضِيعٌ إِلَّا مِنْ مُرْضِعٍ<sup>(٧)</sup> ؛ وَإِنْ تَغَيَّرَ اسْمُهُ ؛ فَإِنَّهُ<sup>(٨)</sup> صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ ،  
وَنَبَتْ مِنْ نَبَاتِهِ ، وَنَعَتْ مِنْ نَعَوْتِهِ .

وَرَأَيْتَ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ ذَكَرَ الْجَنَّةَ فِي كِتَابِهِ فَحَلَّاهَا بِأَحْسَنِ حِلْيَةٍ ،  
وَزَيَّنَّهَا بِأَحْسَنِ زِينَةٍ ، وَجَعَلَهَا دَارَ أَوْلِيَائِهِ وَمَحَلَّ أَنْبِيَائِهِ ، فَفِيهَا مَا لَا  
عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ<sup>(٩)</sup> . فَذَكَرَ فِي  
كِتَابِهِ مَا مِنْ بَعْضِهِمْ مِنَ السُّرُورِ وَالْكَرَامَةِ عِنْدَمَا دَخَلُوهَا وَبَوَّأَهَا فِيهِ  
فَقَالَ : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ . وَنَزَعْنَا  
مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . لَا يُسَمُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ  
وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾<sup>(١٠)</sup> .

(١) ب : « والأكسل بالجدران » م : « والكسل » وصححها أحمد تيمور بلفظ :  
« والاجتنان » ، موافقاً لما في ط . والاجتنان : الاستتار . وفي مج : « والاكنتان بالجدران »  
وهما بمعنى .

(٢) مصر المصران : استخراج ما فيها . وفي مج : « ومصر المصران » .

(٣) جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تغض الإبل .

(٤) ب ، مج : « ينتج الحسد » .

(٥) هذا ما في مج . وفي ب ، ط : « ورضيعه » فقط . وفي م : « ورضيع رضيعه » .

(٦) بعده في مج : « وحدث من أحداثه » .

(٧) مج : « إلا له مرضع » .

(٨) ب فقط : « فهو » .

(٩) ب فقط : « على لب بشر » .

(١٠) الآيات ٤٥ - ٤٨ من سورة الحجر .

فما أنزلهم دارَ كرامته إِلَّا بعد ما نزع الغِلَّ والحسدَ من قلوبهم <sup>(١)</sup> ،  
فتهنّوا بالجنة . وقابلوا إخوانهم على السرر ، وتلذذوا بالنظر في مقابلة  
الوجوه لسلامة صدورهم . ونزع الغِلَّ من قلوبهم <sup>(٢)</sup> . ولو لم ينزع ذلك  
من صدورهم ويخرجه من قلوبهم ، لافتقدوا لذادة الجنة <sup>(٣)</sup> ، وتدابروا  
وتقاضوا وتحاسدوا . وواقعوا الخطيئة <sup>(٤)</sup> ، ولمسههم فيها النَّصَب ،  
وأعقبوا منها الخروج . لآنه عزَّ وجلَّ فضل بينهم في المنازل . ورفع  
درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات <sup>(٥)</sup> ، وسَتَى العطيات .

فلما نزع الغِلَّ والحسدَ <sup>(٦)</sup> من قلوبهم ظنَّ أدناهم منزلةً فيها <sup>(٧)</sup> .  
وأقربهم بدخول الجنة عهداً ، أَنه أفضلهم منزلةً . وأكرمهم درجةً ،  
وأوسعهم داراً بسلامة قلبه <sup>(٨)</sup> ، ونزع الغِلَّ من صدره ، فقرَّت عينه  
وطاب أكله . ولو كان غير ذلك لصاروا إلى التبغيض <sup>(٩)</sup> في النظر  
باليون <sup>(١٠)</sup> . والاهتمام بالقلوب . ولحدثت <sup>(١١)</sup> العيوبُ والذنوبُ .

وما أرى السَّلامةَ إِلَّا في قطع الحاسد ، ولا السُّرورَ إِلَّا في افتقاد

(١) بعده في مج : « فبافتقاد الغل والحسد تهنوا بالجنة » .

(٢) مج : « بسلامة صدورهم ، ونزع الحسد والغل من صدورهم » .

(٣) م : « لذادات الجنة » .

(٤) مج : « وأوقعوا الخطيئة » م : « وواقعوا الخطيئة » .

(٥) ب فقط : « في الدرجات » .

(٦) ب ، مج : « الحسد والغل » .

(٧) م فقط : « فيهم » .

(٨) م : « بسلامة قلبه » .

(٩) ب ، ط : « التبغيض » .

(١٠) ب فقط : « باليوب » .

(١١) ب : « وحدثت لهم » م : « وحدث فيهم » ط : « وحدثت فيهم » . وأثبت ما في مج .

وجهه ، ولا الراحة إِلَّا في صَرْمِهِ مداراته<sup>(١)</sup> . ولا الربح إِلَّا في ترك مصافاته<sup>(٢)</sup> .

فإذا فعلتَ ذلك فكل هنيئاً مريئاً<sup>(٣)</sup> . [ ونم رَضِيئاً<sup>(٤)</sup> ] . وعش في السُرور مَلِيئاً<sup>(٥)</sup> .

ونحن نسأل اللهَ الجليلَ أَنْ يُصَفِّيَ كدرَ قلوبنا<sup>(٦)</sup> . ويَجَنِّبنا وإيّاك ! دناءةَ الأخلاق . ويرزقنا وإيّاك<sup>(٧)</sup> [ حُسْنَ الألفَةِ والاتِّفاق<sup>(٨)</sup> ] . ويُحسِّنَ<sup>(٩)</sup> توفيقك وتسديدك . والسلام .

(١) ب ، م : « مداراته » ، تحريف

(٢) ب ، م ، ط : « مكافأته » ، وأثبت ما في معج وهدمش م .

(٣) ب ، م : « فكل هنيئاً مريئاً » . وأثبت ما في ط . وفي معج : « فكل هنيئاً واشرب مريئاً » .

(٤) هذه من معج .

(٥) مليئاً ، أى زماناً طويلاً . ب فقط : « مريئاً » ، تحريف .

(٦) ما عدا معج وأسفل م : « كدر صدورنا » .

(٧) التكلفة من م . معج .

(٨) ب ، ط : « سوء الألفة والاتفاق » .

(٩) ب ، م : « وحسن » ، وأثبت ما في ط . وفي معج : « حسن الله » .



٢

من كتابه في

المعلمين





## ١ - فصل

من صدر كتابه في المعلمين<sup>(١)</sup>

أَعَانِكَ اللَّهُ عَلَى سَوْرَةِ الْغَضَبِ<sup>(٢)</sup> . وَعَصَمَكَ مِنْ سَرَفِ الذُّوَى .  
 وَصَرَفَ مَا أَعَارَكَ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى حُبِّ الْإِنْصَافِ . وَرَجَّحَ<sup>(٣)</sup> فِي قَلْبِكَ إِثَارَ  
 الْأَنَاءَةِ . فَقَدْ اسْتَعْمَلْتَ فِي الْمَعْلَمِينَ نَوَكَ السُّفَهَاءِ<sup>(٤)</sup> . وَخَطَّلَ الْجُهْلَاءَ .  
 وَمُفَاحِشَةَ الْأَبْدِيَاءِ . وَمُجَانِبَةَ سُبُلِ الْحِكَمَاءِ . وَتَهَكُّمَ الْمُقْتَدِرِينَ<sup>(٥)</sup> . وَأَمَّنَ  
 الْمُغْتَرِّينَ . وَمِنْ تَعَرَّضَ لِلْعَدَاوَةِ وَجَدَهَا حَاضِرَةً . وَلَا حَاجَةَ بِكَ إِلَى  
 تَكْلُفٍ مَا كُفِّيتَ<sup>(٦)</sup> .

## ٢ - فصل منه

ولولا الكتابُ لاختلَّتْ أخبارُ الماضينَ ، وانقطعت آثارُ الغائبينَ .  
 وإنَّما اللسانُ للشاهدِ لك<sup>(٧)</sup> ، والقلمُ للغائبِ عنك . وللماضى قبلُك  
 والغابرِ بعدك<sup>(٨)</sup> . فصار نفعُهُ أعمَّ ، والدَّواوينُ إليه أفقر .

- (١) لى بحث عنوانه ( الجاحظ والمعلمون ) فى مجلة الكتاب ، عدد أغسطس ١٩٤٦ .  
 (٢) سار يسور سوراً : ثار . ب : « صورة » تحريف . م : « ثورة » . والوجه  
 ما أثبت من ط . وأنشد فى اللسان ( عفا ٣٠٦ ) :  
 خذى العفو منى تستدبى مودقى ولا تنطق فى سورتي حين أغضب  
 وانظر لنسبة هذا البيت عيون الأخبار ٣ : ١١ / ٤ : ٧٧  
 (٣) ب : « ورهج » ، والصواب من ط ، م .  
 (٤) النوك ، بالضم والفتح : الحق . ب ، م : « نوق » . صوابه فى ط .  
 (٥) التهكم : التكبر ، والتبختر طرباً .  
 (٦) ب فقط : « ما كُفِّيت منه » .  
 (٧) المراد بالشاهد : الحاضر .  
 (٨) المراد بالغابر هنا الباقي ، والغابر من الأضداد ، يقال لماضى وللباقى أيضاً . ب ، م :  
 « والغابر » بالمهملة ، صوابه فى ط .

والمَلِكُ الْمُقِيمُ بالواسطة<sup>(١)</sup> لا يدرك مصالح أطرافه وسدَّ ثغوره ،  
وتقويم سَكَّان مملكته ، إِلَّا بالكتاب .

ولولا الكتاب ما تمَّ تدبير<sup>(٢)</sup> ، ولا استقامت الأمور . [وقد<sup>(٣)</sup>]  
رأينا عمودَ صلاحِ الدِّين والدُّنيا إِنَّمَا يعتدل في نِصابه ، ويقوم على  
أُساسه بالكتاب والحساب<sup>(٤)</sup> .

وليس علينا لأحدٍ في ذلك من المنة بعد الله الذي اخترع ذلك لنا  
ودلَّنَا عليه ، وأخذ بنواصينا إليه ، ما للمعلمين الذين سخرهم لنا ،  
ووصل حاجتهم إلى ما في أيدينا . وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشكوتهم  
وحاججتهم وفحشت عليهم ، وألزمت الأكابرَ ذنبَ الأصاغر . وحكمت  
على المجتهدين بتفريط المقصرين . ورثيت لآباء الصَّبيان مِنْ إبطاء  
المعلِّمين عن تحذيقهم<sup>(٥)</sup> ، ولم تَرثِ للمعلِّمين مِنْ إبطاء الصَّبيان  
عَمَّا يراد بهم . وبُعِدَهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه .  
والمعلِّمون أشقى بالصَّبيان من رُعاة الضَّأن ورُواضِ المهارة<sup>(٦)</sup> .

ولو نظرتَ من جهة النظر علمتَ أَنَّ النعمةَ فيهم عظيمةٌ سابغة ،  
والشكرَ عليها لازم واجب .

(١) أى حاضرة الملك ، وهى فى وسط البلاد غالباً .

(٢) م : « لم يتم » ط : « لما تم » .

(٣) التكله من م ، ط .

(٤) ب ، ط : « فى الكتاب والحساب » ، وأثبت ما فى م .

(٥) ط فقط : « عن إبطاء » تحريف . والتحذيق : إكساب المهارة والإتقان فى العلم والعمل

وفى جميع النسخ : « تحذيقهم » بالبدال المهملة ، والوجه ما أثبت .

(٦) المنهر و المنهرة ، بكسر الميم فيهما : جمع مهر ، بالضم ، وهو ولد الرمكة والفرس .

## ٢ - فصل منه (١)

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا كَلِمَةً أَقَلَّ حَرْفًا وَلَا أَكْثَرَ رِيعًا ،  
وَلَا أَعَمَّ نَفْعًا ، وَلَا أَحْتَّ عَلَى بَيَانٍ (٢) ، وَلَا أَدْعَى إِلَى تَبَيُّنٍ ، وَلَا أَهْجَى  
لِمَنْ تَرَكَ التَّفَهُُّمَ وَقَصَّرَ فِي الْإِفْهَامِ ، مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ  
رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ : « قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَحْسَنُ » .

وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ : « مُذَاكِرَةُ الرُّجَالِ تَلْقِيحٌ لِأَلْبَابِهَا » .

وَكَرِهْتَ الْحُكَمَاءُ الرُّؤَسَاءَ . أَصْحَابُ الْإِسْتِنْبَاطِ وَالتَّفَكِيرِ (٣) ، جَوْدَةٌ  
لِلْحِفْظِ (٤) . لِمَكَانِ الْإِتِّكَالِ عَلَيْهِ (٥) ، وَإِغْفَالِ الْعَقْلِ مِنَ التَّمْيِيزِ ،  
حَتَّى قَالُوا : « الْحِفْظُ عِنْدَ الدَّهْنِ » . وَلَآنَ مُسْتَعْمِلُ الْحِفْظِ لَا يَكُونُ  
إِلَّا مُقَلِّدًا ، وَالْإِسْتِنْبَاطُ هُوَ الَّذِي يَفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى بَرْدِ الْيَقِينِ ، وَعِزِّ  
الثِّقَةِ .

وَالْقَضِيَّةُ الصَّحِيحَةُ وَالْحُكْمُ الْمَحْدُودُ : أَنَّهُ مَتَى أَدَامَ الْحِفْظَ أَضَرَّ  
ذَلِكَ بِالْإِسْتِنْبَاطِ . وَمَتَى أَدَامَ الْإِسْتِنْبَاطَ أَضَرَّ ذَلِكَ بِالْحِفْظِ ، وَإِنْ كَانَ  
يُحْفِظُ (٦) أَشْرَفَ مَنْزِلَةً مِنْهُ .

وَمَتَى أَهْمَلَ النَّظَرَ لَمْ تَسْرِعْ إِلَيْهِ الْمَعَانِي (٧) . وَمَتَى أَهْمَلَ الْحِفْظَ (٨)

(١) مه ، هنا ساقطة من ب .

(٢) الحث : الخضر . ب فقط : « ولا أحس » ، تحريف .

(٣) م : « والتفكير » .

(٤) الكلام بعده إلى كلمة « الحفظ » اتالية ساقط من م .

(٥) ب : « مكنت اتككال عليه » .

(٦) ب ، م : « التحفظ » .

(٧) ب : « لم يسرع إليه المعاني » .

(٨) ب فقط : « يُحْفِظُ » .

لَمْ تَعْلَقْ بِقَلْبِهِ<sup>(١)</sup> . وَقَلَّ مُكْثُهَا فِي صَدْرِهِ .

وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط . والذي<sup>(٢)</sup> يُعَالَجَانِ بِهِ  
ويستعينان مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> ، [ أَلَا<sup>(٤)</sup> ] وهو فراغ القلب للشيء . والشهوة  
له ، وبهما يكون التام ، وتظهر الفضيلة<sup>(٥)</sup> .

ولصاحب الحفظ<sup>(٦)</sup> سبب آخر يتفقان عليه ، وهو الموضع والوقت .

فَأَمَّا الْمَوْضِعُ فَأَيُّهُمَا يَخْتَارَانِ<sup>(٧)</sup> إِذَا أَرَادَا<sup>(٨)</sup> ذَلِكَ الْفَوْقَ<sup>(٩)</sup> دُونَ  
السُّفْلِ<sup>(١٠)</sup> .

وَأَمَّا السَّاعَاتُ فَالْأَسْحَارُ دُونَ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ قَبْلَ  
وَقْتِ الْإِشْغَالِ ، وَبَعْقِبِ تَمَامِ الرَّاحَةِ وَالْجَمَامِ<sup>(١١)</sup> . لِأَنَّ لِلْجَمَامِ<sup>(١٢)</sup>  
مَقْدَاراً هُوَ الْمَصْلَحَةُ . كَمَا أَنَّ لِلْكَدِّ مَقْدَاراً هُوَ الْمَصْلَحَةُ .

#### ٤ - ففصل منه

وَيُسْتَدَلُّ أَيْضاً بِوَصَايَا الْمُلُوكِ لِلْمُؤَدِّبِينَ فِي أَبْنَائِهِمْ . وَفِي تَقْوِيمِ

(١) في جميع النسخ : « لم يعلق بقلبه » ، والضمير راجع إلى المعاني .

(٢) م ، ب « والذين » ط : « والذان » ، وابوجه ، ما أثبت .

(٣) ب : « مشفق عليه متفق عليه » .

(٤) التكلة من ط .

(٥) ب فقط : « ويظهر الفضيلة » .

(٦) ب فقط : « التحفظ » .

(٧) م ، ط : « يختار » .

(٨) م : « أراد »

(٩) ب : « الغرف » م ، ط : « الفرق » ، وأرى الوجه فيما أثبت .

(١٠) ط فقط : « الشغل » . والسفل ، بضم السين وكسرهما : مقابل الفوق .

(١١) الجمام كسحاب : الراحة . م ، ط : « والجمام » بالحاء المهملة ، تحريف . وفي

جميع النسخ : « وتعقب تمام » ، وأثبت ما رأيته الصواب ، كما يصح أن تكون : « ويعقب » .

(١٢) م ، ط : « للجمام » ، تحريف

أحداً منهم ، على أنهم قد <sup>(١)</sup> ذلّسواهم أمورهم وضميرهم ببلوغ التمام <sup>(٢)</sup> في تأديبهم . وما قلّدهم ذلك إلا بعد أن ارتفع إليهم في الحنوّ حالهم <sup>(٣)</sup> في الأدب . وبعد أن كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص .

وأنت - حفظك الله - لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والقرضيين . والحساب . والخطّاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدّب كبار ومعلّم صغار ، فكم تظن <sup>(٤)</sup> أنا وجدنا منهم . من الرواة والقضاة والحكماء . والولّاة من المناكير والدهاة . ومن الحماة والكفّاة . ومن القادة والذّادة <sup>(٥)</sup> . ومن الرؤساء والسادة . ومن كبار الكتاب والشعراء ، والوزراء والأدباء . ومن أصحاب الرسائل والخطابة ، والمذكورين بجميع أصناف البلاغة . ومن الفرسان وأصحاب الطعان ، ومن نديم كريم ، وعالم حكيم . ومن مليح ظريف ، ومن شاب عفيف . ولا تعجز بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب <sup>(٦)</sup> ، وتبلغ أقصى العذر . فإنك إن كنت تعمّدت تدمّمت <sup>(٧)</sup> ، وإن كنت جهلت تعلّمت . وما أظن من أحسن بك الظنّ إلا وقد خالف الحزم .

## ٥ - فصل منه

قال المعلم : وجدنا لكل <sup>(٨)</sup> صنف من جميع ما بالناس إلى تعلّمه

(١) قد ، ساقطة من ب .

(٢) في جميع النسخ : « بلوغ » .

(٣) ب : « حالهم » .

(٤) م : « فلم يظن » تحريف . ب : « فكم نظن » ، وأثبت ما في ط .

(٥) جمع ذائد ، وهو المدافع والرجل الحامى الحقيقة . م : « والزيادة » تحريف .

(٦) م : « حتى تستو آخر الكتاب » ، تحريف .

(٧) تدمم : استنكف . يقال : لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تدمماً . ب : « تدممت »

صوابه بالذال كما في ط ، م .

(٨) ب ، ط : « كل » ، والوجه ما أثبت من م .

حاجة : معلمين<sup>(١)</sup> ، كمعلمي<sup>(٢)</sup> الكتاب والحساب ، والفرائض والقرآن ، والنحو والعروض والأشعار ، والأنخبار والآثار ، ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتابة<sup>(٣)</sup> والحساب ، ثم لعب الصَّوَالِجَة ، والرَّمي في التَّنْبُوك<sup>(٤)</sup> ، والمجْتَمَة<sup>(٥)</sup> ، والطَّيْر الخاطف . ورَمَى البَنْجَكَاز<sup>(٦)</sup> . وقبل ذلك الدَّبُوق<sup>(٧)</sup> والنَّفْخ في السَّبْطَانَة<sup>(٨)</sup> . وبعد ذلك الفُرُوسِيَّة ، واللَّعْب بالرَّماح والسيوف ، والمشَاوَلَة<sup>(٩)</sup> والمنازلة والمطاردة ، ثم النُّجُوم واللُّحُون ، والطَّبِّ والهندسة ، وتعلُّم السَّرْد والشُّطْرَنْج ، وضرب الدُّفُوف وضرب الأوتار ، والوَقْع والنَّفْخ في أصناف المزمار . ويأمرون بتعليم أبناء الرعيَّة الفِلاحة والنَّجَارَة<sup>(١٠)</sup> ، والبُنْيَان والصِّيَاغَة والخِيَاظَة ، والسَّرْد والصَّبْغ<sup>(١١)</sup> ، وأنواع الحياكة . نَعَمْ حتَّى علِّموا البلبال وأصناف الطَّيْر الأَلْحَان .

(١) ط : « المعلمين » .

(٢) ب فقط : « كم » .

(٣) الكتاب : الكتابة . م فقط : « الكتابة »

(٤) هي كذلك في الفارسية . انظر استينجاس ٣٢٧ وقد فسرها بلقوس الخفيفة : Weak bow

ولس ما يقابلها بالعربية « المقتدرة » . وفي المخصص ٦ : ٣٩ عن ثعلب : قوس مقتدرة : خفيفة متوسطة . ب : « التنبوك » صوابه في م ، ط .

(٥) المجتمة : كل حيوان ينصب ويرى ويقتل . وفي الحديث أنه نهى عن المصبورة والمجتمعة

(٦) م : البنجكار « بالراء المهملة ، تحريف . وهي لفظة فارسية مكونة من كلمتين

بنج بمعنى خمسة . وكاز بمعنى الغصن ولعلها خمس خشبات تنصب هدفاً .

(٧) في القاموس والتاج أن الدبوق كتنور : لعبة يلعب بها الصبيان . ب : « الدبوب »

وأثبت ما في ط ، م .

(٨) السبطانة محركة ، كما في القاموس : قناة جوفاء يرمي بها الطير . وفي اللسان : قناة

جوفاء مضروبة بالعقب يرمي بها الطير ، وقيل يرمى فيها بسهام صغار ينفخ فيها نفخاً ، فلا تكاد تخطئ . وفي جميع الأصول : « الشيطار » ، صوابه ما أثبت .

(٩) يراد به حل الأثقال ، من قولهم شاول الحجر : رفعه ، فانشال . والمشوال :

حجر يشال . يقال شال به وأشاله وشاوله .

(١٠) ب ، ط : « والتجارة » ، والوجه ما أثبت من م .

(١١) السرد : الخرز في الأديم ، وهو أيضاً نسج الدروع . ب : « والصبيغ » بالعين المهملة

صوابه في ط ، م .

وناساً<sup>(١)</sup> يَعْلَمُونَ الْقُرُودَ وَالذِّبَابَ وَالْكَلَابَ وَالطَّبَّاءَ الْمَكِّيَّةَ<sup>(٢)</sup> ،  
وَالْبَبْغَاءَ ، وَالسَّقَر<sup>(٣)</sup> ، وَغَرَابَ الْبَيْنِ ، وَيَعْلَمُونَ الْإِبِلَ ، وَالْحَيْلَ ،  
وَالْبَغَالَ ، وَالْحَمِيرَ ، وَالْفِيلَةَ ، أَصْنَافَ الْمَشْيِ ، وَأَجْنَاسَ الْحُضُرِ<sup>(٤)</sup> ،  
وَيَعْلَمُونَ الشَّوَاهِينَ وَالصُّقُورَ وَالْبَوَازِي<sup>(٥)</sup> ، وَالْفُهُودَ ، وَالْكَلَابَ ، وَعَنَاقَ  
الْأَرْضِ ، الصَّيْدَ .

وَيَعْلَمُونَ الدُّوَابَّ الطَّحْنَ ، وَالْبَخَائِيَّ الْجَمَزَ<sup>(٦)</sup> حَتَّى يَرُوضُوا  
الِهَمْلَاجَ وَالْمِعْنَاقَ<sup>(٧)</sup> ، بِالتَّخْلِيْعِ وَغَيْرِ التَّخْلِيْعِ<sup>(٨)</sup> ، وَبِالْمَوْضُوعِ وَالْأَوْسَطِ  
وَالْمَرْفُوعِ .

ووجدنا للأشياء كلها معلمين .

وإنما قيل للإنسان العالم الصغير ، سليل العالم الكبير<sup>(٩)</sup> ، لَأَنَّ  
فِي الْإِنْسَانَ مِنْ جَمِيعِ طِبَائِعِ<sup>(١٠)</sup> الْحَيَوَانِ أَشْكَالًا ، مِنْ خَتَلِ الذَّنْبِ<sup>(١١)</sup>

(١) كذا بالنصب في جميع النسخ ، بضم زاء « وجدنا » . وانظر ما سبق في أول هذا الفصل .  
(٢) الذي ذكره الجاحظ في الحيوان هو الغم المكية . انظر ٢ : ١٧٩ / ٦ : ٣١٦ : ١٠٤ : ٧  
ومثلها في ذلك الغم الحبشية . انظر الحيوان ٦ : ٣١٦ عند تفسير الجاحظ لقصيدة بشر بن المعتمر :  
والدب والقرد إذا علما والفيل والكلبة واليعر

(٣) السقر : الصقر . وانظر لتعليقه ما جاء في الحيوان ٤ : ٤٧ . ب : « والسقل »  
م ، ط : « والسقل » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « الخطو » .

(٥) البوازي : جمع البازي . وفي جميع النسخ : « البوازين » . وانظر لتعليم البوازي ما جاء  
في الحيوان ٤ : ٤٧ .

(٦) الجمز : الوثب . م ، ط : « الهمز » تحريف .

(٧) الهملجة : حسن سير الدابة في سرعة . والمعناق : السريع ، أعنتت الدابة فهي معنق  
وعنق ومعناق . في الأصول : « والمعناق » .

(٨) في القاموس : الخلع الأليتين ، معظم : المنفكهما ، والتخليع مشيه ، أي مشى الخلع .

(٩) ب فقط : « وليل العالم الكبير » . وما أثبت من م ، ط يطابق ما في الحيوان ١ : ٢١٢ .

(١٠) ب ، م : « طبائع » بالتسهيل .

(١١) الختل : الخداع . وختل الذئب الصيد : تخفى له . م ، ب : « حيل الذئب » . وفي  
الحيوان : « غدر الذئب » .

ورَوَّغانِ الثعلب<sup>(١)</sup> ، ووثوب الأسد ، وحِقْد البعير ، وهِدَايَةُ القَطَاة . وهذا كثير ، وهذا بابة<sup>(٢)</sup> .

ولأنَّه يحكى كلَّ صوتٍ بفيه ، ويصوِّر كلَّ صورةٍ بيده . ثم فضَّله الله تعالى بالمنطق والرؤية<sup>(٣)</sup> وإمكان التصرف .

وعلى أنا لا نعلم أنَّ لأحدٍ من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف - كفضيلة المعلم من الناس الأحداث المنطق المنشور<sup>(٤)</sup> ، ككلام الاحتجاج والصفات ، والمناقلات من المسائل والجوابات في جميع العلامات ، بين الموزون من القصائد<sup>(٥)</sup> والأرجاز ، ومن المزدوج والأسجاع<sup>(٦)</sup> ، مع الكتاب والحساب ، وما شاكل ذلك ووافقه واتَّصل به ، وذَهَبَ مذهبه .

وقالوا : إِنَّمَا اشتقَّ اسم المعلم من العلم ، واسم المؤدِّب من الأدب . وقد علمنا أنَّ العلم هو الأصل ، والأدب هو الفرع . والأدب إمَّا خُلِقَ وإمَّا رواية ، وقد أطلقوا له اسم المؤدِّب على العموم .

(١) ب : « وزوغان » تحريف ، وإنما يقال راغ الثعلب روغاناً . وفي أمثالهم : « أروغ من ثعلب » ، و « أروغ من ثعالة » . وانظر الدرة الفاخرة ٢٠٩ وجمهرة العسكرى ١ : ٥٠٠ والمستقصى ١ : ١٤٥ والميداني ١ : ٢٩٠ . والروغان : المخادعة .

(٢) البابة : الوجه . والبابات : الوجوه ، وفي الأصول : « وهذا بابة » .

(٣) الروية : التفكير في الأمر ، والتمهل في الفكر . وفي جميع النسخ : « الرؤية » والوجه ما أثبت . وإلا فالرؤية مشتركة بين جميع ضروب الحيوان .

(٤) م ، ب : « الأحداث هي من المنطق المنشور » ، وعبارة « هي من » مقحمة لم ترد في ط .

(٥) ب : « عن القصائد » ، صوابه في م ، ط .

(٦) في جميع النسخ : « من المزدوج » بدون واو . والمزدوج ضرب غير الرجز ، مثل له الجاحظ في البيان ٢ : ١١٦ - ١١٧ . كما أورد نماذج للأصمعي في ١ : ٢٨٤ - ٢٩٠ ، وفي السجع يغلب التزام التقفية . وفي الازدواج مراعاة للتأرجح في المعاني ، وقد يصحب بالتزام القافية . وفي جميع النسخ : « والأصمعي » والوجه ما أثبت .



والعلم أصلٌ لكلِّ خيرٍ ، وبه ينفصل الكرم من اللُّوم ، والحلال من الحرام . والفضلُ من الموازنةِ بين أفضلِ الخيرين ، والمقابلة بين أنقصِ الشرين .

فلم يَعْرِضُوا لأحدٍ من هذه الأصناف التي <sup>(١)</sup> اتَّخذَ النَّاسُ لها المعلمين من جميع أنواع الحق والباطل ، والسَّرف والاقتصاد ، والجِدِّ والهزل ، إلَّا هؤلاء الذين لا يَعْلَمُونَ إلَّا الكتاب <sup>(٢)</sup> والحساب ، والشَّعر ، والنحو ، والفرائض ، والعروض . وما بالسماء <sup>(٣)</sup> من نجوم الاهتداء والأنواء والسُّعود ، وأسماء الأيام والشُّهور ، والمناقلات <sup>(٤)</sup> .

ويمنعهم العِرامة <sup>(٥)</sup> ، ويأخذهم بالصَّلَاة في الجماعة ، ويُدرِّسُهُم القرآن <sup>(٦)</sup> ، ويَهْدُنَّ <sup>(٧)</sup> أَلْسِنَتَهُمْ برواية القصيد والأرجاز ، ويُعاقِب على التَّهَوُّن ، ويضرب على الفِرَار <sup>(٨)</sup> ، ويأخذهم بالمناقلة <sup>(٩)</sup> ، والمناقلة [ من <sup>(١٠)</sup> ] أسباب المنافسة .

لحقير <sup>(١١)</sup> بخلاف هذه السَّيرة ، وبضدِّ هذه المعاملة .

(١) ب ، م : « الذي » ، صوابه في ط .

(٢) الكتاب : الكتابة . ط فقط : « الكتابة » .

(٣) ب : « وما السماء » ، صوابه في م ، ط .

(٤) في القاموس : « والمناقلة في المنطق : أن تحدّثه ويحدّثك » . وفي أساس البلاغة : « وناقله

الحديث ، إذا حدّثه وحدّثك . وناقل الشاعر الشاعر : ناقضه » .

(٥) العرامة ، بالمهملة : الشراسة والأذى . م : « الغرامة » . تحريف .

(٦) يقال درسته الكتاب درساً ، وأدرسته إدراساً ، ودرسته إياه تدريساً . وأصل الدرس

التذليل ، يقال درست الكتاب أدرسه درساً ودراسة ، أي ذلّته بكثرة القراءة حتى خف حفظه .

(٧) يقال هدنوه بالقول حتى رضى وسكن . وتهدين المرأة ولدها : تسكينها له بكلام إذا

أرادت إنامته . ط فقط : « ويهذبون ألسنتهم » .

(٨) ب فقط : « على الضرار » .

(٩) انظر ما سبق في الحاشية الرابعة .

(١٠) تكلّة يلتئم بها الكلام .

(١١) يبدو أن الكلام يترا . كما يبدو أن هذه الكلمة محرفة عن « الحقيق » . وهذا في كله نطاق

الدفاع عن المعلم .

## ٦ - فصل منه

وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ الأدبَ حُرْفٌ<sup>(١)</sup> ، وطلبه شُوم . وأنشد  
قول الشاعر :

ما ازددت في أدبي حرفاً أسرُّ به      إلَّا تَزِيدْتُ حُرْفاً تحته شُومٌ<sup>(٢)</sup>  
إنَّ المقدم في حِذْقٍ بصنْعته      أنَّى توجَّهَ فيها فهو محرومٌ<sup>(٣)</sup>

ولم نر شاعراً نال بشعره الرغائب ، ولا أديباً بلغ بأدبه المراتب ،  
ذَكَرَ يَمُنُّ الأدبَ ، ولا بركة قول الشعر<sup>(٤)</sup> . فإذا حُرِمَ الواحدُ منهم ،  
والرجل الشاذُّ ذَكَرَ حُرْفَ الأدبِ<sup>(٥)</sup> وشُوم الشعر . وإن كان عدداً من  
نال الرغائب أكثرَ من عدد من أخفق .

ومهما عَيَّرْنَا مَنْ كان في هذه الصِّفة<sup>(٦)</sup> فإننا غير مُعَايِرِينَ<sup>(٧)</sup> لأبي  
يعقوب الخُرَيْمِيَّ<sup>(٨)</sup> ؛ لأنَّه نال بالشعر وأدرك بالأدب .

(١) الحرف ، بالضم : الحرمان ، من قولهم : رجل محارف ، أى منقوص الحظ  
لا ينمو له . ومثله « الحرفة » بالكسر : اسم كذلك ، يقال : أدركته حرفة الأدب . ط  
فقط : « خرق » ، وهو الحق .

(٢) في البيت مجانسة بين الحرف والحرف بالضم .

(٣) ب فقط : « في حرق بصنْعته » ، تحريف .

(٤) الكلام بعده إلى كلمة « اشعر » التالية ساقط من م .

(٥) في الأصول : « فإنما حرم » . وألوجه ما أثبت . وفي ط فقط : « خرق الأدب » .

(٦) ط : « الصنعة » . والتعبير هنا بمعنى الموازنة .

(٧) المعايرة ، من قولهم : عاير بينهما : قدرهما ونظر ما بينهما . وفي الأصول :

« غير عايرين » .

(٨) الخريمى بالراء المهملة : نسبة إلى خريم بن عامر المرى ، وكان لأبي يعقوب اتصال به  
وبآله فنسب إليه . وفي جميع الأصول : « الخريمى » ، تحريف . واسمه إسحاق بن حسان بن قوهى ،  
وقد ذكره البغدادى فى التاريخ ٣٣٦٩ وقال : « أصله من خراسان من بلاد السغد » ، وقال :  
« ولهمدائح فى محمد بن منصور بن زياد ، ويحيى بن خالد وغيرهما . وقال أبو حاتم السجستاني :  
الخريمى أشعر المولدين ، وروى عنه شيئاً يسيراً من شعره أبو عثمان الجاحظ ، وأحمد بن عبيد  
ابن ناصح » . وانظر خريم الناعم قاموس الزركلى وأمثال الميذاني ٢ : ٢٨١ . وكان إسحاق هذا  
من العميان روى له الجاحظ شعراً يذكر فيه عماء فى الحيوان ٣ : ١١٣ . وانظر نكت الهميان ٧١  
وعيون الأخبار ٤ : ٥٧ .

وليس الذى يحمل<sup>(١)</sup> أكثر الناس على هذا القول إلا وجدان المعانى والألفاظ ، فإنهم يكرهون أن يُضيعوا باباً من إظهار الطَّرَف وفَضْل اللسان<sup>(٢)</sup> وهم عليه قادرون .

## ٧ - فصل

وقد قالوا : الصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُّ ، وبه أشكل . وكذلك الغافل والغافل<sup>(٣)</sup> ، والأحمق والأحمق ، والغبيُّ والغبيُّ ، والمرأة والمرأة . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾<sup>(٤)</sup> . لأنَّ الناس عن النَّاس أفهم ، وإليهم<sup>(٥)</sup> أسكن . فمِمَّا أعان الله تعالى به الصبيان ، أن قَرَّب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول المعلمين<sup>(٦)</sup> .

وسمع الحجاجُ - وهو يسيرُ - كلامَ امرأةٍ من دار قومٍ ، فيه تخليطٌ وهذيان ، فقال : مجنونة ، أو ترقَّص صبيًّا !

ألا ترى أنَّ أبلغ الناس لساناً . وأجودهم بياناً وأدقهم فطنةً . وأبعدهم رؤيةً<sup>(٧)</sup> . لو ناطق طفلاً أو ناغى صبيًّا ، لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان ، والشَّبه لمخارج كلامهم ، وكان لا يجد بداً من أن ينصرف<sup>(٨)</sup> عن كلِّ ما فضَّله الله به بالمعرفة الشريفة . والألفاظ الكريمة . وكذلك تكون المشاكلة<sup>(٩)</sup> بين المتفقيين<sup>(١٠)</sup> فى الصناعات .

(١) م : « وأليس » ، تحريف . ب ، م : « يجعل » ، صوابه فى ط .

(٢) م ، ط : « الشأن » .

(٣) م : « العاقل والعاقل »

(٤) الآتية ٩ من سورة الأنعام .

(٥) ب ، م : « وإليه » تحريف .

(٦) ب ، ط : « العالمين » .

(٧) ب ، م : « رؤية » ، صوابه فى ط . وانظر ما سبق فى حواتى ص ٣٤ .

(٨) ب ، م : « يصرف » ، وأثبت ما فى ط .

(٩) ب ، م : « يكون مشاكلة » ، صوابه فى ط .

(١٠) م : « المتقين » ، صوابه فى ب ، ط .

## ٨ - فصل

## في رياضة الصبي

وَأَمَّا النَّحْوُ فَلَا تَشْغَلْ قَلْبَهُ <sup>(١)</sup> مِنْهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَا يُؤَدِّيهِ إِلَى السَّلَامَةِ  
 مِنْ فَاحِشِ اللَّحْنِ ، وَمَنْ مَقْدَارِ جَهْلِ الْعَوَامِّ فِي كِتَابٍ إِنْ كَتَبَهُ <sup>(٢)</sup> ،  
 وَشَعَرَ إِنْ أَنْشَدَهُ ، وَشَىءٌ إِنْ وَصَفَهُ . وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مَشْغَلَةٌ عَمَّا هُوَ  
 أَوَّلَى بِهِ ، وَمُذْهَلٌ عَمَّا هُوَ أَرْدُّ عَلَيْهِ <sup>(٣)</sup> مِنْهُ مِنْ رَوَايَةِ الْمَثَلِ وَالشَّاهِدِ <sup>(٤)</sup> ،  
 وَالْخَبَرِ الصَّادِقِ ، وَالتَّعْبِيرِ الْبَارِعِ <sup>(٥)</sup> .

وَلِنَّمَا يَرْغَبُ فِي بُلُوغِ غَايَتِهِ وَمَجَاوِزَةِ الْاِقْتِصَارِ فِيهِ ، مَنْ <sup>(٦)</sup> لَا يَحْتَاجُ  
 إِلَى تَعَرُّفِ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ ، وَالِاسْتِنْبَاطِ لِعَوَامِضِ التَّدْبِيرِ ، وَلِصَالِحِ الْعِبَادِ  
 وَالْبِلَادِ ، وَالْعِلْمِ بِالْأَرْكَانِ <sup>(٧)</sup> وَالْقُطْبِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ الرَّحَى ؛ وَمَنْ لَيْسَ  
 لَهُ حَظٌّ غَيْرُهُ ، وَلَا مَعَاشٍ سِوَاهُ .

وَعَوِيصُ النَّحْوِ <sup>(٨)</sup> لَا يَجْرِي فِي الْمَعَامِلَاتِ وَلَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ شَيْءٌ .

---

(١) م ، ب : « قَلْبَهُ » ، صوابه في ط .

(٢) ط : « فِي كِتَابِ كَتَبَهُ » .

(٣) أَرْدُّ عَلَيْهِ : أَنْفَعُ لَهُ . وَهَذَا الْأَمْرُ لَا رَادَّةَ لَهُ ، أَيْ لَا فَائِدَةَ لَهُ .

(٤) هَذَا مَا فِي ط . وَفِي م ، ب : « الْمَثَلُ الشَّاهِدُ » .

(٥) ب ، م : « وَالْفَقِيرُ الْبَارِعُ » ، صوابه في ط .

(٦) م : « عَمَنْ » ، تَحْرِيفٌ .

(٧) ب ، ط : « وَالْعِلْمُ بِالْأَرْكَانِ » ، صوابه في م .

(٨) ب ، م : « وَعَوِيصُ النَّحْوِ » ، صوابه في ط .

فمن الرأى أَن يُعتمد به <sup>(١)</sup> فى حساب العَقْد <sup>(٢)</sup> دون حساب الهِنْد ،  
ودون الهندسة <sup>(٣)</sup> وعَوِيص <sup>(٤)</sup> ما يدخل فى المساحة . وعليك فى ذلك  
بما يحتاج إليه كُفَاة السُّلطان وكتَّاب الدواوين .

وأنا أقول : إن البلوغ فى معرفة الحساب الذى يدور عليه العمل ،  
والتَّرَقُّى فيه <sup>(٥)</sup> والسبب إليه ، أَرَدُّ عليه من البلوغ فى صناعة  
المحرِّرين ورؤوس الخطَّاطين ؛ لأنَّ فى أدنى طبقات الخطِّ مع صحَّة  
الهجاء بلاغاً . وليس كذلك حالُّ الحساب .

ثمَّ خذه <sup>(٦)</sup> بتعريف حجج الكتاب وتخلُّصهم باللفظ السَّهل  
القريب المأخذ إلى المعنى الغامض <sup>(٧)</sup> . وأدِّقْهُ حلاوة الاختصار ، وراحة  
الكفاية ، وحدِّره التكلُّف واستكراهَ العبارة <sup>(٨)</sup> ؛ فإنَّ أكرم ذلك  
كلُّه ما كان إفهاماً للسامع ، ولا يُحَوِّج إلى التأويل والتعقُّب ، ويكون  
مقصوراً على معناه لا مقصراً عنه ، ولا فاضلاً عليه .

فاختر من المعانى ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقِّد <sup>(٩)</sup> ، مُغْرِقاً فى  
الإكثار والتكلُّف <sup>(١٠)</sup> . فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع

(١) ب : « أن يصمد به » ، وأثبت ما فى م ، ط .

(٢) حساب العقد : ضرب منه يكون بأصابع اليدين . وفى الحديث أنه « عقد عقد تسعين »  
وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزانة ٣ : ١٤٧ بولاق والحيوان ١ : ٣٣ والبيان  
١ : ٧٦ وفتح البارى ١٣ : ٩٥ - ٩٦ والألف المختارة من صحيح البخارى ٨٩٦ ، ٩٢٥ .

(٣) م : « ودون حساب الهندسة » .

(٤) ب ، م : « وعويص » ، تحريف .

(٥) ب ، م : « والتوقى » ط : « والتوفى » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ط فقط : « ثم خذ » .

(٧) ب : « المغمض » ، صوابه فى م ، ط .

(٨) ب : « واستكراهه العبارة » ، صوابه فى م ، ط .

(٩) ب ، ط : « المتعقد » ، وأثبت ما فى م .

(١٠) فى جميع الأصول : « مفرقاً » بالفاء ، والوجه ما أثبت .

براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسَّق له القول <sup>(١)</sup> ، وما زال المعنى محجوباً لم تكشف عنه العبارة . فالمعنى بعدُ مقيمٌ على استخفائه وصارت العبارة لغواً وظرفاً خالياً .

وشرُّ البلغاء من هياً رسم المعنى قبل أن يهَيَّ <sup>(٢)</sup> المعنى ، عشقاً لذلك اللفظ ، وشغفاً بذلك الاسم ، حتَّى صار يجرُّ إليه المعنى جرّاً ، ويُلزِقه به إلزاقاً . حتَّى كأنَّ الله تعالى <sup>(٣)</sup> لم يخلق لذلك المعنى اسماً غيره ، ومنعه الإفصاح عنه إلّا به .

والآفة الكبرى أن يكون ردىَّ الطَّبَع <sup>(٤)</sup> بطيء اللفظ ، قليل الحدِّ ، شديد العُجْب ، ويكون مع ذلك حريصاً على أن يُعَدَّ في البلغاء ، شديد الكلف بانتحال اسم الأدباء <sup>(٥)</sup> . فإذا كان كذلك خفيَّ عليه فرق ما بين إجابة الألفاظ واستكراهه لها .

وبالجملة <sup>(٦)</sup> إنَّ لكل معنى شريفٍ أو وضعٍ ، هزلٍ أو جدٍّ <sup>(٧)</sup> ، وحزمٍ أو إضاعةٍ <sup>(٨)</sup> ، ضرباً <sup>(٩)</sup> من اللفظ هو حقُّه وحظُّه ، ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزَه أو يقصُرَ دونه <sup>(١٠)</sup> .

ومن قرأ كتبَ البلغاء ، وتصفَّح دواوين الحكماء ، ليستفيد

(١) م : « يتسوله القول » ط : « يتبين له القول » . وأثبت ما في ب .

(٢) ب فقط : « يهيا » .

(٣) ب ، م : « كأن الله مراده تعالى » !

(٤) ب : « ردى الطبع » بالتسبيح .

(٥) ط فقط : « الأدب » .

(٦) ب : « والجملة »

(٧) ط : « هزلاً أو جدّاً » .

(٨) ب ، م : « أو حزم » ، ط : « وحزم أو ضاعه » ، والوجه ما أثبت .

(٩) ط : « ضرب » ، تحريف .

(١٠) ب : « ويقصر دونه » .

المعاني ، فهو على سبيلِ صواب . ومنَ نظر فيها ليستفيد الألفاظ فهو على سبيل الخطأ . والخُسرانُ ها هنا في وزن الرُّبح هناك ؛ لأنَّ من كانت غايته انتزاعَ الألفاظ <sup>(١)</sup> حملهُ الحرصُ عليها ، والاستهتارُ بها إلى أن يستعملها قبلَ وقتها ، ويضعها في غير مكانها . ولذلك قال بعض الشعراء <sup>(٢)</sup> لصاحبه : أنا أشعر منك ! قال صاحبه : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنِّي أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه .

وإنما هي رياضة وسياسة <sup>(٣)</sup> ، والرفيق : مصلحٌ وآخرُ مفسد <sup>(٤)</sup> . ولا بدَّ من هذانِ وطبيعةٍ مناسبة <sup>(٥)</sup> .  
وسماع الألفاظ ضارٌّ ونافع <sup>(٦)</sup> .

فالوجه النافع : أن يدور في مسامعه ، ويغبُّ في قلبه <sup>(٧)</sup> ، ويختمر <sup>(٨)</sup> في صدره ، فإذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت فكانت <sup>(٩)</sup> نتيجتها أكرمَ نتيجة ، وثمرتها أطيبَ ثمرة ؛ لأنها حينئذٍ تخرج غير مُستَرَقَّةٍ ولا مختلَسة <sup>(١٠)</sup> ولا مغتصبة ، ولا دَلَّةٌ على فقر ؛ إذ لم يكن القصد إلى شيءٍ بعينه ، والاعتماد عليه دونَ غيره . وبَيَّنَ الشيء إذا عَشَّش في

(١) ب : « أنواع » م : « انتواع » ، صوابهما في ط .

(٢) هو عمر بن لجأ ، كما في مقدمة الشعر والشعراء ٩٠ .

(٣) م ، ط : « وسياحة » .

(٤) ط ، ب : « والآخر مفسد » .

(٥) الهدان : المهادنة . م . ط : « هذان » مع سقوط واو « وطبيعة » من ط .

(٦) ب ، م : « ضارة ونافعة » .

(٧) يغب : يمحث ، ومنه قولهم : « رويد الشعر يغب » ، أى دعه يمحث يوماً أو يومين .

م ، ط : « ويغيب في قلبه » .

(٨) هذا الصواب من ب : وفي م ، ط : « ويخيم » .

(٩) ط : « وكانت » .

(١٠) هذا الصواب من م ، ط . وفي ب : « ولا محترسه » .

الصَّدر ثم باض ، ثم فَرَّخ ثم نهض ، وبين أن يكون الخاطر مختاراً ، واللفظ اعتسافاً واعتصاباً ، فرق بين .

ومتى اتَّكَلَ صاحبُ البلاغة على الهوينى والوكال ، وعلى السَّرِقة والاحتيال ، لم ينل طائلاً ، وشقَّ عليه النزوع ، واستولى عليه الهوان ، واستهلكه سوءُ العادة .

والوجه الضار : أن يتحفَّظ ألفاظاً بعينها<sup>(١)</sup> من كتاب بعينه ، أو من لفظ رجل ، ثم يريد<sup>(٢)</sup> أن يعدَّ لتلك الألفاظ قسمها من المعاني ، فهذا لا يكون إلا بخيلاً فقيراً ، وحائفاً<sup>(٣)</sup> سروقاً ، ولا يكون إلا مستكرباً لألفاظه ، متكلفاً لمعانيه ، مضطرب التأليف منقطع النظام . فإذا مرَّ كلامه بنقاد الألفاظ وجهابذة المعاني استخفوا عقله ، وبهرجوا علمه .

ثم اعلم أن الاستكراه في كل شيء سَمِج ، وحيث ما وقع فهو مذموم ، وهو في الطَّرَفِ أَسْمَج ، وفي البلاغة أَقْبَح . وما أحسن حاله ما دامت الألفاظ مسموعة من فيه<sup>(٤)</sup> ، مسرودة في نفسه<sup>(٥)</sup> ، ولم تكن مخلَّدة في كتبه .

وخير الكتب ما إذا أعدت النَّظَر فيه زادك في حسنه ، وأوقفك على حده<sup>(٦)</sup> .

(١) تحفظ الكتاب : استظهره شيئاً بعد شيء . م ، ط : « أن يحفظ » .

(٢) م فقط : « أن يؤيد » .

(٣) من الحيف والجور . ب : « وحائفاً » بالتسهيل .

(٤) ب : « من فهمه » ، صوابه في م ، ط .

(٥) مسرودة : منتظمة متتابعة . ب : « مسرورة » .

(٦) م : « أوقف » ب : « وأوقف » ، والوجه ما أثبت من ط .



## ٩ - فصل

## في ذم اللواط

والذى يدلُّ على أنَّ هذه الشَّهوةَ معيبةٌ في نفسها<sup>(١)</sup> ، قبيحةٌ في عينيها ، أنَّ الله تعالى وعزَّ لم يعوِّض في الآخرة بشهوة الولدان من ترك لوجِّهه في الدنيا شهوة الغلمان ، كما سقى في الآخرة الخمر من تركها له في الدنيا ، ثمَّ مدَّح خمر الجنة بأقصر الكلام ، فنظَّم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا فقال : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> . كأنه تبارك وتعالى قال : لا سُكر فيها ولا خُمار<sup>(٣)</sup> .

وفي اكتفاء الرِّجال بالرِّجال والنِّساء بالنِّساء انقطاع النِّسل ، وفي انقطاع النِّسل بطلانُ جميع الدِّين والدنيا . وغشيانُ الرِّجلِ الرِّجلِ والمرأةُ المرأةَ من المنكوسِ المعكوسِ<sup>(٤)</sup> ، ومن المُبدلِ المقلوبِ ؛ لأنَّ الله جلَّ ذكره إنَّما خلق الذَّكَرَ للأنثى . وجعل بينهما أسبابَ التحابِّ وعلائقَ الشُّركةِ ، وعللَ المشاكلةَ<sup>(٥)</sup> وجعل الذَّكَرَ طِبْقاً للأنثى . وجعل الأنثى سكناً للرجل . فقلب هؤلاء الأمرَ وعكسوه . واستقبلوا من اختار الله لهم بالردِّ والزُّهد فيه .

(١) م ، ب : « معيبة نفسها » .

(٢) الآية ١٩ من سورة الواقعة .

(٣) الخمار ، بالضم : ما أصاب من ألم الخمر وصداعها وأذاها .

(٤) ب فقط : « من المنكوس والمعكوس » .

(٥) ب فقط : « المشاركة » .

## ١٠ - فصل

ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين<sup>(١)</sup> : عبد الله بن المقفع . ويكنى أبا عمرو . وكان يتولى لآل الأَهم<sup>(٢)</sup> ، وكان مقدماً في بلاغة اللسان والقلم والترجمة ، واختراع المعاني وابتداع السير . وكان جواداً فارساً جميلاً ، وكان إذا شاء أن يقول الشعرَ قاله ، وكان يتعاطى الكلام . ولم يكن يُحسن منه لا قليلاً ولا كثيراً . وكان ضابطاً لحكايات المقالات ، ولا يعرف من أين غرَّ المغترُّ ووَثِقَ الواثق . وإذا أردت أن تعتبر ذلك ، إن كنت من خلص المتكلمين ومن النظَّارين ، فاعتبر ذلك بأنَّ تنظرَ في آخر رسالته ( الهاشمية ) ، فإنَّك تجده جيِّد الحكاية لدَعوى القوم ، ردَّى المدخل في مواضع الطعن عليهم .

وقد يكون الرجلُ يُحسن الصَّنْف والصنفين من العلم ، فيظنُّ بنفسه عند ذلك أنَّه لا يحمل عقله على شيءٍ إلاَّ نفَذَ به فيه<sup>(٣)</sup> ، كالذي اعترى الخليل بن أحمدَ بعد إحسانه في النحو والعروض ، أن ادَّعى العلم بالكلام وبأوزان الأغاني<sup>(٤)</sup> ، فخرج من الجهل إلى مقدارٍ لا يبلغه أحدٌ إلاَّ بخذلان الله تعالى . فلا حرمنَّا الله تعالى عصمته ، ولا ابتلانا بخذلانه .

١٠م - فصل<sup>(٥)</sup>

وهذان الشاعران جاهليَّان<sup>(٦)</sup> . بعيدان من التوليد ، وبنَجْوَةٍ من التكليف .

(١) ب : « ثم البلغاء المتأدبين » ، بإسقاط « من » .

(٢) انظر طرفاً من أخبارهم في الأغاني ١٣ : ٥٨ .

(٣) م : « إلا تعدته فيه » ، ط : « إلا بعد به فيه » . والوجه ما أثبت من ب .

(٤) م : « المعاني » .

(٥) لم ترد هذه الكلمة في ب . والاختيار التالي مقتضب لا يمت إلى ما قبله ولا إلى ما بعده بصلة .

(٦) ب : « جاهلان » ، تحريف .

## ١١ - فصل

ومن خصال العبادة وإن كانت كلها راجحة فليس فيها شيء أردّ في عاجل<sup>(١)</sup> ، ولا أفضل في آجل من حُسن الظنّ بالله تعالى وعزّ<sup>(٢)</sup> .

ثم اعلم أنّ أعقلّ الناس السُّلطانُ ومَن احتاج إلى معاملته ، وعلى قدر الحاجة إليه يفتح له باب الحيلة ، والاهتداء إلى مواضع الحاجة . وما أقربَ فضل الراعي على الرعية من فضل السائس على الدابة . ولولا السُّلطانُ لأكل الناس بعضهم بعضاً . كما أنّه لولا المِسيح لوثب السباع على السّوام<sup>(٣)</sup> .

ودعني من تدريسه كتب أبي حنيفة<sup>(٤)</sup> ، ودعني من قولهم : اصرّفه إلى الصّيارفة ؛ فإنّ صناعة الصّرف تجمّع<sup>(٥)</sup> مع الكتاب والحساب المعرفة بأصناف الأموال ، ولا تجد بُدّاً<sup>(٦)</sup> من حِلّة السُّلطان<sup>(٧)</sup> .

ودعني من قول من يقول : قد كانت قريش تُجّاراً ؛ فإنّ هذا بابٌ لا ينقاس ولا يطرد . ومَن قاس تُجّار الكَرخ وباعته ، وتُجّار الأهواز والبصرة ، على تُجّار قريش ، فقد أخطأ مواضع القياس ، وجَهل أقدار العلل .

(١) أرد ، أي أنفع .

(٢) وأعز ، ساقطة من م .

(٣) المِسيح : الراعي ، أسامها إسامة : خلاها ترعى ، ومثله سامها سوماً ، والسّوام : الإبل الراعية تسوم حيث شادت ، وهو اسم جمع للسائم والسائمة ، وميمها مخففة ، وضبطت في طبعة القاموس بالتشديد خطأ . وفي ب ، م : « لأثب السباع » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « من تدرسه » ط : « من تدرّس » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما أسلفت من حاشية على « ويدرسه القرآن » في أواخر الفصل الخامس ص ٣٥ . والضمير عائد إلى الصبي .

(٥) ب ، م : « يجمع » ، صوابه في ط .

(٦) ب فقط : « يدان بالياء » ، تحريف .

(٧) ب ، م : من حلة السلطان « بالجم . والمراد أنها لها علاقة بالسلطان .

قريش<sup>(١)</sup> قومٌ لم يزل الله تعالى يقلّبهم في الأرحام البريئة من الآفات<sup>(٢)</sup> ، وينقلهم من الأصلاب السليمة من العاهات ، ويعبّئهم لكل جسم<sup>(٣)</sup> ، ويربّيهم لكل عظيم .

ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه في التّجارة لعرف اختلاف السُّبل ، وتفاوت ما بين الطُّرق . ولو كانت علّتهم في ذلك كعلّة تجار الأبلّة<sup>(٤)</sup> ، ومحتكرى أهل الحيرة ، لثَلَمَت دقّة التجارة في أغراضهم<sup>(٥)</sup> ولنَهَكَ سَخَف التّربُّح<sup>(٦)</sup> من مروءاتهم ، ولصَغُرَ ذلك من أقدارهم في صدور العرب ، ولو ضَع من علوّهم عند أهل الشرف . وكيف وقد ارتحلت إليهم الشّعراء كما ارتحلت إلى الملوك العظماء . فأسَنُوا لهم العطية ، ولم يقصّروا عن غاية ، فسَقُوا الحجيح وأقاموا القِرَى لزوّار الله تعالى ، وهم بوايدٍ غير ذى زرع . فلو أنّهُ كان معهم من الفضل ما يَبْهَرُ العقول ، ومن المجد ما تَحَرَّج فيه العيون<sup>(٧)</sup> ، لما أَصْلَح طِبائِعُهم الشّيء الذى يفسد جميع الأُمة<sup>(٨)</sup> . ولقد أَوْرَثَ ذلك صدورهم من السّعة بقدر ما أَوْرَثَ

(١) م فقط : « وقريش » .

(٢) ب ، م : « البرية » بالتسبيل .

(٣) عياه تعبئة وتعبئة : هياه وأصلحه . م ، ط : « ويبقيهم » . وأثبت ما في ب .

(٤) الأبلّة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة ، وهى أقدم منها ، لأن البصرة مصرّت في أيام عمر ، وكانت الأبلّة حينئذ مدينة فيها مسالخ وقائد من قبل كسرى .

(٥) في جميع الأصول : « أغراضهم » بالغين المعجمة ، وإنما يثلم العرض ، بالعين المهملة أى يطمئن فيه ، وفي أساس البلاغة : « هذا مما يكلم الدين ويثلم اليقين » .

(٦) ب ، م : « التّربُّح » ط : « الربح » ، والوجه ما أثبت من الجمع بينهما . والتّربُّح : طلب الربح والمكسب .

(٧) خرجت عينه خرجاً : حارت ، قال ذو الرمة :

ترداد العين إليها إذا سَفرت وتخرج العين فيها حين تنتقب

وقيل معناه أنها لا تنصرف ولا تطرف من شدة النظر . وفي جميع الأصول : « ما يخرج فيه العيون » وهو من ملح التصحيف .

(٨) ب ، م : « لما صلح » ، صوابه في ط .

غيرهم من الضيق . ولو كانت سُبُلهم <sup>(١)</sup> عند الملوك إذا وفدوا عليهم ،  
 أَوْ وَرَدُوا <sup>(٢)</sup> بلادهم بالتجارات ، سُبُل <sup>(٣)</sup> غيرهم من التُّجَّار لما أَوْجَهُوهم  
 وقربوهم <sup>(٤)</sup> ، ولَمَّا أَقاموا لهم قِرَى الملوك وحبوهم بكرامة الخاص .  
 وإذا كانت قريش حُمساً تَنَسَّكُ في دينها ، وتَنَالَّه في عبادتها <sup>(٥)</sup>  
 وكان مانعاً لهم من الغارات والسَّباء ، ومن وطءِ النساء من جهة المَغَنَم ،  
 ولذلك لم يَثُدُوا البنات ولا ولدت منهم امرأة غيرهم من جهة السَّباء <sup>(٦)</sup> ،  
 ولا زَوَّجُوا أحداً من العرب حتَّى يتحمَّس ويدينَ بدينهم . ولذلك لما  
 صاروا إلى بناء الكعبة لم يُخرجوا في بنائها من أموالهم إِلَّا موارِيثَ  
 آبائهم ونسائهم <sup>(٧)</sup> ، خوفاً من أن يخالطه شئٌ من حرام ، إذ كانت <sup>(٨)</sup>  
 أرباح التجارات مَخُوفاً عليها ذلك . فلما كانوا بوادٍ غير ذى زرع  
 ويحتاجون إلى الأَقْوات <sup>(٩)</sup> . وإقامة القِرَى ، لم يجدوا بداً من أن  
 يتكَلَّفُوا ما يُعِيشهم ويصلح شأنهم ، فَأَخَذُوا الإيلاف <sup>(١٠)</sup> ، ورحلوا  
 إلى الملوك بالتَّجارات . فهذا هو السبب .

(١) ب : « سُبُلهم » . تحريف .

(٢) ب : « وأوردوا » .

(٣) ب ، م : « سبيل » .

(٤) وجهه السلطان توجيهاً ، وأوجهه إيجاهاً : شرفه ، وأوجهته : صادفته وجيهاً .

(٥) تنالَّه : تنسك وتتعبد . ط : « وتنالَّه في عبادتها » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « وغيرهم من جهة السَّباء » . والمراد لم يعتدوا على نساء غيرهم من القبائل الأخرى فيلدن لهم .

(٧) من أموالهم ، ساقطة من ب .

(٨) ب ، م : « إذا كانت » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٩) ب ، م : « إلى الأوقات » ، والصواب في ط .

(١٠) الإيلاف : العهد والذمام والإجارة . وكان الإخوة الأربعة : هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، ونوفل ، بنو عبد مناف ، يجيرون قريشاً بميرهم ، وكانوا يسمون المحيرين . فأما هاشم فإنه أخذ حبلاً من ملك الروم ، وأخذ نوفل حبلاً من كسرى ، وأخذ عبد شمس حبلاً من التجاشى ، وأخذ المطلب حبلاً من ملوك حمير ، فكان تجار قريش يختفون إلى هذه الأمصار بحبال هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم .

فانظر كم بين علَّتْهم وعلَّةِ غيرهم ! فيسرك بعد هذا أن يتحوَّل ابنك في مسلاخ صالح الزراريشي<sup>(١)</sup> ، أو في طباع ابن بادام<sup>(٢)</sup> ، أو في عقل ابن سامري<sup>(٣)</sup> .

فإن زعموا أنَّ أصحاب السلطان يعرَّض مكرهٍ فليعلموا أنَّ كلَّ مسافرٍ فبعرَّض مكرهه<sup>(٤)</sup> ، وقد قال بعض الحكماء : « المسافرُ ومتاعه على قَلَّت إلا من حفظ الله »<sup>(٥)</sup> ، يعنى على هلاك .

وراكب البحر أشدَّ خطراً ، ومشتري طعام الأهواز أشدَّ تهوراً<sup>(٦)</sup> ، ورافع الشراع بعرض هلكة . والمتعرض للملاحه<sup>(٧)</sup> والمعرض نفسه للسباع أقلُّ شفقة<sup>(٨)</sup> . وسكان الجزائر والسواحل أحقَّ بالتعرض ، وأولى بالخوف . والمنهوم بالطعام الردي<sup>(٩)</sup> ، والمدمن للشراب أشبه بأصحاب التغرير<sup>(١٠)</sup> ، والمتبارى في ذلك والمتزيد منه أحقَّ بتوقع الحدثان وحوادث الأزمان ، قد جرت عليه عادة الدهر<sup>(١١)</sup> وسيرة الأيام . وهذا كله أحقُّ بالاهتمام .

(١) ب : « الدزاريشي » ط : « الذراليري » ، وأثبت ما في م . وأصل معنى المسلاخ الجلد ، والمراد أن يكون مثله .

(٢) ط ، ب : « ابن آدم » ، وأثبت ما في م . وبادام ، من الأعلام الفارسية ، ويقال أيضاً بإدام . وانظر حواشي رسائل الجاحظ ٢ : ٢٩٢ .

(٣) ب ، ط : « وفي عقل » .

(٤) ط : « بعرض مكرهه » .

(٥) الذي في البيان ٢ : ١٠٥ واللسان ( قلت ) : « وقال أعرابي : إن المسافر ومتاعه لعلى قلت إلا ما وقى الله » . وفي جميع الأصول : « على قلة » تحريف .

(٦) التهور : السقوط ، والمراد التعرض للخطر .

(٧) في جميع النسخ : « للمام » والوجه ما أثبت .

(٨) الشفقة : الخوف من وقوع مكرهه . ولعله يعنى أنهما أكثر أماناً من التاجر الذي يستعمل السفر .

(٩) ب ، م : « الردي » بالتسهيل .

(١٠) ب : « التغرير » . والتغرير : حن النفس على الغرر ، وهو الخطر والهلكة .

(١١) سقطت كلمة « قد » من ط . وبدلها في ب : « حتى » .

وإن كنت إلى الإشفاق تذهب ، وإلى إعطاء الحزم أكثر من نصيبه ، وكيف دار الأمر فإن التاجر قد استشعر الدل ، وتغشى ثوب المذلة .

وصاحب السلطان قد تجاوز حدّ العزّ والهيبة . وإنما عيبه سُكر السلطان<sup>(١)</sup> ، وإفراط التعظيم . قد استبطن بالعزّ ، وظاهر بالبشر واستحكمت تجربته ، وبعدت بصيرته حتى عرف مصلحة كلّ مضر<sup>(٢)</sup> ، وإصلاح كلّ فاسد ، وإقامة كلّ معوجّ ، وعمارة كلّ خرب .

ولا أعلم في الأرض أعمّ إفلاساً ولا أشدّ نكبةً ، ولا أكثر تحولاً<sup>(٣)</sup> من يُسر إلى عسر ، ولا رأينا الجوائح<sup>(٤)</sup> إلى أحدٍ أهدى منها إلى أموال الصّيارفة . فكيف يُقاس شأن قومٍ تعمّمهم المعاطب<sup>(٥)</sup> بشأن قوم أهل السلامة فيهم أكثر ، والنكبات فيهم أقلّ .

وبعد هذا فإني أرى ألا تستكرهه فتبغض إليه الأدب . ولا تهمله فيعتاد اللهو .

على أنّي لا أعلم في جميع الأرض شيئاً أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء ، والفراغ الفاضل عن الجّمام<sup>(٦)</sup> .

(١) هو ما يسمونه المدح بما يشبه الذم . وسكر السلطان : نشوته والشعور بالزهو . وفي اللسان : « السكر ثلاثة : سكر الشباب ، وسكر المال ، وسكر السلطان » . ط ، م : « شكر » بالشين المعجمة ، تحريف .

(٢) المضر : واحد الأمصار ، للمدينة الكبيرة . ط فقط : « كل مضر » ، تحريف .

(٣) ب : « تتحوّل » بالجيم .

(٤) الجوائح : جمع جائحة ، وهي الشدة والنازلة العظيمة التي تحتاج المال ، أي تذهب به وفي جميع النسخ : « الجوائح » ، صوابه ما أثبت .

(٥) المعاطب : المهالك ، واحداً معطب . ب ، م : « المعاطر » بالراء ، صوابه في ط .

(٦) الجّمام ، كسحاب ؛ الراحة . ط فقط : « الجهاد » محرف .

( ٤ - رسائل الجاحظ )

دَرَّسه العلم<sup>(١)</sup> ما كان فارغاً من أَشغال الرجال ، ومطالبِ ذَوِي  
الهِمَمِ . واحتلُّ في أَن تكون أَحَبُّ إليه من أُمِّه . ولا تستطيع أَن  
يَمَحْضَكَ المِقَّةَ ، وَيُصَفِّيَ لك المودَّةَ مع كراهته لما تحملُ إليه من ثِقَلِ  
التأديب عند من لم يبلغ<sup>(٢)</sup> حالَ العارف بفضله<sup>(٣)</sup> .

فاستخرجُ مكنونَ محبَّته ببرِّ اللِّسان ، وبذَلِ المال . ولهذا مقدارٌ من  
جازه أَفرط<sup>(٤)</sup> . والإفراطُ سَرَفٌ . ومن قَصَّرَ عنه فرط . والمفرطُ  
مِضياع<sup>(٥)</sup> .

ولا تستكثرنَّ هذا كلَّه فَإِنَّ بعضَ النِّعمة فيه تَأْتِي على أَضعاف  
النِّعمة<sup>(٦)</sup> ، والذي تحاول من صَلاح<sup>(٧)</sup> أَمْرٌ من تَوَمَّلَ فيه أَن يقوم  
في أَهْلِكَ مَقَامُكَ ، وإِصلاح ما خَلَقْتَ كَقِيَامِكَ ، لتحقيقُ بالحِيطَةِ عليه ،  
وبإِعطائه<sup>(٨)</sup> المجهود من نفسك .

وقال زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ  
الْوَارِثِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> . فَعَلِمَ اللهُ تبارك وتعالى ، فوهب له غلاماً . وقال اللهُ

(١) انظر للتدريس ماضى في حواشى ص ٣٥ ط : « في دراسة العلم » كأن الكلام متصل بما قبله .  
وهو تحريف .

(٢) ب ، م : « التأديب عنه من يبلغ » ، صوابه في ط .

(٣) أى العارف بفضل التأديب . وفي جميع الأصول : « بفضل » .

(٤) جازه : تجاوزه . وفي جميع الأصول : « من حازه » بالخاء المهملة ، تحريف .

(٥) م : « مضاع » .

(٦) كذا في جميع الأصول .

(٧) ط : « إصلاح » .

(٨) م ، ب : « وبإعطاء » .

(٩) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء .



عز وجل : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ۚ ﴾ (١) .

اعلم أَنَّهُ أَعْطَاكَ وَلَدًا عَبْرَةً عَيْنِ الْعَدُوِّ (٢) ، وَقُرَّةَ عَيْنِ الصَّدِيقِ الْوَلِيِّ . فَاحْمَدِ اللَّهَ وَأَخْلِصْ فِي الدُّعَاءِ ، وَأَكْثِرْ مِنَ الْخَيْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

---

(١) الآية ٣٦ من سورة آل عمران .

(٢) العبرة ، بالفتح : الدفعة ، وفي أساس البلاغة : يقال أراه عبر عينيه ، وإنه لينظر إلى عبر عينيه ، أى ما يكرهه ويبيكى منه . ومنه قوله يصف رجلاً قبيحاً له امرأة حسناء : إذا ابتز عن أوصاله الثوب عندها رأيت عبر عينها وما عنه مخنس وفي جميع الأصول : « غيرة عين العدو » ، تعريف .



٣

من كتابه في  
التربيع والتدوير



## ١ - فصل

### من كتاب الترييع والتدوير<sup>(١)</sup>

فانظر في مسألة النفوس<sup>(٢)</sup> مع تقارب منازلها ، ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ، ولم تختلف الكثير واتَّفَق القليل ؟ ولم كانت الكثرة علةً للتخاذل ، والقلّة سبباً للتناصر ؟ وما فرق ما بين المجارة<sup>(٣)</sup> والتحاسد ، وبين المنافسة والتغالب . فإنك متى عرفت ذلك استرحت منّا ورجّونا أن نستريح منك .

وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب ، وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل ، وكيف يعرف الحدود من لم يسمع الفصول . بل كيف يعرف الحجة من الشبهة ، والغدر<sup>(٤)</sup> من الحيلة<sup>(٥)</sup> ، والواجب

---

(١) هذه الرسالة التي وجهها الجاحظ إلى أحمد بن عبد الوهاب ، نشرها كاملة فن فلوتن في ليدن سنة ١٩٠٣ . وتابعه محمد الساسي فنشرها في مجموعة رسائل سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٧ م . ثم السنوبي في رسائل الجاحظ سنة ١٩٣٣ . ثم نشرها محققة شارل بلا في دمشق سنة ١٩٥٥ . وقد رمزت لنسخته بالرمز ( ش ) .

وقد أشار إليها الخصري في جُمع الجواهر ٢٦٠ . حيث أورد فقرات من رسالة لأبي بكر الخوارزمي ، وجهها إلى بديع الزمان الهمداني ، وقال الخصري في أعقابها : « وهي طويلة جداً مر له فيها إحسان كثير . وإنما احتذى في أثرها مثال رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لأحمد بن عبد الوهاب ، المعروفة برسالة الطول والعرض ، وتعرف برسالة التوسع ( الترييع ) والتدوير ، ورسالة المفاهات . واتبع أيضاً طريق أبي الفضل بن العميد في رسالة لابن سمكة النحوي . ورسالة الخوارزمي نشرت كاملة في مجموعة رسائله المطبوعة بالقاهرة سنة ١٧٢١ . وفي ديباجتها : « وكتب بها إلى أبي الحسن البديهي الشاعر يعيث به » . والوجه ما ذكره الخصري . وقد عثرت على بعض ردود لأحمد بن عبد الوهاب فيما يتعلق بالرسالة ، وذلك في الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه ، في الصفحات ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ .

(٢) مج ، ش : « لم تسألت النفوس » .

(٣) ب : « المجازات » م ، ط : « المجازة » ، صوابها في مج .

(٤) هذا ما في ب ومج . وفي سائر النسخ : « والعذر » .

(٥) ب فقط : « من الجيلة » .

من الممكن ، والغفل من الموسوم ، والمُحال من الصحيح ، والأسرار من المجهول ومن كبار الدلائل الخفية<sup>(١)</sup> وما يُعلم مما لا يُعلم ، وما يُعلم باللفظ دون الإشارة مما لا يعلم إلا بالإشارة دون اللفظ ، وما يعلم معتمداً ولا يعلم مكيّفاً ولا يعلم معتقداً<sup>(٢)</sup> . وما المستغلق الذي يجوز أن يفارقه استغلقه ، والمستبهم الذي لا يفارقه استبهامه ، ومن هو طائر مع العوام حيث طارت ، وساقط معها حيث سقطت ، مع الزراية والرغبة عنها<sup>(٣)</sup> . قد طلبها بفضل طلبه لنفسه<sup>(٤)</sup> ، وجرى معها بقدر مناسبتها لقدره . فاعرف الجنس من الصنف ، والقسم من النصف ، وفرق ما بين الذم واللوم ، وفصل ما بين الحمد والشكر ، وحدّد الاختيار من الإمكان ، والاضطرار من الإيجاب . وسنعرّفك من جملة ما ذكرنا باباً باباً أنت إليه أحوج ، وهو علينا أَرَدَ .

## ٢ - فصل

وما في الأرض<sup>(٥)</sup> إقرارٌ أثبت ، ودليلٌ أوضح ، وشاهدٌ أصدق ، من شاهدى عليك على ما ادّعت لنفسك من الرّفعة مع ما ظهر من حسدك لأهل الصّناعة<sup>(٦)</sup> . وهل يكون كذلك<sup>(٧)</sup> إلا فاسدُ الحسّ ظاهرُ العُتود<sup>(٨)</sup> ، أو جاهلٌ بالمحال .

- 
- (١) مج ، ش : « والأسرار المجهولة من ذوات الدلائل الخفية » .  
 (٢) كذا في ب ، م ، ط . وفي مج : « وما يعلم معتقداً ولا يعلم مكيّفاً ، مما يعلم مكيّفاً ولا يعلم معتقداً » . وفي ش : « وما يعلم معتقداً ولا يعلم يقيناً ولا يعلم معتقداً » .  
 (٣) ب ، م : « ورغبة عنها » .  
 (٤) مج : « قد ظلّمها بفضل ظلّمه لنفسه » .  
 (٥) مج ، ش : « وهل في الأرض » .  
 (٦) مج ، ش : « لأهل الصّناعة » .  
 (٧) مج ، ش : « وهل تكون بعد ذلك » .  
 (٨) م : « العتود » بالتاء ، تحريف ، ط : « العناد » والعتود والعناد بمعنى ، وهما الميل عن الحق مع العلم به .

وبعد فَأَنْتَ - أَبْقَاكَ اللهُ<sup>(١)</sup> - فِي يَدِكَ قِيَاسٌ لَا يَكْسُرُ<sup>(٢)</sup> ، وَجَوَابُ  
لَا يَنْقُطِعُ<sup>(٣)</sup> ، وَلَكَ حَدٌّ لَا يُفْلَ وَغَرْبٌ لَا يَنْثَنِي<sup>(٤)</sup> ، وَهُوَ قِيَاسُكَ  
الَّذِي إِلَيْهِ تَنْسَبُ ، وَمَذْهَبُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَذْهَبُ : أَنَّ تَقُولُ<sup>(٥)</sup> : وَمَا عَلَيَّ  
أَنْ يَرَانِي النَّاسَ عَرِيضاً وَأَكُونَ فِي حَكْمِهِمْ غَلِيظاً وَأَنَا عِنْدَ اللهِ<sup>(٦)</sup> تَعَالَى  
طَوِيلٌ جَمِيلٌ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ مَقْدُودٌ رَشِيقٌ . وَقَدْ عَلِمُوا - حَفِظَكَ اللهُ -  
أَنَّ لَكَ مَعَ طُولِ الْبَادِ<sup>(٧)</sup> رَاكِباً ، طُولَ الظَّهْرِ جَالِساً<sup>(٨)</sup> ، وَلَكِنْ بَيْنَهُم  
فِيكَ إِذَا قَمْتَ اخْتِلَافٌ ، وَعَلَيْكَ لَهُمْ إِذَا اضْطَجَعْتَ مَسَائِلُ .

وَمِنْ غَرِيبٍ مَا أُعْطِيتَ ، وَمِنْ بَدِيعٍ مَا أُوتِيتَ أَنَّا لَمْ نَرِ مَقْدُوداً  
وَاسِعَ الْجُفْرَةِ غَيْرَكَ<sup>(٩)</sup> ، وَلَا رَشِيقاً مُسْتَفِيزَ الْخَاصِرَةِ سِوَاكَ . فَأَنْتَ  
الْمَدِيدُ وَأَنْتَ الْبَسِيطُ ، وَأَنْتَ الطَّوِيلُ وَأَنْتَ الْمُتَقَارِبُ .

فِيَا شِعْراً جَمَعَ الْأَعَارِيزُ ، وَيَا شَخْصاً جَمَعَ الْاِسْتِدَارَةَ وَالطُّولُ .

بَلْ مَا يَهْمُكَ<sup>(١٠)</sup> مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ ، وَبِتَعَاظُمِكَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ ، وَالرَّاسِخُونَ  
فِي الْعِلْمِ ، وَالنَّاطِقُونَ بِالْفَهْمِ ، يَعْلَمُونَ أَنَّ اسْتِفَاضَةَ عَرَضِكَ قَدْ أَدَخَلْتَ

(١) مَج : « وَبَعْدَ أَبْقَاكَ اللهُ فَأَنْتَ » .

(٢) مَج ، ش : « لَا يَنْكُسِرُ » .

(٣) م ، ط ، ب : « وَجَوَارٌ لَا يَقْطَعُ » ، صَوَابُهُ فِي مَج ، ش .

(٤) ب : « لَا بَشْيَءٌ » م : « لَا شَيْءٌ » تَحْرِيفٌ . ط : « لَا يَنْثَنِي » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَج ، ش .

(٥) هَذَا مَا فِي مَج ، ش . وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « أَوْ تَقُولُ » .

(٦) ب ، م ، ط : « وَأَنَا عَبْدُ اللهِ » .

(٧) الْبَادُ : « بَاطِنُ الْفَخْذِ » وَمَا يَلِي السَّرْجَ مِنْ فَخْذِ الْفَارَسِ . ب ، م ، ط : « الْبَالُ »

صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ . وَفِي م : « أَنْ ذَلِكَ » ، تَحْرِيفٌ .

(٨) كَلِمَةُ « طَوِيلٌ » الْأَخِيرَةُ مِنْ مَج ، ش .

(٩) الْجُفْرَةُ ، بِالضَّمِّ : الْجُوفُ ، وَجُفْرَةُ كُلِّ شَيْءٍ : وَسْطُهُ وَمُعْظَمُهُ . ط فَقَطْ :

« أَوْسَعُ الْجُفْرَةِ » ، تَحْرِيفٌ .

(١٠) ب ، م : « بَلْ مَا يَهْمُكَ » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ النُّسخِ .

الضَّيْمُ عَلَى ارْتِفَاعِ سَمِّكَ<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ مَا<sup>(٢)</sup> ذَهَبَ مِنْكَ عَرْضاً قَدْ اسْتَغْرَقَ  
مَا ذَهَبَ مِنْكَ طَوَّلاً. وَلَئِنْ<sup>(٣)</sup> اخْتَلَفُوا فِي طَوْلِكَ لَقَدْ اتَّفَقُوا فِي عَرْضِكَ<sup>(٤)</sup> .  
وَإِنْ أَكَانُوا قَدْ سَلَّمُوا لَكَ بِالرَّغْمِ<sup>(٥)</sup> شَطَرًا. فَقَدْ حَصَلَتْ<sup>(٦)</sup> مَا سَلَّمُوا  
وَأَنْتَ عَلَى دَعْوَاكَ فِيمَا لَمْ يُسَلِّمُوا .

وَلَعَمْرِي إِنَّ الْعْيُونَ لَتُخْطِئُ ، وَإِنَّ الْحَوَاسَّ لَتَكْذِبُ ، وَمَا الْحَكْمُ  
الْقَاطِعُ إِلَّا لِلذَّهْنِ ، وَمَا الْاسْتِبَانَةُ الصَّحِيحَةُ إِلَّا لِلْعَقْلِ ؛ إِذَا كَانَ زِمَامًا  
عَلَى الْأَعْضَاءِ<sup>(٧)</sup> ، وَغَيْرًا عَلَى الْحَوَاسِّ .

وَمَا يُثَبَّتُ أَيْضًا أَنَّ ظَاهَرَ عَرْضِكَ مَانِعٌ مِنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ طَوْلِكَ  
قَوْلُ<sup>(٨)</sup> أَبِي دُوَادٍ الْإِيَادِي فِي إِبْلِهِ :

سَمِنْتُ فَاسْتَحَشَّ أَكْرَعُهَا لَا إِلَهَ سَنَى نَى وَلَا السَّنَامُ سَنَامُ<sup>(٩)</sup>  
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ مِنَ الْعَجَبِ إِلَّا أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ عَوَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
بِالصَّبْرِ<sup>(١٠)</sup> عَلَى خَطَاةِ الْحَسِّ<sup>(١١)</sup> وَبِالشُّكْرِ عَلَى صَوَابِ الذَّهْنِ ، لَقَدْ

(١) الضَّيْمُ : الظَّمُ وَانْتِقَاصُ الْحَقِّ . مَا عَدَا مِجَ ، شَ : « قَدْ أَدْخَلْتَ الْمِمْ فِي ارْتِفَاعِ  
سَمِّكَ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) بَ فَقَطْ : « وَإِنَّمَا » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) مَا عَدَا مِجَ ، شَ : « وَإِنْ » .

(٤) مَا عَدَا مِجَ ، شَ : « لَقَدْ اخْتَلَفُوا » تَحْرِيفٌ . بَ : « عَلَى رِضْكَ » مَ ، طَ :  
« عَلَى عَرْضِكَ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مِجَ ، شَ .

(٥) مَا عَدَا مِجَ ، شَ : « بِالرَّغْمِ » .

(٦) بَ فَقَطْ : « فَقَدْ حَصَلَتْ » تَحْرِيفٌ .

(٧) بَ فَقَطْ : « إِذَا كُنَّا ذِمَامًا » ، صَوَابُهُ فِي سَائِرِ نَسَخٍ .

(٨) بَ ، مَ : « وَقَوْلُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٩) دِيوَانُ أَبِي دُوَادٍ ٣٣٩ وَالْأَصْمَعِيَّاتُ ١٨٨ وَاللَّسَانُ (حَشْر) . اسْتَحَشَّ : اسْتَدَقَّ .  
وَالنَّى ، بِالْفَتْحِ : الشَّحْمُ . طَ : « لَا إِلَهَ فِيهِ » ، تَحْرِيفٌ .

(١٠) بَ ، مَ ، طَ : « بِالصِّدْقِ » ، صَوَابُهُ فِي مِجَ ، شَ .

(١١) بَ ، مَ : « عَلَى خَطَاةِ الْحَسِّ » ، وَالْخَطَاةُ وَالْخَطُ بِمَعْنَى ، وَكَثِيرًا مَا يَسْتَعْمَلُ الْجَاحِظُ  
« الْخَطَاةُ » بِالْمَدِّ . انْظُرِ الْخِيَوَانَ ١ : ٢١٣ / ٣ : ٢٥٨ ، ٥٠٠ وَالْبَيَانَ ٤ : ١٦ ، ٦٧  
وَرِسَائِلُ الْجَاحِظِ : ١ : ٣٥٣ .



كنت في طُولك غايةً للعالمين<sup>(١)</sup> ، وفي عرضك مناراً للْمُضَلِّين .

وقد تَظَلَّم<sup>(٢)</sup> المربوع مثلي من الطويل مثل عُمر . ومن القصير مثل  
عَمْرٍو<sup>(٣)</sup> إذ زعم<sup>(٤)</sup> أَنه أَفْرَط في الرَّشَاقَة ونُسب إلى القضاة ، لأنَّ  
إِفْرَاطَ عرضه عَمَر<sup>(٥)</sup> الاعتدالَ [ من طوله ، وكلاهما يحتاج إلى  
الاعتذار ، ويفتقر إلى الاعتدال<sup>(٦)</sup> ] .

والمربوع بحمد الله تعالى قد اعتدلت أجزأؤه في الحقيقة . كما  
اعتدلت في المنظر<sup>(٧)</sup> ، فقد استغنى بعزِّ الحقيقة<sup>(٨)</sup> عن الاعتذار ،  
وبحكم الظاهر عن الاعتلال<sup>(٩)</sup> .

وقد سمعنا من يذمُّ الطُّوال كما سمعنا من يُزري على القصار ،  
ولم نَسْمَعْ أَحداً<sup>(١٠)</sup> ذمَّ مربوعاً ولا أزرى عليه ، ولا وقف عنده ولا شكَّ  
فيه . ومن<sup>(١١)</sup> يذمه إلَّا من ذمَّ الاعتدال ، ومن يُزري عليه إلَّا من  
أزرى على الاقتصاد ، ومن يَنْصِب للصَّواب الظاهر<sup>(١٢)</sup> إلَّا المعاند ، ومن  
يُمارى في العيان إلَّا الجاهل ؛ بل من يُزري على أَحَد بتفاهم التركيب<sup>(١٣)</sup> ،

(١) مج ، ش : « آية للسَّالِين » والمراد بالسَّالِين هنا : السَّالِك في الطريق .

(٢) ما عدا مج ، ش : « وقد تكلم » ، تحريف .

(٣) مج ، ش : « من الطويل مثل محمد ومن القصير مثل أَحَد » .

(٤) مج ، ش : « إذ زعم أَحَد » .

(٥) ب ، م : « عمر » بلعين المهمة ، تحريف .

(٦) م بين الخاصرتين ساقط من ب ، لكن في ط : « ويفتقر إلى الاعتدال » .

(٧) ب فقط : « في المنظرة » .

(٨) ب ، م : « بعد الحقيقة » ، ط : « بعدل الحقيقة » ، وأثبت ما في مج ، ش .

(٩) الاعتلال : بيان العلة . ما عدا مج ، ش : « الاعتدال » .

(١٠) ب ، ط : « ولم يسمع أَحَد » م : « ولم يسمع أَحداً » ، والوجه ما أثبت من مج ، ش .

(١١) الكلام بعده إلى « أزرى على الاقتصاد ومن » ، ساقط من م .

(١٢) نصب له : عاداه وتجرد له . ط : « ومن يعيب الصواب الظاهر » ، صوابه في سائر

النسخ .

(١٣) تفاهم التركيب : أن يجري على غير استواء ، وأصسه من تفاهم الأمور وتراكبها .

وبسوء التنفيذ<sup>(١)</sup> مع قول الله عز وجل : ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> .

وبعد فأى قد أردأ<sup>(٣)</sup> ، وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقدّر<sup>(٤)</sup> ، أو طول مجاوز للقصْد . ومتى يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ، ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه ، خرج الجسم من التقدير ، وجاوز التعديل . فإذا خرج من التقدير تفسد ، وإذا تفسد وجاوز التعديل تباين .

ولو جاز هذا الوصف ، وحسن هذا النعت<sup>(٥)</sup> ، كان لإبراهيم ابن السدي<sup>(٦)</sup> [ من الفضيلة<sup>(٧)</sup> ] ما ليس لأحمد بن عبد الوهاب .

وهذا كله بعد أن يصدّقوك<sup>(٨)</sup> على ما ادّعتَ لطولك في الحقيقة ، واحتججتَ [ به<sup>(٩)</sup> ] لِعَرْضِك في الحكومة . كما أنك بإعمالك لما يَنْفِيهِ

(١) ب فقط : « التنفيذ » ، تحريف .

(٢) الآية ٣ من سورة الملك أو تبارك .

(٣) كلمة « فأى » ساقطة من ب .

(٤) ط فقط : « للقد » .

(٥) ب ، م : « حسن هذا النعت » بلا واو قبله . ط : « من حسن النعت هذا » . تحريف .

(٦) مج ، ش : « كان لقاسم القمار » . وإبراهيم بن السدي بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السدي بن شاهك كان يلي الجسر بين بغداد للرشيد : انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم هذا بأنه « مولى أمير المؤمنين » . الرسائل ٤٧ ساسي ، وكذلك قاسم القمار ، كان من الرجال الذين يروى عنهم الجاحظ كثيراً . انظر فهارس الحيوان والبيان .

(٧) التكلة من مج ، ش .

(٨) ط فقط : « صدقوك » .

(٩) التكلة من مج ، ش .

العيان<sup>(١)</sup> ، واستشهادك<sup>(٢)</sup> لما تنكره الأذهان<sup>(٣)</sup> ، معترض<sup>(٤)</sup> للصدق من المتكرم ، ومتحكك بالجلم من المتغافل . وأى صامت لا ينطقه هذا المذهب ، وأى ناطق لا يغريه هذا القول<sup>(٥)</sup> .  
 وإذا كان هذا ناقضاً لعزم المتسلم<sup>(٦)</sup> فما ظنك بعبادة المتكلف<sup>(٧)</sup> .  
 فأنشدك الله أن تغري بك السفهاء ، وتنفض عزائم الحكماء<sup>(٨)</sup> .  
 وما أدري - حفظك الله - بأى الأمرين أنت أعظم إثماً ، وفي أيهما أنت أفحش ظلماً : أبترضك للعوام ، أم بإفسادك حكم الخواص<sup>(٩)</sup> .  
 وبعد فما يحوجك إلى هذا ، وما يدعوك إليه وأشباهك من القصار كثير ، ومن ينصرك منهم غير قليل<sup>(١٠)</sup> .

### ٣ - فصل

وقلت : ولولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز ، الجنة بالعرض دون الطول ، حيث يقول : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(١١)</sup> . فهذا برهانك الواضح<sup>(١٢)</sup> .

(١) ب : « يتقنه العيان » م ، ط : « يتقنه العيان » ، صوابه من مج ، ش .

(٢) ب ، م : « واستشهادك » ، صوابه في ط ، مج ، ش .

(٣) ما عدا مج ، ش : « لما تذكره الأذهان » ، تحريف .

(٤) مج ، ش : « متعرض » ، والوجه ما في سائر النسخ ، والمراد لا يمكن تصديقه .

(٥) ما عدا مج ، ش : « لا يغويه هذا القول » .

(٦) ب ، م : « قضاء لعزم » ط : « قضاء العزم » ، والوجه ما أثبت من مج ، ش .

(٧) مج ، ش : « بعداوة المتكلف » .

(٨) ش : « الخلاء » .

(٩) ما عدا مج ، ش : « بتعرضك للعوام أو بإفسادك حكم الخواص » .

(١٠) ما عدا مج ، ش : « غير دذليل » .

(١١) من الآية ٢١ من سورة الحديد ، وأولها : « سابقوا إلى مغفرة من ربكم » . وفي ب فقط : « عرضها السموات والأرض » وهي من الآية ١٣٣ من آل عمران ، وأولها : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » .

(١٢) مج ، ش : « فهذه براهينك الواضحة ، ودلائلك الظاهرة » .

ولو لم يكن فيك من الرضا والتسليم ، ومن القناعة والإخلاص  
إِلَّا أَنْتَ تَرَى<sup>(١)</sup> ما عند الله خيراً لك مما عند الناس ، وَأَنَّ الطُّولَ  
الْخَفِيَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الطُّولِ الظَّاهِرِ ، لَكَانَ<sup>(٢)</sup> فِي ذَلِكَ مَا يَقْضِي لَكَ  
بِالْإِنْصَافِ ، وَيُحْكُمُ لَكَ بِالتَّوْفِيقِ .

وَأَنَا - أَبْقَاكَ اللَّهُ - أَعَشَقْتُ إِنْصَافَكَ كَمَا تُعَشِّقُ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءَ<sup>(٣)</sup> ،  
وَأَتَعَلَّمُ خُضُوعَكَ لِلْحَقِّ كَمَا أَتَعَلَّمُ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ<sup>(٤)</sup> . وَلَرُبَّمَا ظَنَنْتُ  
أَنَّ جَوْرَكَ إِنْصَافُ قَوْمٍ آخَرِينَ ، وَأَنَّ تَعَقُّدَكَ سِمَاحُ رِجَالٍ مُنْصِفِينَ<sup>(٥)</sup> .

وما أَظُنُّكَ صَرْتَ إِلَى مَعَارِضَةِ الْحُجَّةِ بِالشَّبْهَةِ . وَمُقَابِلَةِ الْاِخْتِيَارِ  
بِالْاضْطِرَّارِ ، وَالْيَقِينِ بِالشَّكِّ ، وَالْيَقِظَةَ بِالْحُلُمِ إِلَّا لِلَّذِي<sup>(٦)</sup> خُصِّصَتْ  
بِهِ مِنْ إِثَارِ الْحَقِّ . وَأَهْمَتُهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْإِنْصَافِ ، حَتَّى صَرْتَ أَحْوَجَ  
مَا تَكُونُ إِلَى الْإِنْكَارِ أَدْعَى مَا تَكُونُ بِالْإِقْرَارِ ؛ وَأَشَدَّ مَا تَكُونُ إِلَى الْحِيلَةِ  
فَقَرّاً أَشَدَّ مَا تَكُونُ لِلْحِجَّةِ طَلِباً . غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ بِطَرْفٍ سَاكِنٍ ، وَصَوْتٍ  
خَاضِعٍ ، وَقَلْبٍ جَامِعٍ . وَجَاشَ رَابِطُ<sup>(٧)</sup> ، وَنِيَّةُ جَسُورٍ ، وَإِرَادَةُ تَامَّةٍ ،  
مَعَ غَفْلَةِ كَرِيمٍ ، وَفِطْنَةِ عَلِيمٍ . إِنْ انْقَطَعَ خَصْمُكَ تَغَافَلْتَ ، وَإِنْ خَرِقَ<sup>(٨)</sup>

(١) ب ، م : « أَنْتَ تَرَى » بِإِسْقَاطِ « إِلَّا » .

(٢) ب ، م ، ط : « لَكِنْ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) مَج ، ش : « أَعَشَقْتُ إِنْصَافَكَ كَمَا أَعَشَقْتُ الْمَرْأَةَ الْحَسَنَاءَ » .

(٤) ب فَقَط : « الْفَقْهُ فِي الدِّينِ » .

(٥) ب ، م : « وَأَنَّ يَعْقِدُكَ سَمَاعُ رِجَالٍ مُنْصِفِينَ » ط : « وَأَنَّكَ يَقْنَعُكَ سَمَاعُ رِجَالٍ

مُنْصِفِينَ » ، وَتَوَجَّهَ مَا أُبْنِتَ مِنْ مَج ، ش .

(٦) ب ، م : « إِلَّا الَّذِي » .

(٧) ب فَقَط : « رَابِطٌ » . وَالْجَاشُ : النَّفْسُ أَوِ الْقَلْبُ ، وَالرَّابِطُ : الثَّابِتُ الَّذِي

لَا يَرْتَاعُ .

(٨) خَرِقٌ يَخْرِقُ خَرَقاً : حَقٌّ وَلَمْ يَرْفُقْ . مَج ، ش : « وَإِنْ خَرِفَ » . تَحْرِيفٌ .

تَرَفَّقْتُ<sup>(١)</sup> ، غير منخوبٍ ولا متشعب<sup>(٢)</sup> ، ولا مدخولٍ ولا مشتركٍ ،  
ولا ناقص النفس ، ولا واهن العزم ، ولا حسودٍ ولا منافس ، ولا مغالبٍ  
ولا مُعاقِب<sup>(٣)</sup> . تَفْلُ الحَزْ<sup>(٤)</sup> وتُصِيب المَفْصِل ، وتَقْرُب البعيدَ وتُظْهِر الخفي ،  
وتُميز الملتبس<sup>(٥)</sup> وتُلخِّص المشكل ، وتعطي المعنى حَقَّه من اللفظ كما  
تُعطي اللفظَ حَقَّه من المعنى<sup>(٦)</sup> . وتُحِبُّ المعنى إذا كان حياً ينبوح ،  
وظاهراً يصيح<sup>(٧)</sup> ، وتُبغضه مستهلكاً بالتعقيد ، ومستوراً بالغريب<sup>(٨)</sup> .

رتزعم أن شر الألفاظ ما غرَّق<sup>(٩)</sup> المعاني وأخفاها ، وسترها<sup>(١٠)</sup>  
وعَمَّها ، وإن راقَت سَمِع الغمر ، واستمالت قلبَ الرِيض<sup>(١١)</sup> .

أعجب الألفاظ عندك مارقٌ وعذَّب ، وخَفَّ وسَهَّل ، وكان موقوفاً  
على معناه ، ومقصوراً عليه دون ما سواه . لا فاضلاً ولا مقصراً ، ولا مشتركاً  
ولا مستغلقاً . قد جمع خِصال البلاغة<sup>(١٢)</sup> ، واستوفى خلال المعرفة<sup>(١٣)</sup> .

(١) ما عدا مج ، ش : « توقفت » ، تحريف .

(٢) مج ، ش : « ولا متشعب » بالعين المعجمة .

(٣) ب ، م : « ولا متغالب ولا معاقب » ، ط : « ولا متغلب ولا متعاقب » ، وصوابهما في مج ، ش .

(٤) الحز : « أراد به موضع الحز ، أي القطع . الفس : الكسر والضرب . ط : « يفز الخد » ، مج ، ش : « تقل الحز » ، وأنوجه ما أثبت . وانظر البيان ١ : ١٤٧ . وقد ورد هذا الفعل « تفل » وما بعده من الأفعال في ب ، م ، ط بياء الذائب : والوجه أن تكون كدها بناء الخطاب كما أثبت من مج ، ش .

(٥) ب ، فقط : « الملبس » .

(٦) مج ، ش : « حقه من المعنى » .

(٧) م : « يصيح » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) ب : « بالتعريب » ، ط : « بالتقريب » ، صوابه من سائر النسخ .

(٩) ط فقط : « ما أغرق » .

(١٠) ط فقط : « وأسرها » .

(١١) الرِيض : الذي يبدئ في رياضته . وانظر البيان ١ : ٢٠٣ . ط : « المريض » تحريف .

(١٢) ما عدا مج ، ش : « وقد جمع خصائص البلاغة » ، والوجه ما أثبت منهما .

(١٣) ب فقط : « خلال المعرفة » .

فإذا كان الكلام على هذه الصفة ، وألف على هذه الشريطة ، لم يكن اللفظ أسرع إلى السمع من المعنى إلى القلب ، وصار السامع كالقائل ، والمتعلم كالعلم ، وخفت المؤنة واستغنى عن الفكرة ، وماتت الشبهة وظهرت الحجة ، واستبدلوا بالخلاف وفاقاً ، وبالمجازبة موادة ، وتهنئوا بالعلم<sup>(١)</sup> ، وتقنعوا ببرر اليقين ، واطمأنوا بثلج الصدور ، وبأن النصف من المعاند ، وتميز الناقص من الوافر ، ودل الخطل<sup>(٢)</sup> وعز المحصل ، وبدت عورة المبطل ، وظهرت براءة المحق .

وقلت : والناس وإن قالوا في الحسن : كأنه طاقة ربحان ، أو خطوط آس<sup>(٣)</sup> ، وكأنه قضيب خيزران ، وكأنه غصن بان ، وكأنه رمح رديني ، وكأنه صفيحة يمان<sup>(٤)</sup> ، وكأنه سيف هندواني ، وكأنه جان ، وكأنه جدل عنان<sup>(٥)</sup> ، فقد قالوا : كأنه المشتري ، وكأن وجهه دينار هرقل . وما هو إلا البحر ، وما هو إلا الغيث . وكأنه الشمس ، وكأنها دائرة القمر<sup>(٦)</sup> ، وكأنها الزهرة ، وكأنها درة ، وكأنها غمامة ، وكأنها مهة<sup>(٧)</sup> .

(١) ما عدا مج ، ش : « ورهبوا بالعلم » .

(٢) الخطل : العجل الأحق . ب ، م : « ودل الخطل » بالذال المهملة ، صوابه في سائر

النسخ .

(٣) الخطوط ، بالضم : الغصن الناعم ، أو الغصن لسنة . والآس : ضرب من الرياحين ، وخضرته دائمة أبداً ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً ، الواحدة آسة .. مج ، ش ، : « وكأنه خطوط بان » .

(٤) الصفيحة : وجه كل شيء عريض ، كوجه السيف أو اللوح أو الحجر . واليمان : السيف المنسوب إلى اليمن . ب ، م ، ط : « صفيحة يمان » تحريف . وفي مج ، ش : « صفيحة يمانية » .

(٥) يعني ما جدل من الأجنة ، سماه بالمصدر . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ ورسائل الجاحظ

٢ : ١٢١ . ما عدا مج ، ش : « جدل عيان » تحريف .

(٦) ب ، م : « وكأنه دائرة القمر » .

(٧) ط فقط : « وكأنه الزهرة » ، وكأنه غمامة ، وكأنه مهة .

وقد نراه<sup>(١)</sup> وصفوا المستدير والعريض بأكثر مما وصفوا القضيض الطويل<sup>(٢)</sup>.

وقلت : ووجدنا الأفلاك وما فيها ، والأرض وما عليها ، على التدوير دون التطويل ، كذلك<sup>(٣)</sup> الورق والحَب ، والثمر والشجر .

وقلت : والرمح وإن طال<sup>(٤)</sup> فإن التدوير عليه أغلب<sup>(٥)</sup> ؛ لأنَّ التدوير قائم فيه موصلاً ومفصلاً<sup>(٦)</sup> ، والطول لا يوجد فيه إلا موصلاً<sup>(٧)</sup> . وكذلك الإنسان وجميع الحيوان .

وقلت : ولا يوجد التربيع إلا في المصنوع دون المخلوق ، وفما أكره على تركيبه دون ما خلّى وسوم طبيعته<sup>(٨)</sup> .

وعلى أن كل مربع<sup>(٩)</sup> ففي جوفه مدور ، فقد بان المدور بفضل<sup>(١٠)</sup> . وشارك المطول في حصته .

ومن العجب أنك تزعم أنك طويل في الحقيقة ثم تحتج للعرض والاستدارة ، وقد أضربت عما عند الله صفحاً<sup>(١١)</sup> ، ولهجت بما عند الناس .

(١) ب فقط : « وقد نراه » .

(٢) القضاة : قلة اللحم ودقة العظم . م ، ط : « القضيض » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ط فقط : « وكذلك » .

(٤) ما عدا مج ، ش : « والرمح وإن طالت » ، تحريف .

(٥) ما عدا مج ، ش : « عليها أغلب » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « فيها » في هذا الموضع وتاليه ، تحريف . وفي مج ، ش :

« موصولا ومفصلا » .

(٧) مج ، ش : « إلا موصولا » .

(٨) سوم طبيعته ، بالفتح ، أى وفق طبيعته وهواها . ط فقط : « رسوم طبيعته » ،

تحريف . وقد ضبطت « سوم » في ش بضم السين وتشديد الواو المكسورة سهواً .

(٩) ما عدا مج ، ش : « كل مرتفع » ، تحريف .

(١٠) م فقط : « بفصله » بالصاد المهملة .

(١١) يقال ضرب عنه صفحاً ، إذا أعرض ، كأنه ولاه صفحة وجهه . ب : « وقد

اضطربت » ، م ، ط : « وقد أضربت » ، صوابه في مج ، ش .

( ه - رسائل الجاحظ )

فَأَمَّا حَوَرُ الْعَيْنِ فَقَدْ انْفَرَدَتْ بِحُسْنِهِ ، وَذَهَبَتْ بِبَهْجَتِهِ وَمِلْحِهِ ،  
إِلَّا مَا أَبَانَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الشُّكْلَةِ <sup>(١)</sup> فَإِنَّهَا لَا تَكُونُ فِي اللَّثَامِ ،  
وَلَا تُفَارِقُ الْكَرَامَ <sup>(٢)</sup> .

وَأَمَّا سَوَادُ النَّازِلِ وَحُسْنُ الْحَاجِرِ ، وَهَدَبُ الْأَشْفَارِ <sup>(٣)</sup> ، وَرَقَّةُ  
حَوَاشِي الْأَجْفَانِ ، فَعَلَى أَصْلِ عُنْصُرِكَ وَمِجَارِي أَعْرَاقِكَ <sup>(٤)</sup> .

وَأَمَّا إِدْرَاكَكَ الشَّخْصَ الْبَعِيدَ ، وَقِرَاءَتُكَ الْكِتَابَ الدَّقِيقَ وَنَقْشَ  
الْخَاتَمِ قَبْلَ الطَّابَعِ ، وَفَهْمُ الْمُشْكِلِ قَبْلَ التَّأَمُّلِ . مَعَ وَهْنِ الْكِبَرَةِ  
وَتَقَادُّمِ الْمِيلَادِ . وَمَعَ تَخَوُّنِ الْأَيَّامِ وَتَنْقُصِ الْأَزْمَانِ ، فَمَنْ تَوْتِيَا الْهِنْدَ ،  
وَلَتَرَكِ الْجَمَاعَ <sup>(٥)</sup> ، وَمَنْ الْحِمْيَةَ الشَّدِيدَةَ وَطُولَ اسْتِقْبَالِ الْخُضْرَةِ <sup>(٦)</sup> ،  
فَأَنْتَ يَا عَمٌّ حِينَ تُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الدَّهْرُ ، وَتُسْتَرْجِعُ مَا أَخَذَتْهُ الْأَيَّامُ ،  
لِكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

عَجُوزٌ تُرْجَى أَنْ تَكُونَ فَتِيَّةً

وَقَدْ لَجِبَ الْجَنَابِ <sup>(٧)</sup> وَاحْدَوَدَبَ الظَّهْرُ

تُدْسُ إِلَى الْعِطَارِ سِلْعَةً أَهْلِيهَا وَلَنْ يُصْلِحَ الْعِطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ <sup>(٨)</sup>

(١) الشُّكْلَةُ ، بِالضَّمِّ : كَهَيْئَةِ الْحَمْرَةِ تَكُونُ فِي بَيَاضِ الْعَيْنِ . ب ، م : « الْمَشْكَلَةُ » ط :  
« الْمَشَاكِلَةُ » ، صَوَاهِمَا فِي مَج ، ش .

(٢) أَنَشَدَ الْجَاحِظُ لِهَذَا شَاهِدًا فِي التَّرْبِيعِ وَالتَّدْوِيرِ ٢٢ وَالْحَيَوَانِ ٣ : ٢٣٠ / ٥ : ٣٣٠ :  
وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ شَكْلَةٍ عَيْنِهَا كَذَلِكَ عِتَاقُ الطَّيْرِ شَكْلَ عِيُونِهَا

(٣) الْهَدَبُ فِي أَشْفَارِ الْعَيْنِ : طُولُ الشَّعْرِ النَّابِتِ عَلَى حُرُوفِهَا .

(٤) مَا عَدَا مَج ، ش : « وَجَائِزُ أَعْرَاقِكَ » .

(٥) مَا عَدَا مَج ، ش : « فَن تَوْتِيَا الْهِنْدَ وَتَرَكِ الْجَمَاعَ » .

(٦) م ، ط : « الْخُضْرَةُ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، تَحْرِيفٌ .

(٧) نَسَبَهَا الْمُبَرَّدُ فِي الْكَامِلِ ١٧٦ إِلَى شَيْخٍ مِنَ الْأَعْرَابِ . وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ فِي  
حَوَاشِيهِ عَلَى الْكَامِلِ بَعْدَهَا بَيْتَيْنِ مِنَ الْقَصِيدَةِ نَسَبًا فِي دِيْوَانِ جِرَانَ الْعُودِ « إِلَى الرَّحَالِ بْنِ عَزْرَةَ  
أَبْنِ الْخَتَارِ . وَفِي عِيُونِ الْأَخْبَارِ ٤ : ٤٤ : « كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ امْرَأَةٌ عَجُوزَةٌ ،  
وَكَانَتْ تَشْتَرِي الْعِطْرَ بِالْخَبْزِ ، فَقَالَ » . وَأَنَشَدَ الْبَيْتَيْنِ . وَانْظُرْ رِسَائِلَ الْجَاحِظِ ٢ : ١٢٢ .

وَالْتَمَثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ ٢١٩ . ط : « وَقَدْ يَبِيسُ الْجَنَابُ » .

(٨) الْكَلَامُ بَعْدَهُ إِلَى « مَرِيضًا مُوْتَسًا » سَاقَطَ مِنْ ب .



وكيف أطمع<sup>(١)</sup> في نزوعك<sup>(٢)</sup> عن اللجاج وقد منعني به قبله<sup>(٣)</sup> .  
وكيف أرجو إقرارك جهراً وقد أبيته سرّاً<sup>(٤)</sup> ، وكيف تجود<sup>(٥)</sup> به  
صحيحاً مطمعاً وقد بخلت به مريضاً مؤيساً .

وكيف يرجو خيرك من رآك تطاول أبا جعفر وتحاسنه<sup>(٦)</sup> ، وتنافره  
وتراهنه . ثم لا تفعل ذلك<sup>(٧)</sup> إلا في المحافل العظام ، وبحضرة كبار  
الحكّام ، ثم تستغرب ضحكاً من طمعه فيك<sup>(٨)</sup> ، وتعجب الناس من  
مجاراته لك<sup>(٩)</sup> .

وأشهد لك بعد هذا أنك ستحاسن<sup>(١٠)</sup> عمراً الجاحظ وتعاقله<sup>(١١)</sup> ،  
ثم تظارفه وتطاوله<sup>(١٢)</sup> ، وتتغنى<sup>(١٣)</sup> مع مخارق ، وتنكر فضل  
زبّزب<sup>(١٤)</sup> ، وتستجهل النظام . وتستغبي<sup>(١٥)</sup> قيس بن زهير ، وتستخفّ

(١) م ، ط : « يطمع » .

(٢) م : « نزوعك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) كذا في مج ، ش . وفي م : « وقد سعه قبل اللجاج » وفي ط : « وقد سقيته قبل

اللجاج » .

(٤) م ، ب : « وقد أبيته سرّاً » ، صوابه في مج ، ش .

(٥) م فقط : « يجود » تحريف .

(٦) ب ، م : « وتحاشنه » ، وفي سائر النسخ : « تحاشنه » ، والوجه ما أثبت ، وهو مفاعلة

من الحسن .

(٧) كلمة « ثم » من مج ، ش فقط . ب : « لا تعقل » م : « لا يعقل » ، صوابها

في سائر النسخ .

(٨) ب فقط : « من طمعه فيك » .

(٩) ما عدا مج ، ش : « من محاولته لك » ، تحريف .

(١٠) ب ، م : « ستحاشن » ، وفي سائر النسخ : « ستخاشن » ، والوجه ما أثبت .

(١١) أراد تباريه في العقل . ما عدا مج ، ش : « وتغافله » .

(١٢) مفاعلة من الظرف والطول . ما عدا مج ، ش : « ثم تطارقه » وفي م : « ثم تطارقه

وتتطاوله » .

(١٣) مج ، ش : « وتغنى » .

(١٤) ذكره الجاحظ في رسالة الجد والهزل ، مقروناً بالمهارة في الشطرنج . رسائل الجاحظ

١ : ٢٦٦ . وفي مج ، ش : « فضل زرزور »

(١٥) ب ، م : « وتستغنى » ، صوابه في سائر النسخ .

الأحنف بن قيس<sup>(١)</sup> وتبارز علي بن أبي طالب ، ثم تخرج من حد الغلبة إلى حد المراء<sup>(٢)</sup> ، ومن حد الأحياء<sup>(٣)</sup> إلى حدود الموتى .

هذا وليس لك مساعد ، ولا معك شاهد واحد ، ولا رأيت أحداً يقف في الحكم عليك<sup>(٤)</sup> ، أو ينتظر تحقيق دعواك ؛ ولا رأيت منكراً يُخليك من التائب ، ولا مؤنباً يُخليك من الوعيد ، ولا مؤعداً يُخليك من الإيقاع ، ولا مؤقعاً يرثي لك ، ولا شافعاً يشفع فيك .

يا عم ، لم تحمِلنا على الصدق ؟ ولم تجرّعنا مرارة الحق ؟ ولم تعرضنا لأداء الواجب ؟ ولم تستكثر من الشهود عليك ؟ ولم تحمل الإخوان على خلاف محبتهم فيك ؟

اجعل بدل ما تجني على نفسك أن تجني على عدوك . وبدل ما يضطر الناس أن يصدقوا فيك أن تضطرهم إلى أن يمسكوا عنك .

ولا بد - يرحمك الله - لمن فاتته الطول من أن يلقي بيده<sup>(٥)</sup> ، إنما يقول<sup>(٦)</sup> خلاف ما يجده في نفسه . فوالله إنك لجيد الهامة<sup>(٧)</sup> ، وفي ذلك خلف لحسن القامة<sup>(٨)</sup> .

وإنك لحسن الخط ، وفي ذلك عوض<sup>(٩)</sup> من حسن اللفظ . وإنك

(١) وكان الأحنف معروفاً بالحلم .

(٢) المراء والمارة : المخالفة والجدال .

(٣) ب ، م : « العنك » ، ط : « الفتك » ، وأثبت ما في مج ، ش .

(٤) ما عدا مج ، ش : « اتفق في الحكم عليك » .

(٥) مج ، ش : « من أن يلقى بيده إلى التهلكة » .

(٦) مج ، ش : « أو أن يقول » .

(٧) ب فقط : « لجيد الهامة » ، تحريف .

(٨) مج ، ش : « خلف من حسن القامة » .

(٩) ب ، م : « وإنك لموض » ، تحريف . ط : « وذلك عوض » . وأثبت ما في مج ،

وش .

لَتَجِدُ مَقَالًا<sup>(١)</sup> ، وَإِنَّكَ لَتُعَدُّ خَصَالًا . فَقُلْ مَعْرُوفًا فَإِنَّا مِنْ أَعْوَانِكَ ،  
وَأَقْتَصِدْ فَإِنَّا مِنْ أَنْصَارِكَ . وَهَاتِ فَإِنَّكَ لَوْ أَسْرَفْتَ لَقُلْنَا قَدْ أَقْتَصَدْتَ ،  
وَلَوْ جُرْتَ لَقُلْنَا قَدْ اهْتَدَيْتَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَكِنَّكَ تَجِيءُ بِشَيْءٍ تَكَادُ السَّمَوَاتُ  
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا<sup>(٣)</sup> .  
لَوْ غَشَشْنَاكَ لَسَاعَدْنَاكَ . وَلَوْ نَافَقْنَاكَ لَأَغْرَيْنَاكَ .

### ٣ - فصل

وَقَدْ كُنْتُ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ - فِي الطُّولِ زَاهِدًا ، وَعَنِ الْقَصْرِ  
رَاغِبًا<sup>(٤)</sup> ، وَكُنْتُ أَمْدَحُ الْمَرْبُوعَ وَأَحْمَدُ الْإِعْتِدَالَ . وَلَا وَاللَّهِ لَنْ يَقُومَ خَيْرُ  
الْإِعْتِدَالِ بِشَرِّ قِصْرِ الْعُمُرِ ، وَلَا جَمَالُ الْمَرْبُوعِ بِمَا يَفُوتُ مِنْ مَنَفْعَةِ الْعِلْمِ .  
فَإِنَّمَا الْيَوْمَ فَيَا لَيْتَنِي<sup>(٥)</sup> كُنْتُ أَقْصَرَ مِنْكَ وَأَضْوَى ، وَأَقْلَ مِنْكَ  
وَأَقْمًا<sup>(٦)</sup> .

وَلَيْسَ دُعَائِي لَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ طَلِبًا لِلزِّيَادَةِ<sup>(٧)</sup> ، لَكِنْ<sup>(٨)</sup> عَلَى  
جَهَةِ التَّعَبُّدِ وَالِاسْتِكَانَةِ ، فَإِذَا سَمِعْتَنِي أَقُولُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ فَهَذَا الْمَعْنَى  
أُرِيدُ ، وَإِذَا رَأَيْتَنِي أَقُولُ لَا أَخْلَى اللَّهُ مَكَانَكَ فَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَذْهَبُ .

(١) مَا عَدَا مَج ، ش : « وَإِنَّا لَنَجِدُ مَقَالًا » .

(٢) جَارٍ عَنِ الطَّرِيقِ يَجُورُ ، إِذَا مَالَ وَضَلَّ . ب ، م : « حَرَتْ » بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، صَوَابُهُ  
فِي سَائِرِ النُّسخِ .

(٣) الْآيَةُ ٩٢ مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .

(٤) ب ، م : « وَعَنِ الْقُصُورِ رَاغِبًا » .

(٥) ب ، م : « فَيَا لَيْتَنِي » ، صَوَابُهُمَا فِي مَج ، ش .

(٦) أَقْمًا : تَسْبِيلُ أَقْمًا مِنَ الْقَاءَةِ ، وَهِيَ صِفَرُ الْجِسْمِ . وَكُتِبَتْ فِي م ، ط : « أَقْمَى » ،

وَهُوَ مَذْهَبُ جَائِزٍ فِي الرَّسْمِ . وَفِي مَج ، ش : « وَأَوْهَى » .

(٧) م فَقَطْ : « لِلزِّيَادَةِ » . وَكَلِمَةُ « طَلِبًا » سَاقِطَةٌ مِمَّا عَدَا مَج ، ش .

(٨) ب : « لَا لَكِنْ » م ، ط : « لَكِنْ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَج ، ش .

وقد زعموا ، جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ، أَنَّ كُلَّ مَا طَالَ عَمْرُهُ مِنَ الْحَيَوانِ زَائِدٌ فِي شِدَّةِ الْأَرْكَانِ . وَفِي طُولِ الْعَمْرِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، كَالْوَرَّشَانِ وَالضُّبَابِ وَحُمْرِ الْوَحْشِ ، وَكُلِّحِمِ النَّسْرِ لِمَنْ أَكَلَهُ . وَلَحْمِ الْحَيَّةِ لِمَنْ اسْتَحْلَاهُ فَإِذَا كَانَ هَذَا حَقًّا<sup>(١)</sup> وَكَانَ نَافِعًا ، وَكَانَتْ لَهُ مُسْتَعْمَلًا وَفِيهِ مُتَقَدِّمًا ، وَتَرَاهُ رَأْيًا ، أَخَذْنَا مِنْهُ بِنَصِيبٍ ، وَتَعَلَّقْنَا مِنْهُ بِسَبَبٍ .

وفيك أمران غريبان ، وشاهدان بديعان : جواز الكون والفساد عليك ، وتعاوُرُ النقصان والزيادة إِيَّاكَ . وجوهرك فلكيٌّ وتركيبك أَرْضِي . فَمِنْكَ طَوْلُ الْبَقَاءِ ، وَمَعَكَ دَلِيلُ الْفَنَاءِ . وَأَنْتَ عَلَّةٌ لِلْمُتَضَادِّ<sup>(٢)</sup> وَسَبَبٌ لِلْمُتَنَافِي . وَمَا ظَنُّكَ بِخَلْقٍ لَا تَضُرُّهُ الْإِحَالَةُ ، وَلَا يُفْسِدُهُ التَّنَاقُضُ .

#### ٤ - فصل

جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ، قَدْ شَاهَدْتَ الْإِنْسَ مِنْذُ خَلَقُوا ، وَرَأَيْتَ الْجَنَّ قَبْلَ أَنْ يُحْجَبُوا ، وَوَجَدْتَ الْأَشْيَاءَ بِنَفْسِكَ خَالِصَةً وَمُزْجِجَةً ، وَأَغْفَالًا وَمُوسُومَةً<sup>(٣)</sup> ، وَسَالِمَةً وَمَدْخُولَةً ، فَمَا يَخْفَى<sup>(٤)</sup> عَلَيْكَ الْحِجَّةُ مِنَ الشُّبْهَةِ . وَلَا السَّقَمُ مِنَ الصُّحَّةِ . وَلَا الْمُمَكَّنُ مِنَ الْمَمْنَعِ ، وَلَا الْمُسْتَغْلِقُ مِنَ الْمُبْهَمِ ، وَلَا النَّادِرُ مِنَ الْبَدِيعِ ، وَلَا شِبْهُ الدَّلِيلِ مِنَ الدَّلِيلِ .

وَعَرَفْتَ عِلَامَةَ الثِّقَةِ مِنَ عِلَامَةِ الرِّيْبَةِ ، حَتَّى صَارَتْ الْأَقْسَامُ عِنْدَكَ مُحْصُورَةً ، وَالْحُدُودُ مُحْفُوظَةً ، وَالطَّبَقَاتُ مَعْلُومَةٌ ، وَالْأَنْدِيَا بِحَذَافِيرِهَا

(١) مج ، ش : « هذا الأمر حقاً » .

(٢) م فقط : « للمتضارب » .

(٣) ما عدا مج ، ش : « وأغفالا موسومة » ، تحريف . فإن الأغفال مالا سمة عيها ،

والموسومة : ذوات السمات ، وهى العلامات .

(٤) ط فقط : « فما تخفى » بالتاء .

مصوّرة . ووجدت السبب كما وجدت المسبّب ، وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج . وشاهدت العلل وهى تولّد ، والأسباب وهى تُصنّع . فعرفت المصنوع من المخلوق ، والحقيقة من التّمويه .

## ٥ - فصل

إِنَّكَ<sup>(١)</sup> - جُعِلْتُ فداكَ - كما أَنَّكَ لم تكن فكنت ، فكذا لا تكون<sup>(٢)</sup> بعد أن كنت . وكما زدت في الدّهر الطويل فكذا تنقُص في الدّهر الطويل . وكلُّ طويل فهو قصير ، وكل متناهٍ فهو قليل . فَإِيَّاكَ أَنْ تَظَنَّ أَنَّكَ قديمٌ فتكفّر . وإِيَّاكَ أَنْ تنكر أَنَّكَ مُحدّث فتشرك ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ في مثلك أطماعاً لا يصيبُها في سِوَاكَ ، ويجد فيكَ عللاً لا يجدُها في غيركَ<sup>(٣)</sup> .

## ٦ - فصل

وقد علمت أَنَّ الخبرَ إذا صحَّ أصلُه وكان للنَّاسِ علَّةٌ في نشأه ، كان في الدلالة على الحقِّ كالإيمان . وفي الشِّفاء<sup>(٤)</sup> كالسَّماع . على أَنَّ الخبر لا يُعرف به تكيُّفُ الأمور<sup>(٥)</sup> ولكن تُعرف به جُمْلُ الأشياء ، إِلَّا خَبَرَكَ فَإِنَّكَ لا تحتاج إلى إشارة ولا إلى علَّة ، ولا إلى

(١) ما عدا مج ، ش : « أنا » ، تعريف .

(٢) ب فقط : « لا يكون » ، تعريف .

(٣) ما عدا مج ، ش : « غليلاً لا يجدُها في غيركَ » ، تعريف .

(٤) ب : « في الشِّفاء » ط : « في الشِّفاء » ، وأثبت ما في سرِّ النسخ .

(٥) ب ، م : « فكيف » ، صوابه في ط ، مج ، ش وهامش م .

تفسير<sup>(١)</sup> حتى يقوم خبرك في الشفاء<sup>(٢)</sup> وفي كيفية الشيء<sup>(٣)</sup> مقام العيان .

وقد كنت أتعجب من محمد بن عبد الملك<sup>(٤)</sup> وأقول : ما يقولون في رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه : لو كنت قلت كذا<sup>(٥)</sup> كان أفضل ، أو كنت لم أقل كذا كان أمثل ! فما بال عفوهِ أكثر من جهْدكم ، وبلدِيته أبعد من أقصى فكرتكم ؟ !  
فلما رأيْتُك علمتُ أنَّكَ عذابُ صبه الله تعالى على كل ربيع ، ورحمة أنشأها الله لكل وضيع .

فخبرني عما جرى<sup>(٦)</sup> بينك وبين هرْمَس في طبيعة الفلك ، وعن سماعك من أفلاطون ، ومادار بينك وبين أرسطاطاليس<sup>(٧)</sup> ، وأي نوع اعتقدت وأي شيء اخترت ؟ فقد أبت نفسي غيرك ، وأبت أن تشقني<sup>(٨)</sup> إلا بخبرك .

ولولا أنني كلفُ برواية الأفاويل . ومُعْرَمُ بمعرفة الاختلاف وأنني لا أستجيز<sup>(٩)</sup> مسألتك عن كل شيء ، وابتدألك في كل أمر ، لما سمعتُ من أحدٍ سواك ، ولما انقطعتُ إلى أحدٍ غيرك .

(١) ما عدا مج ، ش : « إلى نفس » .

(٢) ب : « في الشفاء » ، ط : « في الشفاء » ، وأثبت ما في سائر النسخ .

(٣) م فقط : « وفي كيفية إقامة الشيء » .

(٤) ما عدا مج ، ش : « من عبد الملك » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « لو قلت كذا » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « فخبرني ما جرى » .

(٧) ب فقط : « أرسطوطيلس » .

(٨) ب : « وأنت أن تشقني » م : « وآيت أن تشقني » ، صوابهما في ط ، مج ، ش .

(٩) ب : « وأنا لأستجيز » ط : « وأنا أستجيز » ، صوابهما في م ، مج ، ش .

اعلم ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أَتَى لَمْ أُرِدْ بِمَزَاحِكَ إِلَّا أَنْ أُضْحِكَ سِنَّكَ ،  
ولا كانت غايَتِي فَيْكَ إِلَّا لِأَنْفُقَ عِنْدَكَ . وقد كُنْتُ خَفْتُ أَنْ لَا أَكُونَ  
وَقَفْتُ عَلَى حَدِّهِ <sup>(١)</sup> . وَأَشْفَقْتُ مِنَ الْمَجَاوِزَةِ لِقَدْرِهِ .

والمزاح بابٌ ليس المخوفُ فيه التقصير ، ولا يكون الخطأ فيه من  
جهة النقصان . وهو بابٌ متى فَتَحَهُ فَاتِحٌ ، وَطَرَّقَ لَهُ مَطَرَّقٌ <sup>(٢)</sup> ، ولم  
يملك مِنْ سَدِّهِ [ مِثْلُ <sup>(٣)</sup> ] الذى يملك مِنْ فَتْحِهِ ، ولم يَخْرُجْ بِقَدْرِ ما كان  
قَدَمَ مِنْ نَفْسِهِ <sup>(٤)</sup> ، لَأَنَّهُ بابٌ أَصْلُ بِنَائِهِ عَلَى الْخَطَا ، ولا يخالطه من  
الْأَخْلَاقِ إِلَّا ما سَخَفَ . وَمِنْ شَأْنِهِ التَّزْيِيدُ ، وَأَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَلِيلُ  
التَّحْفُظِ .

ولم نَرِ شَيْئاً أَبْعَدَ مِنْ شَيْءٍ <sup>(٥)</sup> ولا أَطْوَلَ لَهُ صُحْبَةً <sup>(٦)</sup> ولا أَشَدَّ خِلَافاً  
ولا أَكْثَرَ لَهُ خُلُطَةً ، مِنَ الْجِدِّ وَالْمُزَاحِ ، وَالْمَنَازَرَةِ [ وَالْمَرَاءِ <sup>(٧)</sup> ] .

فإن كُنْتُ لَمْ أَقْصُرَ عَنِ الْغَايَةِ ، ولم أَتَجَاوِزْ حَدَّ النِّهَايَةِ فَبِمَا أَعْرِفُ  
مَنْ يُثْمِنُ مَكَامِلَتِكَ ، وَبِرَّكَهَ مُكَاتَبَتِكَ ، وَمِنْ حَسَنِ تَقْوِيمِكَ <sup>(٨)</sup> وجوده  
تثقيفك . وَإِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ الطَّرِيقَ ، وَجَاوِزْتُ الْمَقْدَارَ ، فما كان  
ذلك عَنْ جَهْلٍ بِفَضْلِكَ ، ولا إِنْكَارٍ لِحَقِّكَ ، وَلَكِنْ حَدُودَ الْأَشْيَاءِ  
إِذَا خَفِيتُ ، وَمَقَادِيرَهَا إِذَا أَشْكَلْتُ ، ولم يَكُنْ مَعَ النَّظَرِ فِيهَا مِثْلُ

(١) ما عدا مج ، ش : « وقعت على حده » .

(٢) م : « أو طرق له مطرق » .

(٣) التكلة من مج ، ش .

(٤) مج ، ش : « في نفسه » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « من شر » ، تحريف .

(٦) ما عدا مج ، ش : « ولا أبعد له صحبة » ، ولكن في م : « صحة » .

(٧) التكلة من مج ، ش .

(٨) ب ، ط : « تقويتك » ، صوابه في سائر النسخ .

تمامك ، ولا مع المتكلف لها<sup>(١)</sup> مثلُ كمالك ، دَخَلَ عليه من الخَلَل بقدر عَجْزِه ، وسَلِمَ منه بقدر نَفَازِه . نَعَمْ ولو كان من العلماء الموصوفين ، ومن الأدباء المذكورين .

و[من<sup>(٢)</sup>] المزاح - جعلت فداك - باب مَكْر وجنس خُدَع<sup>(٣)</sup> يتكَل المرء<sup>(٤)</sup> في إِسْأَته إلى جليسه ، واستماعه لصديقه على أن يقول « مَرَحْتُ » ، وعلى أن يقول عند المحاكمة : « عَيْثُ<sup>(٥)</sup> » ، وعلى أن يقول : مَنْ يَغْضَبُ من المَزَاح إِلَّا كَرُّ الخلق ؟ ! ومن يَرِغب عن المفاكهة إِلَّا ضَيِّقُ العَطْنِ ؟ !

وبعد فمتى أَعَدَّتِ النفسُ عذراً كانت إلى القبيح أسرع ، ومتى لم تُعَدِّه<sup>(٦)</sup> كانت عنه أبطأ .

ومن أسباب الغلط فيه ومن دواعي الخطأ إليه أن كثيراً ممن تُمازحه<sup>(٧)</sup> يضحك وإن كنت أغضبته ، ولا يقطع مزاحك وإن كنت قد أوجعته . فَإِنْ حَقَّدَ فِي الحَقْدِ الدَّاءَ . وَإِنْ عَجَلَ فَذلك البلاء . فَإِنْ قلت : فما أَدْخَلَكَ في شَيْءٍ هذه سَبِيلُهُ<sup>(٨)</sup> ، وهكذا جوهره وطريقه ؟ قلت : لَأَنِّي حينَ أَمَنْتُ عقابَ الإِسْأَةِ . ووثقت بثوابِ

(١) ط فقط : « بها » .

(٢) التكلة من م ، مج ، ش .

(٣) ب : « باب مكدر جنس خدع » م ، ط : « نكد وجنس خدع » ، صوابهما في

مج ، ش .

(٤) ب فقط : « للمرء » ، تحريف .

(٥) مج ، ش : « لعبت » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « ومتى لم تجده » .

(٧) ب : « يمازحه » ، تحريف .

(٨) السبيل : الطريق ، مذكر ويؤنث . وفي الكتب العزيز : « قل هذه سبيلي أدعو إلى

الله على بصيرة » . م فقط : « هذا سبيله » .



الإحسان ، وعلمت أنك لا تقضي إلا على العمد<sup>(١)</sup> ، ولا تعذب<sup>(٢)</sup> إلى على القصد ، صار<sup>(٣)</sup> الأمن سائقاً . والأمل قائداً .  
وأي عمل أرد ، وأي متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة ، والأمن والثوبة .

ولو كان هذا ذنباً كنت شريكى فيه ، ولو كان تقصيراً لكنت سبى إليه ، لأن دوام التغافل شبه بالإهمال ، وترك التعريف يورث الإغفال ، والعفو الشائع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة<sup>(٤)</sup> ، ويذهبان بالتحفظ ؛ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان بن عفان : « عمر كان خيراً لى منك ، أرهبنى<sup>(٥)</sup> فاتقانى ، وأعطانى فأغنانى » .

فإن كنت اجترأت عليك فلم أجترى<sup>(٦)</sup> عليك إلا بك<sup>(٧)</sup> ؛ وإن كنت أخطأت فلم أخطئ<sup>(٨)</sup> عليك إلا لك ؛ لأن حسن الظن بك والثقة بعفوك<sup>(٩)</sup> سبب إلى قلة التحفظ<sup>(١٠)</sup> ، وداعية إلى ترك التحرز<sup>(١١)</sup> .

(١) م ، ط : « لا تقتص » ب : « لا تقصص » صوابهما في مج ، ش . وفي ط : « إلا على العهد » ، تحريف .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ولا تقرب » ، تحريف .

(٣) ب : « سار » ط : « ترى » ، صوابهما في سائر النسخ .

(٤) ب : « المكافات » ، تحريف .

(٥) ب : « رهبنى » م ، ط : « رهبنى » ، صوابهما في مج ، ش . وفي المعارف لابن قتيبة ١٣٢ : « فإنه أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فاتقانا » . وفي أسد الغابة ٢٠٥٥ في ترجمة عيينة : « ونزوج عثمان بن عفان ابنته ، فدخل عليه يوماً فأغلظ له ، فقال له عثمان : « لو كان عمر ما أقدمت عليه بهذا . فقال : إن عمر أعطانا فأغنانا ، وأخشاننا فاتقانا » .

(٦) ب فقط : « فلم أجتر » .

(٧) ما عدا مج ، ش : « إلا به » .

(٨) عليك ، ليست في مج ، ش . وفي م : « فلم أخط » وفي ط : « فلم أخطأ » وكلاهما صحيح . يقال خطئ يخطئ ، وأخطأ يخطئ ، ويسهل المضارع منهما فيجزم بحذف الألف أو الياء .

(٩) ب فقط : « والشفقة » ، تحريف .

(١٠) ط فقط : « قلة في التحفظ » .

(١١) م ، ط : « التجوز » .

وبعدُ فَمَنْ وَهَبَ الكبيرَ كيفَ يَقِفُ عندَ الصغيرِ <sup>(١)</sup> ، ومنَ لَمْ يَزَلْ يَعْفُو عنَ العمدِ <sup>(٢)</sup> كيفَ يعاقبُ على السَّهو ؟ !

ولو كانَ عِظْمُ قَدْرِي هوَ الذي عِظَّمُ ذَنْبِي لكانَ عِظْمُ قَدْرِي هوَ الذي شَفَعَ لِي . ولو استَحَقَّقْتُ عِقَابَكَ بِإِقْدَامِي عَلَيْكَ مَعَ خَوْفِي لَكَ <sup>(٣)</sup> لاسْتَوْجِبْتُ <sup>(٤)</sup> عَفْوَكَ عنَ إِقْدَامِي عَلَيْكَ بِحَسَنِ ظَنِّي بِكَ <sup>(٥)</sup> .

على أَنِّي مَتَى أَوْجِبْتُ لَكَ العفوَ فقدَ <sup>(٦)</sup> أَوْجِبْتُ لَكَ الفضلَ ، وَمَتَى أَصَفْتُ إِلَيْكَ الْعِقَابَ فقدَ وَصَفْتُكَ بِالْإِنْصَافِ . ولا أَعْلَمُ حَالَ الْفَضْلِ إِلَّا أَشْرَفَ مِنْ حَالِ الْعَدْلِ ؛ وَالحَالُ الَّتِي تَوْجِبُ لَكَ الشُّكْرَ إِلَّا أَرْفَعَ مِنْ الْحَالِ الَّتِي تَوْجِبُ لَكَ الصَّبْرَ <sup>(٧)</sup> .

وإِنْ كُنْتَ لَا تَهَبُ عِقَابِي لِحُرْمَتِي فَهَبْهُ لِأَيَادِيكَ عِنْدِي ؛ فَإِنَّ النُّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النُّعْمَةِ <sup>(٨)</sup> .

فإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ لِلْحُرْمَةِ فافْعَلْهُ لِحُسْنِ الْأَحْدُوْثَةِ <sup>(٩)</sup> ، وَعُدْ إِلَى حُسْنِ الْعَادَةِ . وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ لِحُسْنِ الْعَادَةِ فَائْتِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ .

واعلمْ أَنِّي وَإِيَّاكَ مَتَى تَحَاكَمْنَا إِلَى كَرَمِكَ قُضِيَ لِي عَلَيْكَ . وَمَتَى ارْتَفَعْنَا إِلَى عَدْلِكَ حَسُنَ الْعَفْوُ عَنِّي عِنْدَكَ .

(١) م : « يعف عن الصغير » ب ، ط : « يعف عند الصغير » ، صوابهما في مج ، ش .

(٢) ب ، م : « ولمن لم يزل يعفو العمد » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ش فقط : « منك » .

(٤) م : « لاستجبت » ، تعريف .

(٥) ما عدا م ، ط : « لحسن ظني بك » .

(٦) التكلة من مج ، ش .

(٧) بعده في بعض نسخ ش : « ولا الحال التي توجب لك الصبر إلا أرفع من الحال التي

توجب العذر » .

(٨) ش فقط : « في النعمة » .

(٩) م ، ط : « لحب الأحداث » .

وَفَضْلٌ<sup>(١)</sup> ما بيننا وبينك ، وَفَرَقٌ ما بَيْنَ أَقْدَارِنَا وَقَدْرِكَ<sup>(٢)</sup> ،  
 أَنَا نُسِيءُ وَتَغْفِرُ ، وَنُذْنِبُ وَتَسْتُرُ ، وَنَعْوَجُ وَتُقَوِّمُ ، وَنَجْهَلُ وَتُعَلِّمُ ؛  
 وَأَنْ عَلَيْكَ الْإِنْعَامَ وَعَلَيْنَا الشُّكْرُ . وَمِنْ صِفَاتِكَ أَنْ نَفْعَلَ<sup>(٣)</sup> وَمِنْ  
 صِفَاتِنَا أَنْ نَصِفَ .

وَإِذَا فَعَلْتَ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْعِقَابِ كُنْتَ كَمَنْ فَعَلَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ  
 مِنَ التَّعْرِضِ ، وَصَرْتَ تَرْغَبُ عَنِ الشُّكْرِ كَمَا رَغَبْنَا عَنِ السَّلَامِ<sup>(٤)</sup> ، وَصَارَ  
 التَّعْرِضُ لِعَفْوِكَ بِالْأَمْنِ بَاطِلًا ، وَالتَّعْرِضُ لِعِقَابِكَ بِالْخَوْفِ حَقًّا ،  
 وَرَغِبْتَ عَنِ النُّبْلِ وَالْبَهَاءِ ، وَعَنِ السُّودِّ وَالسَّيِّئِ ، وَصَرْتَ كَمَنْ يَشْفِي  
 غِيظًا أَوْ يُدَاوِي حَقْدًا ، أَوْ يَظْهَرُ الْقُدْرَةَ أَوْ يَحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ بِالصُّوْلَةِ .  
 وَلَمْ نَجِدْهُمْ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - يَحْمَدُونَ الْقُدْرَةَ إِلَّا عِنْدَ اسْتِعْمَالِهَا فِي  
 الْخَيْرِ ، وَيَذُمُّونَ الْعِجْزَ إِلَّا لَمَّا يَفُوتُ بِهِ مِنْ إِيْتِيَانِ الْجَمِيلِ .

وَأَتَى لَكَ بِالْعِقَابِ وَأَنْتَ خَيْرٌ كُلُّكَ ، وَمَنْ أَيْنَ اعْتِرَاكَ الْمُنْعُ وَأَنْتَ  
 أَنَهَجْتَ الْجُودَ لِأَهْلِهِ<sup>(٥)</sup> . وَهَلْ عِنْدَكَ<sup>(٦)</sup> إِلَّا مَا فِي طَبْعِكَ ، وَكَيْفَ لَكَ  
 بِخِلَافِ عَادَتِكَ ؟ فَلَمْ تَسْتَكْرِهُ نَفْسَكَ عَلَى الْمَكَافَأَةِ وَطِبَاعِهَا الصَّفْحِ<sup>(٧)</sup> ؟  
 وَلَمْ تَكْذُهَا بِالْمُنَاقَشَةِ وَمَذْهَبِهَا الْمَسَامَحَةِ<sup>(٨)</sup> ؟

(١) ب ، م : « وفصل » بالضاد المعجمة .

(٢) م ، ط : « قدرنا وقدرك » .

(٣) ب فقط : « تفعل » ، تحريف .

(٤) ش : « التسليم »

(٥) أ أراد بين طريقه ومناهجه . والفعل بهذا المعنى لم يرد في المعاجم المتداولة .

(٦) ما عدا مج ، ش : « وهل عنك » ، تحريف .

(٧) م : « وطباع الصفح » ، تحريف . وفي مج ، ش : « وطباعك الصفح » . وأثبت

ما في ب ، ط .

(٨) بالمناقشة ، من إحدى نسخ ش . وفي سائر النسخ : « المناقشة » . والمناقشة :

استقصاء الحساب . ما عدا مج ، ش : « ومذهبها المسامحة » .

سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ أَخْلَاقَكَ وَفَقَّ أَعْرَاقَكَ ، وَفَعَلَكَ وَفَقَّ عَمَلَكَ ،  
وَمَنْ جَعَلَ ظَنِّكَ أَكْثَرَ مِنْ يَقِينِنَا <sup>(١)</sup> ، وَفِرَاسَتَكَ أَثْقَبَ مِنْ عِيَانِنَا <sup>(٢)</sup> ،  
وَعَفْوِكَ أَرْجَحَ مِنْ جُهْدِنَا ، وَبَدَاهَتِكَ أَجْوَدَ مِنْ تَفَكُّرِنَا ، وَفَعَلَكَ أَرْفَعَ مِنْ  
وَصْفِنَا ، وَغَيَّبَتِكَ أَهْيَبَ مِنْ حُضُورِ السَّادَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَعَتَبَتِكَ <sup>(٤)</sup> أَشَدَّ مِنْ  
عِقَابِ الظُّلْمَةِ .

وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُو عَنْ الْمُتَعَمِّدِ ، وَتَتَجَافَى عَنْ عِقَابِ الْمُصِيرِ <sup>(٥)</sup> ،  
وَتَتَغَافُلُ عَنْ الْمُنَاوِي <sup>(٦)</sup> وَتَصْفَحُ عَنِ الْمُتَهَاوِنِ <sup>(٧)</sup> حَتَّى إِذَا صُرْتَ  
إِلَى مَنْ ذَنْبُهُ نَسِيَانٌ <sup>(٨)</sup> وَتَوْبَتُهُ إِخْلَاصٌ . وَهَفْوَتُهُ بَكْرٌ . وَشَفَاعَتُهُ  
الْحُرْمَةُ <sup>(٩)</sup> وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ إِلَّا لَكَ ، وَالْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ ، وَلَا الْعِلْمَ <sup>(١٠)</sup>  
إِلَّا مِنْ تَأْدِيبِكَ ، وَلَا الْأَخْلَاقَ إِلَّا مِنْ تَقْوِيمِكَ ، وَلَا يَقْصُرُ <sup>(١١)</sup> فِي بَعْضِ  
طَاعَتِكَ إِلَّا لَمَّا رَأَى مِنْ أَحْتِمَالِكَ ، وَلَا نَسِيَ بَعْضَ مَا يَجِبُ لَكَ إِلَّا لَمَّا  
دَاخَلَهُ مِنْ تَعْظِيمِكَ - صِرْتَ تَتَوَعَّدُهُ بِالْصَّرْمِ <sup>(١٢)</sup> وَهُوَ دَلِيلُ كُلِّ بَلِيَّةٍ ،  
وَتَسْتَعْمَلُ الْإِعْرَاضَ وَهُوَ قَائِدُ كُلِّ هَلَكَةٍ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ عِتَابَكَ أَشَدُّ مِنَ الصَّرِيْمَةِ ، وَأَنَّ تَأْنِيْبَكَ أَغْلَظُ مِنْ

(١) ش : « أقوى من يقيننا » .

(٢) أثقّب : أضوأ وأنفذ . وهذا ما في م ، وفي سائر النسخ : « أقوى من عياننا » .

(٣) ما عدا مج ، ش : « الشاكة » . والسادة : جمع سيد .

(٤) ما عدا مج ، ش : « وعينك » ، تحريف .

(٥) ط فقط : « عذاب المصير » .

(٦) من المناوأة ، وهي المعادة . م ، ط : « المنادى » تحريف . مج ، ش : « المبادى » ،  
وأثبت ما في ب .

(٧) م ، ب : « التهادن » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) ما عدا مج ، ش : « شيان » .

(٩) م ، ط : « وشفعته الحرمة » مج ، ش : « وشفيعه حرمة » ، وأثبت ما في ب .

(١٠) ب : « والعلم » بإسقاط « لا » .

(١١) مج ، ش : « ومن لا يقصر » .

(١٢) ما عدا مج ، ش : « صرت تتعود » . ط فقط : « بالصد » .

العقوبة ، وَأَنَّ مَنَعَكَ إِذَا مَنَعْتَ فِي وَزْنٍ إِعْطَاكَ إِذَا أَعْطَيْتَ ، وَأَنَّ عِقَابَكَ عَلَى حَسَبِ ثَوَابِكَ ، وَأَنَّ جَزْعِي مِنْ حَرَمَانِكَ فِي وَزْنٍ سُورِي بِفَوَائِدِكَ ، وَأَنَّ شَيْنَ غَضَبِكَ كَزَيْنِ رِضَاكَ<sup>(١)</sup> ، وَأَنَّ مَوْتَ ذَكَرِي بَانْقِطَاعِ سَبِيٍّ مِنْكَ كَحَيَاةِ ذَكَرِي مَعَ اتِّصَالِ سَبِيٍّ بِكَ .

وما [الى<sup>(٢)</sup>] اليوم عملٌ أنا إليه أَسْكَنْ ، ولا شَفِيعٌ أنا به أَوْثَقُ ، مِنْ شِدَّةِ جَزْعِي مِنْ عَتَبِكَ ، وَإِفْرَاطِ هَلَعِي مِنْ خَوْفِكَ . وَلَسْتُ مِمَّنْ إِذَا جَادَ بِالصَّفْحِ وَمَنْ بِالْعَفْوِ لَمْ يَكُنْ لِمُصَاحِبِهِ مِنْهُ إِلَّا السَّلَامَةُ وَالنَّجَاةُ مِنَ الْهَلَكَةِ . بَلْ تَشْفَعُ ذَلِكَ بِالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ ، وَالْعَطَايَا الْجَزِيلَةِ . وَالْعِزُّ فِي الْعَشِيرَةِ ، وَالْهَيْبَةُ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، مَعَ طَيْبِ الذِّكْرِ وَشَرَفِ الْعُقُبِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَحَبَّةِ النَّاسِ<sup>(٤)</sup> .

وَأَمَّا ذِكْرِي الْقَدَّ وَالْخَرْطَ ، وَالطُّوْلَ وَالْعَرَضَ ، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ فِي ذَلِكَ<sup>(٥)</sup> مِنَ التَّنَازُعِ ، وَالتَّشَاجُرِ وَالتَّنَافُرِ<sup>(٦)</sup> ، فَإِنَّ الْكَلَامَ قَدْ يَكُونُ فِي لَفْظِ الْجَدِّ وَهُوَ مِزَاحٌ<sup>(٧)</sup> .

وَلَوْ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ الدِّمَائَةَ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَالْجِدَّ فِي كُلِّ مَقَالٍ . وَتَرَكُوا التَّسْمُحَ وَالتَّسْهِيلَ وَعَقَدُوا فِي كُلِّ دَقِيقٍ وَجَلِيلٍ<sup>(٨)</sup> ، لَكَانَ

(١) الزين : الحسن . ما عدا مج ، ش : « كذم رضاك » .

(٢) التكلمة من ط ، مج ، ش .

(٣) العقب ، بالضم : العاقبة . وفي كتاب الله : « هو خير ثواباً وخير عقباً » .

(٤) مج ، ش : « ومحبة النفس » .

(٥) ب ، م : « وبيننا وبينك في ذلك » بسقوط « ما » .

(٦) مج ، ش : « والتحاكم والتنافر » .

(٧) مج ، ش : « في لفظ الجد ومعناه معنى الهزل ، كما يكون في لفظ الهزل ومعناه معنى

الجد » .

(٨) مج ، ش : « وعقدوا أعناقهم في كل دقيق وجليل » .

الشرُّ صُراحاً خيراً لهم ، والباطلُ محضاً أَرَدَ عليهم . ولكنْ لكلُّ شيءٍ قَدْرٌ ، ولكلُّ حالٍ شِكلٌ . فالصَّحاحُ في موضعه كالْبُكاءِ في موضعه ، والتبسمُ في موضعه كالقُطوبِ في موضعه . وكذلك المنعُ والبذلُ ، والعقابُ والعفوُ ، وجميعُ القبضِ والبسطِ .

فإنْ دَمِنَا المِزاجَ ففيه لعمري ما يُدْمُ ، وإنْ حَمِدْنَاهُ ففيه ما يُحْمَدُ . وفَصُلٌ<sup>(١)</sup> ما بينه وبين الجِدِّ أَنَّ الخطأَ إلى المزاجِ أسرعُ ، وحالُه بحالِ السُّخفِ أشبه . فأمَّا أَنْ يُدْمَ حَتَّى يَكُونَ كَالظُّلْمِ ، وَيُنْفَى<sup>(٢)</sup> حَتَّى يَصِيرَ كَالْغَدْرِ فَلَا<sup>(٣)</sup> ؛ لِأَنَّ المِزاجَ مَا يَكُونُ مَرَّةً حَسَنًا وَمَرَّةً قَبِيحًا . فَإِذَا صِرْنَا إِلَى الجِدِّ<sup>(٤)</sup> ، وَرَغِبْنَا عَنِ الهَزْلِ وَتَرَكْنَا المِزاجَ ، وَجَلَسْنَا لِلْحُكْمِ<sup>(٥)</sup> ، فَقَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الحُجَّةِ ، كَمَا سَلَّمَكَ مِنَ الشَّبْهَةِ ، وَلَمْ نَكْلِفْكَ الاحتِجَاجَ كَمَا نَرُغِبُ بِكَ عَنِ الاعتِلَالِ<sup>(٦)</sup> ، فَأَصْبَحْتَ لَا مُحْتَجًا وَلَا مَحْجُوجًا ، وَلَا غُفْلًا وَلَا مُوسِومًا ، وَلَا مُلُومًا وَلَا مَعْدُورًا<sup>(٧)</sup> ، وَلَا فِيكَ اخْتِلَافٌ وَلَا بِكَ حَاجَةٌ إِلَى الاِئْتِلَافِ .

وليس مع العِيَانِ وَخَشَةِ ، وَلَا مع الضَّرُورَةِ وَجَمَّةٍ<sup>(٨)</sup> ، وَلَا دُونَ اليَقِينِ وَقَفَّةٍ .

(١) ب فقط : « وفصل » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ويبقى » .

(٣) ب ، م : « كلا » ، صوابه في سائر النسخ .

(٤) مج ، ش : « فإذا ملنا إلى الجِدِّ » .

(٥) مج ، ش : « للحكمة » .

(٦) مج ، ش : « ولم يكلفك الاحتِجَاجَ كَمَا رَغِبَ بِكَ عَنِ الاعتِدَالِ » .

(٧) ب : « وملوماً » بإسقاط « لا » . وفي م : « ولا ملوماً ولا معدولاً » .

(٨) الوجهة من الوجوم ، وهو السكوت على غيظ أوهم أو كآبة . ب فقط : « وجهة » .

وهل في تمامك ريب <sup>(١)</sup> حتى يُعالج بالحجة ؟ وهل يَرُدُّ فضلك جاحد <sup>(٢)</sup> حتى يُثبَّت بالبيِّنة <sup>(٣)</sup> .

وهل لك خَصْمٌ في العلم أو نِدٌّ في الفهم <sup>(٤)</sup> ، أو مُجَارٍ في الحِلْم ، أو ضِدٌّ في العزم <sup>(٥)</sup> ؟

وهل يَبْلُغُكَ الحَسَدُ أو تَضُرُّكَ العَيْنُ <sup>(٦)</sup> ، أو تَسْمُو إِلَيْكَ المُنَى أو يَطْمَعُ فِيكَ طامع <sup>(٧)</sup> ، أو يتعاطى شَأْوكَ باغ ؟

وهل غايةُ الجميلِ إِلَّا وَضْفُكَ ، وهل زَيْنُ البليغِ إِلَّا مَدْحُكَ ، وهل يَأْمُلُ الشريف <sup>(٨)</sup> إِلَّا اصْطِنَاعَكَ ؟ وهل يَقْدِرُ الملهوفُ إِلَّا غِيَاثَكَ <sup>(٩)</sup> ؟ وهل للطلَّابِ غايةٌ سِوَاكَ ؟ وهل للغَوَايِ مَثَلٌ غَيْرُكَ ؟ وهل للماتِحِ <sup>(١٠)</sup> رَجْزٌ إِلَّا فِيكَ ، وهل يَحْدُو الحادِي إِلَّا بِكَ <sup>(١١)</sup> ؟

ولولا أَنَّ يَأْخُذَ الواصف لك بنصيبه منك ، وبحصَّته من الصَّدق <sup>(١٢)</sup> .

(١) ما عدا مج ، ش : « وهل فيك ريب » .

(٢) ب : « ماد » ، م ، ط : « حاد » ، صوابهما في مج ، ش .

(٣) ب ، م : « حتى تثبت بالصيغة » ط : « حتى تثبت بالصيغة » صوابهما في مج ، ش .

(٤) ما عدا مج ، ش : « أويد في الفهم » تحريف . والنند ، بالكسر : النظير والمثيل .

(٥) المجارى : الشبيه ، وأصله من يجرى مع غيره . ما عدا مج ، ش : « أو مجاز »

تحريف .

(٦) مج ، ش : « وهل يتبلغك الحسد » . ب ، م : « أو يضررك العين » .

(٧) ما عدا مج ، ش : « طاغ » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « يؤمل » .

(٩) مج ، ش : « وهل يرجو الملهوف إلا غياثك » .

(١٠) كانوا يرجزون عند المتح ، وهو الاستقاء من أعلى البئر . ما عدا مج ، ش : « وهل

للإدح » ، تحريف .

(١١) ش : « أو هل » ، مج ش : « إلا بذكرك » .

(١٢) ش : « من الصدق فيك » .

وبسهمه من الشكر<sup>(١)</sup> لك، لكان الاطنابُ عندهم في وصفك لغواً، ولكان تكلفه فضلاً .

ومن هذا الذي يَضَعُه<sup>(٢)</sup> أن يكون دونك ، أو يُهَجَى بالتسليم<sup>(٣)</sup> ، ولم نَعُدْ<sup>(٤)</sup> إقراره إحساناً ، وخُضوعه إنصافاً ؟

وهل تقع الأبصار إلا عليك ، وهل تُصَرِّفُ الإشارة إلا إليك<sup>(٥)</sup> ؟

وأى أمرِك ليس بغايةٍ ، وأى شئٍ منك ليس في النهاية ؟ وهل فيك شئٌ يَفُوقُ شيئاً أو يفوقه شئٌ ؟ أو يقال : لو لم يكن كذا لكان [ أحسن<sup>(٦)</sup> ] ، أو لو كان كذا لكان أتم ؟

وآين الحُسْنُ الخالصُ والجمالُ الفائقُ ، والمِلْحُ المحضُ والحلاوةُ التي لا تستحيل ، والتَّمامُ الذي لا يُحِيلُ<sup>(٧)</sup> ، إلا فيك ، أو عندك ، أو لك أو معك ؟

لا بل آين الحُسْنُ المُصَمَّتُ والجمالُ المفردُ ، والقَدُّ العجيبُ ، والمِلْحُ المنشور والفضل المشهور ، إلا لك وفيك ؟

وهل على ظهرها جميلٌ حسيبٌ أو عالمٌ أديب<sup>(٨)</sup> إلا وظلُّك أكبر

(١) ما عدا مج ، ش : « وشيمته من الشكر » .

(٢) ط : « نصفه » .

(٣) ب : « أو تهجى بالتسليم » ، تحريف صوابه في م ، ط . وفي مج ، ش : « ويمتنع بالتسليم لك » .

(٤) ما عدا مج : « أو تعد » .

(٥) ب ، م : « وهي تعرف الإشارة إلا إليك » ، وأثبت ما في ط . على أن هذه الفقرة بتمامها لم ترد في نسخ التبريع والتدوير .

(٦) التكملة من مج ، ش .

(٧) ط فقط : « لا يحيل » .

(٨) مج : « أو عالم أديب » ب ، ط ، م : « وعالم أديب » ، وأثبت ما في ش . والأريب : العاقل ذو الدهاء .



من شخصه ، وظنك أكثر من علمه ، واسمك أفضل من معناه ، وحلمك أثبت من نجواه ؟

ولربما رأيت الرجل حسناً جميلاً ، وحلواً مليحاً ، وعتيقاً رشيقياً ، وفخماً نبيلاً<sup>(١)</sup> ، ثم لا يكون موزون الأعضاء ولا معتدل الأجزاء .

وقد تكون<sup>(٢)</sup> أيضاً الأقدارُ متساويةً غير متقاربة ولا متفاوتة<sup>(٣)</sup> ويكون قصداً ، ومقداراً عدلاً ، وإن كانت هناك دقائق خفية لا يراها الغبي<sup>(٤)</sup> ، ولطائف غامضة لا يعرفها إلا الذكي .

فأما الوزن المتحقق<sup>(٥)</sup> ، والتعديل الصحيح ، والتركيب الذي لا يفضحه التفرس ، ولا يحضره التعنت<sup>(٦)</sup> ، ولا يتعلل جادبه<sup>(٧)</sup> ، ولا يطمع في التمويه ناعته<sup>(٨)</sup> ، فهو الذي خُصِصَتْ به دون الأنام ، ودام لك على الأيام .

وكذا الحُسن إذا كان حرّاً مُرسلاً ، وعتيقاً مُطلقاً<sup>(٩)</sup> ، لا يتحكم

(١) الفخم : العظيم القدر . وفي حديث أبي هالة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان «فخماً مفخماً» ، أى عظيماً معظماً في الصدور والعيون . ما عدا مج ، ش : « وفخياً نبيلاً » ، ولم تعرف المعاجم الفخم .

(٢) ب فقط : « وقد يكون » .

(٣) التكلمة من مج ، ش .

(٤) مج ، ش : « إلا الألمي » .

(٥) ب : « التحقيق » م : « التحقق » مج ، ش : « المحقق » ، وأثبت ما في ط .

(٦) ما عدا مج ، ش : « التغيب » .

(٧) الجادب : العائب . قال ذو الرمة :

فيالك من خسد أسيل ومنطق رخيخ ومن خلق تعلل جادبه

يقول : لا يجد فيه مقالا ولا عيباً يعيبه به ، فيتعلل بالباطل وبالشئ يقوله وليس بعب .

ما عدا مج : « جاذبه » بالذال المعجمة ، تحريف .

(٨) ما عدا مج ، ش : « غايته » ، تحريف .

(٩) ب فقط : « وعتيقاً مطلقاً » ، تحريف .

عليه الدهر<sup>(١)</sup> ، ولا يُذْبِلُهُ الزمان<sup>(٢)</sup> ، ولا يحتاج إلى تعليق التَّمائم ، ولا إلى الصَّون والكن ، ولا إلى المنقاش والكحل<sup>(٣)</sup> .

ولو لم يكن لحسن وجهك إلا أنه قد سهل في العيون تسهياً ، وحُبَّ إلى القلوب تحبباً ، وقُرَّب إلى النفوس تقريباً ، حتى امتزج بالأرواح وخالط الدماء ، وجرى في العروق وتمشَّى في العظم بحيث لا يبلغه السمر ولا الوهم<sup>(٤)</sup> ، ولا السرور الشديد ، ولا الشراب الرقيق ، لكان في ذلك المزية الظاهرة ، والفضيلة البينة .

ولو لم يكن لك إلا أننا لا نستطيع أن نقول في الجملة ، وعند الوصف والمدح : هو أحسن من القمر<sup>(٥)</sup> ، وأضوأ من الشمس ، وأبهى من الغيث ، وأحسن من يوم الحلية<sup>(٦)</sup> ؛ وأنا لا نستطيع أن نقول في التفاريق : كأن عُنُقَهُ إبريقُ فِضَّةٍ . وكأنَّ قدمه لسانُ حية ، وكأنَّ وجهه ماوية<sup>(٧)</sup> ، وكأنَّ بطنه قُبْطِيَّة<sup>(٨)</sup> ، وكأنَّ ساقه بَرْدِيَّة<sup>(٩)</sup> ، وكأنَّ لسانه ورقة ، وكأنَّ أنفه حدسيف ، وكأنَّ حاجبه خطُّ بقلم<sup>(١٠)</sup> ، وكأنَّ لونه الذهب ، وكأنَّ عوارضه البرد ، وكأنَّ فاه خاتم ، وكأنَّ

(١) ما عدا مج ، ش : « الدهن » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ولا يذيله الزمان » .

(٣) المنقاش : آلة النقش ، والمراد به ما ينتف به الشعر ، مج ، ش : « المناقش » .

(٤) مج ، ش : « السم ولا الوهم » . والسمر : الحكايات التي يسمر بها ليلاً .

(٥) ط ، مج ، ش : « هو أحسن من القمر » .

(٦) يوم الحلية : يوم الزينة في الأعياد ونحوها . مج ، ش : « يوم الحلية » بالباء

الموحدة .

(٧) الماوية : المرأة . مج ، ش : « وكأن عينه » .

(٨) القبطية ، بالضم : ثياب من كتان مصر بيض رفاق . ط : « قنطية » تحريف .

(٩) البردية ، بالفتح : واحدة البردى ، وهو نبت مائي معروف يضرب به المثل في

في الغضاضة واللين .

(١٠) ب ، م : « تعلم » تحريف . في ط : « قلم » وأثبت ما في مج ، ش .

جَبِينَهُ هِلَال . وهو أَطْهَر من الماء ، وَأَرْقُ طَبَاعاً من المَوَاء ، وهو أَمْضَى من السَّيْلِ ، وأَهْدَى من النَّجْم - لكان في ذلك البرهانُ النِّيرُ ، والدليلُ البَيِّن .

وكيف لا تكون كذلك وَأَنْتَ الغَايَةُ في كُلِّ فَضْل ، والمَثَلُ في كُلِّ شَكْل . وَأَمَّا قول الشاعر <sup>(١)</sup> :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَازَدَتْهُ نَظَرًا

وقول اللُّمَشْقِيِّينَ : ما تَأَمَّلْنَا قَطُّ تَأْلِيفَ مَسْجِدِنَا ، وَتَرْكِيبَ مِحْرَابِنَا وَقَبَةَ مُصَلَّائِنَا إِلَّا أَثَارَ لَنَا التَّأَمُّلُ ، وَاسْتِخْرَاجَ لَنَا التَّفَرُّسُ ، غَرَائِبَ حَسَنٍ لَمْ نَعْرِفْهَا <sup>(٢)</sup> ، وَعَجَائِبَ صَنْعَةٍ لَمْ نَقِفْ عَلَيْهَا . وما ندرى أَجْوَاهِرَ مَقْطَعَاتِهِ أَكْرَمُ في الجواهر ، أَمْ تَنْضِيدُ أَجْزَائِهِ في تَنْضِيدِ الْأَجْزَاءِ <sup>(٣)</sup> ؟ فَإِنَّ ذَلِكَ مَعْنَى مَسْرُوقٍ مَتْنِي في وَصْفِكَ ، وَمَأْخُوذٌ مِنْ كَتَبِي في مَدْحِكَ .

والجَمْلَةُ الَّتِي تَنْفِي الْجِدَالَ ، وَتَقْطَعُ الْقِيلَ وَالْقَالَ ، أَنِّي لَمْ أَرَكَ قَطُّ إِلَّا ذَكَرْتَ الْجَنَّةَ ، وَلَا رَأَيْتُ أَجْمَلَ النَّاسِ فِي عَقِبِ رُؤْيَيْكَ ! إِلَّا ذَكَرْتَ النَّارَ !

وَلَا تَعَجَّبْ أَيُّهَا السَّامِعُ وَاعْلَمْ أَنِّي مَقْصَرٌ . وَإِذَا رَأَيْتَهُ عَلِمْتَ أَنِّي مَقْصَرٌ . وَإِذَا رَأَيْتَهُ عَلِمْتَ أَنِّي فِيمَا يَجِبُ لَهُ مَقْرُطٌ .

هُوَ رَجُلٌ طَيِّبَتُهُ حُرَّةٌ ، وَعِرْقُهُ كَرِيمٌ ، وَمَغْرِسُهُ طَيِّبٌ ، وَمَنْشُؤُهُ

(١) هر أبو نواس . ديوانه ١٢٥ ودلائل الإعجاز ١٩٤ ومعاهد التنخيص ١ : ٢٨ وديوان المعاني ١ : ٣٣١ .

(٢) ط فقط : « التفرس بين غرائب حسن لم نعرفها » ، تحريف .

(٣) ب فقط : « تنضيف » ، محرفة . وفي ش : « في تنضيدات الأجزاء » وفي مج : « أمجواهر تنضيدات أجزائه في تنضيدات الأجزاء » .

محمود ، غُذِيَ فِي النِّعْمَةِ<sup>(١)</sup> ، وعاش في الغبطة ، وأَرْهَفَهُ التَّأْدِيبُ ،  
ولطَّفه طول التفكير<sup>(٢)</sup> ، وخامَرَهُ الأدبُ ، وجرى فيه ماءُ الحياءِ .  
فأَفْعَالُهُ كَأَخْلَاقِهِ ، وَأَخْلَاقُهُ كَأَعْرَاقِهِ ، وعادته كطبيعته ، وآخِرُهُ كَأَوَّلِهِ ،  
تحكى اختياراته التَّوْفِيقَ ، ومذاهبه التَّسْدِيدَ . لا يَعْرِفُ التَّكْلُفَ ،  
وِيرَغَبُ عَنِ التَّجَوُّزِ<sup>(٣)</sup> ، وَيَنْبُلُ عَنِ تَرْكِ الْإِنْصَافِ<sup>(٤)</sup> . لا تَمْتَنِعُ عَلَيْهِ  
مَعْرِفَةُ الْمُبْهَمِ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا يُلْحِجُ بِاسْتِبَانَةِ الْمُشْكَلِ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا يَعْرِفُ الشُّكَّ  
إِلَّا فِي غَيْرِهِ ، وَلَا الْعِيَّ<sup>(٧)</sup> إِلَّا سَهَاءً .

فَمَنْ يَطْمَعُ فِي عَيْنِكَ<sup>(٨)</sup> ، بَلْ مِنْ يَطْمَعُ فِي قَدْرِكَ . وكيف وقد  
أَصْبَحْتَ وَمَا عَلَى ظَهَرِهَا خَوْدٌ<sup>(٩)</sup> إِلَّا تَعَثَّرَ بِاسْمِكَ<sup>(١٠)</sup> ، وَلَا قَيْنَةٌ إِلَّا وَهِيَ  
تَغْنَى بِمَدْحِكَ<sup>(١١)</sup> ، وَلَا فَتَاةٌ إِلَّا تَشْكُو تَبَارِيحَ حَبِّكَ<sup>(١٢)</sup> ، وَلَا مَحْجُوبَةٌ

(١) ب فقط : « غذى » ، تحريف . مج ، ش : « بالنعمة » .

(٢) مج : « وألطفه طول التفكير » ش . : « وألطفه طول الفكرة » .

(٣) ما عدا مج ، ش : « التجرد » .

(٤) كلمة « ترك » من مج ، ش فقط ، وفي ب : « عن الأوصاف » . م ، ط : « عن الإنصاف » .

(٥) ب ، م : « لا يمتنع عليه معروفه المبهم » صوابه في سائر النسخ .

(٦) يقال طح عليه الخبر تلحيجاً ، إذا خلطه عليه وأظهر غير ماني نفسه . ب ، م ، ط :

« ينجح باستبانته المشكل » ، تحريف . وفي مج « ولا يلتجج باستبانة المشكل » .

(٧) ما عدا مج ، ش : « ولا ألقى » بالغين المعجمة ، تحريف .

(٨) ما عدا مج ، ش : « في عينك » ، بالنون .

(٩) الخود ، بفتح الخاء : الشابة الناعمة الحسنه الخلق . ب ، م : « جود » ، ط :

« جواد » ، صوابهما في مج ، ش .

(١٠) مج ، ش : « وإلا وهى تعثر باسمك » ، أراد يعثرها الاضطراب لتقع في العثار .

(١١) ما عدا مج ، ش : « وإلا وهى تبغى » ، وفي ط أيضاً : « تمدهك » .

(١٢) ب : « وإلا وتشكو » م : « ولا فتاة تشكو إلا تباريح حبك » ، وأثبت ما في ط .

وفي مج ، ش : « وإلا وهى تشكو تباريح حبك » .

إِلَّا وَهِيَ تَنْقُبُ الْخُرُوقَ لِمَرْكٍ <sup>(١)</sup> ، وَلَا عَجُوزٌ إِلَّا وَهِيَ تَدْعُو لَكَ ،  
وَلَا غَيُورٌ إِلَّا وَقَدْ شَقِيَ بِكَ <sup>(٢)</sup> .

فَكَمْ مِنْ كَبِدٍ حَرَّى <sup>(٣)</sup> مُنْضَجَةٍ . وَمَصْدُوعَةٍ مَفْرُثَةٍ <sup>(٤)</sup> ، وَكَمْ  
حَشًا <sup>(٥)</sup> خَافَقِي وَقَلْبٍ هَائِمٍ ، وَكَمْ عَيْنٍ سَاهِرَةٍ <sup>(٦)</sup> وَأُخْرَى جَامِدَةٍ <sup>(٧)</sup>  
وَأُخْرَى بَاكِية ؟ وَكَمْ عَبْرَى مَوْلَاهُ وَفَتَاةٍ مَعَذَّبَةٍ ، قَدْ أَقْرَحَ قَلْبُهَا الْحُزْنَ ،  
وَأَجْمَدَ عَيْنَهَا الْكَمَدَ ، وَاسْتَبَدَلَتْ بِالْحَلَى الْعُطْلَةَ <sup>(٨)</sup> وَبِالْأُنْسِ الْوَحْشَةَ ،  
وَبِالتَّكْحِيلِ الْمَرَّةَ <sup>(٩)</sup> ، فَأَصْبَحَتْ وَاِلَهَةً مَبْهُوتَةً <sup>(١٠)</sup> ، وَهَائِمَةً مَجْهُودَةً ،  
بَعْدَ ظَرْفٍ نَاصِعٍ <sup>(١١)</sup> ، وَسِنَّ ضَا حَكْ ؛ وَبَعْدَ أَنْ كَانَتْ نَارًا تَتَوَقَّدُ  
وَشُعْلَةً تَتَوَهَّجُ .

وَلَيْسَ حُسْنُكَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - الْحُسْنَ الَّذِي تَبْقَى مَعَهُ تَوْبَةٌ ، أَوْ  
تَصِحُّ مَعَهُ عَقِيدَةٌ <sup>(١٢)</sup> ، أَوْ يَدُومُ مَعَهُ عَهْدٌ <sup>(١٣)</sup> ، أَوْ يَثْبُتَ مَعَهُ عَزْمٌ ،

(١) ط فقط : « تنقب » بالشاء المثناة .

(٢) ب ، ط : « شق » بالفاء ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب ، م : « حسوى » ، والصواب في سائر النسخ .

(٤) مفرثة : مفتتة . ب : « ومربة » م : « ومربة » ط : « ومعذبة » ، صوابها في مج ، ش .

(٥) ش فقط : « وكم من حشا خافق » .

(٦) ش فقط : « وكم من عين ساهرة » .

(٧) الجامدة : التي لا تدمع . مج فقط : « جاهدة » .

(٨) كذا في جميع النسخ . وفي المعاجم أن « العطلة » بالضم : اسم للتعطيل ، وهو خلو المرأة من الحلَى ، وخلو العمل من العمل .

(٩) المره : خلو العين من الكحل ، أو فسادها لتركه . والنمت أمره ومرهه .

(١٠) المبهوت : المتحير ، والذي اعترته الدهشة .

(١١) الناصع : الخالص الظاهر . في الأصول : « طرف » بالمهمة ، صوابه بالظاء المعجمة .

(١٢) ب ، م : « أو يصح معه عقدة » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٣) ب ، م : « عهدة » .

أَوْ يُمَهِّلُ صَاحِبَهُ لِلتَّثْبِتِ<sup>(١)</sup> ، أَوْ يَتَسَعَّ لِلتَّحْيِيرِ<sup>(٢)</sup> . أَوْ يُنْهِنُهُ زَجْرُ<sup>(٣)</sup> ،  
أَوْ يَفِيدُهُ خَوْفُ<sup>(٤)</sup> . هُوَ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - شَيْءٌ يَنْقُضُ الْعَادَةَ<sup>(٥)</sup> ،  
وَيَنْسَخُ الْمُتَّةَ ، وَيُعَجِّلُ عَنِ الرُّوْيَةِ<sup>(٦)</sup> ، وَيَطْوَحُ بِالْعَزَاءِ<sup>(٧)</sup> ، وَيُنْسِي مَعَهُ  
الْعَوَاقِبَ .

ولو أدركك<sup>(٨)</sup> عمر بن الخطاب لَصَنَعَ بِكَ أَعْظَمَ<sup>(٩)</sup> مِمَّا صَنَعَ بِنَصْرِ  
ابن الحجاج<sup>(١٠)</sup> . وَلَرَكَيْكَ بِأَعْظَمَ مِمَّا رَكَبَ جَعْدَةُ السُّلَمَى<sup>(١١)</sup> . بَلْ  
لِدَعَاهِ الشُّغْلُ بِكَ إِلَى تَرْكِ التَّشَاغُلِ بِهِمَا ، وَالْغَيْظُ عَلَيْكَ إِلَى الرَّحْمَةِ لهُمَا .

(١) مج ، ش : « التثبت » .

(٢) ب ، م : « أو تتسع » .

(٣) نهيه عن الأمر فتنه : كفه وزجره فكف ، وأصلها نهيه ، بالتضعيف ، فأبدلت  
الهاء الثانية نوناً . ما عدا مج ، ش : « أو ينهيه » ، تحريف .

(٤) ب : « خوفاً » ، تحريف . ومج ، ش : « أو يهذه خوف » .

(٥) ط فقط : « ينقص العادة » ، تحريف .

(٦) المنة ، بالضم : القوة . روى في الأمر تروية : نظر وفكر ، والاسم الروية .

ب ، م : « عن الرؤية » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) مج ، ش : « ويطرح » ب فقط : « بالعرى » .

(٨) ب ، م : « أدرك » .

(٩) ط فقط : « أحسن » ، ووجهها « أحسن » .

(١٠) ط فقط : « حجاج » . وهو نصر بن الحجاج بن علاط السلمي . وكان قد عشقته

فريعة بنت همام ، أم الحجاج بن يوسف ، وهي إذ ذاك تحت المغيرة بن شعبة ، فمر عمر  
ابن الخطاب ذات ليلة فسمعها تقول :

ألا سبيل إلى خمر فأثر بها      أو لا سبيل إلى نصر بن حجاج

فسير عمر نصراً إلى البصرة ، فنزل على مجاشع بن مسعود فعشق امرأته شيلة وعشقتة ،  
وعرف مجاشع ذلك فأخرجته من منزله ، فنزل على بعض السلميين فرض من حبا مرضاً شديداً  
فتمثل به أهل البصرة فقالوا : « أدنف من المتنى » . كما قيل « أصب من المتنية » ، وهي فريعة  
بنت همام . جهرة الأمثال ١ : ٥٨٨ والميداني ١ : ٣٧٩ والمستقصى ١١٩ .

(١١) أدرك جملة هذا زمان الجاهلية ، وكان غزلاً صاحب نساء يحشن ويمازهن ،  
فكن يجتمعن عنده ، فيأخذ المرأة فيعقلها ثم يأمرها بأن تمشي ، فتعتر فتقع فتتكشف ، فيتصاحكن  
من ذلك ، فنفاه عمر من المدينة إلى عمان . الإصابة ١٢٨٥ .

فمن كان عيب حُسْنِهِ <sup>(١)</sup> الإفراط ، [والطعن <sup>(٢)</sup>] عليه من جهة الزيادة ، كيف يرومه عاقل أو يَنْتَقِصُهُ عالم .

وما نَدْرِي <sup>(٣)</sup> في أيِّ الحالين أنت أجمل ، وفي أيِّ المنزلتين أنت أكمل ، إذا فرّقناك أو إذا جمعناك <sup>(٤)</sup> ، وإذا ذكرناك <sup>(٥)</sup> كلك <sup>(٥)</sup> أم إذا تأملنا بعضك ؟

فأمّا كُفْكُ فهي التي لم تُخْلَقْ إِلَّا للتقبيّل والتوقيع ، وهي التي يَحْسُنُ بِحُسْنِهَا كُلُّ ما اتَّصَلَ بها ، ويختال بها كُلُّ ما صار فيها <sup>(٦)</sup> .

وكما أَصْبَحْنَا وما ندرى : آلكأس التي <sup>(٧)</sup> في يدك أجمل أم القلم ، أم الرُمح الذي تحمله أم المَخْصَرَة ، أم العِنان الذي تمسكه ، أم السَّوط الذي تعلّقه ؟

وكما أَصْبَحْنَا وما ندرى أيُّ الأمور المتّصلة برأسك أحسن ، أم أيُّها أجمل وأشكل : آللمّة أم مَخْطُ اللّحية <sup>(٨)</sup> ، أم الإكليل أم العِصابة ، أم العِمامة أم القِناع أم القلنسوة ؟

وأما قدّمك فهي التي يَعْلَمُ الجاهلُ كما يعلم العالمُ ، ويعلم البعيد

(١) ب ، م : « حسبه » بالباء .

(٢) التكلة من مج ، ش .

(٣) ب ، م : « وما يدرى » .

(٤) هذا ما في مج . وفي ب ، م ط : « وإذا جمعناك » . والذي في ش : « إذا فرّقناك أم إذا تأملنا بعضك » . بهذا النقص .

(٥) م ، ط : « ذكرناك كلك » . وبعده في مج : « أو إذا تأملنا بعضك » .

(٦) ب ، م : « ويختال » بالمهملة ، صوابه في سائر النسخ . وفي ب ، م : « كل من صار فيها » ، تحريف .

(٧) م ، ط : « الذي » ، صوابه في ب فإن الكأس مؤنثة . وفي مج ، ش : « الكأس في يدك » .

(٨) مخطّ اللحية : خطوطها وهيئة خرطها . م ، ط : « مخطّ اللحية » ، تحريف .

الْأَقْصَى . كما يعلم القريب الأدنى ، أَنَّهَا <sup>(١)</sup> لَمْ تُخْلَقْ إِلَّا لِمَنْبَرٍ عَظِيمٍ ،  
أَوْ رِكَابٍ طَرَفٍ كَرِيمٍ .

وَأَمَّا فُوكُ <sup>(٢)</sup> فَهُوَ الَّذِي لَا نَدْرِي : أَيُّ الَّذِي تَتَفَوَّهُ <sup>(٣)</sup> بِهِ أَحْسَنُ ،  
وَأَيُّ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ أَجْمَلُ <sup>(٤)</sup> : الْحَدِيثُ أَمْ الشَّعْرُ ، أَمْ الْاِحْتِجَاجُ ، أَمْ  
الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ ، أَمْ التَّعْلِيمُ وَالْوَصْفُ ؟

وَعَلَى أَنَّنَا لَا نَدْرِي أَيُّ أَلْسِنَتِكَ أَبْلَغُ ، وَأَيُّ بَيَانِكَ أَشْفَى : أَقَلَمَكَ  
أَبْلَغُ أَمْ [ خَطُّكَ ، أَمْ <sup>(٥)</sup> ] لَفْظُكَ ؟ أَمْ إِشَارَتُكَ أَمْ عَقْدُكَ <sup>(٦)</sup> ؟ وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ  
فَوْقَهُمْ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - وَوَاحِدُهُمْ . وَأَعْيَدُكَ بِاللَّهِ تَعَالَى <sup>(٧)</sup> .

وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الْقَمَرَ ، وَهُوَ <sup>(٨)</sup> الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْأَمْثَالُ ، وَيُشَبَّهُ بِهِ  
أَهْلُ الْجَمَالِ ، يَبْدُو مَعَ ذَلِكَ ضَمِيلاً وَنِضْواً ، وَيُظْهَرُ مَعُوجاً شَخْتاً <sup>(٩)</sup> ؛  
وَأَنْتَ أَبَدًا قَمَرٌ بِدَرٍ ، وَفَخْمٌ غَمَرٌ <sup>(١٠)</sup> .

ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ يَحْتَرِقُ فِي السَّرَارِ <sup>(١١)</sup> ، وَيُتَشَاعَمُ بِهِ فِي الْمَحَاقِ ، وَيَكُونُ  
نَحْساً كَمَا يَكُونُ سَعْدًا ، وَيَكُونُ ضَرًّا كَمَا يَكُونُ نَفْعًا ، وَيَقْرِضُ

(١) ب ، م : « إلّا بها » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) ما عدا مج ، ش : « قولك » .

(٣) ب فقط : « تتفوه » ، تحريف .

(٤) ط : « تبدأ به » ب : « تبدو به » م : « تبدو به » صوابه في مج ، ش .

(٥) التكلّة من مج ، ش .

(٦) العقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، ويقال له حساب اليد أيضاً .

وفي الحديث أنه : « عقد عقد تسعين » . وقد ألفت فيه كتب وأراجيز . انظر الخزائن ٣ : ١٤٧ والحيوان ١ : ٣٣ والبيان ١ : ٧٦ .

(٧) بعده في مج ، ش : « وأنت تجوز الغاية وتفوق النهاية » .

(٨) وهو ، ساقطة من ب ، وبدلها في مج ، ش : « هو » بدون واو .

(٩) ويظهر ، ساقطة من ب ، م . والشخت : الدقيق الضئيل .

(١٠) ش : « وبجر غمر » . ط : « وفخم ذمر » : والذمر ، بالكسر : الشجاع ، والظرف

اللبيب المعوان . وأما الغمر ، بالفتح ، فهو الواسع الخلق الكثير المعروف .

(١١) السرار ، بكسر السين وفتحها : آخر ليلة في الشهر ، وفيها يستتر القمر .



الْكُتَّانُ ، وَيُشَجِّبُ الْأَلْوَانَ<sup>(١)</sup> ، وَيَخِمُّ فِيهِ اللَّحْمُ<sup>(٢)</sup> . وَأَنْتَ دَائِمٌ  
الْيُمْنُ ، ظَاهِرُ السَّعَادَةِ ، ثَابِتُ الْكَمَالِ ، شَائِعُ النِّفَعِ ، تَكْسُو مَنْ أَعْرَاهُ ،  
وَتُكْنِّ مَنْ أَشْجَبَهُ<sup>(٣)</sup> .

وَعَلَى أَنَّهُ مَحَقَّ حُسْنَهُ الْمَحَاقِ<sup>(٤)</sup> ، وَشَانَهُ الْكَلْفُ ، وَلَيْسَ بَذَى  
تَوَقُّدٍ وَاشْتِعَالٍ ، وَلَا خَالِصٍ وَلَا مُتَلَأَّلٍ ، وَيَعْلُوهُ بَرْدٌ<sup>(٥)</sup> وَيَكْسِفُهُ ظِلٌّ<sup>(٦)</sup> ،  
ثُمَّ لَا يُعْتَبَرُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ كَمَالِهِ ، وَلَيْلَةٌ فَخْرِهِ وَاحْتِفَالِهِ .

وَكثِيرًا مَا يَعْتَرِيهِ الصُّفَارُ<sup>(٧)</sup> مِنْ بُخَارِ الْبَحَارِ . وَأَنْتَ ظَاهِرُ  
التَّمَامِ ، دَائِمُ الْكَمَالِ ، سَلِيمُ الْجَوْهَرِ ، كَرِيمُ الْعُنْصُرِ ، نَارِيُّ التَّوَقُّدِ ،  
هَوَائِيُّ الدَّهْنِ<sup>(٨)</sup> بَرِيُّ اللَّوْنِ<sup>(٩)</sup> ، رُوحَانِيُّ الْبَدَنِ .

وَإِنْ احْتَجَّجُوا عَلَيْكَ بِالْجَزْرِ وَالْمَدِّ ، احْتَجَّجْتَ عَلَيْهِمْ بِالْحَلَمِ  
وَالْعِلْمِ ، وَبَانَ طَاعَتُكَ اخْتِيَارًا ، وَطَاعَتُهُ طَبَاعَ اضْطِرَارٍ<sup>(١٠)</sup> ، وَبَانَ لَهُ سِيرَةٌ

(١) لم أجد في المعاجم إلا « شجب » اللازم . والشحوب : تغير اللون ، والهزال .

(٢) خم يخم بكسر عين المضارع وفتحها ، خمًا وخمومًا : أُنْتِن . ط ، م : « ويختَر » ، ووجه  
هذه « يختَر » بالنون والزاي ، خنز اللحم أيضًا : فسد وأُنْتِن .

(٣) ما عدا مج ، ش : « شجبة » .

(٤) المحاق بفتح المير وضمها : ليال ثلاث في آخر الشهر . ب ، م : « المحوق » ،  
تحريف .

(٥) ش فقط : « يعلوه الغيم » .

(٦) ب ، م : « وتكسفه ظل » . وفي مج ، ش : « ويكسوه ظل الأرض » . والكسوف  
والخسوف مشتركان بين الشمس والقمر ، وإن كان الخسوف في القمر أكثر والكسوف في  
الشمس أغرب .

(٧) الصفار : بالضر : صفرة تعلو اللون والبشرة . اللسان ( صفر ١٣٤ ) .

(٨) ما عدا مج ، ش : « هوائى الدهر » .

(٩) برى : مهمل برىء ، وبراة اللون : صفاؤه ونقاؤه . مج ، ش : « درى اللون »

(١٠) الطباع ، ككتاب ، والطبع والطبيعة ، كلها بمعنى السجية يجبل عليها الإنسان وغيره

ط فقط : « طبع » . وانظر الحيوان ٢ : ١٣١ / ٤ : ٤٥٢ / ٥ : ٤٨ ورسائل الجاحظ

قد قُصِرَ عليها . وَمَنَازِلَ لَا يُجَاوِزُهَا ، وَلَا يُمَكِّنُهُ الْبَدَوَاتُ <sup>(١)</sup> ، وَلَيْسَ فِي قُوَاهُ فَضْلٌ لِلتَّصَرُّفِ <sup>(٢)</sup> .

عَلَى أَنَّ ضِيَاءَهُ مُسْتَعَارٌ مِنَ الشَّمْسِ ، وَضِيَاؤُكَ عَارِيَّةٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْخَلْقِ <sup>(٣)</sup> . وَكَمْ بَيْنَ الْمُعِيرِ وَالْمُسْتَعِيرِ ، وَالْمُتَبَيِّنِ وَالْمُتَحِيرِ ، وَبَيْنَ الْعَالَمِ وَمَا لَا خَيْرَ فِيهِ .

تُعِيرُ نَسِيمَ الْهَوَاءِ طَيْباً <sup>(٤)</sup> ، وَتُرَابَ الْأَرْضِ عَبَقاً .

إِنْ تَفَتَّيْتُ فَالرُّشَاقَةَ وَالْمِلْحَ <sup>(٥)</sup> ، وَإِنْ تَنَسَّكَتَ فَالرَّهْبَانِيَّةَ وَالْإِخْلَاصَ <sup>(٦)</sup> ، وَإِنْ تَرَزَّزْتَ فَثَهْلَانَ ذُو الْهَضَبَاتِ مَا يَتَحَلَّلُ <sup>(٧)</sup> .

وَطِبَاعُكَ <sup>(٨)</sup> - جُعِلَتْ فِدَاكَ - طِبَاعُ الْخَمْرِ ، إِلَّا أَنَّكَ حَلَالٌ كُلُّكَ . وَجَوْهْرُكَ جَوْهَرُ الذَّهَبِ إِلَّا أَنَّكَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ . وَقَدْ حَوَيْتَ خِصَالَ الْيَاقُوتِ إِلَّا مَا زَادَكَ اللَّهُ ، وَأَخَذْتَ خِصَالَ الْمُشْتَرَى <sup>(٩)</sup> إِلَّا مَا فَضَّلَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَجَمَعْتَ خِلَالَ الدَّرِّ إِلَّا مَا خُصِّصْتَ بِهِ دُونَهُ . فَلَكَ مِنْ كُلِّ

(١) البدوات : جمع بداءة ، كما يقال قطة وقطوات . والبدوات : الآراء تظهر للمرء فيختار بعضاً ويسقط بعضاً . ط فقط : « البدار » . مج ، ش : « لا تمكنه » بالطاء .

(٢) ما عدا مج ، ش : « وليس في قوله » ، تحريف . وفي ط أيضاً : « فضل للتعرف » .

(٣) أى يستعيره جميع الخلق ، لا ضياء لهم إلا منه .

(٤) ب م : « يعير » ، ط : « يعيره » ، وفيها جميعاً : « الهوى » ، والوجه ما أثبت . والذى في مج ، ش : « فلا زالت الأرض بك مشرقة » ، والدنيا معمورة ، ومجالس الخير مأهولة ونسيم الهواء طيباً ، وتراب الأرض عبقاً .

(٥) ما عدا مج ، ش : « إن هبت » ، وفي ط فقط أيضاً : « فللرشاقة » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « وإن تمكنت » .

(٧) ب : « يتحلل » ط : « يتخلخل » ، صوابه في سائر النسخ . يتحلل : يتحرك ويبرح مكانه . وهو ناظر إلى قول الفرزدق في ديوانه ٧١٧ :

فادفع بكفلك إن أردت بناءنا  
ثهلان ذا الهضبات ، هن يتحلل

(٨) أى طبعك ، انظر ما سبق في حواشى ص ٩١ .

(٩) يسميه المنجمون السعد الأكبر ، لأنه فوق الزهرة في السعادة . وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات ٢٥ .

شيء<sup>(١)</sup> صفوته وشرّفه ، ولُبائيه وبهاؤه . وهل يَضِيرُ القَمَرُ<sup>(٢)</sup> نُبَاحُ الكلب<sup>(٣)</sup> ، وهل يُزَعِرُ النّخْلَةَ سَقُوطُ البعوضة ؟ !

فأمّا القول في المِزَاح فقد بقي أكثره ومَضَى أَقلُّه .

وقد ذهبَ النَّاسُ في المِزَاح في مذاهبَ متضادّة ، وسلكوا منه في طرقٍ مختلفة ، فزعم بعضهم أَنَّ جميع المِزَاح خيرٌ من جميع الجِدِّ ، وزعم آخرون أَنَّ الخير والشرَّ عليهما مقسومان . وَأَنَّ الحمدَ والذمَّ بينهما نِصفان<sup>(٤)</sup> .

وسنأتي على جُمْلِ هذه الأقاويل ، ثم نذكر جملة ما نقول إن شاء الله .

فأمّا المُحَامِي عن الهَزْل والمُفَضِّل للمَزْح فإنه قال :

أَوَّل ما أَذْكَرُ من خِصال الهَزْل ، ومن فضائل المَزْح ، أَنَّهُ دَلِيلٌ على حُسْنِ الحالِ وفراغِ البال ، وَأَنَّ الجِدَّ لا يكون إِلَّا من فضل الحاجة ، والمَزْح لا يكون إِلَّا من فَضْلِ الغِنَى ، وَأَنَّ الجِدَّ نَصَبٌ<sup>(٥)</sup> ، والمَزْح جَمَامٌ<sup>(٦)</sup> ، والجِدُّ مَبْغَضَةٌ والمَزْحُ مَحَبَّةٌ . وصاحبُ الجِدِّ<sup>(٧)</sup> في بلاءٍ ما كان فيه ، وصاحب المِزَاح في رخاءٍ إلى أَنْ يَخْرُجَ منه .

(١) ب فقط : « في كل شيء » .

(٢) ب : « يغير القمر » م : « يغير القمر » ط : « يغير القهر » صوابه في مج ، ش والحيوان ١ : ١٣ .

(٣) مج ، ش والحيوان : « نباح الكلاب » .

(٤) م فقط : « نصفاً » .

(٥) ب : « وَأَنَّ الغضب جد » م ، ط : « وَأَنَّ النصب جد » ، صوابهما في مج ، ش .

(٦) الجمام ، كسحاب : الراحة .

(٧) ب ، م : « صاحب الجد » ، بدون واو .

والجِدُّ مؤلِّمٌ وربُّما عَرَضَكَ لَأَشَدَّ مِنْهُ ، وَالْمَرْحُ مُلْدٌ<sup>(١)</sup> وربُّما عَرَضَكَ  
لَأَلَدَّ مِنْهُ . فَقَدْ شَارَكَهُ فِي التَّعْرِيضِ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَبَايَنَهُ بِتَعْجِيلِ  
الْخَيْرِ دُونَ الشَّرِّ .

وإِنَّمَا تَشَاغَلَ النَّاسَ لِيَفْرُغُوا<sup>(٢)</sup> ، وَجَدُّوا لِيَهْزِلُوا ، كَمَا تَذَلَّلُوا  
لِيَعِزُّوا ، وَكُدُّوا لِيَسْتَرِيحُوا ، وَإِنْ كَانَ الْمِزَاحُ إِنَّمَا صَارَ مَعِيباً ، وَالْهَزْلُ  
مَذْمُوماً ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعْرُضاً لِمَجَاوِزَةِ الْحَدِّ ، وَمُخَاطِراً بِمُودَّةِ  
الصَّدِيقِ .

فَالْجِدُّ دَاعِيَةٌ إِلَى الْإِفْرَاطِ ، كَمَا أَنَّ الْمِزَاحَ دَاعِيَةٌ إِلَى مَجَاوِزَةِ الْقَدْرِ  
وَالْتَجَاوُزَ لِلْجِدِّ<sup>(٣)</sup> قَاطِعٌ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي جَمِيعِ النُّوعَيْنِ .

فَقَدْ سَاوَاهُ الْمِزَاحُ فِيمَا هُوَ لَهُ<sup>(٥)</sup> وَبَايَنَهُ فِيمَا لَيْسَ لَهُ . وَإِنْ كَانَ الْمِزَاحُ  
إِنَّمَا صَارَ قَبِيحاً لِأَنَّ الَّذِي يَكُونُ بَعْدَهُ جِدٌّ ، [ وَلَمْ يَصِرِ الْجِدُّ قَبِيحاً لِأَنَّ  
الَّذِي يَكُونُ بَعْدَهُ مَرْحٌ<sup>(٦)</sup> ] ، وَكَانَ<sup>(٧)</sup> الْجِدُّ فِي هَذَا الْوِزْنِ أَقْبَحَ ،  
وَكَانَ الْمِزَاحُ<sup>(٨)</sup> عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَحْسَنَ ، لِأَنَّ مَا جَعَلَ الشَّيْءَ قَبِيحاً أَقْبَحُ  
مِنَ الشَّيْءِ ، كَمَا أَنَّ مَا جَعَلَ الشَّيْءَ حَسَناً أَحْسَنُ مِنَ الشَّيْءِ .

فَأَمَّا الَّذِي عَدَلَ بَيْنَهُمَا فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الْمِزَاحَ فِي مَوْضِعِهِ ، كَالْجِدِّ فِي  
مَوْضِعِهِ ، كَمَا أَنَّ الْمُنْعَ فِي حَقِّهِ كَالْبَذْلِ فِي حَقِّهِ .

(١) ط فقط : « مله » .

(٢) ط فقط : « ليفرغوا »

(٣) ب ، م : « والتجاوز للجد » ط : « والتجاوز للجد » ، صوابهما في مج ، ش .

(٤) ما عدا مج ، ش : « قانع » .

(٥) ب فقط : « فيما له » .

(٦) ما بين المعقفين ساقط من ب . وفي مج ، ش : « لأن الذي بعده المزح » .

(٧) ب ، م ، ط : « كان » بدون واو .

(٨) ما عدا مج ، ش : « وكان الوزن » ، تحريف .

قال<sup>(١)</sup> : ولكلّ شيءٍ موضعٌ ، وليس شيءٌ يصلح في كلّ موضع .  
وقد قسم الله تعالى الخيرة<sup>(٢)</sup> على المعدلة ، وأجرى جميع الأمور إلى  
غاية المصلحة ، وقسّط أجزاء الثوبة على العزيمة والرخصة<sup>(٣)</sup> ، وعلى  
الإعلان والتقية ، وأمر بالمدارة كما أمر بالمباداة<sup>(٤)</sup> ، وجوّز المعارض  
كما أمر بالإفصاح ، وسوّغ المباح كما شدّد أمر المفروض<sup>(٥)</sup> ، وجعل  
المباح جَمَاماً للقلوب<sup>(٦)</sup> ، وراحةً للأبدان ، وعوناً على معاودة الأعمال ،  
فصار الإطلاق كالحظر ، والصبر كالشكر .

فليس للإنسان من الخيرة في الذكر شيءٌ إلاّ وله في النسيان مثله ،  
ولا في الفطنة شيءٌ إلاّ وله في العفلة مثله ، ولا في السراء إلاّ وله في  
الضراء مثله .

ولو لم يرزق الله تعالى العباد إلاّ بالصواب محضاً ، وبالصّدق  
بعثاً<sup>(٧)</sup> ، وبمرّ الحقّ صفحاً<sup>(٨)</sup> ، هلكت العوام ، ولانتقض<sup>(٩)</sup> أمرُ  
الخاص .

(١) مج فقط : « فقال » .

(٢) مج فقط : « الخير » . والخيرة : الاختيار .

(٣) ط فقط : « وعلى الرخصة » .

(٤) المباداة : المجاهرة . ط فقط : « بالمباداة » بالهمزة ، تحريف .

(٥) مج ، ش : « في المفروض » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « وجعل الحمام » ، تحريف . والجمام ، كسحاب : الراحة . ب :

« حماماً » م : « حمام » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) مج ، ش : « وبالصّدق صرف » .

(٨) الصفح : البسط .

(٩) انتقض : انتكث . ب ، م : « ولا ينقض » ط : « ولم ينقض » ، ووجهها ما أثبت .

وفي مج ، ش : « وانتقض » .

ولو ذَكَرَ الْإِنْسَانُ كُلُّهُ مَا أَنْسِيَهُ <sup>(١)</sup> لَشَقِيَّ ، وَلَوْ جَدُّ فِي كُلِّ شَيْءٍ  
لَا تَنْتَكُثُ <sup>(٢)</sup> .

وقد يكون الذكر إلى الملكة سلماً كما يكون النسيان للسلامة  
سبباً . وسبيلُ المزاح والجِدُّ كسبيل المنع والبذل . وعلى ذلك يجري  
جميعُ القَبْضِ والبسط .

فهذا وما قبله جُمْلُ أَقَاوِيلِ الْقَوْمِ .

ونحنُ نعوذ بالله أَنْ نجعل المزاح في الجملة كالجدِّ في الجملة ،  
بل نزعُمُ أَنَّ بعضَ المَزْحِ خَيْرٌ مِنْ بعضِ الجِدِّ ، وعامةُ الجِدِّ خَيْرٌ مِنْ  
عامةِ الهزل . والحقُّ أَنَّ يُنْصَحَ <sup>(٣)</sup> عن بعضِ المَزْحِ ، وَيُحْتَجُّ لجمهور  
الجِدِّ <sup>(٤)</sup> . وكيف لنا بدم <sup>(٥)</sup> جميعِ المَزْحِ مع ما نحن ذاكرون .

وقد مَزَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم <sup>(٦)</sup> . ولا يقال : كان فيه  
مُزَاحٌ ، ولا يقال مَزَاحٌ <sup>(٧)</sup> . وكذا الأئمةُ ومن تبدَّل <sup>(٨)</sup> في بعض الحالاتِ  
من أهلِ الحِلْمِ والوقار .

وقال عمر رضوان الله تعالى عليه : « إِنَّا إِذَا خَلَوْنَا كُنَّا كَأَحَدِكُمْ » .

وقد كان عُمرُ عبوساً قطوباً .

(١) ط فقط : « أتيت » ، تحريف .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ما لا تنكث » ، تحريف .

(٣) النصيح : الدفاع والذب بالحجة . م : « ينصح » ط : « ينصح » ، محرفتان .

(٤) ط : « ويمنح » .

(٥) ط : « وكيف يتم لنا بدم » م : « وكيف لنا بدم » ، صوابهما في سائر النسخ .

(٦) بعده في ب ، ط : « وعلى آله » .

(٧) ط فقط : « مزح » ، تحريف .

(٨) ب ، م : « ومن تبدل لي » ، صوابه في ط . وفي مج ، ش : « ومن هزل » .

وكان زيادٌ مع كُلّوحيه وقُطوبيه<sup>(١)</sup> ، يمازح أهله في الخلّا كما يَجِدُ في المَلّا .

وكان الحجاج مع عُتوه وطُغيانه ، وتمرّده وشدة سلطانه ، يمازح أزواجه ويرقص صبيانَه . وقال له قائل<sup>(٢)</sup> : أَيْمازح الأَمِيرُ أهله ؟ قال : « والله إن تَرَوْنِي<sup>(٣)</sup> إِلَّا شَيْطَاناً ؟ والله لربّما رأيتُنِي وإِنِّي لأُقْبِلُ رَجُلًا لِحِداهنَّ ! » .

فقد ذكرنا خَيْرَ العالمين ، وَجِلَّةً من خيار المسلمين ، وَجَبَّاراً عَنيداً ، وَكَافِراً لَعِيناً .

وبعدُ فمن حَرَمِ المِزاح وهو شُعبةٌ من شعب السُّهولة ، وَفَرَعٌ من فروع الطَّلّاقة . وقد أَنانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحَنِيفِيَّةِ السُّمُحَةِ ، ولم يَأْتنا بالانقباض والقَسوة ، وأمرنا بإفشاء السلام ، والبِشْرِ عند الملاقاة ، وأمرنا بالتواؤدِ<sup>(٤)</sup> والتّصافح والتّهادى .

## ٧ - فصل

قد اعتذرنا<sup>(٥)</sup> في مَعْصيتك والخلافِ على مَحَبَّتِكَ مرّةً بالمزاح ، ومرّةً بالنسيان ، ومرّةً بالاتكال على عَفْوِكَ وعلى ما هو أَوْلَى بك .

(١) الكلوح : التكشر وبدو الأسنان في العبوس . والقطوب : تزوى ما بين العينين عند العبوس . ب ، م : « وكان زياد معه كلوحة وقطوبة » ، ط : « وكان معه زيادة كلوحة وقطوبة » ، صوابهما في مج ، ش .

(٢) ب : « قايّد » م ، ط : « قائد » ، صوابهما في مج ، ش . والقائل هذا هو عَنِيَسَةُ ابن سعيد ، كما سيأتى في الفصل الرابع من كتاب النساء .

(٣) كذا في جميع النسخ بحذف إحدى النونين ، وهو جائز في العربية . وفي المغني في باب النون : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك ، والإدغام ، والتلحق بنون واحدة . وقد قرئ بهن في السبعة . وعلى الأخيرة قيل النون الباقية نون الرفع ، وقيل نون الوقاية . وهو الصحيح » .

(٤) كذا بالفك في جميع النسخ ، وفي مج فقط : « بالتزاور » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « قد اعتدنا » .

والجملة<sup>(١)</sup> أنا لو تعمدا ثم أَصْرَرْنَا ثم أَنْكَرْنَا ، لكان في فَضْلِكَ ما يتغمدا<sup>(٢)</sup> ، وفي كَرَمِكَ ما يُوجِبُ التَّغافلَ عَنَّا<sup>(٣)</sup> . فكيف وَإِنَّمَا سَهَوْنَا ثم تَذَكَّرْنَا ، واعتذرنا ثم أَطْنَبْنَا .

فإِنْ تَقْبِلَ<sup>(٤)</sup> ، فحظَّكَ أَصَبْتُ ، ولنفسك نَظَرْتُ . وَإِنْ لم تَقْبِلْ فاجْهَدْ جَهْدَكَ<sup>(٥)</sup> ، ولا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ ، ولا عفا عنك إِنْ عَفَوْتَ . وأقول كما قال أخو بني مُنْقَرٍ<sup>(٦)</sup> :

فما بُقِيَا عَلَى تَرْكْتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ<sup>(٧)</sup>

والله لَئِنْ رَمَيْتَنِي بِبَجِيلَةٍ لَأَرْمِيَنَّكَ بِكِنَانَةٍ ، وَلَئِنْ نَهَضْتَ بِصَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ لَأَنهَضَنَّ بِإِسْمَاعِيلِ بْنِ عَلِيٍّ<sup>(٨)</sup> ، وَلَئِنْ صُلْتُ عَلَى بَسْلِمَانَ بْنِ وَهْبٍ<sup>(٩)</sup> لَأَدْمِغَنَّكَ بِالْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ ، وَلَئِنْ تَهَيْتَ<sup>(١٠)</sup> عَلَى بِنَادِمَةِ جَعْفَرِ الْخِيَاطِ<sup>(١١)</sup>

(١) مج ، ش : « وفي الجملة » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ما يتغمده » .

(٣) ما عدا مج ش : « التغافل عنه » .

(٤) ب ، م : « فلم تقبل » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) مج ، ش : « فاجهد جهدك ثم اجهد جهدك » .

(٦) هو اللعين المنقري . الحيوان ١ : ٢٥٦ واللسان ( صرد ٢٣٦ ، بقي ٨٦ ) .

(٧) البيت من أبيات يخاطب بها جريراً والفرزدق . والصرد : الإصابة ، والخطأ ، فهو من الأضداد . فعلى الأول يراد : خفتاً أن تصيب نبالي ، وعلى الثاني يراد : خفتاً أن تخطيء نبالكما . والبقياء : الاسم من قولهم : أبقيت على فلان ، : إذا أُرغيت عليه ورحمته .

(٨) مج ، ش : « بأحمد بن خلف وإسماعيل بن علي . وإسماعيل هو ابن علي بن عبد الله ابن العباس . وهو عم السفاح والمنصور . ولي لأبي جعفر فارس والبصرة . المعارف ١٦٣ والطبرى ٨ : ٨٥ .

(٩) ابن وهب ساقطة من ب .

(١٠) ب ، م : « بهت » ، صوابه في سائر النسخ .

(١١) هو جعفر بن دينار الخياط ، أحد قواد المأمون والمعتصم والمستعين والواثق والمتوكل . وجهه المأمون سنة ٢١٥ إلى صاحب حصن سنان في حرب الروم . كما وجهه المعتصم سنة ٢٢٢ إلى الأفشين مدداً له . الطبرى ٨ : ٦٢٣ و ٩ : ٢٩ .



لَأَتِيَهُنَّ (١) عَلَيْكَ بِحَسْبَةِ (٢) وَهَبِ الدَّلَالَ (٣) .

وَأَنَا أَرَى لَكَ أَنَّ تَقْبَلَ الْعَافِيَةَ ، وَتَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّلَامَةِ .  
وَاحْذَرِ الْبَغْيَ فَإِنَّ مَصْرَعَهُ وَخِيمٌ ، وَاتَّقِ الظُّلْمَ فَإِنَّ مَرَعَاهُ وَبِيلٌ .  
وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لَجَرِيرٍ إِذَا هَجَا ، وَلِلْفَرَزْدَقِ إِذَا فَخَرَ ، وَلِهَرُثْمَةَ  
إِذَا دَبَّرَ (٤) ، وَلَقَيْسَ بْنِ زُهَيْرٍ إِذَا مَكَرَ (٥) ، وَلِلْأَغْلَبِ إِذَا كَرَّ (٦) ،  
وَلِطَاهِرٍ إِذَا صَالَ (٧) . وَمَنْ عَرَفَ قُدْرَهُ عَرَفَ قَدْرَ خَصْمِهِ ، وَمَنْ جَهِلَ  
نَفْسَهُ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ غَيْرِهِ .

وَعَلَيْكَ بِالْجَادَّةِ وَدَعِ الْبُنَيَاتَ (٨) فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْثَلُ لَكَ .

(١) ما عدا مج ، ش : « لأتهن » .

(٢) ب : « بحسبة » . تحريف ما أثبت من م ، ط . والحسبة : الاكتفاء ، والمراد بكفايته لى . وفى مج مع تصحيح : « بمجالسة » ، وفى ش : « بحسبة » .

(٣) فى البيان ٤ : ١٣ من يدعى وهبا المحتسب .

(٤) هرثمة بن أعين : قائد عباسى ، ولاء الرشيد مصر ثم أفريقية ، ثم عقد له على خراسان  
ثم قاد الجيوش المأمون أيام الفتنة ، تم حبسه حتى مات سنة ٢٠٠ . النجوم الزاهرة والطبرى  
فى حوادث سنة ٢٠٠ .

(٥) قيس بن زهير سيد بنى عبس ، وكان يقال فيه « أدهى من قيس بن زهير » . جمهرة  
العسكري ١ : ٥٤٧ والميدانى ١ : ٢٥٠ والمستقصى ١ : ١٢١ .

(٦) الأغلب بن جشم بن سعد بن عجل بن لجيم ، العجلي ، وهو أحد المعمرين ، عمر  
فى الجاهلية عمراً طويلاً ، وأدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه وهاجر ، ثم كان فيمن توجه إلى  
الكوفة مع سعد بن أبى وقاص ، فنزلها واستشهد فى وقعة نهاوند ، فقبره هناك فى قبور الشهداء .  
وانظر أخباره فى الأغاني ١٨ : ١٦٤ - ١٦٧٩ والشعراء ٥٩٥ .

(٧) طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن حنظلة الرستمي ، من ولد رستم بن دستان  
وهم موالى خزاعة فى الإسلام وإليهم ينتمون ، وقد نذبه المأمون للقاء على بن عيسى بن ماهان قائد  
الأميين ، فهزم جيشه وفض جموعه سنة ١٩٥ فحينئذ سلم على المأمون بإمرة المؤمنين ، وسعى  
طاهر ذا اليمينين ، لأن المأمون كتب إليه لما فرغ من أمر المخلوع : يا أبا الطيب ، يمينك يمين  
أمير المؤمنين ، وشمالك يمين فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين . التنبيه والإشراف ٣٠٠ - ٣٠١  
ونمار القلوب ٢٩١ .

(٨) البنات : جمع بنية ، تصغير ابنة . وبنيات الطريق ، هى الصعاب والمعاسف . يقال  
للرجل فى العوط : ألزم الجادة ودع بنيات الطريق . وقال محمود الوراق :

تتكب بنيات الطريق وجورها فإنك فى الدنيا غريب مسافر

نمار القلوب ٢٧٨ . وفى اللسان ( بنى ٩٨ ) أن بنات الطريق هى الطرق الصغار تتشعب  
من الجادة ، وتسمى أيضاً الترهات .

وَأَنْتَ - وَاللَّهِ يَا أَخِي - تَعْلَمُ عِلْمَ الْاضْطِرَارِّ وَعِلْمَ الْاِخْتِيَارِ وَعِلْمَ الْأَخْبَارِ ،  
 أَنْتَى <sup>(١)</sup> أَظْهَرُ مِنْكَ حَرْباً ، وَأَلْطَفُ كَيْدًا ، وَأَكْثَرُ عِلْمًا ، وَأَوْزَنُ حِلْمًا ،  
 وَأَخْفُ رُوحًا ، وَأَكْرَمُ عَيْنًا ، وَأَقْلُ غَشًّا <sup>(٢)</sup> وَأَحْسَنُ قَدًّا وَأَبْعَدُ غَوْرًا ،  
 وَأَجْمَلُ وَجْهًا ، وَأَنْصَعُ ظَرْفًا <sup>(٣)</sup> . وَأَكْثَرُ مِلْحًا <sup>(٤)</sup> ، وَأَنْطَقُ لِسَانًا  
 وَأَحْسَنُ بَيَانًا ، وَأَجْهَرُ جَهَارَةً ، وَأَحْسَنُ شَارَةً <sup>(٥)</sup> .

وَأَنْتَ رَجُلٌ تَشْدُو مِنَ الْعِلْمِ ، وَتَنْتِفُ مِنَ الْأَخْبَارِ <sup>(٦)</sup> ، وَتَمُوهُ نَفْسَكَ <sup>(٧)</sup> ،  
 وَتُعِزُّ مِنْ قَدْرِكَ ، وَتَنْهِيًا بِالْثِيَابِ ، وَتَتَنَبَّلُ بِالْمَرَائِبِ ، وَتَتَجَبَّبُ بِحُسْنِ  
 اللَّقَاءِ <sup>(٨)</sup> ، لَيْسَ عِنْدَكَ إِلَّا ذَاكَ . فَلِمَ تُزَاجِمُ الْبَحَرَ بِالْجَدَاوِلِ <sup>(٩)</sup> ،  
 وَالْأَجْسَامَ بِالْأَعْرَاضِ ، وَمَا لَا يَتْنَاهَى بِالْجُزْءِ الَّذِي لَا يَتَجَزَّأُ .

فَأَمَّا الْبَادُ وَالْقَامَةُ <sup>(١٠)</sup> ، فَمَنْ يَعْدِلُ بَيْنَ الْقَنَاةِ وَالْكُرَّةِ ، وَمَنْ يَمِيلُ  
 بَيْنَ النَّخْلَةِ وَالْدَّقْلِ <sup>(١١)</sup> ، وَبَيْنَ رَحَى الطَّحَّانِ وَبَيْنَ سَيْفِ يَمَانٍ . وَإِنَّمَا  
 يَكُونُ التَّمْيِيلُ <sup>(١٢)</sup> بَيْنَ أَتَمِّ الْخَيْرَيْنِ وَأَنْقَصِ الشَّرَّيْنِ ، وَبَيْنَ الْمُتَقَارِبَيْنِ

(١) ب ، م : « أَى » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الغث : الردىء من كل شىء . ب : « غشا » ش : « عيبا » ، وأثبت ما فى سائر النسخ .

(٣) الناصع : الخالص الواضح . ط فقط : « طرفا » .

(٤) المملح ، بالكسر : الحسن . يقال ملىح يملح ملىحة وملاحة وملحاً ، أى حسن .

(٥) الشارة : الحسن والهيئة واللباس . ط ، مج ، ش : « إشارة » .

(٦) تنتف : الانزعاج . ويقال رجل نتفة ، بضم ففتح ، ينتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه .

(٧) أصل التثوية الطلاء بالذهب أو بالفضة .

(٨) ما عدا مج ، ش : « لحسن اللقاء » .

(٩) ما عدا مج : « البحر بالجداول » . والجدول بفتح الجيم وكسرها : النهر الصغير ،

(١٠) الباد : أصل الفخذ . ب ، م : « فاملك الباد والعامه » ط : « فإنك الباد والعامه »

صوابهما فى مج ، ش .

(١١) ما عدا ب : « يمثل » . والمتمثيل بين الشئيين : الموازنة بينهما . وانظر الحيوان ٢ : ٩٨ ،

١٥١ واللسان ( ميل ١٦٠ ) . ب ، م : « النخلة » ، صوابه فى سائر النسخ . والدقل : ضرب

من النخل ردىء الثمر . ب ، م : « والدكل » ط : « والدكلى » ، صوابهما فى مج ، ش .

(١٢) فى جميع النسخ : « التمثيل » ، والوجه ما أثبت .

دون المتفاوتين . فأمَّا الخَلُّ والعَسَل ، والحَصَاة والجَبَل ، والسَّمُّ والغِذاء ، والفقْر والغنى <sup>(١)</sup> ، فهذا مما لا يَخْطُأ فيه الذَّهْن <sup>(٢)</sup> ولا يَكْذِب فيه الحِس .

والخطأ ثلاث : خطأ الحِس ، وخطأ الوَهْم ، وخطأ الرأى . كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير <sup>(٣)</sup> ، والتقويم والتأنيب <sup>(٤)</sup> .

والعمد نوع واحد ، وسبيله القَمْع والحَظَر ، والضَّرْب والقتل . وأوَّل ذلك أن يهجره صاحبُ الحكمة <sup>(٥)</sup> ، ولا يُطعمه في وعظٍ ولا مجالسة .

وقد رأيتَ مَنْ يعاند الحقَّ إذا كانت المعرفة عِياناً . وأنت لا ترضى بجحد العِيان <sup>(٦)</sup> حتَّى تدعوَ إليه ، ولا ترضى بالدُّعاءِ إليه حتَّى تعادى فيه ، ولا ترضى بالعداوة حتَّى يكون لك في ذلك الرياسة <sup>(٧)</sup> ، ولا ترضى بالرياسة دون السابقة <sup>(٨)</sup> ، ولا بالطَّارف دون النَّالِد ، ولا بالنَّالِد دون الأعراقِ التي تسرى ، والمواليد التي تنمى . ولا ترضى بأن يكون أوَّلًا حتَّى تكون آخرًا <sup>(٩)</sup> ، ولا بالمداواة دون المباداة <sup>(١٠)</sup> ،

(١) ب فقط : « والغنا » .

(٢) هذا ما في ب . يقال خطي \* يخطأ خطأ ، من باب فرح . م ، ط : « يخطئ » مسهل أخطأ يخطئ \* . وفي مج ، ش : « يخطئ \* » .

(٣) م فقط : « الثنية » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « والثانيث » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) ش فقط : « أن يهجره صاحب الحكمة » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « بجحة العيان » .

(٧) مج ، ش : « لك فيه الرياسة » ، وأثبت ما في م ، ب . وفي ط : « لك الرسالة » وهذه محرفة .

(٨) كلمة « دون » ساقطة من ط . والسابقة : السبق والتقدم .

(٩) ب : « ولا يرضى بأن يكون أوَّلًا حتَّى يكون آخرًا » . ومثله في م مع البدء بقوله : « ولا يرضى » . مج ، ش ، ط : « ولا ترضى بأن تكون أوَّلًا حتَّى تكون آخرًا » . ولعل الوجه ما أثبت .

(١٠) المباداة : المجاهرة كما سبق في

ولا بالجدال دون القتال . وحتى ترى أَنَّ التقيَّةَ حرامٌ<sup>(١)</sup> وَأَنَّ التقصير كُفْرٌ .

وحتى لو كنت إمامَ الرافضة لَقُتِلْتَ في طرفةٍ<sup>(٢)</sup> ولو قُتِلْتَ في طرفةٍ<sup>(٣)</sup> هلكت الأمة ، لأنَّكَ رجلٌ لا عَقِبَ لَكَ . والإمامةُ<sup>(٤)</sup> لا تصلح اليوم<sup>(٥)</sup> في الإخوة ، ولو صلحت في الإخوة<sup>(٦)</sup> كانت تصلح في ابن العمِّ ، ثم دنت من الأرحام شيئاً<sup>(٧)</sup> فصارت لا تصلح إلا في الولد . وفي هذا القياس أَنَّها بعد أعوامٍ لا تصلح<sup>(٨)</sup> إلا ببقاء الإمام نفسه إلى آخر الأبد . وهذا هو علَّةُ أصحاب التناسخ<sup>(٩)</sup> . وأنت رافضىٌ ولم يكن هذا عندك .

فأهدِ إِلَى الآن من خالص التوتيا<sup>(١٠)</sup> كما أهديت إليك بابَ التناسخ .

وَأنت ترى القتل في حقِّ المعاندة شهادةً ، وترى أَنَّ مُبَايَنَةَ

(١) التقيَّة : أن يظهر أمراً وباطنه بخلاف الظاهر ، يفعل ذلك اتقاء .

(٢) ب : « لو قُتِلْتَ في طرفة » ، م : « لو قُتِلْتَ في طرفة » ، ط : « وكنت في طرف » ، والصواب من مج ، ش . والمراد طرفة عين .

(٣) التكلة من مج ، ش .

(٤) ب : « والإمامة » م : « والإمامة » ، والصواب في سائر النسخ .

(٥) التكلة من مج ، ش .

(٦) مج ، ش : « ثم إنها دنت من الأرحام بعد ذلك » .

(٧) ب ، م فقط : « لا يصلح » ، تحريف .

(٨) مج ، ش : « المناسخة » .

(٩) ب ، م : « فأهد الآن الآن من خالص التوتيا » ط : « فأهد الآن من لبن التوتيا » صوابهما في مج ، ش . وفي اللسان : « التوتيا » معروف حجر يكتحل به . وهو باللاتينية : ( Tutia ) وبالإجليزية : ( Tuty ) . وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها أكسيد الزنك غير النقي . قال داود : « وأصل التوتيا إما معدني يوجد فوق الأقليميا ... وإما مصنوع من الأقليميا المسحوقة » .

المنصفين في تعظيم العُهود سعادة<sup>(١)</sup> ، وأنَّ الرياسة في دفع الحقائق  
مرتبة ، وأنَّ الإقرار بما يظهر للعيون ضعة<sup>(٢)</sup> ، وأنَّ الشهرة<sup>(٣)</sup> بالمغالبة  
رفعة .

أظهر القوم عندك حجةً أرفعهم صوتاً ، [وأخلقهم<sup>(٤)</sup>] للتوبة  
أصلبهم وجهاً ، وأحسنهم تقيّةً أقلهم تحرجاً<sup>(٥)</sup> ، وأحسنهم إنصافاً  
أشدّهم شغباً .

تعشق المشهور<sup>(٦)</sup> ، وتكلّف بالجموح ، وتُصافى الوقاح . والأديبُ  
عندك من يعيب أحاديثَ الجلساء ، واعتراض<sup>(٧)</sup> على نوادر الإخوان ،  
وعمز في قفا النديم<sup>(٨)</sup> ، ونصب للعالم ، وأبغض العاقل<sup>(٩)</sup> ، واستثقل  
الظريف ، وحسد على كلّ نعمة ، وأنكر كلّ حقيقة .

جعلتُ فداك . إنّما أخرجك من شيء إلى شيء<sup>(١٠)</sup> ، وأوردُ عليك  
البابَ بعد الباب ، [لأنَّ<sup>(١١)</sup>] من شأن الناس مَلالةَ الكثير ، واستثقالَ  
الطويل وإن كثرت محاسنه وجمت فوائده . وإنّما أردتُ أن يكون  
استطرافك للآتي<sup>(١٢)</sup> قبل أن ينقضى استطرافك للماضي ؛ ولأنّك متى

(١) العُهود ، بالضم : الميل والجور عن القصد . ما عدا مج ، ش : « العمود » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « بما يظهر العيون » وفي م أيضاً : « صفة » ، تحريف .

(٣) ما عدا مج ، ش : « الشهوة » ، تحريف .

(٤) التكلة من مج ، ش .

(٥) ما عدا مج ، ش : « وأحسنهم بغية أقلهم خرجاً » ، تحريف .

(٦) مج : « المتهود » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « وأعرض » ، صوابه في سائر النسخ .

(٨) كناية عن الغيبة . والغمز : العيب .

(٩) ب ، م : « للعاقل » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٠) م ، ط : « من موسى إلى شيء » ، تحريف .

(١١) التكلة من مج ، ش .

(١٢) مج ، ش : « للآتي » .

كنت للشيء متوقعاً ، وله منتظراً<sup>(١)</sup> ، كان أحظى<sup>(٢)</sup> لما يَرِدُ عليك ، وأشهى لما يَهْدَى إليك . وكلُّ منتظرٍ معظَّم ، وكلُّ مأمولٍ مكرَّم .

كلُّ ذلك<sup>(٣)</sup> رغبةٌ في الفائدة ، وصِابةٌ بالعلم ، وكلَّفاً بالاعتباس ، وشُحاً على نصيبِ منك ، وضناً بما أوَّملُهُ عندك ، ومداراةً لطِباعِكَ ، واستزادةً من نشاطك . ولأنَّك على كلِّ حالٍ بشرٌ ، ولأنَّك مُتناهى القوَّة مدبِّر .

## ٨ - فصل

والعقلُ - حفظك الله - أطولُ رقدة من العين<sup>(٤)</sup> ، وأحوج إلى الشَّحذ من السيِّف<sup>(٥)</sup> ، وأفقر إلى التَّعاهُد ، وأسرعُ إلى التَّغْيِر ، وأدواؤه أَقْتَل ، وأطبَّأؤه أَقَلُّ . فمن تداركه قبل التَّفاقُم أدرك أكثر حاجته ، ومن رامه بعد التَّفاقُم لم يدرك<sup>(٦)</sup> شيئاً من حاجته .

ومن أكبر أسباب العلم كثرةُ الخواطر ، ثمَّ معرفةُ وجوه المطالب . [ثمَّ<sup>(٧)</sup>] في الخواطر الغثُ والسَّمين ، والفسادُ والصَّحيح ، والمسرُعُ إليك والبطيءُ عنك ، والدَّقِيق الذي لا يكاد يُفْهَم ، والجليل الذي لا يَلْقَى الفَهم . ثم هي على طبقاتها في التَّقديم والتَّأخير ، وعلى منازلها في التَّبَايُن [والتَّمْيِيز<sup>(٨)</sup>] .

(١) مج ، ش : « منتظراً وله متوقعاً » .

(٢) م فقط : « أحظاً » ، محرف .

(٣) ط : « وذلك » .

(٤) ب فقط : « رفدة من العين » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « من الشَّيب » ، تحريف .

(٦) ب ، م : « ولم يدرك » . والواو مقحمة .

(٧) التَّكَلُّم من مج ، ش .

(٨) التَّكَلُّم من مج ، ش .

وللمطالِب طُرُق ، وَلَدَرْكُ الحَقَائِقِ أَبْوَابٌ ؛ فَمَنْ أَخْطَأَهَا وَانْتَظَرَ<sup>(١)</sup> كانَ أَسْوَأَ حَالًا مِمَّنْ لَمْ يَخْطِئْهَا وَلَمْ يَنْتَظِرْ<sup>(٢)</sup> . وَعَلَى قَدْرِ صِحَّةِ الْعَقْلِ يَصِحُّ الْخَاطِرُ ، وَعَلَى قَدْرِ التَّفَرُّغِ يَكُونُ التَّنْبَهُ .

هذا<sup>(٣)</sup> جِمَاعُ هَذَا الْكِتَابِ وَجَمْعُهُ ، وَأَقْسَامُهُ وَجَمَلُهُ .

ثُمَّ مِنْ أَنْفَعِ أَسْبَابِهِ الْحِفْظُ لِمَا قَدْ حُصِّلَ ، وَالتَّقْيِيدُ لِمَا وَرَدَ ، وَالِانْتِظَارُ لِمَا لَمْ يَرِدْ<sup>(٤)</sup> ، وَأَنْ لَا تُخْلِيَ نَفْسَكَ مِنَ الْفِكْرَةِ إِلَّا بِقَدْرِ جَمَامِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مَكَانَ الدَّرْسِ مِنَ الْحِفْظِ كَمَكَانِ الْحِفْظِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَأَنْ تَعْرِفَ فَضْلَ<sup>(٥)</sup> مَا بَيْنَ طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْمُنَافَسَةِ وَالشُّهُرَةِ<sup>(٦)</sup> ، وَبَيْنَ طَلَبِهِ لِلرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَجُودُ بِمَكُونِهِ ، وَلَا يَسْمَحُ بِسَرِّهِ وَمَخْزُونِهِ ، إِلَّا لِمَنْ رَغِبَ فِيهِ لِكَرَمِ عُنْصُرِهِ ، وَفَضَّلَهُ لِحَقِيقَةِ جَوْهَرِهِ ، وَرَفَعَهُ عَنِ التَّكَسُّبِ ، وَصَانَهُ عَنِ التَّبَدُّلِ . وَأَنَّهُ لَا يُعْطِيكَ خَالِصَ الْحِكْمَةِ حَتَّى تُعْطِيَهُ خَالِصَ الْمَحَبَّةِ . كَانَ يُقَالُ : « مَنْ شَابَ شَيْبَ لَهُ »<sup>(٧)</sup> .

وُخْصَلَةُ يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَهَا وَتَقِفَ عِنْدَهَا<sup>(٨)</sup> ، وَهُوَ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ الْعِلْمِ

(١) ما عدا مج ، ش : « ونظر » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « ولم ينظر » .

(٣) مج ، ش : « هذه » . وجماع كل شيء : مجتمع أصله ، والجامع للأشياء الشامل ما فيها

(٤) ب : « وانتظار كما لم يرد » ، صوابه في م ، ط . وفي مج ، ش : « والانتظار

لما يرد » .

(٥) الفصل : الفرق . ما عدا مج ، ش : « فضل » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « للمناسبة والشهوة » . وفي مج ، ش : « للمنافسة والشهوة »

والوجه ما أثبت .

(٧) الشوب : الخلط .

(٨) م : « وخصلة ينبغي أن يعرفها ويقف عندها وهو أن يبدأ من العلم بالمهم ويختار »

.. إلخ ، تحريف . وفي مج ، ش : « وخصلة ينبغي أن تعرفها وتصطنعها وتذكرها وتقف عندها » .

بالمهم<sup>(١)</sup> ، وتختار من صنوفه ما أنت أنشط له<sup>(٢)</sup> ، والطبيعة به أعنى ؛  
فإنَّ القبول<sup>(٣)</sup> على قدر النشاط ، والبلوغ فيه على قدر العناية .

ثم من أفضل أسبابه تخليص أخلاقه<sup>(٤)</sup> ، وتمييز أجناسه ، والمعرفة  
بأقداره ، حتى تُعطى كل معنى حقه من التقريب والرفعة<sup>(٥)</sup> ، وقسطه  
من الأبعاد والضعة ، حتى لا تتشاغل<sup>(٦)</sup> إلا بالسَّمين الثمين ، وبالخطير  
النقيس ، ولا تلقى إلا الغث الخسيس ، والحقير السخيف . فإنَّك متى  
كنت كذلك لم تعتبر فضل<sup>(٧)</sup> ما بين النظَّرين ، ولا صرف ما بين  
النَّعتين<sup>(٨)</sup> .

الكيس كل الكيس ، والجذق كل الجذق : أن لا تعجل ولا تبطل ،  
وأن تعلم أن السرعة غير العجلة ، وأن الأناة خلاف الإبطاء . وأن تكون  
على يقين من ذلك الحق إذا وفَّيته شرطه<sup>(٩)</sup> ، وعلى ثقة من ثواب  
النظر إذا أعطيته حقه .

هذا<sup>(١٠)</sup> جملة ما للعدو في هذه المسألة ، وجملة الحجَّة فيما قدمنا  
من الافتنان والإطالة . فإنَّ كُنَّا أصبنا فالصواب أردنا ، وإنَّ كُنَّا أخطأنا  
فما ذاك عن فساد من الضمير ، ولا قلة احتفال بالتقصير . ولعلَّ طبيعة

(١) ما عدا مج ، ش : « ما أنت أبسط له » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « فإنَّ القول » ، تحريف .

(٣) ما عدا مج ، ش : « تلخيص » . والتلخيص : التبيين والشرح .

(٤) ما عدا مج ، ش : « حتى يعطى كل معنى حقه من التقرب والرفعة » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « حتى لا يتشاغل » .

(٦) ش : « لم تميز فضل » ، مج : « لم تميز فضل » .

(٧) ط ، مج ، ش : « ولا فرق ما بين النعتين » . والصرف : الزيادة والفضل .

(٨) ب فقط : « أوفيته » .

(٩) مج ، ش : « هذه » .



خانت ، أو لعل عادةً جذبت<sup>(١)</sup> ، أو لعل سهواً اعترض ، أو لعل شغلاً منع .

خفّض عليك أيها السامع ، فإنّ الخطأ كثير عام<sup>(٢)</sup> ، وغالب مستوّل ، والصواب قليل خاص ، ومقموع مستخف .

فوجّه اللائمة إلى أهلها ، وألزمها من هو أحق بها ، فإنهم كثير ومكانهم مشهور<sup>(٣)</sup> .

اعجب من الصواب لا تعجب من الخطأ . اعجب من أنّ العجب قد ذهب . اعجب ممن تعجب وفيه العجب أعجب . وكيف التعجب والأمر كلها عجب<sup>(٤)</sup> ؟!

كنت<sup>(٥)</sup> أتعجب من كلّ فعل خرج من العادة ، فلما<sup>(٦)</sup> خرجت الأفعال بأسرها من العادة صارت<sup>(٧)</sup> بأسرها عجباً ، فبدخول كلّها في باب العجب خرجت بأجلها من باب العجب .

وقد ذكر<sup>(٨)</sup> الله تعالى ذكره التعجب في كتابه جلّ جلاله . وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في زمانه ، وفي الناس

(١) مج ، ش : « أو لعل علة حدث » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « كبير عام » ، تحريف .

(٣) ما عدا مج ، ش : « ومكانك مشهور » .

(٤) هذه الفقرة كلها ليست في مج ، ش . وهي نص ما في م ، ط . لكن في ب : « أعجب

الصواب لا تعجب وفيه العجب أعجب . وكيف التعجب والأمر كلها عجب » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « كيف » .

(٦) ما عدا مج ، ش : « كما » .

(٧) من العادة ، ساقطة من ط . وفي ب ، م : « سارت » ، وفي ط : « وسارت » ،

تحريف .

(٨) ما عدا مج ، ش : « وقد ذكرنا » ، تحريف .

يومئذ الناقص والوافر ، المشوب والخالص ، والمستقيم والمعوج . وقال الله تبارك وتعالى لنبهه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ <sup>(١)</sup> ﴾ ، وقال له <sup>(٢)</sup> : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ <sup>(٣)</sup> ﴾ .

واعلم أنه لم يبق من المتعجب الفاتك <sup>(٤)</sup> إلا نصيب اللسان ، ولا من المستمع الفاتك <sup>(٥)</sup> إلا حصة السمع . فأما القلوب فخاوية قاسية ، وراكدة خامدة ، لا تسمع داعياً ولا تجيب سائلاً ، قد أغفلها سوء العادة <sup>(٦)</sup> ، واستولى عليها سلطان السكر <sup>(٧)</sup> .

فدغ عنك ما لست مثله <sup>(٨)</sup> ، فإن فيما أورده عليك شغلاً شاغلاً <sup>(٩)</sup> ، وهماً داخلاً .

اعلم أن الله تعالى قد مسخ الدنيا بحذافيرها ، وسلخها من جميع معانيها . ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين قرده ، أو كما مسخ بعض الأمم خنازير ، لكان قد بقى بعض أمورها ، وحبس عليها بعض أعراضها ، كبقية ما مع القرد في ظاهره <sup>(١٠)</sup> من شبه الآدمي ، وبقية ما مع الخنزير

(١) الآية ٥ من سورة الرعد .

(٢) له ، ساقطة من مج ، ش ، ط .

(٣) الآية ١٢ من سورة الصافات .

(٤) الفاتك : كل من يهجم على الأمور العظام غير مبال بما يفعل ، وأصل الفتك القتل

مجاهرة . ما عدا مج ، ش : « القاتل » .

(٥) ما عدا مج ، ش : « القاتل » .

(٦) أغفلها : جعلها غافلة .

(٧) السكر : حالة بين العقل وعدمه ، وغلبة اللذة على الشباب . ما عدا مج ، ش

« السكر » .

(٨) مج ، ش : « ما لست منه » .

(٩) ما عدا مج ، ش : « وعليك شغلاً شاغلاً » ، تحريف .

(١٠) ب ، م : « في ظاهره » ، تحريف .

في باطنه من شبه البشري<sup>(١)</sup> . لكنه جل ذكره مسح الدنيا مسخاً متتبّعاً ، ومُستقصى مستفرغاً ، فَبَيَّنَ حَالِيهَا<sup>(٢)</sup> جميع التضاد ، وبين معنييها<sup>(٣)</sup> غاية الخلاف .

فالصوابُ اليومَ غريب ، وصاحبُه مجهول . والعجب ممن<sup>(٤)</sup> يصيب وهو مغمور ، ويقول وهو ممنوع ، فإن صرتَ عليه عوناً مع الزَّمان قتلته ، وإن أمسكت عنه فقد وفَّرتَه<sup>(٥)</sup> .

ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ، ولا التأنيس ولا التعزية<sup>(٦)</sup> . وكيف أطلب منك ما قد انقطع سببه ، واجتثَّ أصله . وقد كان يقال : « مَنْ طَلَبَ عِيْباً وَجَدَهُ » .

هذا في الدهر الصَّالح دون الفاسد . فإن أنصفتَ فقد أغربت ، وإن جُرتَ فلم تعدْ ما عليه الزَّمان .

وهَبَ اللهُ لنا ولك الإنصاف ، وأعادنا وإياك من الظلم . والحمد لله كما هو أهله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(٧)</sup> .

وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد خاصة ، وعلى أنبيائه عامة ، وسلَّم .

(١) م ، ط : « البشر » .

(٢) ما عدا مج ، ش : « حالهما » .

(٣) ما عدا مج ، ش : « معنيهما » .

(٤) ما عدا مج ، ش : « من » .

(٥) مج ، ش : « رقدته » .

(٦) م : « ولا التأنيث ولا التفرية » ، تحريف .

(٧) العلي العظيم ، من ب فقط . وبدل هذا في كل من مج ، ش : « وهو حسبتا ونم

الوكيل والمعين » ، كما أن عبارة الصلاة والتسليم التالية ليست فيهما .



٤

من رسالة في

مدح النبيذ وصفة أصحابه

إلى الحسن بن وهب



## فصل

من صدر رسالته إلى الحسن بن وهب<sup>(١)</sup>

في مدح النبيذ وصفة أصحابه

أنا - أبقاك الله - الطالبُ المشغول ، والقائلُ المعذور ، فإنْ رأيتَ خطاً فلا تنكر فإنِّي بصَدَدِهِ وبَعَرَضٍ مِنْهُ ، بل في الحال التي تُوجِبُهُ<sup>(٢)</sup> ، والسَّبَبُ الذي يُوَدِّى إِلَيْهِ . وإنْ سمعتَ تسديداً فهو الغريب الذي لا نَجْدَهُ<sup>(٣)</sup> . اللهم إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَرَكَةِ مَكَاتِبِكَ ، وَيُؤْمِنَ مَطَالِبَتِكَ . وَلَآنَ ذَكَرَكَ يَشْحَذُ الذَّهْنَ ، وَيَصَوِّرُكَ فِي الْوَهْمِ ، وَيَجْلُو الْعَقْلَ ؛ وَتَأْمِيلَكَ يَنْفِي الشُّغْلَ .

ولا يُعْجِبُنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ قَلَّةِ إِطْنَابِكَ<sup>(٤)</sup> في هذا النَّبِيذِ ، وَقَلَّةِ تَلْهِيكِ بِهَذَا الشَّرَابِ وَأَنْتَ تَجِدُ مِنْ فَضْلِ الْقَوْلِ وَحُسْنِ الْوَصْفِ مَا لَا يُصَابُ عِنْدَ خَطِيبٍ ، وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ بَلِغٍ . وَأَنْتَ وَلَوْ مَشَيْتَ الْخِيَلَاءَ ، وَحَقَّرْتَ الْعِظَمَاءَ ، وَأَرْغَبْتَ الشُّعْرَاءَ . وَأَعْطَيْتَ الْخُطَبَاءَ ، لِيَكُونَ الْقَوْلُ مِنْهُمْ مَوْصُولًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ ، وَمَبْسُوطًا غَيْرَ مَقْصُورٍ ، لَكُنْتَ بَعْدُ مَقْصُورًا فِي أَمْرِهِ ، مَفْرُطًا فِي وَاجِبِ حَقِّهِ . فَلَا تَأْدِيبَ اللَّهُ قَبِلْتَ ، وَلَا قَوْلَ النَّاصِحِ سَمِعْتَ .

(١) الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين ، كاتب شاعر ، كان معاصراً لأبي تمام والبحتري ، ومحمد بن عبد الملك الزيات . وقد رثاه البحتري بعد وفاته ، فوات الوفيات ١ : ٢٦٧-٢٦٩ . وفي سنة ٢٢٩ يذكر الطبري أن الخليفة الواثق ألزمه فيمن ألزمهم من الكتاب أن يؤدي أربعة عشر ألف دينار ، كما ألزم أخاه سليمان بن وهب كاتب إيتاخ أن يؤدي أربعة آلاف دينار .

(٢) ب : « يوجبه » ، صوابه في م ، ط .

(٣) ط : « لا تجده » بالتاء .

(٤) الإطناب : المبالغة في المدح أو الذم . والمطنب : المداح لكل أحد . ب : « أطنابك »

تحرير ، وفيها أيضاً : « ولم يعجبني » .

قال الله تبارك وتعالى<sup>(١)</sup> : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ<sup>(٢)</sup>﴾ . وقال الأول : « استديم النعمة بإظهارها ، واستزِد الواهب بإدامة شكره<sup>(٣)</sup> » . بل كيف أنست بالجلساء<sup>(٤)</sup> ، وأرسلت إلى الأطباء ولم يكن في قربك [منه<sup>(٥)</sup>] ما يغنيك ، وفي انظر إليه ما يشفيك ؟ ولم ملكت نفسك دون أن تهدي<sup>(٦)</sup> ، ولم رأيت الوقار مروءة قبل أن تستخف<sup>(٧)</sup> ولم كان الهذيان هو الهذيان ، والسُخف هو المروءة ، والتناقض هو الصِّحة وإلا بآى شيء خصصت<sup>(٨)</sup> ، وبآى معنى أتيت<sup>(٩)</sup> ، ولم لم تخلع فيه العذار ، ولم تخرج فيه عن كل مقدار<sup>(١٠)</sup> .

وأى شيء أجرب جلدك وأمات حالك . وأضعف مسرتك<sup>(١١)</sup> ، وأوحش منك رفيقك ، إلا العقوبة المحضة ، وإلا الغضب والعقاب ، وحرمت الثواب إلا التهاون في أمره ، وقلة الرعاية لحقه .

وكيف صارت أمراضى أمراض الأغنياء وأمراضك أمراض الفقراء إلا لمعرفة بفضله ، واستخفافك بقدره . ألا ترى أنى منقرس مفلوج ، وأنت أجرب مبسور<sup>(١٢)</sup> .

( ١ ) بدله في ط : « سمعت قول الله تبارك وتعالى » بتكرار « سمعت » .

( ٢ ) الآية ١١ من سورة الضحى .

( ٣ ) ط : « المواهب بإدامة شكرها » .

( ٤ ) ب ، م : « أيسر بالجلساء » ، تحريف .

( ٥ ) التكلة من م .

( ٦ ) ب ، م : « أن تهدي » بالبدال المهملة .

( ٧ ) ب : « تستخفي » .

( ٨ ) ب ، م : « خصصته » .

( ٩ ) ب ، م : « أتيت » .

( ١٠ ) ب ، م : « من كل مقدار » .

( ١١ ) ب ، م : « وضعف مسرتك » .

( ١٢ ) المبسور : من به البواسير . والباسور : علة تحدث في المقعدة . وفي جميع النسخ :

« مستور » ، ولا وجه له .



فإنْ تُبِتَ فما أَقْرَبَ الفَرَجَ ، وأسْرَعَ الإِجابة . وسنفرُغُ لك إنْ شاءَ الله قريباً ، وتفلح سريعاً .

وإنْ أَصْرَرْتَ وتتابعت وتماذيت<sup>(١)</sup> أَتاك والله من سَفَلَةِ الأدواء ، وزُؤِيَ عنك من عِلْيَةِ الأمراض ، ما يضعُك موضعاً لا ارتفاعَ معه ، ويُلزِقُ بعَقَبِكَ عاراً لا زوالَ له . ثم تُتَبِعُ أَشْيَاخَكَ السُّبَّةَ ، وتُتَبِعُهُم المَذَمَّةَ . عَلِمَ اللهُ أَنَّهُ اسْتَظَرَّفَكَ واستملحك . واستَحَسَنَ قَدَّكَ ، واسترجح عَقْلَكَ ، وأَحَسَّنَ بِكَ ظَنًّا ، ورآكَ<sup>(٢)</sup> لِنَفْسِهِ أَهْلاً . ولا تُتَخَذُهُ موضعاً ، وللأنس به مكاناً ، وَأَنْتِ لَاهٍ عنه زارٍ عليه ، متهاونٌ به ، قد أَقْبَلْتَ على ديوانك تُشْغَلُ بملازمته ، وتَدْعُ ما يجب عليك من صِفاته ، والدُّعَاءُ إلى تعظيمه . بلْ هل كنتَ من شِيعَتِهِ والذابِّينَ عن دَوْلَتِهِ ، والمعروفين بالانقطاع إليه ، والانبثات في حبله<sup>(٣)</sup> ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ عندكَ التقصيرُ لحَقُّهُ ، والتَّهَؤُنُ بِأَمْرِهِ اللازِمِ ، ونَهَى الناس عنه .

ولو خرجتَ إلى هذا لخرجتَ من جميع الأخلاق المحمودَةِ ، والأفعال المرضية . وَأَحْسَبُ أَنَّكَ لا تعظُّمُهُ ولا ترقُّ له . ولو لم تتعصَّبْ إِلَّا لجمالِهِ وحسنِهِ ، ولو لم تُحافظِ على نقائه وعِثِّقِهِ لكان ذلك واجباً ، وأمرأً معروفاً . فكيف مع المناسبةِ التي بينكما ، والشَّكْلِ الذي يجمعكما . فإنْ كان بعضُك لا يصون بعضاً وَأَنْتِ لا تعظِّمُ شقيقاً ، فَأَنْتِ والله من حِفْظِ العَشِيرَةِ أَبْعَدُ ، ولمعرفة الصِّديقِ أَنْكَرُ .

ولقد نَعَيْتِ إِلَى لُبِّكَ ، وَأَتَكَلَّمْتُ حِفَاظَكَ<sup>(٤)</sup> ، وَأَفْسَدْتُ عندى كُلَّ

(١) التتابع : التهاوت في الشر ، والوقوع فيه . ب ، م : « تتابعت » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « وزادك » ، صوابه في ط .

(٣) الانبثات : الانقطاع . والمراد به الملازمة وتوثق الصلة .

(٤) أَتَكَلَّمُ الأَمْرَ : جملة يفقده ، يقال أَتَكَلَّمُ اللهَ ولدها ، وَأَتَكَلَّمُ اللهَ أمه ، إذا أصابهما بفقدِهِ . ب : « أَتَكَلَّمْتُ » صوابه في ط ، م .

صحيح . وقد كان يقال : « لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب » .  
قال الشاعر (٢) :

وهلك الفتى أن لا يراح إلى الندى وأن لا يرى شيئاً عجيباً فيعجباً  
قال بكر بن عبد الله المزني (٣) : « كنا نتعجب من دهر لا يتعجب  
أهله من العجب فقد صرنا في دهر لا يستحسن أهله الحسن . ومن  
لا يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح » .

وقال بعضهم : « العجب ترك التعجب من العجب » .  
ولم أقل ذلك إلا لأن تكون به ضئيلاً (٤) . وبما يجب له عارفاً .  
ولكنك لم توفر حقه ولم توفر نصيبه (٥) .

فإن قلت : ومن يقتضي واجب حقه ، وينتهض بجميع شكره ؟  
قلنا : فهل أعذرت في الاجتهاد حتى لا يُذم إلا تعجبك ، وهل  
استغرقت الاعتذار حتى لا تعاب إلا بما زاد على قوتك . ولولا أنك عين  
الجواد (٥) لم نطلبه منك . ولولا ظنك (٦) لم نحمدك عليه . ولولا معرفتك

(١) هو حارثة بن بدر الغدافي ، كما في الحيوان ٣ : ٨٠ والبيان ٣ : ٢١٩ والأغاني  
٢١ : ٣١ وأمالى المرتضى ١ : ٣٨٨ ويقال إن حارثة قد تمثل به . ونسب في معجم البلدان  
٢ : ٢٥٤ إلى عمرو بن النعمان البياضي . وانظر أمالى الزجاجي ٣٠ .

(٢) بكر بن عبد الله المزني : نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصري ، ثقة ثبت . مات  
سنة ست ومائة . تقريب التهذيب وصفة الصفوة ٣ : ١٧١ . وفي جميع النسخ : « المرى » ،  
صوابه ما أثبت . وانظر الحيوان ٦ : ٥٠٨ - ٧ : ٢٠٢ ، ٢٥٤ . ولبكر هذا أقوال مأثورة  
في مواضع كثيرة من البيان والتبيين . وكان من السكك والزهاد من أهل البيان .

(٣) ب : « ظنيننا » ، صوابه في م ، ط .

(٤) ط : « ولم تعرف نصيبه » .

(٥) عين الجواد ، أي نفسه ، والمراد الجواد الكامل ، الجامع لأسباب السخاء ، وفي  
الخلاصة ١٦٩١ بشرح المرزوقي ، قول عبد العزيز بن زرارة الكلابي :

فإلا أكن عين الجواد فإني على الزاد في الظلماء غير شتم  
وإلا أكن عين الشجاع فإني أرد سنان الرمح غير سليم

ب : « عين الجوار » ط : « عين الجود » . والضمير في « لم نطلبه » عائد إلى النبيذ المفهوم  
من الكلام .

(٦) م : « ضنك » .

بِفَضْلِهِ لَمْ نَعَجِبْ مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّهِ . وَلَوْ لَا أَنَّ الْخَطَأَ فِيكَ أَقْبَحَ .  
وَالْقَبِيحَ مِنْكَ أَسْمَحُ . وَهُوَ فِيكَ أَبَيَّنُّ وَالنَّاسُ بِهِ أَكْلَفُ<sup>(١)</sup> ، وَالْعَيُونُ  
إِلَيْهِ أَسْرَعُ - لَكَانَ كِتَابُنَا كِتَابَ مُطَالِبَةٍ . وَلَمْ يَكُنْ كِتَابَ مَعَاتِبَةٍ ،  
وَلَشَغَلْنَا الْجِلْمُ لَكَ عَنْ الْحِلْمِ عَلَيْكَ ، وَالْقَوْلُ لَكَ عَنِ الْقَوْلِ فِيكَ .

وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُكَ بِفَضْلِ هَيْبَتِي لَكَ ، وَأَجْتَرِيْ عَلَيْكَ بِفَضْلِ  
بَسْطِكَ لِي ، فَمَنْعَنِي حِرْصُ الْمُنْعَى ، وَخَوْفُ الْمَشْفِقِ ، وَأَمْنُ الْوَائِقِ ،  
وَقِنَاعَةُ الرَّاغِبِ .

وَبَعْدَ فَمَنْ طَلَبَ مَا لَا يُجَادُ بِهِ ، وَسَأَلَ مَا لَا يُوَهَّبُ مِثْلُهُ مِمَّنْ يَجُودُ  
بِكُلِّ ثَمِينٍ ، وَيَهَبُ كُلَّ خَطِيرٍ ، فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ مِنَ الرَّدِّ مَشْفِقًا ،  
وَبِالنُّجْحِ مُوقِنًا .

وَإِنْ كَانَ ، أَبْقَاكَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> ، أَهْلًا لِأَنْ يُمْنَعَ ، وَكُنْتَ حَفَظَكَ اللَّهُ أَهْلًا  
أَنْ تَبْذُلَ ، وَجِبَ أَنْ تَكُونَ<sup>(٣)</sup> بِأَذَلًا مَانِعًا ، وَسَاكِنًا مَطْمَئِنًّا ، إِلَّا أَنْ  
يَكُونَ الْحَرْبُ سِلْمًا سِجَالًا ، وَالْحَالَاتُ دُولًا .

وَلِهَذِهِ الْخِصَالِ مَا وَقَعَ الطَّلَبُ ، وَشَاعَ الطَّمَعُ .

فَإِنْ مَنَعْتَ فَعَذْرَتُكَ مَبْسُوطَةٌ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ<sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ بَذَلْتَ فَلَمْ  
تَعُدْ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عِنْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَكَ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَجُودُ بِمِثْلِهِ إِلَّا  
غَنَى عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ ، أَوْ عَاقِلٌ فَوْقَ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَكَيْفَ لَا أَطْلُبُ طَلَبَ الْجَرَى الْمُتَهَوِّرِ . وَأُمْسِكْ إِمْسَاكَ الْهَائِبِ

(١) م ، ط : « فيه أكلف » .

(٢) في جميع النسخ : « أبقاها الله » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ب ، ط : « يكون » .

(٤) ط : « قدرك » . والمراد قدر النبيذ .

الموقر. وليس في الأرض خلُقٌ يُعْتَفَرُ<sup>(١)</sup> في وصفه المحال ولا يُسْتَحْسَنُ الهذيان سواه ؟ !

على أن من الهذيان ما يكون مفهوماً. ومن المحال ما يكون مسموعاً<sup>(٢)</sup>.

فمن جهل ذلك ولم يعرفه ، وقصر ولم يبلغه<sup>(٣)</sup> ، فليسمع كلامَ اللّهُفان والثكلان . والغضبان والغيران ، ومرقصة الصبيان ، والمنعظ<sup>(٤)</sup> إذا دنا منه الخلقي .

حتى إذا استوهبك لم تهب له منه<sup>(٥)</sup> حتى تقف وقفة ، وتطرق ساعة<sup>(٦)</sup> ، ثم تستحسن وتستشير ، ثم تشفع<sup>(٧)</sup> على مُستوهبه ، وتُعجب من شاريه ، ثم تُطيل الكتاب بالامتنان ، وتُسطر فيه بتعظيم الانعام مع ذكر مناقبه ، ونشر محاسنه<sup>(٨)</sup> بقدر الطاقة. وإن لم تبلغ الغاية فاعرف وزنه ، واشهد بطيبه . وأرخ ساعته<sup>(٩)</sup> ، واشهر في الناس يومه<sup>(١٠)</sup> .

وما ظنك بشيء لا تقدر أن تشرذ في ذكره<sup>(١١)</sup> وتفرط في مدحه ،

(١) ب ، م : «يفتقر» .

(٢) ما يكون ، ساقطة من ب ، م .

(٣) ب فقط : «فلم يبلغه» .

(٤) ب : «المنعظ» م : « والمنعظ » ط : « والمنعظ » صوابهما ما أثبت . والخلق :

الذي فسد عضوه فانعكس ميل شهوته . وهو من ألفاظ المولدين . وانظر شفاء الغين ص ٧٠ والحيوان ١ : ٢٢٥ - ٣ : ١٦٦ . وفي جميع النسخ : « والخلق » ، والواو مقحمة .

(٥) ب ، م : « وحتى واتاك أن يهب لى منه » وليس له وجه . وأثبت ما في ط .

(٦) ط : « وتطرقه ساعة » .

(٧) في جميع النسخ : « تشفع » .

(٨) ب ، م : « وبشر محاسنه » .

(٩) في جميع النسخ : « وأرخ » بالخاء المهملة .

(١٠) في جميع النسخ : « وأشهد » بالذال .

(١١) الشroud : الذهب والهرب . م ، ط : « تسرد في ذكره » .

وتقصيرك واضح في لونه<sup>(١)</sup>، مكتوب في طعمه<sup>(٢)</sup>، موجود في رائحته<sup>(٣)</sup>،  
إذ كان كلُّ ممدوح يقصّر عن مدحه وقدره، ويصغر في جنبه .  
ولو لم يستدلّ على سعادة جدّك، وإقبال أمرك، وأنّ لك زىّ  
صديق<sup>(٤)</sup> في المعلوم، وخطأ<sup>(٥)</sup> في الرزق المقسوم . وأنّك ممن تبقى نعمه،  
ويدوم شكره، ويفهم النعمة ويربّها<sup>(٦)</sup> . ويدرأ عنها ويستديمها<sup>(٧)</sup>،  
إلاّ أنّه وقع في قسّمك، وكان في نصيبك - لكان ذلك أعظم البرهان،  
وأوضح الدلالة .

بل لا نقول : إنّهُ وقع اتفاقاً وغرساً نادراً، حتّى يكون التوفيق  
هو الذى قصد به، والصنع هو الذى دلّ عليه .

ولو لم تملك غيره لكنت غنياً، ولو ملكت كلّ شىءٍ سواه لكنت  
فقيراً . وكيف لا يكون كذلك وهو مُستراحٌ قليلك، ومجالٌ عقلك،  
ومرتعٌ عينك<sup>(٨)</sup>، وموضعٌ أنسك، ومُستنبطٌ لذّتك . وينبوعٌ سرورك،  
ومصباحك في الظلام، وشعارك من جميع الأقسام .  
وكيف وقد جمع أهبة الجلال، ورشاقة الخلال، ووقار البهاء .

(١) في الأصول : « في كونه » .

(٢) ب : « مكتوب في طعمه » م : « مكتوب في طعمه » ط : « مكتوباً في طعمه » ،  
ولعل الوجه ما أثبت .

(٣) ط فقط : « موجوداً » بالنصب .

(٤) ب ، م : « ذى صدق » ، تحريف . والزى : اللباس والهيئة والمنظر ، وأصله  
زوى ، تقول منه زيبته ، والقياس زويته .

(٥) ب : « وخطأ » م : « وخطأ » ، صوابهما في ط .

(٦) رب النعمة : حفظها ورعاها . وفي الحديث : « لك نعمة تربها » . ط فقط : « تربها »

(٧) ب ، م : « ويدرأ عنها » ، صوابه في ط .

(٨) يرتع : يلهو ويلعب وينعم . وفي الأصول : « ومريع عينك » ، والوجه ما أثبت .  
ومنه قول المتنبي :

حشأى على بحر ذكى من الهوى وعينى في روض من الحسن ترتع

وشَرَفَ الخير <sup>(١)</sup> ، وعَزَّ المجَاهِرَة <sup>(٢)</sup> ولَذَّة الاختلاس . وحلاوة  
الدَّبِيب <sup>(٣)</sup> .

وسَأَصِفُ لك شَرَفَ <sup>(٤)</sup> النبِيذِ في نفسه ، وفضيلته على غيره ، ثم أَصِفُ  
فَضْلَ شرابك على سائر الأشربة ، كما أَصِفُ فَضْلَ النَّبِيذِ على سائر  
الأنبذة ؛ لَأَنَّ النبِيذَ إِذَا تَمَشَّى في عظامك ، والتبسَ بأجزاءك ،  
ودبَّ في جَنَانِكَ ، مَنَحَكَ صِدْقَ الحسِّ ، وفَرَغَ النفسَ ، وجعلَكَ رَخِيَّ  
البال ، خَلَّى الذَّرْعَ <sup>(٥)</sup> ، قَلِيلَ الشَّوَاغِلِ ، قَرِيرَ العَيْنِ ، وَاسِعَ الصَّدْرِ ،  
فَسِيحَ الهِمَمِ <sup>(٦)</sup> حَسَنَ الظَّنِّ . ثم سَدَّ عَلَيْكَ أَبْوَابَ التُّهْمِ ، وَحَسَّنَ دُونَكَ  
الظَّنَّ وَخَوَاطِرَ الفهم <sup>(٧)</sup> ، وكَفَاكَ مَثُونَةَ الحِرَاسَةِ ، وَأَلَمَ الشَّفَقَةَ ،  
وَخَوْفَ الحَدَثَانِ ، وَذُلَّ الطَّمَعِ وَكَدَّ الطَّلَبِ <sup>(٨)</sup> ، وَكُلَّ مَا اعْتَرَضَ على  
السُّرُورِ وَأَفْسَدَ اللَّذَّةَ ، وَقَاسَمَ الشَّهْوَةَ ، وَأَخْلَلَ بِالنِّعْمَةِ <sup>(٩)</sup> .

وهو الذي يَرُدُّ الشُّيُوخَ في طبائع الشُّبَّانِ ، وَيَرُدُّ الشُّبَّانَ في نَشَاطِ  
الصُّبَّانِ ، وَلَيْسَ يَخَافُ شَارِبُهُ <sup>(١٠)</sup> إِلَّا مِجَاوِزَةَ السُّرُورِ إِلَى الْأَشْرِ ،  
وَمِجَاوِزَةَ الْأَشْرِ إِلَى الْبَطْرِ .

(١) م فقط : « الخيل » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « المجاهدة » ، والوجه في ب ، م .

(٣) أصل الدبيب المشى على هيئة ، واستعمل مع الاختلاس في معنى لتوصل إلى المعشوق  
في خفية . وفي جميع الأصول : « الزبيب » .

(٤) ب : « شرب » ، تحريف .

(٥) الذرع : الطاقة والوسع . م : « على الذراع » تحريف ، وفي ب : « خالى الذرع » ،  
وأثبت ما في ط .

(٦) ب ، م : « الهَم » .

(٧) ب ، م : « الظن خواطر الفقه » .

(٨) م : « وكد الطلب » .

(٩) ب ، م : « واختل بالنعمة » .

(١٠) ب : « نَجَاة شاربِهِ » م : « نجات شاربِهِ » ، صوابها في ط .

ولو لم يكن من أياديهِ ومِنِّهِ ، ومن جميل آلائهِ ونِعَمِهِ <sup>(١)</sup> ، إلَّا أنَّكَ ما دُمْتَ تَمْزُجُهُ بِرُوحِكَ ، وتُزَاجِ بَيْنَهُ وبين دَمِكَ فقد أَعْفَاكَ من الجَدِّ ونَصَبِهِ ، وَحَبَّبَ إِلَيْكَ المَزَاحَ والفكاهة ، وبَغَضَ إِلَيْكَ الاستقصاءَ والمحاولة ، وَأَزَالَ عَنْكَ تَعَقُّدَ الحِشْمَةِ وكَدَّ المروءة ، وصار يومُهُ جمالاً لآيَّامِ الفكرة ، وتسهيلاً لمعاودة الرويَّة <sup>(٢)</sup> ، لكان في ذلك ما يوجب الشُّكر ، ويُطِيبُ الذِّكر <sup>(٣)</sup> . مع أَنَّ جميع ما وصفناه وأخبرنا به عنه يقوم بأيسر الجرم <sup>(٤)</sup> ، وأقلَّ الثمن .

ثم يعطيك في السَّفَر ما يُعطيك في الحَضَر ، وسواءٌ عليك البساتينُ والجَنَانُ <sup>(٥)</sup> . وَيَصْلُحُ بالليل كما يَصْلُحُ بالنهار ، وَيَطِيبُ في الصَّحو كما يَطِيبُ في الدَّجْن ، وَيَلْدُ في الصَّيف كما يَلْدُ في الشِّتاء ، ويجرى مع كلِّ حالٍ . وكلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَإِنَّمَا يَصْلُحُ في بعض الأحوال .

ويدفع مَضَرَّةَ الخُمار ، كما يَجلب منفعةَ السُّرور .

إِنْ كُنْتَ جَذلاً [كان] <sup>(٦)</sup> باراً بك ، وَإِنْ كُنْتَ ذَاهِمٌ نَفَاهُ عَنْكَ .

وما الغيثُ في الحرثِ بَأَنْفَعَ منه في البَدَن ، وما الرِّيشُ السُّخَامُ <sup>(٧)</sup> بَأَدْفَأَ منه للمقرور <sup>(٨)</sup> .

(١) ب ، م : « بلائهِ ونعمه » .

(٢) الروية : التفكير في مهل . ب ، م : « الروية » .

(٣) م ، ط : « ويطنب الذكر » . والإطناب : الإطالة .

(٤) الجرم ، بالفتح : الكسب .

(٥) البستان : جنيَّة فيها نخيل متفرقة ، معرب . والجنة : الحديقة ذات النخل والشجر .

(٦) التكلمة من ط . والجلد : الفرع .

(٧) السخام ، كفرا ب : اللين الحسن ، أو ما كان ليناً تحت الريش الأعلى . وفي جميع

الأصول : « السجام » ، صوابه ما أثبت .

(٨) المقرور : الذي أصابه البرد . م : « بأذى منه » تحريف .

وَيُسْتَمَرُّ بِهِ الْغِذَاءُ<sup>(١)</sup> وَيُدْفَعُ بِهِ ثِقَلُ الْمَاءِ ، وَيُعَالَجُ بِهِ الْأَدْوَاءُ ،  
وَيَحْمَرُّ بِهِ الْوَجْنَتَانِ ، وَيُعَدَّلُ بِهِ قِضَاءُ الدِّينِ .

إِنْ انْفَرَدَتْ بِهِ أَهْلَاكَ ، وَإِنْ نَادَمْتَ بِهِ سَوَاكَ .

ثُمَّ هُوَ أَصْنَعُ لِلسُّرُورِ مِنْ زَلْزَلٍ<sup>(٢)</sup> ، وَأَشَدُّ إِطْرَاباً مِنْ مُخَارِقٍ<sup>(٣)</sup> ،  
وَقَدَّرَ احتِياجهما إِلَيْهِ كَقَدَّرَ استِغْنائَهُ عَنْهُمَا ؛ لِأَنَّهُ أَصْلُ اللَّذَاتِ وَهِيَ  
فَرْعُهُ ، وَأَوَّلُ السُّرُورِ وَنَتَاجُجُهُ .

وَلِلَّهِ دَرٌّ أَوَّلٍ مِنْ عَمَلِهِ وَصَنَعِهِ<sup>(٤)</sup> ، وَسَقِيًّا لِمَنْ اسْتَنْبَطَهُ وَأَظْهَرَهُ .  
مَاذَا دَبَّرَ ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ دَلَّ ؟ وَبِأَيِّ مَعْنَى أَنْعَمَ ؟ وَأَيُّ دَفِينٍ أَثَارَ ؟ وَأَيُّ  
كَنْزٍ اسْتَخْرَجَ .

وَمِنْ اسْتِغْنَاءِ النَّبِيذِ بِنَفْسِهِ ، وَقَلَّةِ احتِياجه إِلَى غَيْرِهِ ، أَنَّ جَمِيعَ  
مَا سِوَاهُ مِنَ الشَّرَابِ يُصْلِحُهُ الثَّلَجُ ، وَلَا يَطِيبُ إِلَّا بِهِ .

وَأَوَّلُ مَا يُثْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، وَيُذَكَّرُ مِنْهُ<sup>(٥)</sup> ، أَنَّهُ كَرِيمُ الْجَوْهَرِ ، شَرِيفُ  
النَّفْسِ ، رَفِيعُ الْقَدْرِ ، بَعِيدُ الْهَمِّ . وَكَذَلِكَ طَبِيعَتُهُ الْمَعْرُوفَةُ<sup>(٦)</sup> وَسَجِيَّتُهُ  
الْمُوصُوفَةُ . وَأَنَّهُ<sup>(٧)</sup> يَسِرُّ النُّفُوسَ وَيَحْبِبُّ إِلَيْهَا الْجُودَ ، وَيَزِينُ لَهَا  
الْإِحْسَانَ ، وَيَرْغِبُهَا فِي التَّوَسُّعِ ، وَيُورِثُهَا الْغِنَى ، وَيَنْفِي عَنْهَا الْفَقْرَ ،

(١) م : « وَيُسْتَمَرُّ ، بالتسهيل .

(٢) زلزل ، بفتح الزاءين : مغن ضارب بالعود يضرب به المثل ، وإليه تضاف بركة  
زلزل ببغداد ، تعلم على إبراهيم الموصلي ، وله أخبار مع هارون الرشيد مذكورة في الأغاني .  
(٣) مخارق : أحد كبار المغنين في الدولة العباسية ، غنى هارون والمأمون والأمين والمعتصم  
والواثق . وأخباره مسهبة في الأغاني .

(٤) ب : « أول من صنعه » ، فقط .

(٥) م ، ط : « ما ثنى عليه به » وفي ط أيضاً : « ونذكر منه » .

(٦) طبيعته ، ساقطة من ب ، م .

(٧) ب ، م : « وأن » .



وَيَمْلُؤُهَا عَزًّا ، وَيَعِدُّهَا خَيْرًا ، وَيَحْسُنُ الْمَسَارَةَ <sup>(١)</sup> . وَيَصِيرُ بِهِ النَّبْتُ  
خَضِبًا وَالْجَنَابُ مَرِيعًا <sup>(٢)</sup> . وَمَاهُولًا مُعْشِبًا .

وليس شيء من المأكول والمشروب أَجْمَعَ للظُّرفاء ، ولا أَشَدَّ تَأَلُّفًا  
للأُدباء ، ولا أَجْلَبَ للمؤنِّسين ، ولا أَدْعَى إِلَى خِلَافِ الْمُتَمَتِّعِينَ <sup>(٣)</sup> .  
ولا أَجْدَرَ أَنْ يُسْتَدَامَ بِهِ حَدِيثُهُمْ وَيُخْرَجَ مَكْنُونُهُمْ . وَيَطُولُ بِهِ مَجْلِسُهُمْ ،  
مِنْهُ .

وإِنَّ كُلَّ شَرَابٍ وَإِنْ كَانَ حَلَا وَرَقًا <sup>(٤)</sup> ، وَصَفَا وَدَقَّ ، وَطَابَ  
وَعَذَّبَ ، وَبَرَدَ وَنَفَخَ <sup>(٥)</sup> ، فَإِنَّ اسْتَطَابَتَكَ لِأَوَّلِ جُرْعَةٍ مِنْهُ أَكْثَرُ <sup>(٦)</sup> ،  
وَيَكُونُ مِنْ طِبَائِعِكَ أَوْقَعُ . ثُمَّ لَا يَزَالُ فِي نَقْصَانٍ إِلَى أَنْ يَعُودَ مَكْرُوهًا  
وَبِلِيَّةً <sup>(٧)</sup> ، إِلَّا النَّبِيذَ ، فَإِنَّ الْقَدَحَ الثَّانِيَ أَسْهَلُ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَالثَّلَاثَ  
أَيْسَرُ <sup>(٨)</sup> ، وَالرَّابِعَ أَلَذُّ ، وَالْخَامِسَ أَسْلَسَ ، وَالسَّادِسَ أَطْرَبَ ، إِلَى أَنْ  
يُسَلِّمَكَ <sup>(٩)</sup> إِلَى النَّوْمِ الَّذِي هُوَ حَيَاتِكَ ، أَوْ أَحَدَ أَقْوَاتِكَ <sup>(١٠)</sup> . وَلَا خَيْرَ  
فِيهِ إِذَا كَانَ إِسْكَارُهُ تَغْلِبًا ، وَأَخَذَهُ بِالرَّأْسِ تَعْسُفًا ، حَتَّى يُمَيِّتَ الْحَسَّ

(١) م فقط : « السارة » .

(٢) المريع : المخصب ، يقال مكان مرع ومريع : خصيب مرع ناجع . قال الأعشى :

سلس مقلده أسيب ———— ل خده مرع جنا به

ب ، م : « مربعان ، صوابه في ط .

(٣) في الأصول : « الممتنعين » ، ولا وجه له .

(٤) ط ، م : « وإن حلا ورق » .

(٥) النفاخ : الماء العذب البارد الذي ينفخ العطش ، أى يكسره ببرده . وفي جميع

الأصول : « ونفخ » ، والوجه ما أثبت .

(٦) م : « الأول جرعه منها » . وفي ب ، م . « كثر » ، وفي ط : « لأول جرعة

منها كثير » . والوجه ما أثبت .

(٧) ب فقط : « وريية » ، تحريف .

(٨) ب فقط : « أسر » .

(٩) في جميع الأصول : « يسلسك » ، ولا وجه له .

(١٠) ب : « وأحد أقواتك » .

بَحْدَتَهُ ، وَيَصْرَعُ الشَّارِبَ بِسَوْرَتِهِ <sup>(١)</sup> . وَيُورِثُ الْبُهِرَ بِكِظَّتِهِ ،  
وَلَا يَسْرِى فِي الْعُرُوقِ لِعَلَّظِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَلَا يَجْرَى فِي الْبَدَنِ لِرُكُودِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ  
فِي الْعُمُقِ وَلَا يَدْخُلُ الصَّمِيمَ .

وَلَا وَاللَّهِ حَتَّى يَغَاظِلَ الْعَقْلَ وَيَعَارِضَهُ ، وَيَدْعِدْغُهُ وَيُخَادِعُهُ <sup>(٣)</sup> ،  
فَيَسْرِهُ ثُمَّ يَهْزُهُ <sup>(٤)</sup> ، فَإِذَا امْتَلَأَ سُرُوراً وَعَادَ مَلِكاً مَحْبُوراً ، خَاتَلَهُ  
السُّكْرُ وَرَاوَعَهُ ، وَدَارَاهُ وَمَا كَرَّهُ ، وَهَازَلَهُ وَغَانَجَهُ . وَلَيْسَ كَمَا يَغْتَصِبُ  
السُّكْرُ <sup>(٥)</sup> ، وَيَعْتَسِفُ الدَّاذِىُّ <sup>(٦)</sup> . وَيَفْتَرِسُ الزَّبَّيبُ ؛ وَلَكِنْ بِالتَّفْتِيرِ  
وَالْعَمَزِ ، وَالْحِيلَةِ وَالْخُتْلِ <sup>(٧)</sup> ، وَتَحْبِيبِ النُّومِ ، وَتَزْيِينِ الصَّمْتِ .

وَهَذِهِ صِفَةُ شَرَابِكَ إِلَّا مَا لَا نُحِيطُ بِهِ <sup>(٨)</sup> ، وَنَعْوَتُهُ تَبْدَلُ <sup>(٩)</sup> إِلَّا  
مَا يَقْبَحُ مِنْهَا الْجَهْلُ بِهِ .

وَخَيْرُ الْأَشْرَبَةِ مَا جُمِعَ الْمَحْمُودُ مِنْ خَصَالِهَا وَخَصَالِ غَيْرِهَا . وَشَرَابُكَ  
هَذَا قَدْ أَخَذَ مِنَ الْخَمْرِ دَبِيبَهَا فِي الْمَفَاصِلِ <sup>(١٠)</sup> ، وَتَمَشَّيَهَا فِي الْعِظَامِ  
وَلَوْنَهَا الْغَرِيبَ ؛ وَأَخَذَ بَرْدَ الْمَاءِ وَرَقَّةَ الْهَوَاءِ ، وَحَرَكَةَ النَّارِ ، وَحُمْرَةَ

(١) ب ، م : « ويسرع » بالسین ، تحريف . وسورة الشراب : تناوله للرأس  
ووثوبه فيه .

(٢) ط : « لغلظته » .

(٣) الدغدغة : حركة في نحو الإبط أو البطن أو الأخص يحدث عنه انفعال .

(٤) م : « ويسره ثم يهزه » .

(٥) السكر ، بالتحريك : الخمر نفسها .

(٦) الداذى : شراب يتخذ من نبت له عنقود مستطيل ، وجهه كحب الشعير ، طيب  
الرائحة جيد الإسكار . قال :

شربنا من انداذى حتى كأننا مسوك لنسا بر العراقين والبحر

(٧) في جميع النسخ : « والخیل » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ب ، م : « إلا ما لا يحيط به » .

(٩) ب ، م : « وبعث بتبدل » ، ط : « ونعوته بتبدل » ، والوجه ما أثبت .

(١٠) م ، ط : « زينتها في المفاصل » ، صوابه في ب . وفي ب أيضاً : « فقد أخذ » .

خَدُّكَ إِذَا حَجَلَتْ ، وصفرة لونِكَ إِذَا فَرِغْتَ ، وبياض عارضِيكَ إِذَا ضَحِكْتَ (١) .

وحسبي بصفاتك عوضاً من كلِّ حَسَنٍ ، وخلفاً من كلِّ صالح .  
ولا تعجبْ أَنْ كانت نهايةَ الهمةِ وغايةَ المُنْيَةِ ؛ فَإِنَّ حُسْنَ الوجوهِ إِذَا وافقَ حُسْنَ القوامِ وشِدَّةَ العقلِ . وجودةَ الرَّأْيِ . وكثرةَ الفضلِ (٢)  
وسَعَةَ الخُلُقِ ، والمَغْرِسَ الطَّيِّبَ والنَّصَابَ الكَرِيمَ . والظَّرْفَ النَّاصِعَ (٣) ،  
واللِّسَانَ الفَخْمَ (٤) والمَخْرَجَ السَّهْلَ والحديثَ المُوْنِقَ ، مع الإشارةِ  
الحَسَنَةِ والنُّبْلِ فِي الجِلْسَةِ ، والحركةِ الرَّشِيقَةِ واللَّهْجَةِ الفَصِيحَةِ ،  
والتَّمَهُّلِ فِي المَحَاوَرَةِ (٥) وَالْهَزِّ عِنْدَ المُنَاقَلَةِ (٦) . والبَدِيءِ البَدِيعِ والفكرِ  
الصَّحِيحِ . والمعْنَى الشَّرِيفِ . واللفْظِ المَحْدُوفِ ، والإيجازِ يَوْمَ الإيجازِ  
والإطنابِ يَوْمَ الإطنابِ (٧) ، يَقُلُّ الحَزُّ (٨) وَيُصِيبُ المَفْصِلَ ، ويبلغُ بالعفوِ  
مَا يَقْصُرُ عَنْهُ الجَهْدُ . كَانَ أَكْثَرَ لَتَضَاعَفَ الحُسْنُ ، وَأَحَقُّ بِالكَمَالِ .  
والحمد لله .

وإِنَّ التَّاجَ بِهِ (٩) وَهُوَ فِي رَأْسِ المَلُوكِ أَبْهَى . والياقوتَ الكَرِيمَ حَسَنٌ  
وَهُوَ فِي جِيدِ المَرَأَةِ الحَسَنَاءِ أَحْسَنُ ، والشَّعْرَ الفَاخِرَ حَسَنٌ وَهُوَ مِنْ فِي

(١) العارض : جانب الوجه ، وصفحة الخد ؛ وهما عارضان . ط : « وبياض عارضك »  
بالإفراد .

(٢) فِي جميع الأصول : « الفعل » .

(٣) م ، ط : « والطرف الناصع » صوابه فِي ب . وانظر ما سبق فِي ص ١٠٠ .

(٤) ط فقط : « المعجم » .

(٥) فِي جميع النسخ : « المجاوزة » والوجه ما أثبت .

(٦) المناقلة : مراجعة الكلام فِي ضُجْبٍ وتنازع . والحد : سرعة فِي الكلام والقراءة .

وَفِي جميع الأصول : « والهرز » بالزاي ، تحريف .

(٧) المراد باليوم هنا الوقت . ب : « يَوْمٌ » بالهمز فِي هذا الموضع وسابقه ، تحريف .

(٨) يقل : يكسر ويضرب . ب ، م : « يقل » بالقاف ، تحريف .

(٩) ب ، م : « التاج بِهِ » .

الأعرابي أحسن . فإن كان من قول المنشد وقريضه ، ومن نحته وتحبيره ، فقد بلغ الغاية وأقام النهاية .

وهذا الشراب حسن وهو عندك أحسن ، والهدية منه شريفة وهي منك أشرف .

وإن كنت قدرت أني إنما طلبته منك لأشربه أو لأسقيه ، أو لأهبه ، أو لأتحسسه في الخلا ، أو أديره في الملا <sup>(١)</sup> أو لأنافس فيه الأكفاء ، واجترأ زيادة الخلطاء <sup>(٢)</sup> ، أو لأبتذله لعيون الندماء ، أو أعرضه لنواب الأصدقاء فقد أسأت بي الظن ، وذهبت من الإساءة بي في كل فن <sup>(٣)</sup> ، وقصرت به فهو أشد عليك ، ووضعت منه <sup>(٤)</sup> فهو أضر بك .

وإن ظننت أني إنما أريده لأطرف به معشوقه <sup>(٥)</sup> ، أو لأستميل به هوى ملك ، أو لأغسل به أوضار الأفئدة <sup>(٦)</sup> . أو أداوى <sup>(٧)</sup> به خطايا الأشربة ، أو لأجلو به الأبصار العليلة . وأصلح به الأبدان الفاسدة ، أو لأتطوع به على شاعر مفلق <sup>(٨)</sup> أو خطيب مضقع ، أو أديب مدقع ، ليفتق لهم المعاني <sup>(٩)</sup> ، وليخرج المذاهب ، ولما في جانبهم من

(١) ب فقط : « أو أدير في الملا » . والملا : المتسع من الأرض .

(٢) الاجترار : الاجتذاب والاجتلاب . ب ، م : « واختر » ط : « وأختبر » والوجه ما أثبت . وانظر الحيوان ٦ : ١٣ ورسائل الجاحظ ١ : ١٠٢ . والخلطاء : جمع خليط ، وهو صاحب ، والجار المصافي . ب ، م : « الخطا » ط : « الخطأ » ، والصواب ما أثبت . (٣) ب ، م : « غن » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « ووصفت منه » .

(٥) الإطراف : الإتحاف ، أطرفه بالشئ : أتخفه به . ب ، م : « لأطرف » صوابه بالطاء المهملة كما في ط .

(٦) الوضر : الدرن والوسخ ، جمعه أوضار . ط : « وضر الأفئدة » .

(٧) م ، ط : « أو أودى » ، صوابه في ب .

(٨) المفلق : الذي يأتي بما يعجب من الشعر . م : « مفلق » ، تحريف .

(٩) في جميع الأصول : « ليفيق » ، والوجه ما أثبت .

الأجر ، وفي أعناقهم من الشكر<sup>(١)</sup> ، ولينفضوا<sup>(٢)</sup> ما قالت الشعراء في الحمد ، وليرتجعوا ما شاع لهم من الذكر<sup>(٣)</sup> ؛ فإنني أريد أن أضع من قدرها ، وأن أكسر من بالها<sup>(٤)</sup> ، فقد تاهت وتيه بها . أو لأن أنفعل برؤيته<sup>(٥)</sup> وأتبرك بمكانه ، وأنس بقربه ، أو لأشفي به الظماء<sup>(٦)</sup> ، أو أجعله إكسير أصحاب الكيمياء<sup>(٧)</sup> ، أو لأن أذكرك كلما رأيته ، وأداعبك كلما قابلته<sup>(٨)</sup> أو لأجتلب به اليسر<sup>(٩)</sup> وأنفي العسر . ولأنه والفقر لا يجتمعان في دار ، ولا يقينان في ربيع . ولأتعرف<sup>(١٠)</sup> به حسن اختيارك ، وأتذكر به جودة اجتباك<sup>(١١)</sup> . أو لأن أستدل به على خالص حبك ، وعلى معرفتك بفضلي ، وقيامك بواجب حقى — فقد أحسنت بي الظن ، وذكرت من الإحسان في كل فن . بل هو الذى أصونه صيانة الأعراض . وأغار عليه<sup>(١٢)</sup> غيرة الأزواج .

- 
- (١) في جميع الأصول : « وفي أعناقهم من الشكر » ، والصواب ما أثبت .  
 (٢) النفض : الاستقصاء . ب : « ولينفضوا » ط : « ولينفضوا » ، صوابهما في م .  
 (٣) ط : « وليرتجعوا ما شاع لهم من الذكر » ، تحريف .  
 (٤) البال : القلب ، والنفس ، والخطر ، والأمل .  
 (٥) ب ، م : « إلى رؤيته » .  
 (٦) الظماء : مصدر ظمى يظمأ ظمأ وظاء وظاءة . ب : « الظماء » ط : « الظمان » .  
 (٧) الإكسير : مادة مركبة كان القدماء يزعمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب ، وشراب في زعمهم يطيل الحياة ، معرب . ويسمى أيضاً حجر الفلاسفة . انظر استينجاس ٨٩ .  
 (٨) ب ، م : « وأعبك كلما قابلته » ، صوابه في ط .  
 (٩) ب : « أو لأجتلب » بالخاء المهملة . وفي م : « البشرى » موضع « اليسر » .  
 (١٠) ب فقط : « أو لأتعرف » .  
 (١١) الاجتباء ، بالجيم : الاختيار والاصطفاء . وفي الكتاب العزيز : « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، « شاكراً لأنعمه اجتباه وهداة إلى صراط مستقيم » ، « ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء » . وفي جميع الأصول : « اجتباك » بالخاء المهملة ، تحريف .  
 (١٢) غار يغار غيرة : ثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره ، أو لانصرافها عنه إلى آخر . م فقط : « وأغير » ، تحريف .

واعلم أنَّكَ إِن أَكْثَرْتَ لِي مِنْهُ خَرَجْتُ إِلَى الْفَسَادِ ، وَإِنْ أَقَلَّتْ  
أَقْسَمْتُ عَلَى الْاِقْتِصَادِ ،

وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، وَلِلْخِلَافَةِ قَرَابَةٌ ، وَلِي فِيهَا شُفْعَةٌ <sup>(١)</sup> ،  
وَهُمْ بَعْدُ <sup>(٢)</sup> جَنْسٌ وَعَصَبَةٌ ، فَأَقْلُ مَا أَصْنَعُ إِنْ أَكْثَرْتَ لِي مِنْهُ أَنْ أَطْلُبَ  
الْمُلْكَ ، وَأَقْلُ مَا يَصْنَعُونَ بِي أَنْ أُنْفِيَ مِنَ الْأَرْضِ . فَإِنْ أَقَلَّتْ فَإِنَّكَ الْوَلَدُ  
النَّاصِحُ ، وَإِنْ أَكْثَرْتَ فَإِنَّكَ الْغَاشُّ الْكَاشِحُ . وَالسَّلَامُ .

---

(١) ب : « وفيها شفعة » .

(٢) ب : « أبعد » ، تحريف .

٥

من كتابه في  
طبقات المغنين





## فصل

## من صدر كتابه في طبقات المغنين

ثمَّ إِنَّا وَجَدْنَا الفلاسفةَ المتقدمين في الحكمة ، المحيطين بالأُمور معرفةً ، ذكروا أَنَّ أَصُولَ الآدابِ التي منها يتفرَّعُ العلمُ لدَوَى الألباب أربعة :

فمنها النُّجومُ وبروجُها ، وحسابُها الذي يعرف به <sup>(١)</sup> الأوقاتُ والأزمنة ، وعليها مزاج الطبائعِ وآيَّامِ السَّنة .

ومنها الهندسةُ وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير ، وما أشبه ذلك .

ومنها الكيمياءُ والطُّبُّ اللَّذَانِ بهما صلاحُ المعاش وقِوَامُ الأبدان ، وعِلاجُ الأسقام ، وما يتشعَّب من ذلك .

ومنها اللُّحُونُ ومعرفةُ أَجْزَائِهَا وَقَسْمِهَا ، وَمَقَاطِعُهَا ومخارجُها ووزنها . حتَّى يستوى على الإيقاع ويدخلَ في الوترَ وغير ذلك ممَّا اقتصرنا من ذكره على أسمائه وجُمَلِهِ ، اجتناباً للتَّطْوِيلِ ، وتوخُّياً للاختصار . وقصّداً للأمر الذي إليه انتهينا ، وإيَّاه أردنا . والله الموفق وهو المستعان .

ولم يزلْ أَهْلُ كُلِّ عِلْمٍ فيما خلا من الأزمنة يركبون منهاجَه ، ويسلكون طريقَه . ويعرفون غامضَه ، ويسهلون سبيلَ المعرفة بدلائله ، خلا الغناء . فإنَّهم لم يكونوا عَرَفُوا علله وأسبابَه ووزنه وتصاريفه ، وكان علمُهم به على الهاجس وعلى ما يسمعون من الفارسيَّة والهنديَّة <sup>(٢)</sup>

(١) ب ، م : « بها » ، صوابه في ط .

(٢) ب فقط : « والفهنديَّة » .

إلى أن نظر الخليل البصريُّ في الشعرِ ووزنه ، ومخارج ألفاظه ، وميزَ ما قالت العرب منه ، وجمعه وألّفه ، ووضع فيه الكتابَ الذي سماه العروض ، وذلك أنه عرضَ جميعَ ما رُوي من الشعرِ وما كان به عالماً ، على الأصول التي رسمَهَا ، والعلل التي بينها . فلم يجد أحداً من العرب خرجَ منها ، ولا قصرَ دونَهَا . فلما أحكمَ وبلغَ منه ما بلغَ ، أخذَ في تفسير النغم واللُّحون . فاستدركَ منه شيئاً ، ورسمَ له رسماً احتذى عليه من خلفه ، واستتمّه من عني به <sup>(١)</sup> .

وكان إسحاقُ بن إبراهيم الموصليُّ أوّلَ من حدا حدّوه ، وامتنثلَ هديّه ، واجتمعت له في ذلك آلاَتٌ لم تجتمعَ للخليل بن أحمد قبله <sup>(٢)</sup> ، منها معرفته بالغناء . وكثرةُ استماعه إيادَ وعلمه بحسّنه من قبيلِحه ، وصحيحه من سقيمِه .

ومنها جذُّه بالضرب والإيقاع ، وعلمه بوزنها . وألّف في ذلك كتباً مُعجبةً ، وسهّلَ له فيها ما كان مُستصعباً على غيره ، فصنع الغناءَ بعلمٍ فاضلٍ ، وحذَقَ راجح ، ووزَنَ صحيح ، وعلى أصلٍ مستحكمٍ له دلائلُ صحيحة واضحة . وشواهدُ عادلة <sup>(٣)</sup> . ولم نرَ أحداً وجدَ سبيلاً إلى الطعن عليه والغيب له .

وصنع كثيرٌ من أهل زمانه أغاني كثيرةً بهاجسٍ طبعهم <sup>(٤)</sup> والاتباع لمن سبقهم ، فبعضُ أصاب وجهَ صوابه <sup>(٥)</sup> ، وبعضُ أخطأ ، وبعضُ قصرَ في بعضٍ وأحسنَ في بعضٍ .

(١) ط : « واستمد من عني به » .

(٢) ب ، م : « قبلها » صوابه في ط .

(٣) ب ، م : « وشواهد عادلة » .

(٤) ب فقط : « بها حيس طبعهم » .

(٥) ب ، م : « وجهل صوابه » .

ووجدنا لكل دهر دولةً للمغنين يحملون الغناء عنهم ، ويُطَارِحُونَ به فتیانَ زمانهم ، وجواریَ عصرهم . وكان يكون في كل وقتٍ من الأوقات قومٌ يتنادمون . ويستحسنون الغناء ، ويميزون رديّه من جيده ، وصوابه من خطائه <sup>(١)</sup> ، ويجمعون إلى ذلك محاسنَ كثيرةً في آدابهم وأخلاقهم . ورؤايتهم وهيئاتهم <sup>(٢)</sup> . فلم نجد هذه الطبقة ذكروا . ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقياً .

وخصّصنا في أيامنا وزماننا بفتيةٍ أشرف <sup>(٣)</sup> ، وخُلائِ نِظَاف ، انتظم لهم من آلات الفتوة وأسباب المروءة ما كان محجوباً عن غيرهم ، معادوماً من سواهم ، فحملنى الكلف والمودة لهم <sup>(٤)</sup> والسرور بتخليد فخرهم <sup>(٥)</sup> وتشيد ذكركم والحرص على تقويم أود ذى الأود منهم حتى يالحق بأهل الكمال في صناعته ، والفضل في معرفته ، على تمييز طبقة طبقة منهم ، وتسمية أهل كل طبقة بأوصافهم ، وآلاتهم وأدواتهم . والمذاهب التى نسبوا إليها أنفسهم ، واحتملهم إخوانهم عليها . وخالطنا جداً بهزل ، ومزجنا تقريراً بتعريض <sup>(٦)</sup> ، ولم نرد بأحدٍ ممن سمينا سوءاً ، ولا تعمّدنا نقداً <sup>(٧)</sup> ولا تجاوزنا حداً .

ولو استعملنا غير الصّدق لفضّلنا قوماً وحابينا آخرين . ولم نفعل

(١) الخطاء ، كسحاب : الخط . ط : « خطئه » . والجاحظ يميل إلى استعمال الممدود .

(٢) م : « وروايتهم » ، ب : « ومروءاتهم » ، والوجه ما أثبت من ط . والرواء : المنظر . والمنظر الحسن .

(٣) م : « بقتنة » .

(٤) لهم ، ساقطة من ب .

(٥) م ، ب : « بتجلية فخرهم » .

(٦) التعريض : التأنيب والتعنيف . ب : « تعريضاً » ، بالفاء ، م ، ط ( تعريضاً ) . صوابها

ما أثبت . والتعريض : الذم الذى لا يصرح به .

(٧) ب ، م : « صحا »

ذلك ، تجنباً للحيف<sup>(١)</sup> . وقصداً للإنصاف<sup>(٢)</sup> . وقد نعلم أنَّ كثيراً منهم سيِّبالغ في الذمِّ ، ويحتفل في الشتم<sup>(٣)</sup> ، ويذهب في ذلك غير مذهبنا .

وما أيسرَ ذلك فيما يجبُ من حقوقِ الفتيانِ وتفكيهِهم ، والله حسيبُ من ظلم ، عليه نتوكل وبه نستعين . وهو ربُّ العرش العظيم .

ولم نقصدُ في وصف مَنْ وصفنا من الطبقات التي صنَّفنا منهم . إلَّا لمن أدرَكنا من أهل زماننا مَنْ حصل بمدينة السلام ، إذ مَنْ خرج عنها ونزع إلى الفتوة بعد التوبة ، وإلى أخلاق الحداثة بعد الحنكة<sup>(٤)</sup> ، وذلك في سنة خمس عشرة ومائتين<sup>(٥)</sup> . فرحم الله امرأً أحسنَ في ذلك أمرنا<sup>(٦)</sup> ، وحذاً فيه حدونا ، ولم يعجلَ إلى ذمنا . ودعاً بالمغفرة والرحمة لنا .

وقد تركنا في كلِّ بابٍ من الأبواب التي صنَّفنا في كتابنا . فرجاً<sup>(٧)</sup> لزيادةٍ إن زادت . ولاحقه إن لحقت ، أو نابتةٍ إن نبتت . ومَنْ عسى أن ينتقل به الحذقُ من مرتبته إلى ما هو أعلى منها ، أو يعجزُ به القصور عما هو عليه منها إلى<sup>(٨)</sup> ما هو دونها ، إلى مكانه الذي إليه نقله ارتفاعُ درجةٍ أو انحطاطُها . ومَنْ لعلنا نصير إلى ذكره ممن

(١) م ، ط : « تحبباً » .

(٢) ط : « بل قصداً للإنصاف » .

(٣) ط : « ويحتفل في الشتم » .

(٤) الحنكة والحنك ، يضم الحاء فيهما : التجربة والبصر بالأمور .

(٥) هذا تسجيل لسنة التي تم فيها أو بعدها تأليف هذه الرسالة .

(٦) ب : « من أحسن في ذلك أمرنا » .

(٧) الفرج : جمع فرجة ، والمراد الفراغ الذي يكتب فيه . ب فقط : « فرجاً »

بالحاء المهملة ، تحريف .

(٨) إلى ، ساقطة من ب .

عَزَبَ عَنَّا ذِكْرَهُ ، وَأُنْسِينَا اسْمَهُ ، وَلَمْ يُحِطْ عَلْمُنَا بِهِ ، فَنَصِيرُهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَنُلْحِقُهُ بِأَصْحَابِهِ .

وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَثْبِتَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ إِلَّا بِعِلْمِنَا <sup>(١)</sup> ، وَلَا يَسْتَبَدُّ بِأَمْرٍ فِيهِ دُونُنَا . وَيُورَدُ ذَلِكَ عَلَيْنَا فَنَمْتَحْنُهُ <sup>(٢)</sup> . وَنُعَرِّفُهُ <sup>(٣)</sup> بِمَا عِنْدَهُ ، وَيَصِيرُ إِلَى تَرْتِيبِهِ فِي الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا ، وَالطَّبَقَةِ الَّتِي يَحْتَمِلُهَا .

فَلَمَّا اسْتَبَدَّ لَنَا الْفَرَاغُ مِمَّا أَرَدْنَا مِنْ ذَلِكَ خَطَرَ بِبَالِنَا كَثْرَةُ الْعِيَابِينَ مِنَ الْجُهَّالِ بَرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ يُسْرِعُوا <sup>(٤)</sup> بِسَفَهِ رَأْيِهِمْ وَخِفَّةِ أَحْلَامِهِمْ إِلَى نَقْضِ كِتَابِنَا وَتَبْدِيلِهِ ، وَتَحْرِيفِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَإِزَالَتِهِ عَنْ أَمَاكِنِهِ الَّتِي عَلَيْهَا رَسَمْنَا ، وَأَنْ يَقُولَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى حَالِهِ ، وَبِقَدْرِ هَوَاهُ <sup>(٥)</sup> وَرَأْيِهِ ، وَمُوَافَقَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ ، وَالْمِيلِ فِي ذَلِكَ إِلَى بَعْضٍ ، وَالذَّمِّ لَطَبَقَةِ وَالْحَمْدِ لِأُخْرَى . فَيَهْجُنُوا كِتَابِنَا ، وَيُلْحِقُوا بِنَا مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا .

وَأَحْبَبْنَا أَنْ نَأْخُذَ فِي ذَلِكَ بِالْحَزْمِ ، وَأَنْ نَحْتَاطَ فِيهِ لِأَنْفُسِنَا وَمَنْ ضَمَّهُ كِتَابُنَا ، وَنُبَادِرَ إِلَى تَفْرِيقِ نَسْخٍ <sup>(٦)</sup> مِنْهَا وَتَصْيِيرِهَا فِي أَيْدِي الثَّقَاتِ وَالْمُسْتَبْصِرِينَ . الَّذِينَ <sup>(٧)</sup> كَانُوا فِي هَذَا الشَّأْنِ ، ثُمَّ خَتَمُوا ذَلِكَ

(١) ط : « بعلمنا » ، تحريف .

(٢) في جميع الأصول : « فيمتحنه » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في جميع الأصول : « ويعرفه » بالياء .

(٤) ب فقط : « فلم نأمن من أن يسرع » ، صوابه في سائر النسخ .

(٥) في جميع النسخ : « ولقدر هواه » .

(٦) في جميع النسخ : « نسخة » .

(٧) الذين ، ساقطة من ب ، م .

بالْعَزْلَةِ والتَّوْبَةِ منه ، كصالح بن أبي صالح ، وكأحمد بن سلام ، وصالح مولى رشيدة<sup>(١)</sup> .

ففعَلنا ذلك وصيِّرناه أمانة في أعناقهم ، ونسخةً باقية في أيديهم ، ووَثَّقنا بهم أمانةً ومُسْتَوْدَعين<sup>(٢)</sup> وحَفَظَةً غيرَ مَضِيَّين ولا مَتَّهَمِينَ . وعَلَّمنا أَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ صِيَانَةَ ما اسْتُودِعُوا ، وَحَفَظَ ما عَلَيْهِ اتُّمِنُوا .

فإن شِيبَ<sup>(٣)</sup> به شوبٌ يُخالفه ، وأُضِيفَ إليه<sup>(٤)</sup> ما لا يلائمه ، رجعنا<sup>(٥)</sup> إلى النُّسخة المنصوبة ، والأُصول المخلَّدة عند ذوى الأمانة والثِّقة . واقتصرنا عليها ، واستعلينا بها على المبطلين<sup>(٦)</sup> ، ودفعنا بها<sup>(٧)</sup> إدغال المُدْغِلين ، وتحريف المحرِّفين ، وتزويد المتزيِّدين ، إن شاء الله .

ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم .

(١) لم أجد ترجمة لأحد هؤلاء الثلاثة ، ولم يرد لهم ذكر فيما سبق من مكتبة الجاحظ .

(٢) ب ، م : « وأُمدَّ ومُسْتَوْدَعين » ، صوابه في ط .

(٣) ط : « إذا شِيب » م : « فإن شئت » ، صوابهما في ب .

(٤) إليه ، ساقطة من ب ، م .

(٥) في جميع النسخ : « وجعلنا » .

(٦) ب ، م : « به على المبطلين » .

(٧) ب ، م : « به » .

٦

من كتابه في  
النساء





## ١ - فصل

من صدر كتابه في النساء

إِنَّا لَمَّا ذَكَّرْنَا فِي كِتَابِنَا هَذَا الْحَبَّ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْهُوَى . وَالْهُوَى  
الَّذِي يَتَفَرَّعُ مِنْهُ الْعِشْقُ . وَالْعِشْقُ الَّذِي يَهِيمُ لَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى وَجْهِهِ أَوْ  
يَمُوتُ كَمَدًّا عَلَى فِرَاشِهِ . وَأَوَّلُ ذَلِكَ إِدْخَالُ الضَّمِيمِ عَلَى مَرْوَعَتِهِ ، وَاسْتِشْعَارُ  
الدَّلَّةِ لِمَنْ أَطَافَ بِعَاشِقَتِهِ .

وَلَمْ نُطَنِيبْ مَعَ ذَلِكَ فِي ذِكْرِ مَا يَتَشَعَّبُ مِنْ أَصْلِ الْحَبِّ مِنَ الرَّحْمَةِ  
وَالرَّقَّةِ ، [ وَحَبِّ الْأَمْوَالِ النَّفِيسَةِ وَالْمَرَاتِبِ الرَّفِيعَةِ <sup>(١)</sup> ] ، وَحَبِّ الرِّعْيَةِ  
لِلْأَثَمَةِ ، وَحَبِّ الْمُصْطَفَعِ لِمُصَاحِبِ الصَّنِيعَةِ ، مَعَ اخْتِلَافِ مَوَاقِعِ ذَلِكَ مِنْ  
النَّفُوسِ ، وَمَعَ تَفَاوُتِ طَبَقَاتِهِ فِي الْعَوَاقِبِ ، احْتِجْنَا إِلَى الْإِعْتِزَالِ مِنْ  
ذِكْرِ الْعِشْقِ الْمَعْرُوفِ بِالصَّبَابَةِ . وَالْمُخَالَفَةِ عَلَى قُوَّةِ الْعَزِيمَةِ ، لِنَجْعَلَ <sup>(٢)</sup>  
ذَلِكَ الْقَدَرُ جُنَّةً دُونَ مَنْ حَاوَلَ <sup>(٣)</sup> الطَّعْنَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ ، وَسَخَّفَ  
الرَّأْيَ الَّذِي دَعَا إِلَى تَأْلِيفِهِ ، وَالْإِشَادَةَ بِذِكْرِهِ <sup>(٤)</sup> . إِذَا كَانَتْ الدُّنْيَا  
لَا تَنْفَكُ مِنْ حَاسِدٍ بَاغٍ . وَمَنْ قَاتِلٌ مُتَكَلِّفٌ ، وَمَنْ سَامِعٌ طَاعِنٌ ، وَمَنْ  
مُنَافِسٌ مُقَصِّرٌ . كَمَا أَنَّهَا لَا تَنْفَكُ مِنْ ذِي سَلَامَةٍ مُتَسَلِّمٌ ، وَمَنْ عَالِمٌ  
مُتَعَلِّمٌ ، وَمَنْ عَظِيمُ الْخَطَرِ حَسَنُ الْمُحْضَرِ ، شَدِيدُ الْمُحَامَاةِ عَلَى حَقُوقِ  
الْأُدْبَاءِ . قَلِيلُ التَّسْرُّعِ إِلَى أَعْرَاضِ الْعُلَمَاءِ .

وَإِنَّمَا الْعِشْقُ اسْمٌ لِمَا فَضَّلَ عَنْ الْمَقْدَارِ الَّذِي اسْمُهُ حَبٌّ . وَلَيْسَ

(١) التَّكَلُّفُ مِنْ م ، ط .

(٢) ب ، م : « لِيَجْعَلَ » .

(٣) ب ، م : « مَا حَاوَلَ » .

(٤) ب ، م : « وَالْإِشَادَةُ بِذِكْرِهِ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

كُلُّ حُبٍّ يَسْمَى عَشْقًا . وإنما العشق اسمٌ للفاضل عن ذلك المقدار ، كما أَنَّ السَّرْفَ اسمٌ لما زاد على المقدار الذي يُسَمَّى جُودًا . والبُخْلُ اسمٌ لما نقص عن المقدار الذي يسمَّى اقتصادًا . والجبن اسمٌ لما قصر عن المقدار الذي يسمَّى شجاعة .

وهذا القول ظاهرٌ على ألسنة الأدباء ، مُستعملٌ في بيان الحكماء . وقد قال عروة بن الزبير : <sup>(١)</sup> ( والله إني لأعشق الشرف كما تُعشق المرأة الحسناء ) .

وذكر بعضُ الناس رجلاً كان مُدَقِّعاً محروماً ، ومنحوس الحظُّ مُنوعاً ، فقال : ما رأيت أحداً عَشِقَ الرِّزْقَ عِشْقَهُ . ولا أَبْغَضَهُ الرِّزْقَ بُغْضَهُ ! فذكر الأولُ عِشْقَ الشَّرَفِ ، وليس الشَّرَفُ بامرأة ، وذكر الآخرُ عِشْقَ الرِّزْقِ والرِّزْقَ اسمٌ جامعٌ لجميع الحاجات .

وقد يستعمل الناس الكناية <sup>(٢)</sup> ، وربَّما وضعوا الكلمة بدل الكلمة . يريدون أَنَّ يَظْهَرُ المعنى <sup>(٣)</sup> بآلِين اللفظ ، إما تَنَوُّيًّا وإما تَفْضِيلاً <sup>(٤)</sup> ، كما سَمَّوا المغزول عن ولايته مَصْرُوفًا ، والمنهزم عن عدوه مُنْحَازًا . نَعَمْ ، حَتَّى سَمَّى بعضهم البخيل مقتصدًا ومصلحاً <sup>(٥)</sup> ، وسَمَّى عامل الخراج المتعدي بحقِّ السلطان مُسْتَقْصِيًا <sup>(٦)</sup> .

(١) م : « وقد عروة » فقط .

(٢) ط : « الكتابة » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) م فقط : « يظهر المعنى » .

(٤) في جميع الأصول : ١. إما تنوها وإما تفصيلاً ، والوجه ما أثبت . والتنويه : الإظهار والإشادة والتعريف .

(٥) م : « أو مصلحاً » .

(٦) في جميع الأصول : ( مستقصياً ) بلعين ، والوجه ما أثبت . والاستقصاء : بلوغ الغاية القصوى .

ولما رأينا الحُبَّ من أكبر أسباب جماع الخير ، ورأينا البُغْض من أكبر أسباب الشر . أَحْبَبْنَا<sup>(١)</sup> أَنْ نذكر أبواب السَّبَبِ الجالب [للخير . ليفرق بينه وبين أبواب السَّبَبِ الجالب<sup>(٢)</sup> ] للشر حتَّى نذكر أوصوْطهما وعَلَلهما الداعية إليهما . والموجبة لكونهما .

فَتَأَمَّلْنَا شَأْنَ الدُّنْيَا فوجدنا أكبر نعيمِها وَأَكْمَلَ لَذَاتِهَا . ظَفَرَ الْمُحِبِّ بِحَبِيبِهِ ، وَالْعَاشِقِ بِطَلِيبَتِهِ<sup>(٣)</sup> . ووجدنا شِقْوَةَ الطَّالِبِ الْمُكْدِي وَغَمَّهُ . فِي وَزْنِ سَعَادَةِ الطَّالِبِ الْمُتَنَجِّحِ وَسُرُورِهِ . وَوجدنا العشق كلَّما كان أَرْسَخَ ، وصاحبُهُ به أَكْلَفَ ، فَإِنَّ مَوْقِعَ لَذَّةِ الظَّفَرِ مِنْهُ أَرْسَخَ ، وَسُرُورُهُ بِذَلِكَ أَهْيَجَ . فَإِنَّ زَعْمَ زَائِعٍ أَنَّ مَوْقِعَ لَذَّةِ الظَّفَرِ بَعْدَوُهُ الْمُرْصِدُ أَحْسَنُ مِنْ مَوْقِعِ لَذَّةِ الظَّفَرِ مِنَ الْعَاشِقِ الْهَائِمِ بِعَشِيقَتِهِ<sup>(٤)</sup> .

قلنا : إِنَّا قَدْ رَأَيْنَا الْكِرَامَ وَالْحُلَمَاءَ ، وَأَهْلَ السُّودِّ وَالْعِظَمَاءَ . رَبَّمَا<sup>(٥)</sup> جَادُوا بِفَضْلِهِمْ مِنْ لَذَّةِ شِفَاءِ الْغَيْظِ . وَيَعْلُدُونَ ذَلِكَ زِيَادَةً فِي نُبْلِ النَفْسِ ، وَيُبْعِدُ الْهَمَّةَ وَالْقُدْرَ . وَيُجَوِّدُونَ بِالنَّفِيسِ مِنَ الصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ . وَبِالْثَّمِينِ مِنَ الْعُرُوضِ<sup>(٦)</sup> . وَرَبَّمَا خَرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ . وَآثَرَ طِيبَ الذِّكْرِ عَلَى الْغِنَى وَالْيُسْرِ . وَلَمْ تَرَ نَفْسَ الْعَاشِقِ تَسْخُو بِمَعشوقِهِ ، وَيَجُودُ بِشَقِيقَتِهِ نَفْسَهُ<sup>(٧)</sup> لَوْلَا وَلَا لَوْلَا بَارٌّ . وَلَا لَذَى نَعْمَةٍ سَابِغَةٍ<sup>(٨)</sup> يَخَافُ سَلْبَهَا ، وَصَرَفَ إِحْسَانَهُ عَنْهُ بِسَبَبِهَا .

(١) ط : « اجتنبنا » ، صوابه في ب م .

(٢) ما بين المعقفين ساقط من ب .

(٣) الطلب والطلبة ، بكسر الطاء فيهما : ما يطلبه العاشق وبهواه . الأخيرة عن الخياري . وفي جميع النسخ : « بطليبه » .

(٤) ب : « لعشيقته » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ب : « وربما » ، صوابه في م ، ط .

(٦) العروض : الأمثلة ، سوى الدراهم والدينير فيهن عين ، واحده عرض ، بالفتح .

(٧) ب : « لشقيقة نفسه » ، تحريف ب : « بعشيقته نفسه » ، وأثبت ما في ط .

(٨) السابغة : الكامة الوافية . ب فقط : « السابغة » ، بالعين المهملة ، تحريف .

ولم نر الرجال يَهْبُونَ للرجال إِلَّا مالا بال به<sup>(١)</sup> ، في جَنْب ما يهبون للنساء . حتَّى كَأَنَّ العِطْرَ والصَّبْغَ<sup>(٢)</sup> ، والخِضَابَ والكحل . والنَّتْفَ والقَصَّ ، والتحذيفَ والحلقَ ، وتجويدَ الثِّيَابِ وتنظيفها ، والقيامَ عليها وتعهُّدها ، مِمَّا لم<sup>(٣)</sup> يتكلَّفوه إِلَّا هُنَّ ، ولم يتقدَّموا فيه إِلَّا من أَجلهنَّ ، وحتَّى كَأَنَّ الحَيَّطَانَ الرَّفِيعَةَ ، والأبوابَ الوثِيقَةَ ، والسُّتُورَ الكثيفةَ<sup>(٤)</sup> ، والخِصْيَانَ والطَّوْورَةَ . والحُشُوةَ والحواضِنَ لم تُتَّخَذْ<sup>(٥)</sup> إِلَّا لِلصَّوْنِ هُنَّ ، والاحتفاظِ بما يجب من حفظ النِّعمة فيهنَّ .

## ٢ - فصل منه

وباب آخر : وهو أَنَّا لم نجد أَحَدًا مِنَ النَّاسِ<sup>(٦)</sup> عَشِيقَ والدِيهِ ولا وَلَدَهُ ، ولا من عَشِيقٍ مراكبِهِ ومنزِلِهِ . كما رأيناهم يموتون من عِشْقِ النِّسَاءِ الحرامِ . قال الله تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾<sup>(٧)</sup> . فقد ذكر<sup>(٨)</sup> تبارك وتعالى جملةَ أَصْنَافٍ ما خوَّهم من كرامته ، ومنَّ عليهم من نعمته ، ولم نرَ النَّاسَ<sup>(٩)</sup> وَجَدُوا بشيءٍ من هذه الْأَصْنَافِ وَجَدَهُم بالنِّسَاءِ . ولقد قدَّم ذكرهنَّ في هذه الآية على قدر تقدُّمهنَّ في قلوبهم .

- 
- (١) ب ، م : « يتهبون » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط : والاتباب : قبول الهبة ، ولا وجه له هنا . وفي ب ، م أيضاً : « إلا بما لا بال له » ، صوابه في ط .  
 (٢) ب : « والصبغ » ، صوابه في م ، ط .  
 (٣) ب ، م : « ما لم » ، صوابه في ط ..  
 (٤) السُّتُور : جمع سُر ، بالكسر . ب فقط : « والسطور » ، تحريف .  
 (٥) ب ، م : « لم يتخذ » ، ط : « لم يتخذن » ، والوجه ما أثبت .  
 (٦) كلمة « الناس » ساقطة من ب ، م ثبتة في ط .  
 (٧) الآية ١٤ من سورة آل عمران .  
 (٨) ب : « فقد دل » ، صوابه في م ، ط .  
 (٩) ب : « ولم ير الناس » ، وأثبت ما في م ، ط .

فإن قال قائل : فقد نجد الرجلَ الحليمَ ، والشَّيخَ الرُّكِينِ ، يسمع الصوتَ المُطْرِبَ من المغنَّى المصيبِ ، فينقله ذلك إلى طَبْعِ الصَّبِيانِ ، وإلى أفعالِ المجانينِ ، فيشقُّ جيبه ، وينقُضُ حُبُوتَه ، ويفدِّي غيره <sup>(١)</sup> ، ويرقصُ كما يرقصُ الحدثُ الغريرُ ، والشابُّ السَّفيه . ولم نجد أحداً فعلَ ذلك عند رؤية معشوقه .

قلنا : أمّا واحدةٌ فإنّه لم يكن ليدعَ التَّشَاغُلَ بِشَمِّها وبرشفيها ، واحتضانِها . وتقبيلِ قدميها . والمواضع التي وطئتُ عليها <sup>(٢)</sup> ، ويتشَاغَلُ بالرقصِ المبين لها . والصُّراخِ الشاغلِ عنها . فأما حلُّ الحُبُوة ، والشَّدُّ حُضْراً عند رؤية الحبيبة <sup>(٣)</sup> فإنَّ هذا مما لا يحتاج إلى ذكره <sup>(٤)</sup> ، لوجوده وكثرة استعمالهم له . فكيف وهو إن خلا بمعشوقه لا يظن <sup>(٥)</sup> أنَّ لذة الغناء تشغله <sup>(٦)</sup> بمقدار العُشْرِ من لذته ، بل ربّما لم يخطر له ذلك الغناء على بال .

وعلى أنَّ ذلك الطرب مجتازٌ غير لابت <sup>(٧)</sup> ، وظاعنٌ غير مقيم ؛ ولذّة المتعاشقين راكدة أبداً <sup>(٨)</sup> مقيمة غير ظاعنة .

وعلى أنَّ الغناء الحسنَ من الوجهِ الحسنِ والبَدَنِ الحسنِ ، أحسن ،

(١) ب : « ويغنى » م : « ويقدى » ، صوابهما في ط .

(٢) في جميع النسخ : « عليه » تحريف .

(٣) الحضر ، بالضم : أصه عدو الفرس . ب : « والشد خسرأ » م : « والشد خسر » . وفي ط : « والصراخ عند رؤية الحبيبة » ، صوابه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ما لا يحتاج إلى ذكره » .

(٥) ب ، م : « فكيف وإن هو خلا بمعشوقه فظن » ، صوابه في ط .

(٦) ب : « يشغل » م : « تشغل » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٧) ب : « ثابت » .

(٨) ب ، م : « راكدة لا بد » .

والغناء<sup>(١)</sup> الشهي من الوجه الشهي والبدن الشهي أشهي . وكذلك الصوت  
الناعم الرخيم من الجارية الناعمة الرخيمة .

وكم بين أن يفدى إذا شاع فيك الطرب ملوكك ، وبين أن يفدى  
أمتك<sup>(٢)</sup> ؟

وكم بين أن يسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله<sup>(٣)</sup> ، وبين  
فم تشتهي أن تصرف وجهك عنه .

وعلى أن الرجال دخلاء على النساء في الغناء ، كما رأينا رجالاً  
ينوحون ، فصاروا دخلاء على النوائح .

وبعد . فأيما أحسن وأملح<sup>(٤)</sup> ، وأشهي وأغنج ، أن يغنيك فحل  
ملتف اللحية ، كث العارضين ، أو شيخ منخل الأسنان . مغضن  
الوجه ، ثم يغنيك إذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كل كل خالد فاقبلت أسعى كالعجول أبادر<sup>(٥)</sup>  
أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس ، أو كأنها ياسمينه ، أو كأنها  
خُرطت من ياقوتة ، أو من فضة مجلوة<sup>(٦)</sup> . بشعر عكاشة بن محصن<sup>(٧)</sup> :

(١) ب : والغنى « تحريف ما في م ، ط .

(٢) كذا وردت « يفدى » بالياء في جميع النسخ ، ولها وجهها .

(٣) ب ، م : « يشتهي أن يقبله » صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وبعد فإنما » ، صوابه في ط .

(٥) كناية الجرجاني ٣٥ . وانظر للشعر ومقتل زهير بن جذيمة العبسي ، الأغاني .

١٠ : ١١ - ١٥ .

(٦) انظر نحو هذا الكلام لثامة بن أشرس مع المأمون في زهر الآداب ٦٠٩

(٧) كذا . وعكاسة بن محصن صحابي لم يؤثر عنه شعر . انظر الإصابة ٥٦٢٦ . وإنما الشعر  
لعكاشة بن عبد الصمد العبسي البصري ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الهاشمية . وأخوه  
أبو العاذر العبسي شاعر أيضاً . وبنو العم : قوم نزلوا بني تميم بالبصرة أيام عمر بن الخطاب  
فأسلموا وغزوا مع المسلمين وحسن بلاؤهم ، فقال لهم الناس : أنتم وإن لم تكونوا من العرب ،  
إخواننا وبنو العم ، فعرفوا بذلك فصاروا في حلة العرب .

من كفَّ جاريةً كأنَّ بناتِها  
 مِنْ فضَّةٍ قد طُرِفَتْ عُناباً<sup>(١)</sup>  
 وكانَ يُمنّاها إذا نطقت به  
 ألقت على يديها الشّمالِ حساباً<sup>(٢)</sup>

### ٣ - فصل منه

فأمّا الغناء المطرب في الشعر الغزل فإنّما ذلك من حقوق النساء .  
 وإنّما ينبغي أن تغني<sup>(٣)</sup> بأشعار الغزل والتشبيب<sup>(٤)</sup> ، والعشق ،  
 والصّباية بالنساء اللواتي فيهنّ نطقت تلك الأشعار ، ويهنّ شبّ الرجال ،  
 ومن أجلهنّ تكلفوا القول في النسيب<sup>(٥)</sup> .

وبعد ، فكلُّ شيءٍ وطبّقه ، وشكّله ولّفقه ، حتّى تخرج الأمور  
 موزونة معدّلة ، ومتساوية مُخلّصة<sup>(٦)</sup> .

= وفي النقائض ٣٦٠ أن بنى العم ، هم مرة بن مالك بن حنظلة . والبيتان بدون نسبة في الأمل  
 ١ : ٣٢٠ وحاسة ابن الشجرى ٢٦٠ ونسباً في الأغاني ٣ : ٧٣ وسمط اللآلى ٥٢٦ ، وزهر  
 الآداب ٦٠٩ ونهاية الأرب ٥ : ١١٤ إلى عكاشة العمى . ونسباً في العقد ٦ : ٧٤ إلى عكاشة بن  
 الحصين خطّ . وقبلهما في سمط اللآلى :

هبوا فقد عذب النسيم وطابا      والدهر يذهب بالنعيم ذهابا

حتوا على حسن الصبوح فقد نضا      نور الصباح من الدجى جلبابا

وقبلهما في الأغاني ثلاثة أبيات هي والبيتان خمسة ، في صوت من المائة المختارة :

ياليلة جمعت لنا الأحبابا      لوشتت دام لنا النعيم وطابا

بتنا نسقاها شولا قرقفا      تدع الصحيح بعقله مرتابا

جرء مثل دم الغزال وتارة      عند المزاج تخالها زربابا

(١) يقال طرفت الجارية بناتها ، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء . وهذا البيت ساقط

من م .

(٢) في الأمل وابن الشجرى : « نطقت بها » . وفي نهاية الأرب : « نطقت به » كما

هنا . وفي العقد والزهر : « إذا ضربت بها » . وفي ب ، م : « على يده الشمال » صوابه في

ط وحاسة ابن الشجرى . وفي جميع النسخ : « حبابا » وصوابه في جميع المراجع . وفي الأمل

والعقد ونهاية الأرب : « تنق على يدها الشمال » ، وفي زهر الآداب : « تنق على الكف الشمال » .

(٣) ب فقط : « نغنى » .

(٤) ب ، م : « والتشبيب » ، صوابه في ط .

(٥) ط : « في التشبيب » .

(٦) ب : « متساوية مخلص » .

ولو أَنَّ رجلاً من أدمسِ الناس وأشدَّهم تلخيصاً لكلامه ، ومحاسبةً لنفسه<sup>(١)</sup> ، ثم جلس مع امرأةٍ لا تُزَنُّ بمنطق<sup>(٢)</sup> ، ولا تعرف بحسن حديث<sup>(٣)</sup> ، ثم كان يعشقها ، لتَنَاتَجَ بينهما من الأحاديث ، ولتَتَلَقَّحَ بينهما<sup>(٤)</sup> من المعاني والألفاظ ، ما كان لا يجرى بين دَغْفَلِ ابن حنظلة<sup>(٥)</sup> ، وبين ابن لسان الحُمرة<sup>(٦)</sup> . وإنَّما هذا على قدر<sup>(٧)</sup> تمكُّن الغَزَلِ في الرَّجُلِ .

#### ٤ - فصل منه

والمرأة أيضاً أرفعُ حالاً من الرَّجُلِ في أمور . منها : أَنَّها التي تُخْطَبُ وتُتراد ، وتُعشَقُ وتُطلب ، وهي التي تُفَدَّى وتُحَمَى . قال عَنبَسَةُ بن سعيد<sup>(٨)</sup> للحجاج بن يوسف : أَيَفَدَى الأَمِيرُ أَهْلَهُ ؟ . قال : والله إنَّ تعدُّوني إلَّا شيطاناً ، والله لربَّما رَأَيْتُنِي أَقْبِلُ رَجُلًا إِحْدَاهُنَّ !

(١) م : « لكلامه ومحاسنه » فقط . وفي جميع النسخ : « محاسنه » بالنون ، والوجه ما أثبت .

(٢) زنه بالخير أو بالمد ، أو بالعلم زنا ، وأزنته إزنانا : ظنه به . ب ، م : « لا يزن بمنطق » .

(٣) ب ، م : « ولا يعرف بحسن حديث » .

(٤) ب : « والتلاقح بينهما » . والذي في ط : « ما كان الناتج بينهما من الأحاديث والمتلاقح بينهما من المعاني والألفاظ إلا ما كان يجرى بين دغفل بن حنظلة » .

(٥) ودغفل هذا ودغفل بن حنظلة بن زيد الشيباني الذهلي النسابة الخطيب . أدرك الرسول الكريم ولم يسمع منه . غرق في يوم دولا ب في قتال الخوارج سنة ٧٠ . الإصابة ٢٣٩٥ وابن النديم ١٣١ والمعارف ٢٣٢ والاشتقاق ٢١١ وتاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ٢٨٧ . وانظر أخباره وأقواله في البيان والتنبيه .

(٦) في جميع النسخ : « وبين بشار بن الحمرة » ، والوجه ما أثبت . وابن لسان الحمرة هذا هو عبيد الله بن الحصين ، أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ . وهو أعرابي من بني تميم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة : « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً » . دخل الكوفة وعليها المغيرة بن شعبة ، فسأله المغيرة عن طبائع قبائل من العرب ، وعن خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، سردها أبو الفرج في الأغاني ١٤ : ١٣٨ .

(٧) ب : « على قدر » ، صوابه في م ، ط .

(٨) هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، كان من جلساء الحجاج ، كما في الاشتقاق ٧٩ وجهرة ابن حزم ٨١



## ٥ - فصل منه

وإنَّما يملك المولى من عبده بدنَه ، فأما قلبُه فليس له عليه سلطان .  
والسلطانُ نفسه وإن ملك رقابَ الأُمَّة <sup>(١)</sup> ، فالناس يختلفون في جهة  
الطَّاعة ، فمنهم من يطيع بالرَّغبة ، ومنهم من يُطيع بالرَّهبة ، ومنهم  
من يطيع بالمحبة ، ومنهم من يُطيع بالديانة .

وهذه الأصناف ، وإن كان أفضلها طاعةُ الديانة فإنَّ تلك المحبة  
ما لم يمازجها هوى لم تقوَ <sup>(٢)</sup> على صاحبها قوة العشق . وفي الأثر  
المستفيض والمثل السائر : « إن الهوى يُعمى ويُصم » ؛ فالعشق يقتل .

## ٦ - فصل منه

ومَّا يُستدلُّ به على تعظيم شأنِ النساءِ أنَّ الرجل يُستحلفُ بالله  
الذى لا شيء أعظمُ منه ، وبالمشي إلى بيتِ الله ، وبصدقةِ ماله ، وعق  
رقيقه . فيسهل ذلك عليه <sup>(٣)</sup> ، ولا يأنفُ منه . فإن استحلفَ بطلاق  
امراته تبرّد وجهه <sup>(٤)</sup> ، وطار الغضبُ في دماغه ، ويمتنع <sup>(٥)</sup> ويعصى ،  
ويغضب ويأبى ، وإن كان المُحلف سلطاناً مهيباً ، ولو لم يكن يحبها <sup>(٦)</sup> ،  
ولا يستكثر منها ، وكانت نفسها قبيحة المنظر ، دقيقة الحسب ،  
خفيفة الصداق ، قليلة النسب .

ليس ذلك إلا لما قد عظمَ الله من شأنِ الزوجات في صدور الأزواج <sup>(٧)</sup> .

(١) رقاب ، ساقطة من ب .

(٢) في جميع الأصول : « لم يقوَ » ، ومرجع الضمير إلى المحبة .

(٣) م : « فيسهل عليه ذلك » .

(٤) تبرّد : احر حمرة فيها سواد عند الغضب . ب : « تزيد » م : « يزيد » ، صوابهما في ط .

(٥) في جميع الأصول : « ويمتنع » .

(٦) ب : « ولم يكن محبها » .

(٧) ب : « الرجال » .

## ٧ - فصل منه في ذكر الولد

وباب آخر : وهو أَنَّا لو خَيْرْنَا رجلاً بين الفقر<sup>(١)</sup> أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، وبين أَن يكون ممتعاً بالباءِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، لاختار الفقرَ الدائمَ مع التمتع الدائم .

وليس شَيْءٌ مَّا يُحَدِّثُ اللهَ لعباده من أَصْنَافِ نِعَمِهِ وضُرُوبِ فَوَائِدِهِ ، أَبْقَى ذِكْراً ، وَلَا أَجَلَ خَطِراً<sup>(٢)</sup> من أَن يكون للرجل ابنٌ يكون وَلِيَّ بَنَاتِهِ ، وسَاتِرَ عَوْرَةِ حُرْمِهِ ، وقَاضِيَ دِينِهِ ، ومُحْيِيَ ذِكْرِهِ . مَخْلُصاً فِي الدُّعَاءِ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وقَائِماً بَعْدَهُ فِي كُلِّ مَا خَلَّفَهُ مَقَامَ نَفْسِهِ .

فَمَنْ أَقَلُّ أَسْفَافاً عَلَى مَا فَارَقَ ، مِمَّنْ خَلَّفَ كَافِياً مَجْرِباً ، وَحَائِطاً مِنْ وَرَاءِ الْمَالِ مُوقِراً ، وَمِنْ وَرَاءِ الْحَرَمِ حَامِياً ، وَلِسُلْفِهِ فِي النَّاسِ مُحِبِّباً . وَقَالَ رَجُلٌ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقَدْ ذُكِرَ وَلَدُهُ لَهُ<sup>(٣)</sup> : « أَرَأَيْكَ اللهُ فِي بَنِيكَ مَا أَرَى أَبَاكَ فِيكَ ، وَأَرَى بَنِيكَ فِيكَ مَا أَرَأَكَ فِي أَبِيكَ ! » .

وَنَظَرَ شَيْخٌ وَهُوَ عِنْدَ الْمَهْلَبِ إِلَى بَنِيهِ قَدْ أَقْبَلُوا فَقَالَ : « آتَسَّ اللهُ بِكُمْ لَاحِقَكُمْ ، فَوَاللهِ إِنِّ لَمْ تَكُونُوا أَسْبَاطَ نُبُوءَةٍ<sup>(٤)</sup> إِنِّكُمْ أَسْبَاطُ مَلْحَمَةٍ » .

وَلَيْسَتْ النُّعْمَةُ فِي الْوَلَدِ الْمُحْيِي<sup>(٥)</sup> ، وَالْخَلْفُ الْكَافِي ، بِصَغِيرَةٍ .

(١) ب : « الفقراء » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا أجل خطراً » .

(٣) ب : « ولسفه ذكر ولد له » بهذا النقص والتحريف . والإكمال والتصحيح من م ، ط ، مع زيادتي لكلمة « وقد » . وفي البيان ٢ : ١٤٥ : « وقال مديني لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه » . على أن الخبر قد روى في مجالس ثعلب ٢٢٧ في قصة دخول الوفود إلى الوليد بن يزيد حين بايع لابنيه الحكم وعثمان .

(٤) ب فقط : « نبوة » بتقديم الباء .

(٥) ب ، م : « المحوى » صوابه في ط . والمراد المحيى لذكر والده .

## ٨ - فصل منه

وباب آخر : وهو أَنَّ الله تعالى خلق من المرأة ولداً من غير ذكر ، ولم يخلق من الرجل ولداً من غير أنثى . فخصَّ بالآية العجيبة والبرهان المنير المرأة دون الرجل ، كما خلق المسيح في بطن مريم من غير ذكر .

## ٩ - فصل منه في ذكر القربات

وأما أنا فإني أقول : إنَّ تباغض الأقرباء عارضٌ دخيل ، وتحابُّهم واطدُّ أصيل ، والسَّلامة من ذلك أعمُّ ، والتَّناصر أظهر ، والتَّصادق في المودة أكثر . فلذلك القبيلة تنزلُ معاً وترحلُ معاً ، وتُحارب من ناوَأها معاً ، إلَّا الشاذَّ النادر ، كخروج غنيٍّ وباهلة من غطفان ، وكنزول عبسٍ في بني عامر ، وما أشبه ذلك <sup>(١)</sup> . وإلَّا فإنَّ القرابة يدٌ واحدة على من ناوَأهم <sup>(٢)</sup> ، وسيفٌ واحد على من عاداهم <sup>(٣)</sup> ، وما صلاحُ شأنِ العشائر إلَّا بتقارب سادتهم في القدر ، وإنَّ تفاوتوا <sup>(٤)</sup> في الرياسة والفضل ، كما قال <sup>(٥)</sup> في الأثر المستفيض : « لا يزال النَّاسُ بخير ما تفاوتوا ، فإذا تقاربوا هلكوا » .

وحالُ العامة في ذلك كحال الخاصة .

## ١٠ - فصل منه

وقضيةٌ واجبة : أَنَّ الناس لا يُصلحهم إلَّا رئيسٌ واحد ، يجمع شملهم ، ويكفيهم ويحميهم من عدوِّهم ، ويمنع قوَّيهم من ضعيفهم .

(١) ذلك ، من ط فقط .

(٢) م : « ناوى لهم » ، تحريف .

(٣) م : « من عادلم » ، تحريف .

(٤) م ، ب : « وإن يتفاوتوا » .

(٥) كذا . والوجه « قيل » .

وقليلٌ له نظام ، أقوى من كثيرٍ نَشَرٌ<sup>(١)</sup> لا نظام لهم ، ولا رئيسٌ عليهم .  
 إذ قد علم الله<sup>(٢)</sup> أَنَّ صلاحَ عامةِ البهائم في أَنْ يجعلَ لكلِّ جنسٍ<sup>(٣)</sup> منها  
 فحلاً يُوردها الماءُ ويُصيرها . وتتبعه إلى الكلاء ، كالعَير في العانة<sup>(٤)</sup> ،  
 والفحل من الإبل في الهجمة<sup>(٥)</sup> ، وكذلك النحلُ العَسَّالة<sup>(٦)</sup> ،  
 والكرأكي<sup>(٧)</sup> ، وما يحمي الفرسُ الحصانُ الحُجُورَ في المَروج<sup>(٨)</sup> ،  
 فجعل منها رؤوساً متبوعة ، وأذناً تابعة .

ولو لم يُقيم الله للنَّاسِ الوزعة من السُّلطان ، والحُماة من المُلوكِ وأهلِ  
 الحِياطة عليهم من الأئمة - لعادوا نَشَرًا<sup>(٩)</sup> لا نظامَ لهم ، ومُستكَلِبِينَ  
 لا زاجرَ لهم ، ولكانَ مَنْ عَزَّ بَزَّ<sup>(١٠)</sup> ، وَمَنْ قدر قهر ، ولَمَّا زال اليُسْر  
 راكداً ، والهرجُ ظاهراً ، حتَّى يكون التغابُنُ والبَوارُ<sup>(١١)</sup> ، وحتَّى تنطمسَ

(١) النشر ، بالتحريك : القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس . وهذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) ط : « الله سبحانه وتعالى » .

(٣) ب : « في كل جنس » .

(٤) العانة : القطيع من حمر الوحش . وانظر لعير العانة الحيوان ١ : ١١٠ ، ١٩٥ /  
 ٧ : ١٤١ . وفي جميع النسخ : « الغابة » ، صوابه ما أثبت .

(٥) في الأصول : « والفحل في الإبل » . وفي ط أيضاً : « والهجمة » ، والوجه  
 ما أثبت .

(٦) انظر الحيوان ١ : ١٩ / ٣ : ٣٢٩ / ٥ : ٤١٧ .

(٧) الحيوان ٣ : ٣٢٨ ، ٤٠٦ / ٥ : ٤١٩ .

(٨) الحُجُور : جمع حجر ، بالكسر ، الفرس الأنثى . ويقال في جمعه أحجار وحجورة  
 أيضاً . وانظر الحيوان ٧ : ١٤١ .

(٩) انظر للنشر ما سبق قريباً في هذه الصفحة. ب : « نَشَرًا » ط : « نَثَرًا » ، صوابهما في م .

(١٠) ب : « من عز يزل غيره » ، صوابه في م ، ط . وانظر جمهرة العسكري ٢ : ٢٨٨  
 والفاخر ٨٩ والميداني ٢ : ٢٣٥ والمستقصى ٢ : ٣٥٧ واللسان ( بَزَز ) . ومعناه من غلب  
 سلب . قاله جابر بن رَأْلان السنبسي لما أفرغ النعمان يوم بؤسه بينه وبين صاحبيه ، فقرعهما  
 فخلل سبيله .

(١١) التغابن : أن يغبن القوم بعضهم بعضاً . ب : « التغاي » ، صوابه في م ، ط .

منهم الآثار<sup>(١)</sup> ؛ ولكانت الأنعام طعاماً للسباع ، وكانت عاجزة عن حماية أنفسها ، جاهلة بكثير من مصالح شأنها .

فوصل الله تعالى عجزها بقوة من أحوجه إلى الاستمتاع بها ، ووصل جهلها بمعرفة من عرف كيف وجه الحيلة في صونها والدفاع عنها .

وكذلك فرض على الأئمة أن يحوطوا الدهماء<sup>(٢)</sup> بالحراسة لها ، والذيادة عنها<sup>(٣)</sup> ، ويرد قويها عن ضعيفها<sup>(٤)</sup> ، وجاهلها عن عالمها ، وظالمها عن مظلومها ، وسفيها عن حليمها .

فلولا السائس ضاع المسوس ، ولولا قوة الراعي هلكت الرعية<sup>(٥)</sup> .

#### ١١ - فصل منه

وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الإمام بالإمامة . وبالسلمة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة ، وتكون الألفة ، ويصلح شأن الجماعة . وإذا كانت الجماعة انتهت الأعداء ، وانقطعت الأهواء<sup>(٦)</sup> .

#### ١٢ - فصل منه

ولسنا نقول ولا يقول أحد من يعقل : إن النساء فوق الرجال ، أو دونهم بطبقة أو طبقتين ، أو بأكثر<sup>(٧)</sup> ، ولكننا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الزرية ، ويحتقرونهن أشد الاحتقار ، ويبخسونهن أكثر حقوقهن .

(١) ب ، م : « ينطمس » ، وفي ب : « منه الآثار » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب : « أن يحيط الدهماء » ط : « أن يحوطها » م : « أن يحوط الدهماء » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصول : « والزيادة عنها » ، صوابه ما أثبت . والذيادة والذود : الدفع .

(٤) ب : « وترد » ، م ، ط : « ويرد » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ب : « هلكت الرعية » .

(٦) ب ، م : « وانقطع الأهواء » .

(٧) ب ، م : « إلا بأكثر » ، صوابه في ط .

وإنَّ من العجز أنَّ يكون الرجل لا يستطيع توفيرَ حقوقِ الآباءِ والأعمامِ إلَّا بأنَّ ينكر حقوقَ الأمَّهاتِ والأخوالِ ، فلذلك ذكرنا جملةً ما للنساءِ من المحاسنِ .

ولولا أنَّ ناساً يفخرون بالجلد وقوَّةِ المُنَّةِ ، وانصرافِ النفسِ عن حبِّ النساءِ ، حتَّى جعلُوا شدَّةَ حُبِّ الرجلِ لأمَّتِهِ ، وزوجتِهِ وولدهِ ، دليلاً على الضَّعفِ ، وباباً من الخورِ ، لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتابِ .

### ١٣ - فصل منه

كما نحبُّ أن يخرجَ هذا الكتابُ تاماً ، ويكونَ للأشكالِ الدَّاخلَةِ فيه جامعاً ، وهو القولُ فيما للذكورِ والإناثِ في عامَّةِ أصنافِ الحيوانِ ، وما أمكن من ذلك ، حتَّى يحصلَ ما لكلِّ جنسٍ منها<sup>(١)</sup> من الخصالِ المحمودةِ والمذمومةِ . ثمَّ يُجمعَ بين المحاسنِ منها والمساوئِ ، حتَّى يستبينَ لقارئِ الكتابِ نقصانُ المفضولِ من رجحانِ الفاضلِ ، بما جاءَ في ذلك من الكتابِ الناطقِ ، والخبرِ الصادقِ ، والشَّاهدِ العدلِ ، والمثلِ السائرِ . حتَّى يكونَ الكتابُ عربياً أعرابياً ، وسُنيّاً جماعياً ، وحتَّى يُجتنَبَ<sup>(٢)</sup> فيه العويصُ والطُّرُقُ المتوعِّرةُ ، والألفاظُ المستنكرةُ ، وتلزيقُ المتكلِّفينِ<sup>(٣)</sup> ، وتلفيقُ أصحابِ الأهواءِ من المتكلمينِ ، حتَّى نظرنا<sup>(٤)</sup> لمن لا يعلمُ مقاديرَ ما استخرَها اللهُ من المنافعِ ، وغشَّاهَا من البرهاناتِ<sup>(٥)</sup> ، وألزمَهَا من الدَّلالةِ عليه ، وأنطقَهَا به من الحُجَّةِ له .

(١) منها ، ساقطة من م ، ط .

(٢) ب : « وحتَّى يحبب » صوابه في م ، ط .

(٣) في اللسان : « المنزق - بتشديد الزاى - : الشيء ليس بالهكم » .

(٤) ب ، م : « نظر » ، ط : « نظرا » ، والوجه ما أثبت .

(٥) ط فقط : « البراهين » .

فمنع من ذلك فرط الكبر<sup>(١)</sup> ، وإفراط العلة ، وضعف المنة ،  
وانحلال القوة .

فلما<sup>(٢)</sup> وافق هذا الكتاب منّا هذه الحال ، وألقى<sup>(٣)</sup> قلوبنا على هذه  
الأشغال ، اجتنبنا أن نقصد من جميع ذلك إلى فرق ما بين الرجل  
والمرأة .

فلما اعتزمنا على ما ابتدأنا به وجدناه قد اشتمل على أبواب يكثر  
عددها ، وتبعد غايتها ، فرأينا ، والله الموفق ، أن نقصر<sup>(٤)</sup> منه على  
ما لا يبلغ بالمستمع إلى السامة ، وبالمألوف إلى مجاوزة القدر .

وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات أن يحمل أصحابها على  
الجِدِّ الصَّرف ، وعلى العقل المحض ، وعلى الحقِّ المرّ ، وعلى المعاني  
الصَّعبة ، التي تستكِدُّ النفوس ، وتستفرِّغ المجهود .

وللصبر غاية ، وللإحتمال نهاية .

ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحاً ببعض المزَل . وعلى أن الكتاب  
إذا كثُر هزله سَخِف ، كما أنه إذا كثُر جدّه ثَقُل .

ولا بدّ للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط القارئ ، وينفّي  
النُّعاس عن المستمع . فمن وجد في كتابنا هذا بعض ما ذكرنا ، فليعلم  
أنَّ قصدنا في ذلك إنّما كان على جهة الاستدعاء لقلبه ، والاستمالة  
لسمعه وبصره . والله تعالى نسأل التوفيق .

(١) في جميع الأصول : « الكبر » ، وجهه ما أثبت .

(٢) ب ، م : « فا » .

(٣) في جميع الأصول : « وألقى » بالقاف .

(٤) ب : « أن أقصر منه » .

## ١٤ - فصل منه في ذكر العشق

ورجلان من الناس لا يَعْشِقَانِ عِشْقَ الْأَعْرَابِ :

أَحَدُهُمَا الْفَقِيرُ الْمُدْقِعُ ، فَإِنَّ قَلْبَهُ يُشْغَلُ عَنِ التَّوَعُّلِ فِيهِ وَبِلَوْغِ أَقْصَاهُ .

وَالْمَلِكُ الضَّخْمُ الشَّانُ ، لِأَنَّ فِي الرِّيَاسَةِ الْكِبَرَى ، وَفِي جَوَازِ الْأَمْرِ وَنَفَازِ النَّهْيِ ، وَفِي مِلْكِ رِقَابِ الْأُمَمِ ، مَا يَشْغَلُ شَطْرَ قُوَى الْعَقْلِ عَنِ التَّوَعُّلِ فِي الْحُبِّ ، وَالْإِحْتِرَاقِ فِي الْعَشْقِ .

## ١٥ - فصل منه

كثييراً ما يعتري العُشَّاقَ وَالْمُحِبِّينَ غَيْرَ الْمُحْتَرِقِينَ <sup>(١)</sup> ، كَالرَّجُلِ تَكُونُ لَهُ <sup>(٢)</sup> جَارِيَةٌ وَقَدْ حَلَّتْ مِنْ قَلْبِهِ مَحَلًّا ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ تَمَكُّنًا ، وَلَا يَجْتَنُّ أَصْلَ ذَلِكَ الْحَبِّ الْغَضْبَةُ تَعْرِضُ ، وَكَثْرَةُ التَّأَذَّى بِالْخِلَافِ يَكُونُ مِنْهَا ، فَيَجِدُ <sup>(٣)</sup> الْفِتْرَةَ عَنْهَا <sup>(٤)</sup> فِي [بَعْضِ هَذِهِ الْحَالَاتِ الَّتِي تَعْرِضُ ، فَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ سَلَا ، أَوْ يُظَنُّ أَنَّهُ فِي عَزَائِهِ عَنْهَا <sup>(٥)</sup> عَلَى فَقْدِهَا مُحْتَمِلًا ، فَيَبِيعُهَا <sup>(٦)</sup> إِنْ كَانَتْ أَمَةً ، أَوْ يَطْلُقُهَا <sup>(٧)</sup> إِنْ كَانَتْ زَوْجَةً ، فَلَا يَنْشَبُ ذَلِكَ الْغَضْبُ أَنْ يَزُولَ ، وَذَلِكَ الْأَذَى أَنْ يُنْسَى ، فَتَتَحَرَّكُ لَهُ الدَّفَائِنُ <sup>(٨)</sup> ، وَيُثْمِرُ ذَلِكَ الْغَرَسُ ، فَيَتَّبِعُهَا قَلْبُهُ ، فَأَيُّمَا أَنْ يَسْتَرْجِعَ

(١) ب : « المحترقين » بالفاء .

(٢) ب ، م : « لا يحب » ، صوابه في ط .

(٣) ط فقط : « فيوجد » .

(٤) ليست في الأصول .

(٥) ط : « فتظن » و « أو تظن أنه » ، صوابه في ب ، م . والعزاء : الصبر . ب :

« في غراية عنها » م ، ط : « في عزاية عنها » ، والوجه ما أثبت .

(٦) م ، ط : « مبيعها » ، صوابه في ب .

(٧) م ، ط : « أو طلاقها » .

(٨) ب : « فيتحرك له الدفائن » .



الأمّة من مُبتاعها ، بأضعافِ ثمنها ، أو يسترجع الزوجة بعد أن نُكِحَتْ . فَإِنْ تَصَبَّرَ وَأَمَكَنَهُ الصَّبْرُ لَمْ يَزَلْ مُعَذِّبًا ، وَإِنْ أَطَاعَ هَوَاهُ وَاحْتَمَلَ الْمَكْرُوهَ فَهَذَا هُوَ الْعُقَابِيلُ وَالنُّكْسُ <sup>(١)</sup> .

فليحذر الحازمُ الفترة في حبِّ حبيبهِ ، والغضبة التي تُنسيهِ عواقبَ أمرهِ .

## ١٦ - فصل منه

قال إبراهيم بن السّندى <sup>(٢)</sup> : حدّثنى عبد الملك بن صالح <sup>(٣)</sup> قال :  
 بينا عيسى بن موسى <sup>(٤)</sup> قد خَلَا بنفسه <sup>(٥)</sup> ، وهو قد كان  
 استكثر من النساءِ حتّى انقطع ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ جاريةٌ <sup>(٦)</sup> كأنّها جانٌّ ،  
 وكأنّها جدلُ عنانٍ <sup>(٧)</sup> ، وكأنّها جُمّارةٌ ، وكأنّها قُضيبُ فِضّةٍ ، فتحرّكتْ  
 نفسُهُ ، وخاف أن تَحْذِلَهُ قُوَّتُهُ ، ثم طمِعَ في القُوَّةِ <sup>(٨)</sup> لطُول التَّرْكِ ،  
 واجتماعِ الماءِ ، فلَمَّا صَرَعَهَا ، وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله  
 لو عَجَزَ كَيْفَ يَكُونُ حاله <sup>(٩)</sup> ؟ فلما فَكَّرَ فَتَرَ ، فأَقْبَلَ كالمخاطب لنفسه  
 فقال : إِنَّكَ لتَجْلِسُنِي هذا المجلسَ ، وتَحْمِلُنِي على هذا المركبِ ، ثم

(١) العقابيل : بقايا العلة والعشق والمرض ، الواحد عقبول وعقبولة . والنكس ، بالضم : عود المرض بعد النقه . وفي الأصول : « العقابيل » ولا وجه له .

(٢) إبراهيم بن السّندى ، سبقت ترجمته في ص ٦٠ . ب : « بن السدى » م ، ط : « بن السبيدي » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) انظر البيان والتبيين ١ : ٣٣٤ .

(٤) هو عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس ، أحد ولاة العباسيين وقوادهم . وأبوه موسى هو أخو السفاح والمنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٥) ب ، م : « قد خلى بنفسه » تحريف .

(٦) ب : « إِذْ مَرَّتْ جارية » .

(٧) أى عنان مجدول . وانظر الحيوان ٦ : ٢٦٢ ورسائل الجاحظ ٢ : ١٢١ .

(٨) ط : « في لقوة » .

(٩) ب : « عن عجز كيف يكون حاله » ، تحريف .

تَحْذِلْنِي هَذَا الْخِذْلَانِ <sup>(١)</sup> وَتُعْشِّنِي مِثْلَ هَذَا الدُّلِّ ، وَلَوْلَا حَيْرَةُ الْخَيْجَلِ <sup>(٢)</sup> لَمْ أَتَعْمَلْ مَا لَا يَقْتُلُ ! وَذَلِكَ أَنَّهُ حِينَ رَأَى أَنَّ أَبْلَغَ الْحَيْلِ فِي تَوْهِيمِهَا أَنَّ الْعَجْزَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ أَنْ يَقُولَ لَهَا : تَعَرَّضِينَ لِي وَأَنْتِ تَفْلُ ، ثُمَّ لَا تُرْجِينَ بَادِيكَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَسْتَهْدِفِينَ لِسَيْدِكَ ، وَلَا تُعِينِينَ عَلَى نَفْسِكَ ، حَتَّى كَأَنَّكَ عِنْدَ عَبْدٍ يُشْبِهُكَ ، أَوْ سُوقَةٍ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى مِثْلِكَ <sup>(٤)</sup> . أَمَّا لَوْ كُنْتُ <sup>(٥)</sup> مِنْ بَنَاتِ مُلُوكِ الْعَجَمِ لَأَلْفَاكَ سَيِّدُكَ عَلَى أَجُودِ صِنْعَةٍ ، وَعَلَى أَحْسَنِ طَاعَةٍ ، إِذْ كُلُّ رَجُلٍ يَنْبَسِطُ لِلتَّمَتُّعِ مَعَ التَّفَلِّ <sup>(٦)</sup> .

### ١٧ - فصل منه

وَلَمْ أَسْمَعْ وَلَمْ أَقْرَأْ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْلُودَةِ ، فِي شَأْنِ الْعُشَّاقِ ، وَمَا صَنَعَ الْعَشْقُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ وَالْأَحْشَاءِ ، وَالزَّفَرَاتِ وَالْحَنِينِ ، وَفِي التَّدْلِيهِ وَالتَّوْلِيهِ <sup>(٧)</sup> ، مَتَى تَسْتَعْرِ الدَّمْعَةَ <sup>(٨)</sup> ، وَمَتَى يُورِثُ الْعَيْنَ الْجُمُودُ <sup>(٩)</sup> .

- 
- (١) ب ، م : « لتجسني » و « وتحميني » ، و « تحذلي » ، والصواب في ط . واجتماع نون الرفع مع نون الوقاية يجوز فيه حذف أحدهما أو إبقاؤهما معاً مع الفك ، ومع الإدغام ، كما في المغني ٣٨٠ . قال : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة » .
- (٢) ب ، م : « خيرة الخجل » بالخاء المعجمة ، تحريف .
- (٣) البادان : بطن الفخذين ، وما بين الرجلين ، ومنه قول الدهناء بنت مسحل : « إني لأرغى لك بادي » . اللسان ( بدد ٤٦ ) . ب : « لا ترجين » بالخاء المهملة ، ط ، م : « لا ترجين » ، والصواب ما أثبت . وفي ط أيضاً « بادئك » ، صوابه في ب ، م .
- (٤) ب : « على ملكك » م : « على ملك » ، صوابهما في ط .
- (٥) لو ، ساقطة من ب ، م .
- (٦) ب : « يبسط » م : « تنبسط » ، صوابهما في ط . وفي ب أيضاً : « مع الثقل » . وفي ط : « للمتمتع » ، تحريفان .
- (٧) دله الحب تدليها : حيره وأدهشه ، فهو مدله . وكذا وله توليها : حيره وأذهب عقله . وفي م ، ط : « التدلية والتولية » ، صوابهما في ب .
- (٨) في جميع الأصول : « ومتى » ، والوجه حذف الواو . وفي ب فقط : « الدمع » ، تحريف .
- (٩) جود العين : قلة دمعها . ب ، م : « متى يورب » ، والوجه ما أثبت . وفي ط : « ومتى يعترى » .

## ١٨ - فصل منه

ونحن وإن رأينا أَنَّ فَضْلَ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ ، فِي جَمَلَةِ الْقَوْلِ فِي  
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، أَكْثَرَ وَأَظْهَرَ ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَقْصُرَ فِي حَقِّقِ  
الْمَرْأَةِ . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِمَنْ عَظَّمَ حَقِّقِ الْآبَاءِ أَنْ يَصْغُرَ حَقِّقِ الْأُمَّهَاتِ ،  
وَكَذَلِكَ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ ، وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ . وَأَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَرَى  
أَنَّ حَقَّ هَذَا أَعْظَمُ فَإِنَّ هَذِهِ أَرْحَمُ .

١٩ - فصل من احتجاجه للإمام<sup>(١)</sup>

قال بعض من احتجَّ لليلة التي من أجلها صار أكثر الإمامِ أَحَقُّ  
عند الرجال من أكثر المهورات<sup>(٢)</sup> : أَنَّ الرَّجُلَ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ الْأَمَةَ قَدْ  
تَأَمَّلَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا وَعَرَفَهُ ، مَا خِلا حُطُوءَ الْخُلُوءِ ، فَأَقْدَمَ<sup>(٣)</sup> عَلَى  
ابْتِيعَائِهَا بَعْدَ وَقُوعِهَا بِالْمُؤَافَقَةِ . وَالْحُرَّةُ إِنَّمَا يُسْتَشَارُ فِي جَمَالِهَا النَّسَاءُ ،  
وَالنِّسَاءُ لَا يُبْصَرْنَ مِنْ جَمَالِ النَّسَاءِ وَحَاجَاتِ الرِّجَالِ وَمُؤَافَقَتِهِنَّ قَلِيلًا  
وَلَا كَثِيرًا . وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ أَبْصَرُ . وَإِنَّمَا تَعْرِفُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْمَرْأَةِ  
ظَاهَرَ الصِّفَةِ ، وَأَمَّا<sup>(٤)</sup> الْخِصَائِصُ الَّتِي تَقَعُ بِمُؤَافَقَةِ الرِّجَالِ فَإِنَّهَا  
لَا تَعْرِفُ ذَلِكَ .

وقد تُحْسِنُ الْمَرْأَةُ أَنْ تَقُولَ : كَأَنَّ أَنْفَهَا السَّيْفُ ، وَكَأَنَّ عَيْنَهَا عَيْنُ  
غَزَالٍ ، وَكَأَنَّ عُنُقَهَا إِبْرِيْقُ فُضَّةٍ ، وَكَأَنَّ سَاقَهَا جُمَارَةٌ<sup>(٥)</sup> ، وَكَأَنَّ شَعْرَهَا

(١) م فقط : « فِي الْإِمَاءِ » .

(٢) المهرة : الَّتِي تُعْطَى الْمَهْرَ مِنَ الْخَرَائِرِ .

(٣) ب فقط : « فَأَقْبَلَ » .

(٤) ب : « فَأَمَّا » .

(٥) ب فقط : « وَكَأَنَّهَا » . وَالْجَارُ : شَحْمُ النَّخْلِ ، تُشَبَّهُ بِهِ السَّاقُ فِي اللَّيْنِ وَالْبَيَاضِ .

وَفِي الْحَدِيثِ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سَاقِهِ فِي غَرْزِهِ كَأَنَّهَا جَمَارَةٌ » .

العناقيد ، وكان أطرافها المدارى <sup>(١)</sup> ، وما أشبه ذلك :  
وهناك <sup>(٢)</sup> أسباب أخر بها يكون الحب والبغض .

## ٢٠ - فصل منه

وقد علم الشاعر وعرف الواصف ، أَنَّ الجارية الفائقة الحسن  
أَحْسَنُ من الطَّيِّبَةِ ، وَأَحْسَنُ من البَقَرَةِ ، وَأَحْسَنُ من كُلِّ شَيْءٍ تشبَّه به ،  
ولكنَّهم إذا أرادوا القولَ شَبَّهوها بأَحْسَنِ ما يجدون .

ويقول بعضهم : كأنَّها الشمس ، وكأنَّها القمر ! والشمس وإن  
كانت بهيئةً فإنَّما هي شَيْءٌ واحد ، وفي وجه الجارية الحسناء وخلقها  
ضروبٌ من الحسن الغريب والتركيب العجيب .

وَمَنْ يشكُّ أَنَّ عَيْنَ المرأةِ الحسناءِ أَحْسَنُ من عَيْنِ البقرة ، وَأَنَّ  
جَيدَها أَحْسَنُ من جَيدِ الطَّيِّبَةِ ، والأمر <sup>(٣)</sup> فيما بينهما متفاوت ، ولكنَّهم  
لو لم يفعلوا هذا وشبَّهه لم تظهر بلاغتهم وفطنتهم .

## ٢١ - فصل منه

ورأيتُ أَكْثَرَ النَّاسِ من البُصْرَاءِ بجواهرِ النساءِ <sup>(٤)</sup> ، الذين هم  
جَهابذةُ هذا الأمرِ ، يقدِّمون المجدولة <sup>(٥)</sup> ، والمجدولة من النساءِ تكون  
في منزلةٍ بين السَّمينَةِ والممشوقة .

ولا بدَّ من جَوْدَةِ القَدِّ ، وحُسْنِ الخَرَطِ ، واعتدالِ المنكبين ،

(١) أطرافها ، أى أطراف أصابعها . والمدارى بكسر الراء وفتحها : جمع مدرى ومدرأة ، وهى شئ يعمل من حديد أو خشب على هيئة سن من أسنان المشط . تشبه به فى الدقة .

(٢) ب : « هناك » بدون واو .

(٣) الواو ساقطة من ب .

(٤) ب : « لجواهر النساء » .

(٥) ب ، م : « المجدولة » . فى هذا الموضع وتاليه ، تصحيف .

واستواء الظَّهر ، ولا بدَّ من أن تكون كاسية العِظام ، بين الممتلئة والقَصِيْفَة .

وإنَّما يريدون بقولهم : مجذولة<sup>(١)</sup> ، جودة العَصَب ، وقِلَّة الاسترخاء ، وأن تكون سليمةً من الزوائد والفضول .

وكذلك قالوا : خُمصانة وسَيْفانة<sup>(٢)</sup> ، وكأنَّها جانٌّ ، وكأنَّها جدل عنان<sup>(٣)</sup> ، وكأنَّها قضيبٌ خَيْرُ ران .

والتثني في مَشْيِها أَحْسَنُ ما فيها ، ولا يمكن ذلك الضَّخمة والسَّمينَة ، وذات الفضول والزوائد .

على أنَّ النَّحَافَة في المجدولة<sup>(٤)</sup> أَعَمُّ ، وهى بهذا المعنى أَعْرَفُ<sup>(٥)</sup> ، تُحَبَّبُ على السَّمان الضخام<sup>(٦)</sup> ، وعلى المشوقات والقِصاف<sup>(٧)</sup> ، كما يحَبَّبُ هذه الأصناف على المجدولات<sup>(٨)</sup> .

ووصفوا المجدولة بالكلام<sup>(٩)</sup> المنشور فقالوا : « أعلاها قضيب ، وأسفلها كتيب » .

(١) ب ، م : « مجذولة » ، تصحيف ما فى ط .

(٢) الخمصانة ، بفتح الخاء وضمها : الضامرة البطن . والسيقانة : الطويلة المشوقة الضامرة . ب : « خصانه » ، صوابه فى م ، ط . وفى ط : « سيقانة » ، صوابه بالفاء كما فى ب ، م .

(٣) انظر الحاشية ٧ من ص ١٥٥ .

(٤) ب ، م : « المجدولة » فى هذا الموضع وتاليه ، والصواب فى ط .

(٥) بعدها فى جميع النسخ : « ولم أر المجدولة أعم وهى بهذا المعنى أَعْرَفُ » ، وهو تكرار لما سبق .

(٦) ب ، م : « تحبيب على أصحاب السمان الضخام » ، وأثبت ما فى ط .

(٧) القضيصة : الدقيقة النحيفة لا عن هزال . ب ، م : « أصحاب المشوقات والقِصاف » .

(٨) ب : « كما يجب » ، وأثبت ما فى م ، ط . وفى ب ، م أيضاً : « أصناف

المجدولات » ، صوابه فى ط .

(٩) ب : « المجزولة » م : « المجدولة » ، صوابه فى ط .



٧

من رسالة في

مناقب التُّرك وعامة جُندِ الخلافة





## فصل من صدر رسالته إلى الفتح بن خاقان (١) في مناقب الترك وعامة جند الخلافة (٢)

وَفَقَّكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ<sup>(٣)</sup> ، وَأَعَانَ عَلَى شُكْرِكَ<sup>(٤)</sup> ، وَأَصْلَحَكَ وَأَصْلَحَ  
عَلَى يَدَيْكَ ، وَجَعَلَنَا وَإِيَّاكَ مِمَّنْ يَقُولُ بِالْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَيُؤْثِرُهُ ، وَيَحْتَمِلُ  
مَا فِيهِ مِمَّا قَدْ يَصْدُ عَنْهُ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا يَكُونُ حَظُّهُ مِنْهُ<sup>(٦)</sup> الْوَصْفَ لَهُ ،  
وَالْمَعْرِفَةَ بِهِ ، دُونَ الْحَثِّ عَلَيْهِ ، وَالْإِنْقِطَاعِ إِلَيْهِ ، وَكَشَفِ الْقِنَاعِ فِيهِ<sup>(٧)</sup> ،  
وَإِيصَالِهِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَحَافِظَةِ فِي أَنْ لَا يَصِلَ إِلَى غَيْرِهِمْ ،  
وَالْتَشَبُّثِ فِي تَحْقِيقِهِ لَدَيْهِمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعَلِّمِ النَّاسَ لِيَكُونُوا عَامِلِينَ  
دُونَ أَنْ يَكُونُوا عَامِلِينَ ، وَإِنَّمَا عَلَّمَهُمْ لِيَعْمَلُوا<sup>(٨)</sup> ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ لِيَتَّقُوا<sup>(٩)</sup> التَّوَرُطَ  
فِي وَسْطِ الْخَوْفِ ، وَالْوُقُوعِ فِي الْمَضَارِّ ، وَالتَّوَسُّطِ فِي الْمَهَالِكِ . فَلِذَلِكَ  
طَلَبَ النَّاسَ التَّبَيِّنَ<sup>(١٠)</sup> .

(١) الفتح بن خاقان هذا هو وزير المتوكل العباسي . وكان أديباً شاعراً فصيحاً بارع الذكاء .  
وكانت له خزانة كتب حافلة ، وله مؤلفات منها : كتاب اختلاف الملوك ، وكتب الصيد  
والجراح ، وكتاب الروضة والزهرة . وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ .  
وهو غير الفتح بن محمد عبيد الله بن خاقان ، صاحب قلالة العقيان . انظر فهرست ابن النديم  
١٦٩ - ١٧٠ وفوات الوفيات ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) نشرت كاملة في ليدن ١٩٠٣ م بعناية فان فلوطن ، كما نشرها السامي في مجموع رسائله  
سنة ١٣٢٤ هـ = ١٩٠٧ م كما نشرت في رسائل الجاحظ بتحقيق سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .  
وقد رمزت للأولى هنا بالرمز ( ن ) وللثانية بالرمز ( م ) .

(٣) في جميع الأصول : « وأرشدك » ، وأثبت ما في مج والرسائل ١ : ٥ هارون .

(٤) ط ، م : « وأعانك على شكره » .

(٥) ب : « يصدر عنه » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي مج والرسائل : « بما قد يصده عنه »

(٦) منه ، ساقطة من الأصول ، ثابتة في مج والرسائل .

(٧) مج فقط : « عنه » .

(٨) ب ، ط : « ليعلموا » ، صوابه في سائر النسخ .

(٩) ب : « ليتقوا » صوابه في م ، ط والرسائل . وبعد هذه الكلمة في مج فقط :

« ونحو الوقوع في المضار ، والتورط في المهالك ، طلب الناس التبيين » .

(١٠) م ، ط فقط : « التبيين » .

ولحبِّ السَّلامة من الهَلَكَةِ ، والرَّغبة في المنفعة احتملوا<sup>(١)</sup> ثِقَلُ  
التَّعلم ، وتَعَجَّلُوا مَكْرُوهُ ثِقَلُ المَعَانَاةِ<sup>(٢)</sup> .

ولقَلَّةُ العاملين وكثرة الواصفين قال الأولون : العارفون أكثر  
من الواصفين ، والواصفون أكثر من العاملين .

وإنَّما كَثُرَت الصِّفَاتُ وَقَلَّتْ الموصوفاتُ لأنَّ ثواب العمل مؤجَّل ،  
واحتمال ما فيه معجَّل .

وقد أعجبنى ما رأيتُ من شَغَفِكَ<sup>(٣)</sup> بطاعة إمامك ، واحتجاجك  
لتدبير خليفتك ، وإشفاقك من كلِّ خَلَلٍ يدخله وإنْ دَقَّ ، ونالَ  
سُلْطَانَهُ<sup>(٤)</sup> وإنْ صَغُرَ ، ومن كلِّ أَمْرٍ خَالَفَ هواه وإنْ خَفِيَ مكانه ،  
وجانَبَ رضاه وإنْ قَلَّ ضرره . ومن تخوُّفِكَ<sup>(٥)</sup> أنْ يَجِدَ<sup>(٦)</sup> المتأوِّلُ إليه  
متطرقاً ، والعدوُّ عليه متعلِّقاً ؛ فإنَّ السُّلْطَانَ لا ينفكُ من متأوِّلٍ ناظمٍ ،  
ومن محكومٍ عليه ساخطٍ ، ومن معزولٍ<sup>(٧)</sup> عن الحكم زارٍ ، ومن متعطِّلٍ  
متصفِّحٍ ، ومن مُعْجَبٍ برأيه ، ذى خَطَلٍ في بيانه ، مُولِعٍ بتهجين  
الصَّوابِ ، وبالاعتراض على التدبير ، حتَّى كَانَهُ رائدٌ لجميع الأُمة ،  
ووكيلٌ لسكَّان جميع المملَكة ؛ يَضَعُ نفسَه في مواضع الرُّقْبَاءِ ، وفي  
مواضع التَّصفُّحِ على الخلفاء والوزراء . لا يَعْذِرُ وإنْ كَانَ مَجَازُ العُذْرِ  
ظاهراً ، ولا يقف فيما يكون للشُّكِّ محتملاً ، ولا يصدِّق بأنَّ الشَّاهدَ

(١) ب فقط : « احتمل » .

(٢) مج والرسائل : « مكروه المعاناة » .

(٣) ب فقط : « شغلك » .

(٤) ط فقط : « ونول سلطانه » .

(٥) ب ، م : « وإن تخونك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٦) في جميع الأصول : « أن يجد » ، صوابه في مج والرسائل .

(٧) مج والرسائل : « معزول » بالدال ، وله وجهه .

يرى مالا يرى الغائب ، وأَنَّهُ لا يَعْرِفُ مَصَادِرَ الرَّأْيِ من لم يَشْهَدْ  
مَوَارِدَهُ ، وَمُسْتَدْبِرَهُ من لم يَعْرِفْ مُسْتَقْبَلَهُ .

ومن محرومٍ قد أَضْعَفَهُ الحِرْمَانُ ، ومن لثيمٍ قد أَفْسَدَهُ الإِحْسَانُ ،  
ومن مستبْطِئٍ قد أَخَذَ أَضْعَافَ حَقِّهِ ، وهو لجهله بِقَدْرِهِ ، وَلِضِيقِ  
ذَرْعِهِ ، وَقَلَّةِ شُكْرِهِ ، يَظُنُّ أَنَّ الَّذِي بَقِيَ لَهُ أَكْثَرُ ، وَلِحَقِّهِ أَوْجَبُ .

ومن مستزِيدٍ لو ارتَجَعَ السُّلْطَانُ سَالَفَ أَيَادِيهِ البَيضِ عنده ،  
وَنِعْمَتِهِ السَّالِفَةِ عَلَيْهِ ، لَكَانَ <sup>(١)</sup> لَذَلِكَ أَهْلًا ، وله مُسْتَحَقًّا . قد غَرَّه  
الْأَمَلُ <sup>(٢)</sup> ، وَأَبْطَرُهُ دَوَامُ الكِفَايَةِ ، وَأَفْسَدَهُ طَوْلُ الْفِرَاقِ .

وَمِنْ صَاحِبِ فِتْنَةٍ <sup>(٣)</sup> خَامِلٍ فِي الْجَمَاعَةِ ، رَئِيسٍ فِي الْفُرْقَةِ نَعَاقٍ فِي الْهَرَجِ ،  
قَدْ أَقْصَاهُ عِزُّ السُّلْطَانِ <sup>(٤)</sup> ، وَأَقَامَ صَغْوَهُ ثِقَافُ الْأَدَبِ <sup>(٥)</sup> ، وَأَذَلَّهُ الْحُكْمُ  
بِالْحَقِّ <sup>(٦)</sup> ، فَهُوَ مَغِيْظٌ لَا يَجِدُ غَيْرَ التَّشْنِيعِ <sup>(٧)</sup> . وَلَا يَتَشَفَّى بِغَيْرِ  
الْإِرْجَافِ ، وَلَا يَسْتَرِيحُ إِلَّا إِلَى الْأَمَانِيِّ <sup>(٨)</sup> ، وَلَا يَأْنَسُ إِلَّا بِكُلِّ مُرْجِفٍ  
كَذَّابٍ ، وَمُفْتُونٍ مُرْتَابٍ ، وَخَارِصٍ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَخَالِفٍ لَا غَنَاءَ عَنْده ،  
يُرِيدُ أَنْ يَسْوَى بِالْكَفَاةِ ، وَيُرْفَعَ فَوْقَ الْحُمَاةِ ، لِأَمْرِ مَا سَلَفَ <sup>(٩)</sup> لَهُ ،  
وَلِإِحْسَانٍ كَانَ مِنْ غَيْرِهِ <sup>(١٠)</sup> ، وَلَيْسَ مِنْ يَرْبٍ قَدِيمٍ مَجْدٍ <sup>(١١)</sup> ، وَلَا يَحْفَلُ

(١) ب ، م : « وَلَكَانَ » ، صوابه في سائر النسخ .

(٢) ب ، م : « مَجْ وَرَسَائِلُ الْجَاحِظِ : « الْإِمْلَاء » .

(٣) ط : « لِفِتْنَةٍ » .

(٤) وكذا في مَج . وفي رسائل الجاحظ : « قَدْ أَقْصَاهُ السُّلْطَانُ » .

(٥) الصنوء ، بالكسر والفتح : الميل . وفي جميع النسخ : « صَفْرَهُ » ، صوابه في مَج .

(٦) ب ، م : « الْحَلْمُ بِالْحَقِّ » وفي ط « الْجَهْلُ بِالْحَقِّ » ، صوابهما في مَج ورسائل

الجاحظ .

(٧) ب : « التَّشْنِيعِ » ، صوابه في م ، ط ، مَج ورسائل الجاحظ .

(٨) ب : « إِلَّا بِالْأَمَانِيِّ » .

(٩) ب : « لَا يَسْلَفُ لَهُ » م ، ط : « لَا أَبَ سَلَفَ لَهُ » ، صوابهما في رسائل الجاحظ .

وفي مَج : « لِأَمْرِ سَلَفَ لَهُ » .

(١٠) ط فقط : « وَإِحْسَانٌ كَانَ مِنْ غَيْرِهِ » .

(١١) ط : « يَرْبُهُ قَدِيمٌ مَجْدٌ » . مَج ورسائل الجاحظ : « يَرْبُ قَدِيمًا بِمَجْدِهِ » .

بُدروس شرف<sup>(١)</sup> ، ولا يَفْصِلُ بين ثواب [المحتسبين ، وبين الحفاظ  
لأبناء<sup>(٢)</sup>] الْمُحْسِنِينَ .

وكيف يعرف فَرَقَ ما بين حَقِّ الذُّمَامِ<sup>(٣)</sup> وَثَوَابِ الكِفَايَةِ مَنْ  
لا يعرف طبقاتِ الحقِّ في مراتبه ، ولا يَفْصِلُ بين طبقات الباطل<sup>(٤)</sup>  
في منازلِهِ .

ثم أعلم<sup>(٥)</sup> بعد ذلك أَنَّكَ بِنَفْسِكَ بَدَأْتَ في تعظيمِ إمامك ، والحفظِ  
لمناقبِ أَنْصارِ خليفَتِكَ<sup>(٦)</sup> ، وإيَّاهَا حُطَّتْ بِحِيَاظَتِكَ<sup>(٧)</sup> لِأَشْيَاعِهِ ،  
واحتجاجك لأوليائه ، ونعم العون أَنْتَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، على ملازمةِ الطَّاعَةِ ،  
والمُوازَرَةِ على الخير<sup>(٨)</sup> ، والكفايةِ لِأَهْلِ الحَقِّ .

وقد استدللتُ بالذي أَرَى من شدةِ عِنَايَتِكَ<sup>(٩)</sup> وَفَرَطِ اكْتِرَاثِكَ ،  
وتَفَقُّدِكَ لِأَجْنَاسِ الْأَعْدَاءِ<sup>(١٠)</sup> ، وبعثتك عن مناقبِ الْأَوْلِيَاءِ - على أَنَّ  
ما ظَهَرَ مِنْ نُصْحِكَ أُمَّمٌ في جَنْبِ ما بَطَّنَ مِنْ إِخْلَاصِكَ<sup>(١١)</sup> . فَاْمْتَعِ

(١) ط : « ولا يحفل به دُروس شرفا » صوابه في سائر النسخ .

(٢) التكلفة من مج والرسائل .

(٣) الذمام ، بكسر الهمزة : الحق والحرمة ، وكل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة .

ب : « فوق ما بين حق الزمام » ، تحريف .

(٤) ب فقط : « المبطل » ، تحريف .

(٥) مج والرسائل : « ثم أعلمتني » .

(٦) ب : « والحفظ بمناقب أبصار خليفتك » ، صوابه في سائر النسخ .

(٧) في الأصول : « لحياطتك » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٨) ب فقط : « والموازنة » ، تحريف .

(٩) من ، ساقطة من ب ، م . وكلمة « شدة » من مج والرسائل .

(١٠) في الأصول : « ولفقدك » ، صوابه في مج والرسائل . وفي مج والرسائل :

« لأخبار الأعداء » . والأخبار : جمع جمع الخبر ، كما في اللسان .

(١١) الأعم : اليسير . وأنشد ياقوت في معجم البلدان :

تسألني برامتين سلجماً يا هند لو سألت شيئاً أما

جاء به الكرى أو تيماء

الله بك خليفته ، وَمَنَحْنَا وَإِيَّاكَ مَحَبَّتَهُ ، وَأَعَاذْنَا وَإِيَّاكَ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ ،  
والتَّقَرُّبِ بِالْبَاطِلِ ، إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ، فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ .

وذكرت أَنَّكَ جالستَ أَخْلَاطاً مِنْ جُنْدِ الْخِلَافَةِ ، وَجَمَاعَاتٍ مِنْ  
أَبْنَاءِ الدَّعْوَةِ ، وَشِيوخاً مِنْ جِلَّةِ الشَّيْعَةِ<sup>(١)</sup> ، وَكُھُولاً مِنْ أَبْنَاءِ رِجَالِ  
الدَّوْلَةِ ، الْمُنْسُوبِينَ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْمُنَاصِحَةِ ، وَمَحَبَّةِ الدِّينُونَةِ<sup>(٢)</sup>  
دُونَ مَحَبَّةِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنْ عُرُضِ تِلْكَ الْجَمَاعَةِ<sup>(٣)</sup>  
ارْتَجَلَ الْكَلَامَ ارْتِجَالَ مُسْتَبِدٍّ ، وَتَفَرَّدَ بِهِ تَفَرَّدَ مُعْجَبٍ ، وَأَنَّهُ تَعَسَّفَ  
الْمَعَانِي وَتَهَجَّمَ عَلَى الْأَلْفَافِ<sup>(٤)</sup> فزعم أَنَّ جُنْدَ الْخِلَافَةِ الْيَوْمَ عَلَى خَمْسَةِ  
أَقْسَامٍ : خُرَاسَانِيٌّ ، وَتُرْكِيٌّ ، وَمَوَلِيٌّ ، وَعَرَبِيٌّ ، وَبَنَوِيٌّ<sup>(٥)</sup> ، وَأَنَّهُ أَكْثَرَ حَمْدَ  
اللهِ وَشُكْرَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَمِنْتَهُ ، وَعَلَى جَمِيعِ أَيْادِيهِ ، وَسَبَّوْغِ نِعَمِهِ<sup>(٦)</sup> ،  
وَعَلَى شُمُولِ عَافِيَتِهِ ، وَجَزِيلِ مَوَاهِبِهِ ، حِينَ أَلَّفَ عَلَى الطَّاعَةِ هَذِهِ

(١) الْجِلَّةُ : جَمْعُ جَلِيلٍ ، وَهُوَ ذُو الْخَطَرِ وَالشَّأْنِ . وَفِي الْأَصُولِ : « مِنْ جِلَّةِ الشَّيْعَةِ » ،  
وَأُثْبِتَ مَا فِي مَجِّ وَالرِّسَالِ .

(٢) الدِّينُونَةُ : الطَّاعَةُ ، مِنَ الدِّينِ بِالْكَسْرِ . وَهَذَا مَا فِي م . وَفِي ب : « وَمَحَبَّةِ الدِّينُونَةِ » ،  
وَفِي ط وَالرِّسَالِ : « وَالْمَحَبَّةُ الدِّينِيَّةُ » . وَفِي مَجِّ : « وَالْمُنَاصِحَةُ الدِّينِيَّةُ . وَالِدِّينُونَةُ لَمْ تَرُدَّ فِي  
الْمَعَاجِمِ الْمُنْتَادِلَةِ . وَفِي اللِّسَانِ ( كَوْنٌ ) : « قَالَ الْفَرَّاءُ : الْعَرَبُ يَقُولُونَ فِي ذَوَاتِ الْبَاءِ مِمَّا يَشْبَهُ  
زَغَتْ وَسَرَتْ : طَرَتْ طَيْرُورَةً ، وَحَدَّتْ حَيْدُودَةً ، فِيمَا لَا يَحْصَى مِنْ هَذَا الضَّرْبِ .  
فَأَمَّا ذَوَاتُ الْوَاوِ مِثْلُ قُلْتُ وَرَضْتُ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ ذَلِكَ . وَقَدْ أَقَى عَنْهُمْ فِي أَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ ،  
مِنْهَا الْكَيْنُونَةُ مِنْ كُنْتُ ، وَالْدِّيمُومَةُ مِنْ دُمْتُ ، وَالْهَيْنُوعَةُ مِنَ الْهَوَاعِ ، وَالسَّيْدُودَةُ مِنْ سَدْتُ » .  
(٣) ب ، م : « الْجُمْلَةُ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي ط وَمَجِّ وَالرِّسَالِ . وَبَعْدَهُ فِيهَا : « وَمِنْ  
حَاشِيَةِ تِلْكَ الْجِلَّةِ » .

(٤) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ : « وَتَهَكَّمَ » بِالْكَافِ ، صَوَابُهُ فِي مَجِّ وَالرِّسَالِ .

(٥) الْبَنَوِيُّ : نِسْبَةٌ إِلَى وَاحِدِ الْأَبْنَاءِ . وَيُقَالُ أَيْضاً « أَبْنَاوِيٌّ » نِسْبَةً إِلَى الْجَمْعِ ، وَهُمْ قَوْمٌ  
أَرْسَلَهُمْ كَسْرَى مَعَ سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ حِينَ جَاءَ يَسْتَنْجِدُهُ عَلَى الْحَبْشَةِ ، فَنَصَرُوهُ وَمَلَكَوا الْيَمْنَ  
وَتَدِيرُوها ، وَتَزَوَّجُوا فِي الْعَرَبِ فَقِيلَ لِأَوْلَادِهِمُ الْأَبْنَاءُ ، وَغُيِبَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْاسْمُ ، لِأَنَّ أُمَهَاتِهِمْ  
مِنْ غَيْرِ جَنْسِ آبَائِهِمْ . اللِّسَانُ ( بَنُو ) وَالتَّنْبِيهُ وَالْإِشْرَفُ ٤٢١ . وَيَبْدُو أَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ اجْتَذَبَتْهُمْ  
الْخُرُوبُ مِنَ الْفَرَسِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ كَانَ الْعَرَبُ يَسْمُونَهُمُ الْأَبْنَاءَ . وَفِي جَمِيعِ الْأَصُولِ :  
« وَبَنَوِيٌّ » ، صَوَابُهُ فِي مَجِّ وَالرِّسَالِ .

(٦) مَجِّ وَالرِّسَالِ : « وَسَايَغُ نِعَمِهِ » .

القلوب المختلفة ، والأجناس المتباينة ، والأهواء المتفرقة ، وأنتك اعترضت على هذا المتكلم المستبد ، وعلى هذا القائل المتكلف الذى قسم هذه الأقسام ، وخالف بين هذه الأركان ، وفضل بين أنسابهم . وأنتك أنكرت ذلك عليه أشد الإنكار ، وقذعته أشد القذع .

وزعمت أنهم لم يخرجوا من الاتفاق ، أو من شئ يقرب من الاتفاق<sup>(١)</sup> ، وأنتك نفيت<sup>(٢)</sup> التباعد فى النسب ، والتباين فى السبب .

وقلت : بل أزعم أن الخراساني والتركى أخوان ، وأن الحيز واحد ، وأن حكم ذلك الشرق<sup>(٣)</sup> ، والقضية على ذلك الصقع<sup>(٤)</sup> متفق غير مختلف ، ومتقارب غير متفاوت ، وأن الأعراق فى الأصل إن لا تكن<sup>(٥)</sup> كانت راسخة ، فقد كانت متشابهة ، وحدود البلاد المشتملة عليهم إن لا تكن<sup>(٦)</sup> متساوية فإنها متناسبة ، وكلهم خراساني فى الجملة ، وإن تميزوا ببعض الخصائص ، واختلفوا ببعض الوجود .

وزعمت أن اختلاف التركى والخراسانى ليس كاختلاف ما بين الرومى والصقلبى ، والزنجى والحبشى ، فضلاً على ما هو<sup>(٧)</sup> أبعد جوهراً ، وأشد خلافاً ، بل كاختلاف ما بين المدرى والوبرى ، والبدوى والحضرى ، والسهلى والجبلى ، وكاختلاف ما بين من نزل البطون وبين

(١) أو من شئ يقرب من الاتفاق ، ساقط من م ، ط وإن كان قد ورد بهامش م بخط مخالف .

(٢) مع والرسائل : « وأنتك أنكرت » .

(٣) ب فقط : « الشرف » بالفاء ، صوابه فى سائر النسخ .

(٤) ط : « والقضاء » بدل « القضية » . وفى م : « ذلك الصنع » ، تحريف .

(٥) ط : « إذا لم تكن » مع : « إن لم تكن راسخة » .

(٦) مع : « إن لم تكن » .

(٧) مع والرسائل : فضلاً عما هو .

من نزل النجود<sup>(١)</sup> ، وبين من نزل الأغوار<sup>(٢)</sup> .

وزعمت أن هؤلاء وإن اختلفوا في بعض اللغة ، وفارق بعضهم بعضاً في بعض الصورة<sup>(٣)</sup> ، فقد نجد أن علياً تميم<sup>(٤)</sup> ، وسفلى قيس ، وعجز هوازن<sup>(٥)</sup> ، وفصحاء الحجاز ، خلاف لغة حمير<sup>(٦)</sup> وسكان مخاليف اليمن ، وكذلك الصورة والصورة ، والشمال والشمال ، والأخلاق والأخلاق . وكلهم مع ذلك عربى خالص غير مشوب ، ولا مملهج ولا مدرع<sup>(٧)</sup> ولا مزلاج<sup>(٨)</sup> . ولم يختلفوا كاختلاف ما بين

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع واستوى ، والجمع أنجد ، وأنجاد ، ونجاد ، ونجود . نجد . ب ، ط : « البحور » تحريف ، صوابه في م مع أثر تصحيح ، وكذا في مج والرسائل .

(٢) الأغوار : جمع غور ، وهو ما انخفض من الأرض . ب : « الأهواز » م : « الأغوال » ، صوابهما في ط ، مج والرسائل .

(٣) ب : « وقارب بعضهم بعضاً وبعض للصورة » ، صوابه في م ، ط ، مج والرسائل ، لكن في ط : « وبعض الصورة » تحريف .

(٤) مج والرسائل : « فقد تحالفت علياً تميم » . وعلياً تميم ، أو عالية تميم هم بنو عمرو بن تميم ، وهم بنو الهجيم والعنبر ومازن ، كما في اللسان ( علا ٣٢٦ ) . وفي الصاحبي ٢٨ والمزهر ١ : ٢١١ : « أفصح العرب علياً هوازن وسفلى تميم » . وفي البرهان للزركشى : ٢٨٣ : « وأم سفلى تميم فبنو دارم » . وهم بنو دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم .

(٥) في الصاحبي ٢٨ والمزهر ١ : ٢١٠ : « العجز من هوازن ، وهم الذين يقال لهم علياً هوازن ، وهم خمس قبائل أو أربع ، منها سعد بن بكر ، وجشم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف » . وفي اللسان : « عجز هوازن : بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم بن بكر ، كونه آخرهم » . ويبدو أن الوصف بالعليا والسفلى راجع إلى الموقع الإقليمي . فعليا تميم : من يسكنون العالية ، وهى ما ولى الحجاز وتهامة . وسفلاهم : من يسكنون السافلة ، وهى ما ولى العراق . وجميع كلهم مشهود لها بالفصاحة .

(٦) مج والرسائل : « وهى في أكثرها على خلاف لغة حمير » .

(٧) المملهج : الهجين ، وهو العربى المولود من أمة . والمدرع : الذى أمه عربية وأبوه عربى . وأنشد :

إذا باهلى عنده حنظلية لها ولد منه فذاك المدرع

وفى جميع النسخ : « ولا مربوع » ، صوابه في مج والرسائل وهامش م .

(٨) المزلاج : الدعى ، والمزلق بالقوم وليس منهم ، كتهم يزلونه عن أنسابهم لعدم أصالته . ب فقط : « مزنج » ، صوابه في م ، ط ومج والرسائل .

فَحَطَّانَ وَعَدْنَانَ ، مِنْ قَبْلِ مَا طَبِعَ اللَّهُ عَلَيْهِ تِلْكَ التُّرْبَةَ مِنْ خِصَائِصِ  
الْغَرَائِزِ ، وَمَا قَسَمَ لِأَهْلِ كُلِّ جَزِيرَةٍ مِنَ الشَّكْلِ وَالصُّورَةِ ، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ  
وَاللُّغَةِ .

فَإِنْ قُلْتَ : وَكَيْفَ صَارَ أَوْلَادُهُمَا جَمِيعاً عَرَبِيًّا ، مَعَ اخْتِلَافِ الْأُبُوَّةِ ؟  
قُلْنَا : إِنَّ الْجَزِيرَةَ لَمَّا كَانَتْ وَاحِدَةً فَاسْتَوَوْا<sup>(١)</sup> فِي التُّرْبَةِ وَفِي اللُّغَةِ ،  
وَفِي الشَّمَائِلِ وَالْهَمَّةِ ، وَفِي الْأَنْفِ وَالْحَمِيَّةِ ، وَفِي الْأَخْلَاقِ [وَالسَّجِيَّةِ]<sup>(٢)</sup> ،  
فَسَبَّكَوا سَبْكًا وَاحِدًا ، تَشَابَهَتْ الْأَجْزَاءُ وَتَنَاسَبَتْ الْأَخْلَاطُ<sup>(٣)</sup> ، حَتَّى  
صَارَ ذَلِكَ أَشَدَّ تَشَابَهًا فِي بَابِ الْأَعْمِّ وَالْأَخْصِ ، وَفِي بَابِ الْوَفَاقِ  
وَالْمُبَايَنَةِ<sup>(٤)</sup> مِنْ بَعْضِ الْأَرْحَامِ ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِتِّفَاقِ فِي الْحَسَبِ<sup>(٥)</sup> ،  
وَصَارَتْ هَذِهِ الْأَسْبَابُ وَلَادَةً أُخْرَى حَتَّى تَنَاقَحُوا عَلَيْهَا ، وَتَصَاهَرُوا  
مِنْ أَجْلِهَا . وَامْتَنَعَتْ عَدْنَانُ قَاطِبَةً مِنْ مَنَاحِكَةِ بَنِي إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَخُو  
إِسْمَاعِيلَ ، وَجَادُوا<sup>(٦)</sup> بِذَلِكَ فِي جَمِيعِ الدَّهْرِ لِبَنِي قَحْطَانَ<sup>(٧)</sup> .

فَفِي إِجْمَاعِ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى التَّنَاقُحِ وَالتَّصَاهُرِ ، وَمَنْعِهِمَا ذَلِكَ جَمِيعَ  
الْأُمَمِ ، كَكَسْرَى<sup>(٨)</sup> فَمِنْ دُونِهِ ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّسَبَ<sup>(٩)</sup> عَنْدهُمْ مُتَّفَقٌ ،  
وَأَنَّ هَذِهِ الْمَعَانِيَ قَدْ قَامَتْ عَنْدهُمْ مَقَامَ الْوِلَادَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمَاسَةِ .

(١) ط فقط : « استووا » بدون فاء .

(٢) التكلة من مج والرسائل .

(٣) ب ، م : « وتباينت الأخلاط » ، ط : « وتباينت الأخلاق » ، صوابها في مج  
والرسائل .

(٤) في الأصول : « وفي باب الوفاق وفي البنية » ، صوابه في مج والرسائل .

(٥) في الأصول : « وفي الحسب » ، والوجه حذف الواو كما في مج والرسائل .

(٦) جادوا ، أى سمحوا . وفي الأصول : « وجازوا » ، صوابه في مج والرسائل .

(٧) في الأصول : « وكبنى قحطان » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٨) ب فقط : « كسرى » .

(٩) ب ، م : « دليل على النسب » ، تحريف .



وزعمت أنه أراد الفرقة والتحزيب<sup>(١)</sup> ، وأنتك أردت الألفة والتقريب<sup>(٢)</sup> .

ثم زعمت أيضاً أن البنوى<sup>(٣)</sup> خراساني ، وأن نسب الأبناء نسب آبائهم ، وأن حُسن صنيع الآباء ، وقديم فعال الأجداد ، هو حسَبُ الأبناء ، وأن الموالي بالعرب أشبه ، وإليهم أقرب ، وبهم أَمْس ؛ لأنَّ السُّنة<sup>(٤)</sup> قد نقلت الموالي إلى العرب في كثير من المعاني ، لأنهم عرب في المدعى ، وفي العاقلة ، وفي الوراثة<sup>(٥)</sup> . وهذا تأويل قوله<sup>(٦)</sup> : « مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْهُمْ<sup>(٧)</sup> » . و « الْوَلَاءُ لِحِمَّةٍ كُلُّهُمْ النَّسَبُ<sup>(٨)</sup> » .

ثم زعمت أن الأتراك قد شاركوا القوم في هذا النسب ، وصاروا من العرب بهذا السبب ، مع الذي بانوا به من الخلال ، وحُبُّوا به من شرف الخصال .

على أن ولاء الأتراك للباب قريش ، ولمُصَاص عبد مناف ، [وهم<sup>(٩)</sup> في سرِّ هاشم ، وهاشم موضع العذار من خدِّ الفرس ، ومحلُّ العقد

(١) التحزيب : أن يجعلهم أحزاباً وفرقاً . ب : « والتخريب » م : « والتخويف » ط : « والتحزب » ، صوابه في مج والرسائل .

(٢) ط فقط : « والتقرب » .

(٣) في الأصول : « البنوى » صوابه في مج والرسائل . وانظر ما سبق في صفحة ١٦٧ .

(٤) ب ، م : « الشبه » ط : « النسبة » صوابهما مج والرسائل .

(٥) في الأصول : « الراية » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٦) مج : « قوله عليه الصلاة والسلام » .

(٧) ويروى : « من أنفسهم » . الجامع الصغير ٩١٢٤ . وأخرجه البخاري عن أنس .

(٨) أخرجه الطبراني عن عبد الله بن أبي أوفى ، والحاكم والبيهق عن ابن عمر . الجامع الصغير ٩٦٨٧ .

(٩) التكملة من رسائل الجاحظ .

من لبّة الكعاب<sup>(١)</sup> . وهو<sup>(٢)</sup> الجوهر المكنون ، والذهب المصفى ، وموضع المّحة من البيضة<sup>(٣)</sup> ، والعين في الرأس<sup>(٤)</sup> ، والروح من البدن . وهم الأنف المقدم ، والسّنام الأَكوم ، والطّينة البيضاء ، والدّرة الزهراء ، والروضة الخضراء ، والذهب الأحمر .

فقد شاركوا العرب في أنسابهم ، وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذي لا يبلغه فضل وإن برع ، بل لا يعشره شرف وإن عظم ، ولا مجد وإن قدم . فزعمت أنّ أنساب الجميع متقاربة غير متباعدة ، وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازنة والمكافئة<sup>(٥)</sup> ، والطاعة والمناصحة ، والمحبة للخلفاء والأئمة .

وذكرت أنّه ذكر جملاً من مفاخر هذه الأجناس ، وجمهرة من مناقب هذه الأصناف ، وأنّه جمع ذلك وفصله ، وأجمّله وفسّره ، وأنّه ألغى ذكر الأتراك فلم يعرض لهم<sup>(٦)</sup> ، وأضرب عنهم صفحاً فلم يخبر عنهم ، كما أخبر عن<sup>(٧)</sup> حجة كلّ جيل ، وعن برهان كلّ صنف . فذكر أنّ الخراساني يقول : نحن النّقباء ، وأبناء النّقباء ، ونحن النّجباء وأبناء النّجباء ، ومِنّا الدعاة قبل أن تظهر نقابة<sup>(٨)</sup> ، أو تُعرف

(١) في رسائل الجاحظ : « الكاعب » ، وهما سواء . يقال جارية كعاب ومكعب ، وكاعب : نهد ثديها . واللّبة بالفتح ، والبيب بالتحريك : موضع القلادة من الصدر .

(٢) وهو ، ليست في رسائل الجاحظ . كما أن وجهها « وهم » .

(٣) محّة البيضة ومجها : ما في جوفها من صفرة . ب فقط : « المحّة » تحريف .

(٤) مج فقط : « من الرأس » .

(٥) المكافئة ، بالنون : المعاونة ، ومثلها المكافئة ، بالتاء ، كما في المعجم الوسيط .

ب ، م : « والمكافئة » . صوابها في ط ومج . وفي رسائل الجاحظ : « والمكافئة » بالتاء .

(٦) ط فقط : « بهم » .

(٧) ط فقط : « خبر » .

(٨) النقيب : العريف على القوم المقدم عليهم ، الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم . والنقابة بالفتح المصدر ، وبالكسر الاسم .

نَجَابَةٌ ، وقبل المغالبة والمبادأة<sup>(١)</sup> ، وقبل كَشَفِ القِنَاعِ وزوالِ التَّقِيَّةِ .  
وبنا زالَ مُلْكُ أعدائنا عن مُسْتَقَرِّهِ ، وثَبَتَ مُلْكُ أوليائنا في  
نصابهِ ، وَبَيَّنَ ذلكَ ما قُتِلْنَا وشُرِّدْنَا . ونُهِكْنَا ضَرْباً وطلباً ، وبُضِعْنَا  
بالسُّيُوفِ الحِدادِ ، وعُدُّبْنَا بِأَلْوَانِ العذابِ .

وبنا شَفَى اللهُ تعالى الصُّدُورَ ، وأدْرَكَ الشَّارَ ، وَمَنَّا الاثْنَى عَشَرَ  
النُّقَبَاءَ ، والسَّبْعُونَ النُّجَبَاءَ . ونحنُ الخَنْدَقِيَّةُ وأَبْنَاءُ الخَنْدَقِيَّةِ<sup>(٢)</sup> ،  
ونحنُ الكَفِّيَّةُ وأَبْنَاءُ الكَفِّيَّةِ<sup>(٣)</sup> ، وَمَنَّا المُسْتَجِيبَةُ ، ومن<sup>(٤)</sup> بِهَرَجِ التَّيْمِيَّةِ ،  
ومنا نيم خزان<sup>(٥)</sup> ، وَأَصْحَابُ الْجَوْرَبِيِّينَ<sup>(٦)</sup> ، وَمنا الزَّغْنَدِيَّةُ<sup>(٧)</sup> ،  
وَالْأَزَادْمَرْدِيَّةُ<sup>(٨)</sup> .

ونحنُ فَتَحْنَا البلادَ ، وَقَتَلْنَا العدوَّ بِكُلِّ وادٍ ، ونحنُ أَصْلُ هذه الدَّوْلَةِ ،  
وَمَنِبَتِ هذه الشَّجَرَةِ ، وَأَصْحَابُ هذه الدَّعْوَةِ ، وَمِنْ عِنْدِنَا هَبَّتْ هذه الرِّيحُ .  
وَالْأَنْصَارُ أَنْصَارَانِ : الْأَوْسُ والخَزْجُ ، نَصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ ، وَأَهْلُ خُرَاسَانَ نَصَرُوا وَرَثَتَهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ .  
غَدَّانَا بِذَلِكَ آبَاؤُنَا ، وَغَزَوْنَا بِهِ أَبْنَاءُنَا ، وَصَارَ لَنَا نَسَباً لَا نَعْرِفُ إِلَّا بِهِ ،  
وَدِيناً لَا نُؤَالِي إِلَّا عَلَيْهِ .

(١) في الرسائل : « والمباراة » وبالراء .

(٢) الخندقية : أصحاب الخنادق أيام نصر بن سيار ، كما سيأتي في أول ص ١٧٦ .

(٣) ط فقط : « الكتفية وأبناء الكتفية » .

(٤) م ، ط : « ومنا » وفي ط والرسائل بعده : « يهرج التيمية » وفي مج : « يهرج التيمية » .

(٥) ط فقط : « تيم خزان » .

(٦) ب ، م : « الجوزتين » . وفي ط : « الحوزتين » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٧) زغند ، في الفارسية بمعنى صوت الحيوان الوحشي . وسيأتي في ص ١٧٩ : « ولنا

الأصوات التي تسقط الحبال » .

(٨) الأزاد مردية : اسم كان يطلق على طبقة الأشراف من الفرس . انظر مقال الدكتور

كراوس في مجلة الثقافة العدد ٢٢٤ . ب : « والأزاد مردية » م : « والأزادردية » ط :

« والأمزاردية » ، صوابه في مج والرسائل .

ثمّ نحنُ على وتيرةٍ واحدةٍ ، ومنهاجٍ غير مشتركٍ ، نعرف بالشَّيعة ، وندين بالطَّاعة ، ونقتلُ فيها ، ونموت عليها . سَيَانَا موصوفٌ ، ولباسنا معروف ، ونحن أصحاب الرّايات السود ، والروايات الصحيحة<sup>(١)</sup> ، والأحاديث المأثورة ، والذين يهدمون مُدن الجبابرة ، وينتزعون المُلك من أيدي الظَّلمة . وفيينا تقدّم الخبر ، وصحَّ الأثر . وجاء<sup>(٢)</sup> في الحديث صفةُ الذين يفتحون عَمُورِيَّةَ<sup>(٣)</sup> ، ويظهرون عليها<sup>(٤)</sup> ، ويقتلون مقاتليها<sup>(٥)</sup> ، ويسبُّون ذراريَّها ، حيث قالوا في نعتهم : «شعورهم شعورُ النِّساء ، وثيابهم ثياب الرُّهبان » . فصدَّقَ الفعلُ القولَ ، وحقَّقَ الخبرُ العيان .

ونحن الذين ذكرنا ، وذكر بلاءنا<sup>(٦)</sup> إمامُ الأئمَّة ، وأبو الخلائف العشرة<sup>(٧)</sup> محمد بن علي ، حين أراد توجيه الدُّعاة إلى الآفاق ، وتفريق شيعته في البلدان :

- 
- (١) في الأصول : « في الروايات الصحيحة » ، وأثبت ما في ميج والرسائل .  
 (٢) ب ، ط : « جاء » بدون واو .  
 (٢) عمورية ، بتشديد الميم المضمومة والياء : بلدة في الروم فتحها المعتصم العباسي سنة ٢٢٣ . ولهذا الفتح قصة عجيبة مذكورة في كتب التاريخ . وفيه يقول أبو تمام :  
 يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المني حفلا معسولة الحلب  
 (٤) عليها ، ساقطة من م .  
 (٥) كذا في ميج والرسائل وم . وفي ب : « مقاتلها » وفي ط : « مقاتلتها » .  
 (٦) ب ، م : « بلاد ناء » ، صوابه في ط .  
 (٧) يعني خلفاء العباسيين العشرة الذين أدرك الجاحظ آخرهم ، وهو الخليفة المتوكل . وهم علي الولاء : أبو العباس السفاح ، وأبو جعفر المنصور ، ثم المهدي ، والهادي ، والرشد ، والأمين ، والمأمون ، والمعتصم الذي كان يسمى « الخليفة الثامن » ، لأنه الثامن من خلفاء بني العباس ، أو لأنه مات عن ثمانية بنين وثمان بنات ، وخلف في بيت المال ثمانية آلاف ألف دينار ، وثمانية آلاف ألف درهم ، كما ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف ٣٠٧ . ثم تاسعهم الخليفة الواثق ، والعاشر الخليفة المتوكل المقتول بالجعفرية من سر من رأى سنة ٢٤٧ .  
 وقد توالى بعد هؤلاء الخلائف العشرة من العباسيين ٢٦ خليفة كان آخرهم المستعصم بالله الذي قتله هولاءكو ملك التتر حين استولى على بغداد سنة ٦٥٦ .

«أما البصرة وسوادها فقد غلب عليها عثمان ، وصنائعُ عثمان ، فليس بها من شيعتنا إِلَّا القليل .

وأما الكوفة وسوادها فقد غلب عليها عليٌّ وشيعةُ عليٍّ ، فليس بها من شيعتنا إِلَّا القليل .

وأما الشام فشيعتنا بني مروان ، وآل بني سُفيان .

وأما الجزيرة فخارجةٌ ، وحروريةٌ ومارقةٌ .

ولكن عليكم بهذا الشرق فإنَّ هناك<sup>(١)</sup> صدوراً سليمةً ، وقلوباً باسلةً ، لم تُفسدْها الأهواء ، ولم تُخامِرْها الأدواء ، ولم تعتقِبْها البدع ، وهم مغِيطون<sup>(٢)</sup> مَوْتُون . وهناك العدد والعُدَّة . والعِتَاد والنَّجدة » .

ثم قال : « وأنا أتفاءلُ إلى حيث ما تَطْلُع<sup>(٣)</sup> » .

فكنا خيرَ جنديٍّ لخيرِ إمام . وصدَّقنا ظنَّه . وثبَّتْنا رأيه ، وصَوَّبْنا فِراسَتَه . وقال مرَّةً أُخرى : « إنَّ أَمْرنا هذا شرقيٌّ لا غربيٌّ . ومُقبِلٌ غيرُ مدبرٍ . يطلُعُ كطلوعِ الشمس ، ويمتدُّ على الآفاق امتدادَ النهار . حتَّى يَبْلُغ<sup>(٤)</sup> حيث ما تَبْلُغُه الإخفاف<sup>(٥)</sup> . وتناله الحَوَافِر » .

قالوا : ونحن قتلنا الصَّحَّاحِيَّةَ<sup>(٦)</sup> . والدَّائِقِيَّةَ<sup>(٧)</sup> . والدَّكوانِيَّةَ ،

(١) ط فقط : « هناك » .

(٢) ط فقط : « مغِيطون » ، صوابه في سائر النسخ .

(٣) ب : « ما تَطْلُع » ، تحريف . والمراد : حيثما تَطْلُع الشمس . وفي مج : « حيث يَطْلُع النهار » ، وفي الرسائل : « حيث يَطْلُع منه النهار » .

(٤) في الأصول : « حتَّى تَبْلُغ » ، صوابه بالياء كما في مج والرسائل .

(٥) أى أخفاف الإبل . ب ، م : « الإخفاف » ، صوابه في ط ، مج والرسائل .

(٦) الصحَّاحِيَّة : نسبة إلى صحَّاح ، وكان أحد المتكلمين . انظر الحيوان ٣ : ٣٩٥ والبخلاء ٤ والطبرى في حوادث سنة ١٣٢ . وفي الأصول : « الصحَّاحِيَّة » ، صوابه في مج والرسائل .

(٧) م ، ب : « الدائقية » بالفاء . وبدله في الطبرى : « الدوكانية » .

والرأشدية . ونحن أصحاب<sup>(١)</sup> الخنادق ، ونُباتة بن حنظلة<sup>(٢)</sup> ، وعامر ابن ضُبارة<sup>(٣)</sup> ، وأصحاب ابن هُبيرة . فلنا قديم هذا الأمر وحديثه ، وأولُه وآخره<sup>(٤)</sup> .

ومنا قاتل مروان .

ونحن قومٌ لنا أجسامٌ وأجرامٌ ، وشُعور وهامٌ ، ومناكبٌ عظامٌ ، وجباهٌ عراضٌ ، وقَصَرٌ غِلَظ<sup>(٥)</sup> ، وسَوَاعِدٌ طِوال .

ونحن أولدٌ للذكورة ، وأنسلُ بُعولةٌ ، وأقلُ ضَمَى وضُولةٌ ، وأقلُ إِتَاماً<sup>(٦)</sup> ، وأنتقُ أرحاماً<sup>(٧)</sup> . وأشدُّ عصباً . وأتمُّ عظاماً . وأبداننا أحملُ للسلاح ، وتجفأنا أملاً للعيون<sup>(٨)</sup> .

(١) بعده في مج والرسائل : « أيام نصر بن سيار ، وابن جديع الكرماي ، وشيبان بن سلمة الحرَجى » . وابن جديع هذا هو علي بن جديع الكرماي ، كد في حواشي رسائل الجاحظ ١ : ١٧ .

(٢) ب : « وبناته بن حنظلة » ، م : « وبناته » صوابهما في ط ، مج والرسائل . وفيهما : « ونحن أصحاب نبذة بن حنظلة » . وكان نبذة هذا والياً على جرجان . وانظر جهمرة ابن حزم ٢٨٢ . وهو نبذة بن حنظلة بن ربيعة بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وانظر خبر مقتله في تاريخ الطبري سنة ١٣٠ .

(٣) كد عامر بن ضُبارة هذا من قواد ابن هُبيرة . وانظر الاشتقاق ٢٨٩ ، ٢٩٠ . وجهمرة ابن حزم ٢٥٤ . وفي الأصول : « بن ضُبابة » صوابه بالراء كما في مج والرسائل والتنبيه والإشراف ٢٨٣ والطبري ٧ : ٤٠٥ . قتله قحطبة بن شبيب الطائي بأصبهان في حروب أبي مسلم الخراساني سنة ١٣١ .

(٤) في الطبري أن قاتل مروان بن محمد ، هو رجل من أهل البصرة يقال له المغود ، طعنه وهو لا يعرفه فصرعه ، فصاح صائح : صرع أمير المؤمنين ! وابتدرود ، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فحتز رأسه . انظر حوادث سنة ١٣٢ .

(٥) القصر ، بالتحريك : جمع قصرة ، وهي أصل العنق . وبه فسر ابن عباس قوله تعالى : « إنها ترمي بشرر كالقصر » في قراءته بفتح الصاد .

(٦) الإِتَام : أن تلد المرأة اثنين في بطن .

(٧) أنتقُ أرحاماً ، أى أكثر ولادة . والمرأة نتق ، لأنها ترمي بالأولاد رمياً . والنتق : الرمي والتفص .

(٨) في الأصول ومج وأصل الرسائل ١ : ١٨ : « وأخفأنا » . والوجه ما أثبت . وانظر حواشي الرسائل . والتجفأف ، بفتح التاء وكسرهما : ما جبل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح في الحرب . وانظر ص ١٧٨ .

ونحن أكثر مادّةً ، وأكثر عدداً وعدّةً ، ولو أنّ يابُجوج ومأجوج  
كاثروا<sup>(١)</sup> من وراء النهر منا لظهروا عليهم بالعدد .

فأمّا الأيّد وشدة الأسر فليس لأحدٍ بعد عادٍ وثمودٍ والعمالقَةِ  
والكنعانيّين مثلُ أيدينا وأسرنّا .

ولو أنّ خيولَ الآفاق ، وفُرسانَ جميعِ الأطرافِ جُمِعُوا في حلبةٍ  
واحدةٍ لكنا أكثرَ في العيون . وأهولَ في الصدور .

ومتى رأيتَ مواكبنا وفُرساننا وبُنودنا التي لا يحملها<sup>(٢)</sup> غيرُنا  
علمتَ أنّا لم نُخلَقْ إلّا لقلبِ الدُّولِ ، وطاعةِ الخُلفاءِ . وتأييدِ السُّلطانِ .

ولو أنّ أهلَ تَبَّتْ ، ورجالَ الزَّابِجِ<sup>(٣)</sup> . ورجالَ وفُرسانِ الهندِ<sup>(٤)</sup> ،  
وحلبةِ<sup>(٥)</sup> الرومِ . هَجَمَ عليهم هاشمُ بنُ أَشْتَاخنج<sup>(٦)</sup> لَمّا امتنعوا من  
طُرْحِ السِّلَاحِ . واخربَ في البلادِ .

ونحنُ أصحابُ اللّحي ، وأربابُ النُّهى ، وأهلُ الحِلْمِ والحِجَا<sup>(٧)</sup> ،  
وأهلُ الثَّخانةِ في الرأى<sup>(٨)</sup> ، والبُعْدِ مِنَ الطَّيْشِ .

(١) كثروهم : باروهم في الكثرة . م فقط : « كثروا » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « يحملها » . صوابه في ط ، مج والرسائل .

(٣) الزابج ، بفتح الباء وكسر ها : جزيرة في أقصى بلاد الهند في حدود الصين . وفي  
الحيوان ٧ : ٣٣٠ : « ويزعم تجار التبت بمن قد دخل الصين والزابج » . وفي الأصل ، وهو  
هنا ب فقط : « الزنج » إذ لم ترد « رجال الزابج » في كل من م ، ط .

(٤) هذا م في ط . وفي ب ومج والرسائل : « وفُرسانِ الهند » ، وفي م : « وفُرسانِ  
ورجالِ الهند » .

(٥) الحلبة ، بالفتح : جماعة الخيل في السباق ، والمراد هنا الفُرسان .

(٦) كان قد عصى وخلف في إفريقية ، فقتله أبو جعفر المنصور سنة ١٥٢ كما في  
الطبري .

(٧) كتبت في م ، ط : « الحجي » بالياء ؛ والكسمة واوية بمعنى المقل والغفنة ، يقال  
حاجيته فحجوته .

(٨) ثخانة الرأى : قوته وجزالته . ب : « التجانة » م ، ط : « الشجانة » ، صوابهما  
في مج والرسائل .

(١٢ - رسائل الجاحظ)

ولسنا كيجند الشام المتعرضين للحرم ، والمتهكين لكل مُحرم .  
 ونحن نأمن لنا أمانة ، وفيها عفة . ونحن نجتمع بين النزاهة  
 والقناعة ، والصبر على الخدمة ، وعلى التجمير وبُعد الشقة<sup>(١)</sup> .  
 ولنا الطبول المهولة والبُنود العظام<sup>(٢)</sup> .  
 ونحن أصحاب التجافيف والأجراس<sup>(٣)</sup> ، والبارفكند<sup>(٤)</sup> ،  
 والبُود الطوال ، والأغمد المعقفة<sup>(٥)</sup> والقلانس الشاشية<sup>(٦)</sup> ، والخيول  
 الشهيرة<sup>(٧)</sup> ، ولنا الكافر كوبات<sup>(٨)</sup> . والطبرزينات في الأكف<sup>(٩)</sup> ،  
 والخناجر في الأوساط .

(١) تجمير الجيش : إبقاؤه في ثغر العدو ، وأصل معناه التجميع . مج والرسائل : « عند  
 بعد الشقة » .

(٢) وكذا في مج . لكن في الرسائل : « ولنا الطبول المهولة العظام والبُود » . والبُود :  
 جمع بند ، وهو العلم الكبير ، فارسي معرب .

(٣) انظر للتجافيف ما مضى في ص ١٧٦ .

(٤) مج والرسائل : « والبارفكند » . وفي البيان ١ : ٩٥ - ٣ : ١١٥ : « بازيكند »  
 أيضاً . وضبطت في أعلى نسخ البيان بفتح الزاي وضم الياء المشناة وفتح الكاف . وفي هامشها :  
 « بازيكند : نوع من الثياب ، فارسية » . ويبدو أنه كساء يلقى على الكتف . وباز في الفارسية  
 بمعنى الكتف .

(٥) الأغمد : جمع غمد ، وهو جفن السيف . في الأصول : « والأعمدة » ، صوابه  
 في مج والرسائل . والمعقفة : المعوجة ، وذلك لاعوجاج السيوف التي تشتمل عليها . ب :  
 « والمعقفة » والواو مقحمة . وفي ط : « والحقفة » وفي م : « والمقفة » ، صوابها ما أثبت .

(٦) نسبة إلى الشاش ، وهو نسيج رقيق من القطن تضمد به الجروح ، ويستعمل أيضاً  
 لفافة للعامة ، ولفظه مولد . ب ، م : « الشبسية » صوابه في ط ومج والرسائل .

(٧) الشهيرة ، بالكسر كما في اللسان والقاموس . وذكر ابن منظور أنه ضرب من  
 البراذن . وزاد صاحب اللسان أنه بين البرذون والمقرف من الخيل .

(٨) جمع كافر كوب ، وفي هامش ل من نسخ البيان أن كافر كوب هي المقرعة .

(٩) الطبرزينات : جمع طبرزين ، وهو فأس تستعمل في القتال عند الفرس ، مركب من  
 « تبر » بمعنى الفأس . و « زين » بمعنى السرج ، ولعله سمي بذلك لالتزام وضعه بجانب السرج .  
 استينجاس ٢٧٠ والمعرب ١٩٤ والألفاظ الفارسية لأدى شير ١١١ .



ولنا تعليقُ السيوف وحُسْنُ الجلُسة على ظُهور الخيل ، ولنا الأصوات التي تُسْقِطُ الحبالى .

وليس فى الأرض صناعةٌ غريبةٌ<sup>(١)</sup> ، من أدبٍ وحكمةٍ وحسابٍ وهندسةٍ ، وارتفاعٍ بنايٍّ وصنعةٍ<sup>(٢)</sup> ، وفقهٍ وروايةٍ ، نظرتُ فيها الخُراسانيةُ إلّا فرغتُ فيها الرؤساءَ<sup>(٣)</sup> ، وبذتُ فيها العلماءَ<sup>(٤)</sup> .

ولنا صنعةُ السّلاح ، عُدّةٌ للحرب<sup>(٥)</sup> ، وتثقيفٌ ودُربةٌ للمجاولَةِ والمُشاوَلَةِ<sup>(٦)</sup> ، وللكرِّ بعد الفَرِّ، مثل الدَّبوقِ<sup>(٧)</sup> ، والنزْوِ على الخيلِ صغاراً ، ومثل الطَّبْطابِ والصَّوالِجةِ كِباراً<sup>(٨)</sup> . ثم رمى المُجَثِّمةَ<sup>(٩)</sup> والبُرْجاسَ<sup>(١٠)</sup> والطائرَ الخاطفَ<sup>(١١)</sup> . فنحن أحقُّ بالأثَرَةِ ، وأولى بِشَرَفِ المنزلةِ .

قلت : وزعم أنَّ العربى يقول : إن تكن القُربةُ<sup>(١٢)</sup> تُستَحَقُّ بالأنسابِ

(١) فى الأصول : « عراقية ولا حجازية » وهو تحريف ساق إلى تحريف . والوجه ما أثبت من مج والرسائل .

(٢) مج والرسائل : « وإيقاع وصنعة » .

(٣) فرع فلان فلاناً : علاه وفاقه . فى الأصول : « فرغت منها الرؤساء » ، صوابه فى مج والرسائل .

(٤) بذهم : غلبهم وسبقهم . فى الأصول : « وبذت » صوابه بالذال المعجمة كما فى مج والرسائل .

(٥) العبارة هنا موجزةٌ إيجازاً شديداً . وانظر الرسائل ١ : ٢٠ .

(٦) المشاولة : أن يتناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرمح .

(٧) فى اللسان : « الدبوق لعبة يلعب بها الصبيان ، معروفة » . وفى القاموس : « لعبة معروفة » .

(٨) الطبطباب ، بالفتح : مضرب الكرة . والصولجان : المحجن ، أى العصا المعوجة الطرف ، ويستعملها الفرس للعب بالكرة وهم على ظهور الخيل . استينجاس ٧٩٦ واللفظ معرب من الفارسى « شوجان » . والجمع صوالجة . فى مج والرسائل : « والصوالج الكبار » . ويبدو أن ما هنا هو الوجه لأنه ما يقابل « صغاراً » السابقة .

(٩) المجثمة : مانصب من الحيوان للرمى والقتل . ب فقط : « المجثة » تحريف .

(١٠) البرجاس ، بضم الباء وفتحها : غرض فى الهواء على رأس رمح أو نخود . كما فى : الألفاظ الفارسية ١٨ ومعجم استينجاس ١٧٠ . ولفظه فارسى . ب ، م : « والبرجاسب » ط : « والبرجاسبارا » ، تحريف ما فى مج والرسائل .

(١١) مج والرسائل : « الخطاف » .

(١٢) ب : « القرية » تحريف . وفى ط : « القربى » ، وأثبت ما فى م ، مج والرسائل .

الثابتة ، والأرحام الشابكة . وبالقُدْمة <sup>(١)</sup> ، وبطاعة الآباء والعشيرة .  
وبالشكر النافع ، والمديح الباقي <sup>(٢)</sup> ، وبالشعر الموزون الذي يبقى بقاء  
الدهر ، ويلوح ملاح نجم . ويُشَدُّ ما أهْلٌ بالحجّ ، وما هَبَّت الصُّبا .  
وما كان للزيت عاصر . وبالكلام المنشور ، والقول المأثور ، وبصفة  
مخرج الدولة ، والاحتجاج للدعوة ، وتقييد المآثر . إذ لم يكن ذلك  
من عادة العجم ، ولا كان يحفظ ذلك معروفاً لسوى العرب ، ونحن  
نرتبطها بالشعر المقفى ، ونقيدها بحفظ الأُميين <sup>(٣)</sup> الذين لا يتكلمون <sup>(٤)</sup>  
على الكتب المدونة . والخطوط المطرسة <sup>(٥)</sup> .

ونحن أصحاب التفاخر والتنافر . والتنازع في الشرف . والتحاكم  
إلى كلِّ حكم مُقنَع ، وكاهنٍ سَجَّاع <sup>(٦)</sup> .

ونحن أصحاب <sup>(٧)</sup> التعابير بالمثالب ، والتفاخر بالمناقب .

ونحن أحفظُ لأنسابنا ، وأرعى لحقوقنا <sup>(٨)</sup> ، وتقييدها <sup>(٩)</sup> أيضاً  
بالمنشور المرسل ، بعد الموزون المعدل ، بلسانٍ أمضى من السنان ، وأرهف

(١) م : وبالقُدْمة « صوابه في ب ، ط ومج والرسائل .

(٢) في جميع الأصول : « والمدح الباقي » ، صوابه في مج والرسائل . وفيهما : « والمدح  
الكافي » .

(٣) ب : « الأُميين » ب : « الأُميين » مع تشديد الميم ، صوابه في ط ومج والرسائل .

(٤) ط فقط : « لا يتكلمون » ، تحريف .

(٥) التطريس ، كما في القاموس : إعادة الكتابة على المكتوب .

(٦) السجّاع : الذي يستعمل السجع ، وهو الكلام المقفى ، أو الكلام الذي له فواصل ،  
وكان ذلك من دأب الكهان ، كما نراه في سيرة ابن هشام من أقوالهم . وفي جميع الأصول وكذلك  
مج : « شجاع » بالشين المعجمة . صوابه في رسائل الجاحظ ١ : ٢٢ ،

(٧) ب : « ونحن بنا » ، وأثبت ما في م ، ط . وفي مج والرسائل : « ولنا » .

(٨) ط فقط : « وأدعى لحقوقنا » .

(٩) م فقط : « وتقييد » .

من السيف الحسام ، حتّى نذكّرهم ما قد درس رسمه ، وعفا أثره .  
وبين القتال من جهة الرغبة والرّهبة فرق . رليس المعرق في الحفاظ كمن  
هذا فيه حادث<sup>(١)</sup> . وهذا بابٌ يتقدّم التالّد القديم الطارف الحديث<sup>(٢)</sup>

وطُلاب الطوائل رجالان : سيجستانى وأعرابى . وهل أكثر النقباء  
إلا من صميم العرب . ومن صليبة هذا النّسب . كآبى عبد الحميد  
قحطبة بن شبيب الطائى<sup>(٣)</sup> ، وآبى محمد سليمان بن كثير الخزاعى<sup>(٤)</sup> ،  
وآبى نصر مالك بن الهيثم الخزاعى<sup>(٥)</sup> ، وآبى داود خالد بن إبراهيم  
الذهلى ، وكآبى عمرو لاهز بن قريظ الممرى<sup>(٦)</sup> . وآبى عتيبة موسى

(١) ط فقط : « كمن هذى فيه حادثاً » .

(٢) ب فقط : « و'الطارف الحديث » تحريف .

(٣) قطبة بن شبيب الطائى ، صحب أباً مسلم الخراسانى ، فى اثنى عشر رجلاً من النقباء  
اختارهم له أبو محمد الصادق ، فكان شريكاً لأبى مسلم فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد  
جيوش أبى مسلم فكان مظفراً . ومات غرقاً فى الفرات سنة ١٣٢ حين بدأت الخلافة العباسية .  
افطر الطبرى فى حوادث سنة ١٠٠ ، وسنة ١٣٢ . ط : « كعبد الحميد بن قحطبة » ، صوابه  
فى سائر النسخ ومع والرسائل .

(٤) كان سليمان بن كثير الخزاعى أحد النقباء الاثنى عشر من دعاة الدولة العباسية وأنصار  
أبى مسلم ، ولكن أباً مسلم شك فى أمره وأمر بضرب عنقه فى سنة ١٣٢ . الطبرى ٧ : ٤٥٠  
وابن الأثير ٥ : ٤٣٧ .

(٥) أبو نصر هذا : أحد النقباء ، وكان المنصور قد أمر بقتله بعد قتله لأبى مسلم ،  
ولكنه أظهر من الطاعة والنصح ما غير رأى المنصور فيه ، فن عليه واستعمله على الموصل . وذلك  
فى سنة ١٣٧ . الطبرى وابن الأثير .

(٦) لاهز بن قريظ ، بالطاء المعجمة كما فى الطبرى وابن الأثير ورسائل الجاحظ .  
وفى الأصول : « بن قريظ » بالطاء المهملة . وفى مج : « بن طريز » ، صوابهما ما أثبت .  
ونسبته من الجمهرة ٢١٤ : لاهز بن قريظ بن سرى بن الكاهن بن زيد بن عصية بن امرئ القيس .  
كان من وجوه أهل دعوة بنى العباس وضرب أبو مسلم عنقه صبراً لأنه قرأ بحضرة نصر بن سيار :  
« إن الملأ يأترون بك ليقتلوك فاخرج إلى لك من الناصحين » ، ففهمها ، نصر وهرب . فنسبته  
« المرقى » هى إلى امرئ القيس . وفى الأصول ومع : « المرقى » ، تحريف . وما بعده من  
الكلام إلى : « ومن كان يجرى » ساقط من ط .

ابن كعب المرئي<sup>(١)</sup> ، وأبي سهل القاسم بن مجاشع المرئي<sup>(٢)</sup> . ومن كان يجرى مجرى النقباء ولم يدخل فيهم ، [مثل<sup>(٣)</sup>] مالك بن الطواف<sup>(٤)</sup> المرئي<sup>(٥)</sup> .

وبعد ، فمن هذا الذي باشر قتل مروان<sup>(٦)</sup> ، ومن هزم ابن هبيرة ، ومن قتل ابن ضبارة ، ومن قتل نباتة بن حنظلة ، إلا عرب الدعوة ، والصميم من أهل الدولة ؟ ومن فتح السند إلا موسى بن كعب ، ومن فتح إفريقية إلا محمد بن الأشعث ؟

وقلت : وقال : ويقول الموالى<sup>(٧)</sup> لنا النصيحة الخالصة ، والمحبة الراسخة . ونحن موضع الثقة عند الشدة ، وعلل المولى<sup>(٨)</sup> من تحت موجبة لمحبة المولى من فوق ؛ لأن شرف مولاه راجع إليه ، وكرمه زائد في كرمه ، وخموله مسقط لقدره ، وبودده<sup>(٩)</sup> أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه ، لأن ذلك كلما<sup>(١٠)</sup> كان مولاه أكبر وأشرف وأظهر ، كان هو بها أشرف وأنبل ، ومولاك أسلم لك صدراً ، وأود ضميراً ، وأقل حسداً .

(١) في الطبري ٧ : ٣٨٠ : « ومن تميم : موسى بن كعب أبو عينينة » كذا في مج ، لا أبو عتيبة بالتاء كما هنا وكذا في الرسائل . ولاهز بن قريظ ، والقاسم بن مجاشع ، كلهم من بني أمي القيس » ب : « المرائي » م : « المزاني » تحريف والصواب « المرئي » نسبة إلى أمي القيس .

(٢) ب : « المزني » م : « المزاني » ، صوابهما ما أثبت . وانظر الحواشي السابقة .

(٣) التكملة من مج والرسائل .

(٤) م : « الطرف » وفي الطبري : « بن طريف » وفي ابن الأثير : « بن طراف » ،

وجعلنا نسبته « الخراساني » .

(٥) في مج : « المزاني » وفي ط والرسائل : « المزني » .

(٦) انظر ما سبق في ص ١٧٦ س ٤ .

(٧) ب فقط : « للمولى » ، تحريف .

(٨) ب فقط : « الموق » ، تحريف .

(٩) ب : « ويوده » م : « ويوده » ، صوابه في سائر النسخ .

(١٠) مج والرسائل : « لأنه كلما » .

وَبَعْدُ ، فالَوْلَاءُ لَحْمَةٌ كُلْحَمَةُ النَّسَبِ<sup>(١)</sup> ، فقد صار لنا النَّسَبُ الذي يصوبُهُ العربيُّ<sup>(٢)</sup> ، ولنا الأَصْلُ الذي يفتخر به العجميُّ .

قال : والصَّبْرُ ضرُوبٌ . فأكرمها كُلُّها الصَّبْرُ على إفشاء السرِّ ، وللموَلَى في هذه المَكْرُمَةِ ما ليس لأَحَدٍ ، ونحن أَخَصُّ مدخلًا ، وأَلطف في الخِدْمَةِ مَسْلَكًا . ولنا مع الطَّاعَةِ والخِدْمَةِ . والإِخلاصِ وحُسْنُ النِّيَّةِ ، خِدْمَةُ الأَبْنَاءِ لِلآبَاءِ ، والآبَاءِ لِلأَجْدَادِ<sup>(٣)</sup> . وهم بِمَوَالِيهِمْ آنَسُ ، وبناحيتهم أَوْثَقُ . وبِكفائيتهم أَسْرَ .

وقد كان المنصور ، ومحمَّد بن علي ، وعليُّ بن عبد الله ، يَخْصُونُ مَوَالِيَهُمُ بالمواكلة والبَسْطِ والإِيناسِ ، لا يُبْهَرِجُونَ الأَسْوَدَ لسواده . ولا الدَّمِيمَ لدمايته ، ولا ذا الصَّنَاعَةِ الدُّنْيَا لِدُنْيَاها . ويُوصُونَ بحفظهم أَكابرَ أَوْلَادِهِمْ . ويجعلون لكثيرٍ من موتاهم الصَّلَاةَ على جنائزهم<sup>(٤)</sup> ، وذلك بحضرةٍ من العمومة ، وبنى الأَعْمامِ والإِخْوَةِ .

ويتذكرون إِكرامَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة مولاه ، حين عقد له يوم مُؤْتَةِ على جِلَّةِ بنى هاشم ، وجَعَلَهُ أَمِيرَ كُلِّ بِلَدَةٍ<sup>(٥)</sup> يَطُؤُها .

ويتذكرون حُبَّهُ لأُسَامَةَ بن زيد . وهو الحِبُّ ابْنُ الحِبِّ . وعقد له على عُظَمَاءِ المهاجرين وأَكابرِ الأَنْصارِ .

(١) مج : « وبعد فقالوا : لالحمة كلحمة النسب » ، تحريف .

(٢) ب : « تَصُوبُ به العربي » م : « تَصُوبُ به العربي » ط : « تَقُوبُ به العربي » ، صوابه من مج والرسائل .

(٣) في جميع النسخ : « والأجداد للأجداد » ، والوجه ما أثبت من مج والرسائل .

(٤) ط فقط : « ويجلون الكثير من موتاهم في الصلاة على جنائزهم » .

(٥) ب فقط : « بد » ، تحريف .

ويتذاكرون صنيعة بسائر مواليه كآبي أنسة<sup>(١)</sup> وشقران<sup>(٢)</sup> ، وفلان . وفلان .

قالوا : ولنا صاحب الدولة : أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم . وأبو سلمة حفص بن سليمان . وأبو مسلم مولى الإمام . وعليهما دارت رحى الدولة ، وتم الأمر واتسق نظام الملك .

قالوا : ولنا من رؤوس<sup>(٣)</sup> النقباء : أبو منصور مولى خزاعة . وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى خزاعة . وأبو حمزة عمرو بن أعين<sup>(٤)</sup> مولى خزاعة ، وأبو النجم عمران بن إسماعيل<sup>(٥)</sup> مولى آل أبي معيط<sup>(٦)</sup> .

فلنا مناقب الخراسانية . ولنا مناقب الموالى في هذه الدعوة . ونحن منهم وإليهم ، ومن أنفسهم ، لا يدفع ذلك مسلم . ولا ينكره مؤمن . خدمناهم كباراً ، وحملناهم على عواتقنا صغاراً .

هذا مع حق الرضاع والخوالة ، والنشوء في الكتّاب ، والتقلب في تلك العراض التي لم يبلغها إلا كل سعيد الجد ، وجيه في الملوك . فقد شاركتنا العرب في فخره . والخراساني في مجده ، والبنوي في فضله<sup>(٧)</sup> ، ثم تفرّدنا بما لم يشاركونا فيه ، ولا سابقونا إليه<sup>(٨)</sup> .

(١) اختلف في اسمه ، فقيل أنسة أيضاً ، كما في الإصابة ٢٨٥ . وكان حبشياً كما في جوامع السيرة لابن حزم ١١٤ . وكان يأذن على النبي صلى الله عليه وسلم . ومات في خلافة أبي بكر .  
(٢) شقران ، يقال كان اسمه صالح بن عدى . وكان حبشياً أهداه عبد الرحمن بن عوف إلى رسول الله . الإصابة ٣٩١١ . وهو أحد من دنا رسول الله في قبره . جوامع السيرة ٢٦٥ . وذكر ابن هشام في السيرة ١٠١٨ أنه تولى صب الماء عليه في غسسه .  
(٣) فقط : « رؤساء » .

(٤) في الأصول : « عمر بن أعين » ، صوابه في مج والرسائل والطبرى ٦ : ٥٦٢ .  
(٥) في الأصول : « عامر بن إسماعيل » ، صوابه في مج والرسائل والطبرى ٦ : ٥٦٢ .  
(٦) ط فقط : « مولى أبي معيط » ، صوابه في سائر النسخ .  
(٧) البنوي : نسبة إلى الأبناء ، كما سبق في ١٦٧ ط : « والبنوي » ، صوابه في سائر النسخ .  
(٨) مج والرسائل : « ولا سبقونا إليه » ، وهو الوجه .

قالوا : ونحن أشكل بالرعية ، وأقربُ إلى طباع الدَّهْماءِ ، وهم<sup>(١)</sup>  
بنا آنس . وإلينا أسكن ، وإلى لقائنا آحن . ونحن بهم أرحم ، وعليهم  
أعطف ، وبهم أشبه . فمن أحقُّ بالآثرة ، وأولى بحُسن المنزلة ممَّن هذه  
الخصالُ له . وهذه الخلالُ فيه .

وقلت : وذكرت أنَّ البنويَّ قال : نحن أصلُ خراساني<sup>(٢)</sup> ، وهو  
مخرج الدولة . ومطلع الدَّعوة ، ومنها نَجَمَ هذا القرنُ ، وصبأ هذا  
النَّابُ ، وتفجَّرَ هذا ينبوع ، واستفاضَ هذا البحر ، حتَّى ضرب الحقُّ  
بجِرائه<sup>(٣)</sup> ، وطَبَّقَ الآفاقَ بضيائه ، فأبْرَأَ من السُّقْمِ القديم ، وشفَى من  
الداءِ العضال ، وأَغْنَى من العيلة ، وبَصَّرَ من العمى .

وهذه بغدادُ وهي مستقرُّ الخلافة . والقرارُ بعد الجَوْلَة<sup>(٤)</sup> ، وفيها  
بقيةُ رجالِ الدَّعوة ، وأبناءُ أبناءِ الشيعة<sup>(٥)</sup> ، وهي خُراسان العراق ،  
وبيتُ الخلافة<sup>(٦)</sup> وموضعُ المادة<sup>(٧)</sup> .

وأنا أعرقُ<sup>(٧)</sup> في هذا الأمر من أبي . وأكثرُ تردداً فيه من جدِّي ،  
وأحقُّ بهذا الفضل من المولى والعربي .

ولنا بعدُ في أنفسنا مالا يُنكر من الصَّبر تحت ظلال السيوف

(١) م فقط : « وهما » .

(٢) ب ، م : « أصل » ، صوابه في ط . وفي مج والرسائل : « أنا أصلي خراسان » .

(٣) ضرب بجرائه : استقر وثبت . وأصل الجران باطن عنق البعير . فإذا برك واستقر  
قيل ألقي جرائه .

(٤) ب ، م ، مج والرسائل : « الحولة » ، وهي بالحاء المهملة المفتوحة : التحول  
والتنقل . وما هن من ط .

(٥) مج والرسائل : « وأبناء الشيعة » .

(٦) بعده في الأصول : « وفيها بقية رجال الدعوة » ، وهو تكرار لما سبق .

(٧) ب ، ط : « أعرف » ، صوابه في م ، مج والرسائل .

القصار ، والرِّماح الطوال ، ولنا معانقةُ الأبطال عند تحطُّمِ القنا ،  
وانقطاع الصفائح<sup>(١)</sup> ، ولنا المواجهة بالسكاكين ، وتلقَّى الخناجر  
بالعيون .

ونحن حماةُ المستلحم ، وأبناءُ المضائق ، ونحن أهلُ الثُّبَات عند  
الجَوْلَة ، والمعرفة عند الحَيْرَة<sup>(٢)</sup> ، وأصحاب المشهّرات<sup>(٣)</sup> ، وزينةُ  
العساكر وحلَى الجيوش<sup>(٤)</sup> ، ومَن يمشى في الرُّمَح . ويختال بين الصّفين .  
ونحن أصحابُ الفتك والإقدام .

ولنا بعدُ التَّسلُّقُ ونَقْبُ المدُن ، والتَّقحُّمُ على ظُبَاتِ السُّيُوف<sup>(٥)</sup> ،  
وأطرافِ الرماح ، ورَضْخُ الجندل ، وهَشْمُ العُمد ، والصَّبْرُ تحت  
الجراح<sup>(٦)</sup> ، وعلى جَرِّ السلاح<sup>(٧)</sup> ، إذا طار قلبُ الأعرابيّ ، وساءَ ظنُّ  
الخراساني .

ثم الصَّبْرُ تحتَ العُقوبة . والاحتجاجُ عند المسألة ، واجتماعِ العقل ،  
وصِحَّةِ الطَّرْف ، وثباتُ القدمين ، وقلةُ التَّكفُّي بجبلِ العقابين<sup>(٨)</sup> ،

(١) الصفائح : جمع صفحة ، وهي السيف العريض .

(٢) في الأصول ، مج : « الخبرة » ، صوابه في الرسائل .

(٣) المشهّرات : اللّحل الفاخرة الموسومة بالشمرة لحسبها ، كما في الفائق للزنجشري ،  
عند حديث عمر : « وفد إليه عامله من اليمن وعليه حلة مشهرة » : ط فقط : المشهّرات .

(٤) الحلّ يكسر الحاء وضمها : جمع حلية ، بالكسر ، وهي كل ما حلّيت به امرأة أوسيفاً  
ونحوه . ب فقط : « والحلى الجيوش » ، تحريف .

(٥) الظُّبَات : جمع ظبة ، وهي حد السيف والخنجر وما أشبه ذلك . وفي ب فقط : « ظبابة » ،  
وهو خطأ .

(٦) في الرسائل : « على الجراح » .

(٧) يقال أجره الرمح إجراراً ، إذا طعنه به فثنى وهو يجره .

(٨) التَّكفُّي : الثَّغِيل والثَّقَلَب . والعقابان : خشبتان يشيح بينهما الرجل فيجلد . انظر  
السان (عقب) وجنى الجنتين ٨٠ .



والبعد من الإقرار<sup>(١)</sup> ، وقلة الخضوع للدهر ، والخضوع عند جفوة الزوار<sup>(٢)</sup> ، وجفاء الأقارب والإخوان . ولنا القتال عند أبواب الخنادق ورغوس القناطر<sup>(٣)</sup> .

ونحن الموت الأحمر عند أبواب النقب ، ولنا المواجهة في الأزقة ، والصبر على قتال السجون . فسل عن ذلك الخليدية<sup>(٤)</sup> والكتفية والبلالية ، والحزبية ، ونحن أصحاب المكابرات<sup>(٥)</sup> ، وأرباب البيات<sup>(٦)</sup> ، وقتل الناس<sup>(٧)</sup> جهاراً في الأسواق والطرق .

ونحن نجتمع بين السلة والمزاحفة . ونحن<sup>(٨)</sup> أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة ، والمطارِد القصار ما كنا فرساناً<sup>(٩)</sup> . فإن صرنا كمننا<sup>(١٠)</sup> فالحنت القاضي ، والسّم الزعاف<sup>(١١)</sup> ، وإن كنا طلائع فكلنا يقوم مقام أمير الجيش . نقاتل بالليل كما نقاتل بالنهار ، ونقاتل في الماء كما نقاتل على الأرض<sup>(١٢)</sup> ، ونقاتل في القرية كما نقاتل في المحلة .

(١) ط : « من الفرار » .

(٢) مج : « حفة الزوار » بالخاء المهملة .

(٣) ب فقط : « والروس القناطر » ، تحريف .

(٤) طائفة منسوبة إلى خليل . وفي البخلاء ٤١ - ٤٣ : « فسل عن الكتيفية والخليدية والحربية والبلالية » . والظاهر أنهم طوائف من أهل الشغب والقوضى . م ، ط : « الخلدية » فإن صحت كانت بضم الخاء وفتح اللام ، فإن المبرد يميز الحذف في فعمل مضموم الفاء باطراد .

(٥) ط فقط : « المكابرات » بالذال .

(٦) وكذا في مج والرسائل . وفي ط فقط : « البيئات » .

(٧) ب فقط : « وقتيل الناس » ، تحريف .

(٨) في جميع النسخ : « وبين » ، والوجه ما أثبت من مج والرسائل .

(٩) المطارد : جمع مطرد ، بالكسر ، وهو الرمح القصير .

(١٠) جمع كين ، وهم الذين يكونون ويختفون في الحرب ، وفي ط : « كينا » .

(١١) الذعاف : الوحي السريع ، ويقال أيضاً الزعاف بالزاي . وفي ب ومج : « الزعاف » بالزاي .

(١٢) م فقط : « كما على الأرض » .

ونحن أفتك وأخشب<sup>(١)</sup> . ونحن أقطع للطريق ، وأذكر في الثُغور<sup>(٢)</sup> ،  
مع حسن القُدود ، وجودة الخرط ، ومقادير اللّحي ، وحسن العِمة ،  
والنفس المُرّة ، وأصحاب الباطل والفتوة<sup>(٣)</sup> . ثم الخط والكتابة ،  
والفقه والرواية .

ولنا بغداد بأسرها ، تسكن ماسكنّا . وتحرك ما تحررّكنا . والدنيا  
كلّها معلقة بها ، وصائرة إلى مَغانها<sup>(٤)</sup> . فإذا كان هذا أمرها وقدرها  
فجميع الدنيا تبع لها ، وكذلك أهلها لأهلها ، وفتاكها لفتاكها ،  
وخلاعتها لخلاعتها : ورؤساؤها لرؤسائها ، وصلحاؤها لصلحائها .

ونحن تربية الخلفاء ، وجيران الوزراء<sup>(٥)</sup> ، ولدنا في أفنية  
مُلوكنّا<sup>(٦)</sup> ، ونحن أجنحة خلفائنا ، فأخذنا بآدابهم ، واحتدّينا على  
مثالهم ، فلسنا نعرف سواهم ، ولا ننتهم بغيرهم<sup>(٧)</sup> ، ولم يطمع فينا أحد  
قط<sup>(٨)</sup> من خطّاب مُلكهم . ومن يترشّح للاعتراض عليهم . فمن أحقّ  
بالأثرة ، وأولى بالقرّب في المنزلة من هذه الخصال فيه ، وهذه الخلال  
لـه<sup>(٩)</sup> .

إنّ ذهبنا . حفّظك الله . بعقب هذه الاحتجاجات . وعند مُنقطع

(١) أى أشد غلاظة وخشونة .

(٢) جمع ثغر ، وهو الموضع يخاف هجوم العدو منه . ب فقط : « الصغور » ،  
تحريف .

(٣) ط فقط : « وأصحاب الفتوة » .

(٤) المعنى : المنزل يقام فيه طويلا . مع والرسائل : « معناها » بالعين المهملة .

(٥) ب : « وجيران والوزراء » ، تحريف .

(٦) الفناء : ساحة الدار ، والجمع أفنية . ب فقط : « أثنية » ، تصحيف .

(٧) مع والرسائل : « ولا نعرف بغيرهم » .

(٨) في جميع الأصول : « ولم يطمع فينا أحد قط أحداً » صوابه في مع والرسائل .

(٩) بعده في مع والرسائل : يسم الله الرحمن الرحيم «

هذه الاستدلالات نستعمل المفاوضة<sup>(١)</sup> بمناقب الأتراك ، والمقارنة<sup>(٢)</sup> بين خصالهم وخصال كلِّ صنف من هذه الأصناف ، سلطنا في هذا الكتاب سبيلَ أصحاب الخصومات في كتبهم ، وطريقَ أصحاب الأهواء في الاختلاف الذي بينهم .

وكتابتنا هذا إنما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم إن كانت مختلفة<sup>(٣)</sup> ، ولنزيد في الألفة إن كانت مؤلفة ، ولنخبر عن اتفاق أسبابهم ، لتجتمع كلمتهم ، ولتسلم صدورهم ، وليعرف مَنْ كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب كم مقدار الخلاف في الحسب . لئلا يُغير بعضهم غير ، ويُفسده<sup>(٤)</sup> عدوُّ بآباطيل موهة ، وشبهات مزورة ، فإنَّ المنافق العليم ، والعدوُّ ذا الكيد العظيم قد يصور لمن دونه الباطل في صورة الحق ، ويلبس الإضاعة ثياب الحزم<sup>(٥)</sup> .

إلا أنا على حال<sup>(٦)</sup> ، سنذكر جملاً من أحاديث روينها ، وأمور<sup>(٧)</sup> رأيناها وشاهدناها ، وقصصاً تلقفناها من أفواه الحكماء وسمعناها .

وسنذكر ما حفظ لجميع الأصناف من الآلات والأدوات ، ثم ننظر أيهم لها أشد استعمالاً ، وبها أشد استقلالاً ، ومن أثقُب حسباً<sup>(٨)</sup> ،

(١) ب : « يستعمل » م ، ط : « تستعمل » ، والوجه ما أثبت من مج والرسائل .

(٢) في جميع الأصول : « والمقاربة » ، والوجه ما أثبت . وفي مج والرسائل : « والموازنة » .

(٣) في الرسائل فقط : « التي كانت مختلفة » .

(٤) ب ، م : « ومفسدة » ، صوابه في ط ، مج والرسائل . وفي الأخيرتين : « فلا يغير بعضهم غير ، ولا يفسده » .

(٥) ب ، م : « ثبات الحزم » ، صوابه في ط ، مج والرسائل .

(٦) مج فقط : « على كل حال » .

(٧) م ، ط فقط : « وأموراً » .

(٨) مج والرسائل : « كيساً » . والكيس ، بالفتح : العقل ، وتوقد الذهن .

وَأَيْقُظُ عَيْنًا، وَأَزْكِي نَفْسًا، وَأَشَدُّ غَوْرًا<sup>(١)</sup>، وَأَعْمُ خَوَاطِرَ<sup>(٢)</sup>، وَأَكْثَرُ نَفْعًا  
 فِي الْحُرُوبِ وَضَرًّا، وَأَدْرِبُ دُرْبَةً، وَأَغْمِضُ مَكِيدَةً، وَأَشَدُّ احْتِرَاسًا،  
 وَأَلْطَفُ احْتِيَالًا، حَتَّى يَكُونَ الْخِيَارُ فِي يَدِ النَّازِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ،  
 الْمُتَصَفِّحِ لِمَعَانِيهِ، وَالْمَقْلُبِ لَوُجُوهِهِ، وَالْمُفَكِّرِ فِي أَبْوَابِهِ، وَالْمُقَابِلِ بَيْنَ  
 أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ. وَلَا نَكُونُ نَحْنُ انْتَحَلْنَا شَيْئًا دُونَ شَيْءٍ، وَتَقَلَّدْنَا تَفْضِيلَ  
 بَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ، بَلْ لَعَلَّنَا أَنْ لَا نُخْبِرَ عَنْ خَاصَّةٍ مَا عِنْدَنَا بِحَرْفٍ  
 وَاحِدٍ.

فَإِذَا دَهَرْنَا كِتَابَنَا هَذَا التَّدْبِيرَ، وَكَانَ مَوْضِعًا عَلَى هَذِهِ الصُّفَةِ كَانَ  
 أَبْعَدَ لَهُ<sup>(٣)</sup> مِنْ مَذَاهِبِ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ، وَاسْتِعْمَالِ الْهَوَى<sup>(٤)</sup>.  
 وَقَدْ ظَنُّ نَاسٌ كَثِيرٌ أَنَّ أَسْمَاءَ أَصْنَافِ الْأَجْنَادِ لَمَّا اخْتَلَفَ فِي الصُّورَةِ وَالْخَطِّ  
 وَالْهَجَاءِ، أَنَّ حَقَائِقَهَا وَمَعَانِيَهَا عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ. وَلَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَ<sup>(٥)</sup>.  
 أَلَا تَرَى أَنَّ اسْمَ الشَّاكِرِيَّةِ<sup>(٦)</sup> وَإِنْ خَالَفَ فِي الصُّورَةِ وَالْخَطِّ وَالْهَجَاءِ  
 اسْمَ الْجَنْدِيِّ فَإِنَّ الْمَعْنَى فِيهِمَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ، لِأَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى مَعْنَى  
 وَاحِدٍ، وَعِلْمُ وَاحِدٍ<sup>(٧)</sup>. وَالَّذِي يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ طَاعَةُ الْخُلَفَاءِ وَتَأْيِيدُ  
 السُّلْطَانِ.

وَإِذَا كَانَ<sup>(٨)</sup> الْمَوْلَى مَنْقُولًا إِلَى الْعَرَبِ فِي أَكْثَرِ الْمَعَانِي، وَمَجْعُولًا

(١) مِجَ وَالرَّسَائِلُ : « وَأَبْعَدُ غَوْرًا » .

(٢) ب ، م : « خَوَاطِرًا » تَحْرِيفٌ .

(٣) وَكَذَا فِي مِجَ وَالرَّسَائِلِ . وَفِي م : « كَانَ الْعَدْلَةُ » ، وَفِي ط : « كَانَ الْعَدْلُ لَهُ » .

(٤) ب : « الْهَوَا » م ، ط : « الْهَوَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي مِجَ وَالرَّسَائِلِ .

(٥) ب : « تَتَوَهَّمُونَ » .

(٦) الشَّاكِرِيَّةُ : ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُودِ . وَفِي الْقَامُوسِ : « الشَّاكِرِيُّ : الْأَجِيرُ الْمُسْتَعْمَلُ ،

مَعْرَبٌ » جَاكِرٌ . وَانْظُرِ الْخِيَوَانَ ٢ : ١٣٠ .

(٧) مِجَ وَالرَّسَائِلُ : « وَعَمِلَ وَاحِدٌ » .

(٨) م : « فَإِذَا » .

منهم في عامّة الأسباب لم يكن بأعجب من جعل الخال والدًا<sup>(١)</sup> ،  
والحليف من الصميم ، وابن الأخت من القوم .

وقد جعل الله ابن الملاعنة المولود على فراش البعل منسوباً إلى أمّه ،  
وقد جعل<sup>(٢)</sup> إسماعيل وهو ابن أعجميين عربياً ، لأنّ الله تعالى لما  
فتق لاهته بالعربيّة المُبينة على غير التلقين<sup>(٣)</sup> والترتيب ، وقطّره على  
الفصاحة العجيبة على غير النشوء والتمرين ، وسلخ طباعه من طبائع  
العجم ، ونقل إلى بدنه تلك الأجزاء ، وركّبه اختراعاً على ذلك التركيب ،  
وسوّاه تلك التسوية ، وصاغه تلك الصّيغة ، ثمّ حمّاه من طبائعهم ،  
ومَنّعه من أخلاقهم وشمائلهم ، وطَبّعه من كرمهم وأنفَتهم وهممهم  
على أكرمها وأسناها ، وأشرفها وأعلاها ، وجعل ذلك برهاناً على رسالته ،  
ودليلاً على نبوّته . وصار أحقّ بذلك النسب<sup>(٤)</sup> ، وأولى بشرف ذلك  
الحسب .

وكما جعل إبراهيم أباً لمن لم يلد<sup>(٥)</sup> ، فالبنو خُرَاسانيّ من جهة  
الولادة ، والمولى عربيّ من جهة المدعى والعاقلة .

ولو أحاط علمنا بأنّ زيّداً لم يخلق من نَجَلِ عَمْرٍو إلّا عهراً<sup>(٦)</sup>  
لنفينا عنه ، وإنّ أيقنا أنّه لم يُخلَقْ إلّا من ماءِ صُلبه .

وكما جعل النبيّ أزواجه أمّهات المؤمنين ، وهنّ لم يلدنهم ولا

(١) ب : « جعله الخال والدًا » .

(٢) في الرسائل : « وقد جعلوا » .

(٣) م ، ط : « التعين » ، صوابه في ب . مج والرسائل .

(٤) ب : « بهذا النسب » ، وفي مج والرسائل : « فكان أحقّ بذلك النسب » .

(٥) في الرسائل : « لمن لم يلد » .

(٦) ط : « لم يخلق إلّا من نجل عمرو » . فقط وهو تحريف . والتجل : النسل والولادة .

أَرْضَعْنَهُمْ . وفى بعض القراءات: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ، وهو أَبٌ لَهُمْ<sup>(١)</sup> على قوله : ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٢)</sup> ، وجعل المرأة من جهة الرضاع أُمًّا ، وجعل امرأة البعل أُمٌّ وَلَدِ البعل من غيرها ، وجعل الرَّابَّ والدًا<sup>(٣)</sup> . وجُعِلَ الْعَمُّ فى كتاب الله أَبًا . وهم عبيده<sup>(٤)</sup> لا يتقلَّبُونَ إِلَّا فىمَا قَلْبُهُمْ فىهِ .

وله أَن يَجْعَلَ من عباده<sup>(٥)</sup> من شاءَ عَرَبِيًّا ، ومن شاءَ أَعْجَمِيًّا ، ومن شاءَ قَرْشِيًّا ، ومن شاءَ زَنْجِيًّا . كما أَنَّ له أَن يَجْعَلَ من شاءَ ذَكَرًا ومن شاءَ أُنْثَى ، ومن شاءَ خُنْثَى ، ومن شاءَ أَخْرَجَهُ من ذلك<sup>(٦)</sup> فجعله لا ذَكَرًا ولا أُنْثَى ولا خُنْثَى .

وكذلك خلق الملائكة ، وهم أَكْرَمُ على الله من جميع الخليفة . ولم يجعل لآدم<sup>(٧)</sup> أَبًا ولا أُمًّا ، وخلقَه من طِينٍ ونَسَبَهُ إِلَيْهِ . وخلق حَوَاءَ<sup>(٨)</sup> من ضَلَعَ آدَمَ ، وجعلها له زوجًا وَسَكَنَّا . وخلق عيسى من غير ذكرٍ ، ونسبه إلى أُمِّهِ التى خلقَه منها . وخلق الجانَّ من نار السموم ، وآدَمَ من طِينٍ ، وعيسى من غير

(١) هى قراءة أبى وعبد الله بن مسعود فى الآية ٦ من سورة الأحزاب . انظر تفسير أبى حيان ٧ : ٢١٢ .

(٢) الآية ٧٨ من سورة الحج .

(٣) الراب : فاعل من ربه يربه ربا ، بمعنى ربا حتى يفارق الطفولية ، كان ابنه أو لم يكن .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأنعام الآية ٧٤ : « وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ » قيل أن آزر عم إبراهيم وليس اسم أبيه . قال أبو حيان فى تفسيره ٤ : ١٦٤ : « وهو قول الشيعة ، يزعمون أن آباء الأنبياء لا يكونون كفارًا . وظواهر القرآن ترد عليهم ولا سيما محاورة إبراهيم مع أبيه فى غير ما آية » .

(٥) ب فقط : « وهم عبيد » ، وفى مج : « وهم عبده » ، وأثبت م فى م ، ط والرسائل .

(٦) مج والرسائل : « أفرد من ذلك » .

(٧) مج فى الأصول : « فلم يجعل لآدم » ، والوجه ما أثبت . والذى فى مج والرسائل :

« وخلق آدم فلم يجعل له » .

(٨) ب ، م : « حوى » .

نُطْفَةٍ ، وخلق السَّمَاءَ من دُخانٍ ، والأَرْضَ من الماءِ . وخلق إسحاق من عاقِرٍ .

وَأَنطَقَ عيسى في المهد ، وَأَنطَقَ يحيى بالحكمة وهو صبيٌّ ، وَعَلَّمَ سليمانَ مِنطَقَ الطَّيْرِ ، وكلامَ النَّملِ . وَعَلَّمَ الحَفَظَةَ من الملائكة جميعَ الألسنة حتَّى كتبوا بكلِّ خطٍّ ، ونَطَقُوا بكلِّ لسانٍ . وَأَنطَقَ ذئبُ أَهْبَانَ ابنِ أَوْسٍ <sup>(١)</sup> .

والمؤمنون من جميع الأمم إذا دخلوا الجنة ، وكذلك أطفالُهم والمجانينُ منهم ، يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بكلامِ أهلِ الجنة ، على غير الترتيب والتنزيل ، والتعليمِ على طول الأيام والتلقينِ . فكيف يتعجَّب الجاهلون من إنطاقِ إسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء ، وتأديب الحواضين ؟ !

وهذه المسألة ربَّما سأل عنها بعضُ القحطانية ، مَن لا علم له ، بعضُ العدنانية <sup>(٢)</sup> ، وهى على حال القحطانية أشدَّ <sup>(٣)</sup> .

فأمَّا جواب العدنانيِّ فسَلِسُ النظام ، سهلُ المخرج ، قريبُ المعنى ؛ لأنَّ بنى قحطان لا يدَّعون لقحطان نُبُوَّةً <sup>(٤)</sup> فيعطيه الله تعالى مثلَ هذه الأعجوبة .

وما الذى قَسَمَ اللهُ بينَ النَّاسِ من ذلك إلَّا كما صنع اللهُ فى طينة

(١) أَهْبَانَ هذا : أحد الصحابة ، ذكروا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . انظر تفصيل ذلك فى ثمار القلوب ٣٠٩ . وانظر كذلك الحيوان ١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ / ٤ : ٨٠ / ٧ : ٥٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧ والإصابة ٣٠٥ .

(٢) ب ، م : « لبعض العدنانية » ، صوابه فى ط ، مع والرسائل .

(٣) مع : « وهى على القحطاني أشد » .

(٤) ب فقط : « بنوة » بتقديم الباء ، تحريف .

الأرض<sup>(١)</sup> ، فجعل بعضها حجراً ، وبعض الحجر ياقوتاً ، وبعضه ذهباً ، وبعضه نحاساً ، وبعضه رصاصاً ، وبعضه صفراً<sup>(٢)</sup> ، وبعضه حديداً ، وبعضه تراباً ، وبعضه فخاراً . وكذلك الزجاج ، والمغرة ، والبرنيخ ، والمرتك ، والكبريت ، والقار ، والتوتيا ، والنوشار<sup>(٣)</sup> ، والمرقشيشا<sup>(٤)</sup> ، والمغنطيس<sup>(٥)</sup> .

وَمَنْ يُحْصِ عَدَدَ جِوَاهِرِ الْأَرْضِ وَأَصْنَافِ الْفِلِيزِ<sup>(٦)</sup> ؟ !

وإذا كان الأمر على ما وصفنا فالبنوي<sup>(٧)</sup> خراساني . وإذا كان الخراساني مولى والمولى عربى<sup>(٨)</sup> ، فقد صار الخراساني والبنوي والمولى والعربى<sup>(٩)</sup> شيئاً واحداً . وأدنى ذلك أن يكون الذى معهم<sup>(١٠)</sup> من خصال الوفاق غامراً لما معهم من خصال الخلاف ، بل هم فى معظم الأمر ، وفى كُبر الشأن<sup>(١١)</sup> وعمود النسب متفقون . فالأتراك خراسانية ،

(١) م فقط : « إلا كما صنع فى طينة الأرض » .

(٢) الصفر ، بالضم : النحاس الأصفر .

(٣) انظر حواشى الحيوان ٣ : ٣٧٧ / ٥ : ٣٤٩ .

(٤) المرقشيشا ، هو ما يعرف بحجر الماركرزيت ، كما فى معجم استينجاس ١٢١٨ . وقد وردت فى مج والرسائل : « المرقشيشا » بالثاء بدل الشين الثانية . كما وردت بالثاء أيضاً فى تذكرة داود عرضاً فى الكلام على « المغنيسيا » إذ يقول : « حجر كالمركشيشا » . وعقده رسماً فى المعتمد لابن رسولا ٣٤٢ بلفظ « مرقشيشا » .

(٥) ذكر داود فى تذكرته أنه يسمى حجر المغمود وحجر الحديد . وقال : « وأجوده اللازوردى الرزىن الصافى » الجاذب للحديد . ومثله فى المعتمد لابن رسولا .

(٦) الفلز : جميع جواهر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشباهاها . ب فقط : « الفلل » ، تحريف .

(٧) ط : « فالبنوي » ، تحريف . وانظر ما سبق فى ١٦٧ .

(٨) ط : « عربياً » .

(٩) فى جميع الأصول : « والمولى مولى والعرب » ، صوابه فى مج والرسائل .

(١٠) ب فقط : « معه » .

(١١) الكبير ، بكسر الكاف وضمة : الرفعة فى الشرف .



وموالى الخلفاء قُصْرَةً<sup>(١)</sup> ، فقد صار فضل الترك إلى الجميع راجعاً ،  
وصار شرفهم زائداً في شرفهم .

وإذا عرف سائر الأجناد ذلك سامحت النفوس ، وذهب التعقيد ،  
ومات الضغن ، وانقطع سبب الاستئثار ، فلم يبق إلا التحاسد والتنافس الذى  
لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة ، وفي الصناعة ، وفي المجاورة .  
على أن التوازر والتسالم في القرابات وفي بنى الأعمام والعشائر  
أفشى وأعم من التخاذل والتعاضد .

ولحب التناصر والحاجة إلى التعاون انضم بعض القبائل في البوادي  
إلى بعض ، ينزلون معاً ، ويَطْعَنُونَ معاً . ومن فارق أصحابه أقل ، ومن  
نصر ابن عمه أكثر ، ومن اغتبط بنعمته وتمنى بقاءها والزيادة  
فيها أكثر ممن بغاها الغوائل<sup>(٢)</sup> وتمنى انقطاعها وزوالها .

ولا بد في أضعاف ذلك من بعض التنافس والتخاذل ، إلا أن ذلك  
قليل من كثير .

وليس يكون<sup>(٣)</sup> أن تصفو الدنيا ، وتنقى<sup>(٤)</sup> من الفساد والمكروه ،  
حتى يموت جميع الخلف<sup>(٥)</sup> ، وتستوى لأهلها ، وتتمهد لسكانها<sup>(٦)</sup>  
على ما يشتهون ويهوون ؛ لأن ذلك من صفة دار الجزاء ، وليس كذلك  
صفة دار العمل .

(١) قصرة، بضم القاف، أى أدنى إليهم. كما يقال هو ابن عمى قصرة ، أى داني النسب .  
(٢) الغوائل : المهلكات . ويقال بغيتك الشيء : طلبته لك وتمنيته . وفي كتاب الله :  
« ييغونكم الفتنة » ، أى يبتغونها لكم .

(٣) وكذا في مج . وفي الرسائل : « وليس يجوز » .

(٤) ب : « أن يصفو الدنيا ويبقى » م ، ط : « أن تصفو الدنيا ويبقى » ، صوابها في  
مج والرسائل . ونقى الشيء يبقى نقاء : صار نقياً خالصاً .

(٥) في جميع الأصول : « وحتى » ، صوابه في مج والرسائل . وفي الرسائل أيضاً :  
« جميع الخلائق » .

(٦) في جميع الأصول : « ويستوى لأهلها ويتمهد لسكانها » ، صوابه في مج والرسائل .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتابٌ كتبتُه أَيَّامَ المعتصم بالله<sup>(١)</sup> رضى الله عنه ونَصَرَ وجهه ، فلم يصل إليه لأسباب يطول ذكرها<sup>(٢)</sup> ، فلذلك لم أعرض للإخبار عنها ، وأحببت أن يكون كتاباً قَصِداً ، ومذهباً عدلاً ، ولا يكون كتاباً إسرافٍ في مديح قوم ، وإغراقٍ في هجاء آخرين ؛ فإنَّ الكتابَ إذا كان كذلك شابهَ الكذب<sup>(٣)</sup> وخالطه التزئد ، وبُنِيَ أساسه على التكلف<sup>(٤)</sup> ، وخرج كلامُه مخرج الاستكراه والتغليق<sup>(٥)</sup> .

وأَنفَع المدائح للمادح ، وأَجْداهَا على المدوح ، وأَبْقَاهَا أثراً ، وأَحْسَنُهَا ذكراً ، أن يكون المديح صدقاً ، ولِظَاهِرِ حالِ المدوح موافقاً ، وبِهْ لائقاً ، حتَّى لا يكون من المعبرِ عنه والواصفِ له إِلَّا الإشارةُ إليه ، والتَّنبِيهُ عليه .

وأنا أقول : إن كان لا يمكن ذكرُ مناقب الأتراك إِلَّا بذكر مثالب سائر الأجناد ، فتركُ ذكرِ الجميع أَصَوْبٌ ، والإِضرابُ عن هذا الكتاب أَحْزَمُ .

(١) هو محمد بن هارون الرشيد ، بُويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨ . وتوفى بسر من رأى سنة ٢٢٧ . وولى الخلافة بعده ولده هارون الواثق .

(٢) مج والرسائل : « يطول شرحها » .

(٣) هذا مافى الرسائل . وفي جميع الأصول : « شانه » فقط . وفي مج : « شانه الكذب » .

(٤) في جميع الأصول : « في التكلف » .

(٥) التغليق ، المراد به العسر ، كما يغلُق الباب تغليقاً . وفي جميع الأصول وكذا في

مج والرسائل : « التغليق » ، والوجه ما أثبت .

وذكرُ الكثير من هذه الأصناف بالجميل لا يقوم إلا بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح ، وهو معصية<sup>(١)</sup> وبابٌ من ترك الواجب . وقليلُ الفريضة أجدى علينا ، لأن ذكر الأكثر بالجميل نافلة ، وبابٌ من التطوع ؛ وذكر الأقل بالقبيح معصية ، وبابٌ من ترك الواجب . وقليلُ الفريضة أجدى علينا من كثيرِ التطوع .

ولكلُّ الناس نصيبٌ من النقص ، ومقدارٌ من الذنوب ، وإنَّما يُتفاضلُ بكثرة المحاسن وقلة المساوى . فأما الاشتغالُ على جميع المحاسن ، والسلامةُ من جميع المساوى ، دقيقتها وجليلها ، ظاهرها وخفيها ، فهذا لا يعرف فيهم<sup>(٢)</sup> .

فإذا كان الخطأ من جمهور الناس وأهل المعاش<sup>(٣)</sup> من دهاء الجماعة<sup>(٤)</sup> يرون ذلك واجباً في الأخلاق ، ومصلحةً في المعاش ، وتدبيراً في التعامل ، على ما فيهم من مشاركة الخطأ للصواب ، وامتزاج الضعف بالقوة ، فلسنا نشكُّ أنَّ الإمام الأكبر<sup>(٥)</sup> ، والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة ، والأخلاق الرفيعة ، والتمام في الحلم والعلم ، والكمال في العزم والحزم . مع التمكين والقدرة ، والفضيلة والرياسة والسيادة ، والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة ، والتأييد وحسن المعونة - لم يكن الله ليجلِّله لباس الخلافة ، ويعبوه ببهاء الإمامة<sup>(٦)</sup> ، وبأعظم نعمة

(١) ب : « لم نعصيه » م : « معصية » فقط . وأثبت ما في ط .

(٢) في جميع الأصول : « فهذا ما يعرفونه » ، صوابه في مج والرسائل مع سقوط كلمة « فيهم » منهما .

(٣) في جميع الأصول : « وأهل المقاييس » . وفي مج : « وأصحاب المقاييس » ، وأثبت ما في الرسائل .

(٤) ط فقط : « من زعماء الجماعة » .

(٥) ب فقط : « في أن الإمام الأكبر » .

(٦) ب : « بهاء الإمامة » ، وفي مج والرسائل : « بتاج الخلافة » .

وَأَسْبَغَهَا ، وَأَفْضَلَ كَرَامَةً وَأَسْنَاهَا ، ثُمَّ وَصَلَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ ، وَمَعْصِيَتَهُ بِمَعْصِيَتِهِ ، إِلَّا وَمَعَهُ مِنَ الْحِلْمِ فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، وَالْعَفْوِ فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ ، وَالتَّغَافُلِ فِي مَوْضِعِ التَّغَافُلِ ، مَا لَا يَبْلُغُهُ فَضْلُ ذِي فَضْلٍ ، وَلَا حِلْمُ ذِي حِلْمٍ .

ونحن قائلون ، ولا حول ولا قوة إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، فِيمَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِي الْأَثَرِ .

زعم محمد بن الجهم وثُمَامَةُ بن الْأَشْرَسِ <sup>(١)</sup> والقاسم بن سِيَّار <sup>(٢)</sup> في جماعةٍ ممن يغشي دَارَ الْخِلَافَةِ <sup>(٣)</sup> ، وَهِيَ دَارُ الْعَامَّةِ <sup>(٤)</sup> ، قالوا جميعاً :  
بينا حُمَيْد بن عبد الحميد جالساً ومعه إخشيد الصُّغْدِيُّ <sup>(٥)</sup> ،  
وأبو شعجاع شبيب بن بُخَار خُدَايَ <sup>(٦)</sup> الْبَلْخِي ، ويحيى بن مُعَاذٍ ، ورجالٌ  
من المَعْدُودِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْعِلْمِ بِالْحَرْبِ ، من أصحابِ التَّجَارِبِ  
وَالْمِرَاسِ ، وطُولُ الْمَعَالِجَةِ وَالْمَعَانَاةِ بِصِنَاعَةِ الْحَرْبِ ، إِذْ خَرَجَ رَسُولُ  
الْمَأْمُونِ فَقَالَ لَهُمْ : يَقُولُ لَكُمْ مُفْتَرِقِينَ وَمَجْتَمِعِينَ : فليُثْبِتْ <sup>(٧)</sup> كُلُّ

(١) ب : « الْأَثَرُ » ، تحريف . وهو ثُمَامَةُ بن أَشْرَسِ الْفَيْزِي مَوْلَى بَنِي نُمَيْرٍ . كان زعيم  
القدرية في زمان المأمون والمعتصم والوائق . وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال . انظر الفرق  
بين الفرق ١٥٧ . وتروى عنه قصص تشير إلى استخفافه بالدين ، من ذلك أنه رأى الناس يوم  
جمعة يتعادون إلى المسجد الجامع ، لخوفهم من فوت الصلاة ، فقال لرفيق له : انظر إلى هؤلاء  
الحمير والبقر ! ثم قال : ما صنع ذلك العربي بالناس . فأويل مختلف الحديث ٦٠ . قتل ثُمَامَةُ  
في زمان الواثق الذي تولى الخلافة من ٢٢٧ - ٢٣٢ . وقيل مات سنة ٢١٣ . انظر الفرق ١٥٩  
ولسان الميزان ٢ : ٨٤ وتاريخ بغداد ٧ : ١٠٤٥ - ١٤٨

(٢) ب : « يسار » ، صوابه في سائر النسخ والحيوان ٤ : ٤٤٢

(٣) ط فقط : « من يغشون دار الخلافة » .

(٤) ط فقط : « وهي دار الإمامة » .

(٥) مج : « يخشاد الصغدِي » ، وفي الرسائل : « بخشاد الصغدِي » .

(٦) ب : « نجار خدای » ، وأثبت ما في م ، ط ، مج . وفي الرسائل ١ : ٤٠ : « بخاراً  
خدای » .

(٧) مج والرسائل : « فليكتب » .

رجلٍ منكم دَعَوَاهُ وَحُجَّتْهُ ، يقول لكم : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيَّ كُلِّ قَائِدٍ مِنْكُمْ ،  
إِذَا كَانَ فِي مَائَةٍ مِنْ نَخْبَتِهِ وَثِقَاتِهِ <sup>(١)</sup> : أَنْ يَلْقَى بِهِمْ مَائَةٌ تَرْكِيٌّ أَوْ  
مَائَةٌ خَارِجِيٌّ ؟

فَقَالَ الْقَوْمُ جَمِيعاً : [لَأنَّ <sup>(٢)</sup>] نَلْقَى مَائَةَ تَرْكِيٍّ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَلْقَى  
مَائَةَ خَارِجِيٍّ ! وَحُمِيدٌ سَاكِتٌ ، فَلَمَّا فَرَغَ الْقَوْمُ جَمِيعاً مِنْ حُجَجِهِمْ  
قَالَ الرَّسُولُ لِحُمَيْدٍ : قَدْ قَالَ الْقَوْمُ فَقُلْ وَاكْتُبْ قَوْلَكَ ، وَلِيَكُنْ حُجَّةً  
لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . قَالَ : بَلِ أَلْقَى مَائَةَ خَارِجِيٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ ؛ لِأَنِّي وَجَدْتُ  
الْخِصَالَ الَّتِي فَضَّلَ بِهَا التَّرْكِيُّ جَمِيعَ الْمَقَاتِلَةِ غَيْرَ تَامَةٍ فِي الْخَارِجِيِّ ،  
وَوَجَدْتُهَا تَامَةً فِي التَّرْكِيِّ . فَفَضَّلُ التَّرْكِيَّ عَلَى الْخَارِجِيِّ بِقَدْرِ فَضْلِ  
الْخَارِجِيِّ عَلَى سَائِرِ الْمَقَاتِلَةِ . وَذَلِكَ بِأَنَّ التَّرْكِيَّ بَانَ مِنَ الْخَارِجِيِّ بِأُمُورٍ  
لَيْسَ فِيهَا لِلْخَارِجِيِّ دَعْوَى وَلَا مُتَعَلِّقٌ . عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي بَانَ بِهَا  
التَّرْكِيُّ مِنَ الْخَارِجِيِّ أَعْظَمُ خَطِراً وَأَقْلُ نَفْعاً مِمَّا شَارَكَهُ الْخَارِجِيُّ فِي  
بَعْضِهِ .

ثُمَّ قَالَ حُمَيْدٌ : وَالْخِصَالَ الَّتِي يَصُولُ بِهَا الْخَارِجِيُّ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ :  
صِدْقُ الشَّدَّةِ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَهِيَ الدَّفْعَةُ الَّتِي يَبْلُغُونَ بِهَا مَا أَرَادُوا ،  
وَيَنَالُونَ بِهَا مَا أَمَلُوا .

وَالثَّانِيَةُ : الصَّبْرُ عَلَى الْخَبَبِ <sup>(٣)</sup> ، وَعَلَى طُولِ السَّرَى حَتَّى يُصَبِّحُوا  
الْقَوْمَ الَّذِينَ مَرَقُوا بِهِمْ غَارِينَ <sup>(٤)</sup> ، فَيَهْجُمُوا <sup>(٥)</sup> عَلَيْهِمْ وَهُمْ بَسُوءٌ <sup>(٦)</sup> .

(١) ب : « من نخبه » . وفي مج والرسائل : « إذا كان في عدته من صحبه وثقاته » .

(٢) هذه من ط والرسائل .

(٣) الخبيب : ضرب من العدو السريع . ب : « الخنب » تحريف .

(٤) المروق : المورر بسرعة كما يمرق السهم من الرمية . غارون : غافلون . ب : « غازين » .

(٥) ب فقط : « فهجموا » .

(٦) في الأصول : « بشر » ، ولا وجه له . والوجه ما أثبت من مج والرسائل . وهو

من قولهم : ناقة بسوء ، بفتح الباء : لا تمتنع الحالب . وهذا مثل للضعف .

ولحم على وَصَمَ<sup>(١)</sup> ، فَيُعَجِّلُوا بِهِمُ عَنِ الرَّوِيَّةِ<sup>(٢)</sup> ؛ وعن رَدِّ النَّفْسِ بعد  
الْجَوْلَةِ<sup>(٣)</sup> والنَّزْوَةِ ، لا يظنون أَنَّ أَحَدًا يَقْطَعُ فِي ذَلِكَ الْمَقْدَارِ مِنَ الزَّمَانِ  
ذَلِكَ الْمَقْدَارَ مِنَ الْبِلَادِ .

والثالثة : أَنَّ الْخَارِجِيَّ مَوْصُوفٌ عِنْدَ النَّاسِ بِأَنَّهُ إِنْ طَلَبَ أَدْرَكَ ،  
وإِنْ طَلَبَ فَات .

والرابعة : خِيفَةُ الْأَزْوَادِ<sup>(٤)</sup> ، وَقَلَّةُ الْأَمْتَعَةِ ، وَأَنَّهَا تَحْجُبُ الْخَيْلَ<sup>(٥)</sup> ،  
وَتَرْكَبُ الْبِغَالَ ، وَإِنْ احتاجتْ أَمْسَتْ بِأَرْضٍ وَأَصْبَحَتْ بِأُخْرَى<sup>(٦)</sup> ،  
وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ حِينَ خَرَجُوا لَمْ يَخْلُفُوا الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ ، وَالْجِنَانَ الْمُتَنَفِّةَ ،  
وَالدُّورَ الْمَشِيدَةَ ، وَلَا ضِيَاعًا وَلَا مُسْتَعْلَاتَ ، وَلَا جَوَارِيَ مَطْهَمَاتَ ، وَأَنَّهُمْ<sup>(٧)</sup>  
لَا سَلَبَ لَهُمْ ، وَلَا مَالَ مَعَهُمْ ، فَيَرْغَبُ الْجَنْدُ فِي لِقَائِهِمْ ، وَإِنَّمَا هُمْ كَالطَّيْرِ  
لَا تَدَّخِرُ ، وَلَا تَهْمُ<sup>(٨)</sup> لَغْدٍ ، وَلَهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنَ الْمِيَاهِ وَالْبُرُورِ<sup>(٩)</sup>  
مَا يَقْوَتْهَا . وَإِنْ لَمْ تَجِدْ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ فَاجْنَحْتُهَا تَقَرَّبَ لَهَا الْبَعِيدُ ،  
وَتَسَهَّلَ لَهَا الْحُزُونُ . وَكَذَلِكَ الْخَوَارِجُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِمُ الْقِرَى وَالطُّعْمُ<sup>(١٠)</sup> ،

(١) الوضم : جمع وضمة ، وهو كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو حصير ،  
يوق به الأرض . واللحم على الوضم مثل للضعف وعدم الامتناع .

(٢) في جميع الأصول : « على الروية » ، والوجه ما أثبت من مج والرسائل .

(٣) ب ، م : « بعد الحولة » بالخاء المهملة .

(٤) ب فقط : « الأزواج » تحريف . والأزواد : جمع زاد ، وهو الطعام ولاسيما في  
والسفر .

(٥) تجنبها : تقودها إلى جنب البغال . والضمير للخوارج .

(٦) ب فقط : « وأصبحت بأخرى » .

(٧) ب ، م : « أنهم » بدون واو .

(٨) ب : « ولا تهم لغد » .

(٩) في جميع الأصول : « والبرور » ، ولا وجه له . وفي مج والرسائل . : « والأقوات » .

(١٠) مج والرسائل : « والمطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

فَإِنْ يَمْتَنِعُ<sup>(١)</sup> عَلَيْهِمْ فِي بَنَاتِ أَعْوَجَ<sup>(٢)</sup> وَبَنَاتِ شَحَاجَ<sup>(٣)</sup> ، وَخِفَّةَ الْأَثْقَالِ ، وَالْقُوَّةَ عَلَى طَوْلِ الْخَبَبِ مَا يَأْتِيهَا بِأَرْزَاقِهَا ، وَأَكْثَرَ مِنْ أَرْزَاقِهَا .  
والخامسة : أَنَّ الْمُلُوكَ إِذَا أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ أَعْدَادَهُمْ لِيَكُونُوا فِي خِفَّةِ أَزْوَاجِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ ، وَلِيَقْوُوا عَلَى التَّنْقِيلِ كَقُوَّتِهِمْ<sup>(٤)</sup> ، لَمْ يَقْوُوا عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّ مِائَةَ<sup>(٥)</sup> مِنَ الْجُنْدِ لَا يَقُومُونَ لِمِائَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ . وَإِنْ كَثَّفُوا الْجَيْشَ وَضَاعَفُوا الْعِدَدَ<sup>(٦)</sup> ثَقُلُوا عَنْ طَلِبِهِمْ ، وَعَنِ الْغَوْثِ إِنْ طَلِبَهُمْ عَدُوَّهُمْ . وَمَتَى شَاءَ الْخَارِجِيُّ أَنْ يَقْرُبَ مِنْهُمْ لِيَتَطَرَّفَهُمْ<sup>(٧)</sup> ، أَوْ لِيُصِيبَ الْغُرَّةَ<sup>(٨)</sup> أَوْ لِيُثْبِتَهُمْ<sup>(٩)</sup> ، فَعَلْ ذَلِكَ<sup>(١٠)</sup> ، ثَقَّةً بِأَنَّهُ يَغْنَمُ<sup>(١١)</sup> عِنْدَ الْفُرْصَةِ وَرُؤْيَا الْعَوْرَةِ ، وَيُمْكِنُهُ الْهَرَبُ عِنْدَ الْخَوْفِ ، وَإِنْ شَاءَ كَبَسَهُمْ<sup>(١٢)</sup> لِيَقْطَعَ نِظَامَهُمْ ، أَوْ لِيَقْطَعَ الْقِطْعَةَ مِنْهُمْ .

- 
- (١) فِي الْأَصُولِ : « يَمْتَنِعُ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَج . وَفِي الرِّسَالِ : « فَإِنْ يَمْتَنِعُ » .  
(٢) ط : « أَعْوَجَ » تَحْرِيف . وَأَعْوَجَ هَذَا : فَرَسٌ كَانَ لَكِنْدَةَ ، فَأَخَذَتْهُ بَنُو سُلَيْمٍ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمْ ، فَصَارَ إِلَى بَنِي هِلَالٍ . وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ فَحْلٌ أَشْهَرُ وَلَا أَكْثَرُ نَسْلًا مِنْهُ .  
(٣) بَنَاتُ شَحَاجَ ، هِيَ الْبَغَالُ ، لِأَنَّهَا تَشْجَعُ بِصَوْتِهَا . وَفِي مَجِّ وَالرِّسَالِ : « وَبَنَاتُ شَحَاجَ وَبَنَاتُ صِهَالٍ » . وَبَنَاتُ صِهَالٍ يَعْنِي بِهَا الْخَيْلُ فَإِنَّ الصَّهِيلَ لَهَا . وَبَنَاتُ صِهَالٍ لَمْ تَرِدْ فِي اللَّسَانِ وَلَا الْقَامُوسِ ، وَلَكِنْ وَرَدَتْ فِي الْمِزْهَرِ ١ : ٥٢٥ .  
(٤) ب : « كَقَوْلِهِمْ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط وَمَجِّ وَالرِّسَالِ .  
(٥) ب : « لِمِائَةٍ » تَحْرِيفٌ .  
(٦) مَجِّ وَالرِّسَالِ : « وَإِنْ كَثَّفُوا الْجَيْشَ بِالْجَيْشِ ، وَضَاعَفُوا الْعِدَدَ بِالْعِدَدِ » .  
(٧) التَّطَرُّفُ : الْإِغَارَةُ مِنْ حَوْلِ الْعَسْكَرِ . ب : « لِيَنْظُرَ فِيهِمْ » . م ، ط : « لِيَتَطَرَّفَهُمْ » بِالْقَافِ ، صَوَابُهُ فِي مَجِّ وَالرِّسَالِ .  
(٨) الْغُرَّةُ ، بِالْكَسْرِ : الْغَفْلَةُ . ب : « الْعَرَاةُ » ، صَوَابُهُ فِي م ، ط ، مَجِّ وَالرِّسَالِ .  
(٩) أُثْبِتَتْهُ : جَرَحَهُ جَرَا حَةً لَا يَقُومُ مَعَهَا . وَفِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ » فِي الْآيَةِ ٣٠ مِنَ الْأَنْفَالِ . وَفِي مَجِّ وَالرِّسَالِ : « أَوْ لِيُسَلِّبَهُمْ » .  
(١٠) ب ، مَج : « فَعَلْ » بِاسْقَاطِ « ذَلِكَ » .  
(١١) فِي الْأَصُولِ : « يَقِيمُ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَجِّ وَالرِّسَالِ .  
(١٢) الْكَبَسُ : الْإِقْتِحَامُ ، كَالْتَكْبِيسِ وَالتَّكْبِيسِ . ب : « كَيْسِمُ » بِالْيَاءِ الْمُثَنَّى التَّحْتِيَّةِ ، تَحْرِيفٌ .

قال حُمَيْد: فهذه هي مفاخرهم وخصالهم ، التي بها كره القواد لقاءهم .  
 قال القاسم بن سيار : وَخَصَلَةُ أُخْرَى ، وَهِيَ الَّتِي رَعَبَتِ الْقُلُوبَ <sup>(١)</sup>  
 وَحَشَتَهَا <sup>(٢)</sup> ، وَنَقَضَتِ الْعَزَائِمَ <sup>(٣)</sup> وَفَسَخَتْهَا ، وَهُوَ مَا تَسْمَعُ الْأَجْنَادُ  
 وَمُقَاتِلَةُ الْعَوَامِّ مِنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِالْخَوَارِجِ ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

إِذَا مَا الْبَخِيلِ وَالْمَحَاذِرِ لِلْقَرَى  
 رَأَى الضَّيْفَ مَثَلَ الْأَزْرَقِ الْمَجْفِفِ <sup>(٤)</sup>

هذه زيادة القاسم بن سيار .

فَأَمَّا حُمَيْد <sup>(٥)</sup> فَإِنَّهُ قَالَ :

فَأَمَّا الشَّدَّةُ فَالْتَّرَكِيُّ فِيهَا أَحْمَدُ أَثَرًا ، وَأَجْمَعُ أَمْرًا ، وَأَحْكَمُ شَأْنًا ؛  
 لِأَنَّ التَّرَكِيَّ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَصْدُقَ شِدَّتُهُ وَيَتِمَكَّنَ عَزْمُهُ ، وَلَا يَكُونُ مُشْتَرَكً  
 الْعَزْمَ ، وَمُنْقَسِمَ الْخَوَاطِرَ ، قَدْ عَوَّدَ بِرِذْوَنِهِ أَنْ لَا يَنْشُئَ وَإِنْ ثَنَاهُ ، أَنْ  
 يَمْلَأَ فُرُوجَهُ <sup>(٦)</sup> ، إِلَّا أَنْ يُدِيرَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَا يَدْعُ سَنَنَهُ ،  
 وَلَا يَقْطَعُ رُكْضَهُ <sup>(٧)</sup> ، وَإِنَّمَا أَرَادَ التَّرَكِيُّ أَنْ يُوَيِّسَ نَفْسَهُ مِنَ الْبَدَوَاتِ <sup>(٨)</sup> ،

(١) ط فقط : « أرعبت » . يقال رعب فلاناً رعباً : خوفه وأفرعه ، كما يقال أرعبه  
 إرعاباً .

(٢) أى ملائتها من الرعب . وفى م : « وجشتها » ، وفى مج والرسائل : « وخلعتها » .

(٣) ب : « ونقضتها العزائم » .

(٤) ب : « إذا ما الخيل ، تحريف . وفى ط : « إذا ما رأى الخيل المحاذى للقري »  
 تحريف أيضاً ، صوابه فى م ، ومج والرسائل . ب ، م : « الصيف » بالصاد المهملة ، تحريف .  
 والمجفف : الذى جفف فرسه بالتجفاف ، وهو ما جلل به من سلاح وآلة تقيه الجراح . وفى ب :  
 « المحقق » وفى م ، ط : « المحفف » صوابهما فى مج والرسائل .

(٥) م ، ط : « وأما حميد » .

(٦) ط فقط : « فلا يملأ فروجه » تحريف . والفروج : ما بين قوائم الفرس . وكفى  
 بملها عن الإسراع وشدة العدو حتى لا تكاد تظهر تلك الفروج للنظر .

(٧) ب فقط : « ركده » تصحيف .

(٨) ب فقط : « يويس » بالياء ، تحريف . والبدوات : الخطرات والآراء تبدو وتظهر .

ط فقط : « البدرات » .



ومن أن يعتريه التكذيب<sup>(١)</sup> بعد الاعتزام ، لهول اللقاء ، وحُبِّ الحياة ،  
لأنه إذا علم أنه قد صير برذونه إلى هذه الغاية حتى لا ينثنى ،  
ولا يجيبه إلى التصرف معه إلا بأن يصنع شيئاً بين الصّفين فيه عطبه ،  
لم يُقدِّم على الشدة إلا بعد إحكام الأمر ، والبصر بالعورة<sup>(٢)</sup> . وإنما  
يريد أن يشبه نفسه بالمُخرج<sup>(٣)</sup> الذي إذا رأى أشد القتال لم يدع  
جُهداً ولم يدخر حيلة ، ولينفي<sup>(٤)</sup> عن قلبه خواطر الفِرار ، ودواعي  
الرجوع .

وقال : الخارجى عند الشدة إنما يعتمد على الطعان . والأترك  
تطعن طعن الخوارج ، وإن شدّ منهم ألف فارس فرموا رشقاً واحداً<sup>(٥)</sup>  
صرعوا ألف فارس ، فما بقاء<sup>(٦)</sup> جيش على هذا النوع من الشد<sup>(٧)</sup> ؟  
والخوارج والأعراب ، ليست لهم رماية مذكورة على ظهور الخيل ،  
والتركي يرمى الوحش ، والطير ، والبرجاس<sup>(٨)</sup> ، والناس<sup>(٩)</sup> ، والمجثمة<sup>(١٠)</sup> ،  
والمثمل الموضوعة ، والطير الخاطف<sup>(١١)</sup> ، ويرمى وقد ملأ فروج دابته

( ١ ) التكذيب : الإحجام ، يقال للرجل إذا حل ثم ولى ولم يمض : قد كذب عن  
قرنه تكذيباً .

( ٢ ) العورة : موضع الخلل عند العدو . ويقال بيوت عورة ، أى مكنة للسراق ، نخلوها  
وأنا غير حريزة . وفي جميع الأصول : « بالعودة » . وأثبت ما في مج والرسائل .

( ٣ ) في جميع الأصول : « بالمخرج » ، صوابه بالخاء المهملة كما في مج والرسائل .

( ٤ ) ب فقط : « ولينقي » بالقاف ، صوابه في م ، ط ، مج والرسائل .

( ٥ ) الرشق بالكسر : الاسم من الرشق ، ورشقاً واحداً ، أى وجهاً واحداً بجميع  
سهامهم .

( ٦ ) في جميع الأصول ، مج : « بقی » ، صواب رسمه من الرسائل .

( ٧ ) هذا ما في ب . وفي م ، ط ومج والرسائل : « من الشدة » .

( ٨ ) البرجاس ، بضم الباء ، سبق تفسيره في ص ١٧٩ .

( ٩ ) انظر ما سيأتى في ٢٠٦ س ٤ .

( ١٠ ) المجثمة ، سبق تفسيرها في ص ٣٢ . ب فقط : « المجثة » ، تحريف .

( ١١ ) م ، ط : « والطائر الخاطف » .

مُدْبِرًا وَمُقْبِلًا<sup>(١)</sup> ، وَيَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وَصُعْدًا وَسُقْلًا ، وَيَرْمِي بِعَشْرَةِ  
أَسْهَمٍ<sup>(٢)</sup> قَبْلَ أَنْ يَفُوقَ الْخَارِجِيَّ سَهْمًا وَاحِدًا . وَيَرْكُضُ دَابَّتَهُ مَنْحَلِرًا  
مِنْ سَهْلٍ ، أَوْ مُتَسَقِّلًا إِلَى بَطْنٍ وَادٍ بِأَكْثَرِ مِمَّا يُمْكِنُ الْخَارِجِيُّ عَلَى بَسِيطِ  
الْأَرْضِ .

وَالْتَرَكِيُّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ<sup>(٣)</sup> : عَيْنَانِ فِي وَجْهِهِ ، وَعَيْنَانِ فِي قَفَاهُ .  
وَلِلْخَارِجِيِّ عَيْبٌ فِي مُسْتَدْبِرِ الْحَرْبِ ، وَلِلْخَرَّاسَانِيِّ عَيْبٌ فِي مُسْتَقْبَلِ  
الْحَرْبِ .

فَعَيْبُ الْخَرَّاسَانِيِّ أَنَّ لَهَا جَوْلَةً عِنْدَ أَوَّلِ الْإِلْتِقَاءِ<sup>(٤)</sup> ، فَإِنْ رَكِبُوا  
أَكْسَاءَهُمْ<sup>(٥)</sup> كَانَتْ هَزِيمَتُهُمْ ، وَكَثِيرًا مَا يَثُوبُونَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْخِطَارِ  
بِالْعُسْكَرِ ، وَإِطْمَاعِ الْعَدُوِّ فِي الشَّدَّةِ .

وَالْخَوَارِجُ إِذَا وَلَّوْا فَقَدْ وَلَّوْا ، وَلَيْسَ لَهُمْ بَعْدَ الْفَرِّ كَرٌّ إِلَّا مَا لَا يُعَدُّ .  
وَالْتَرَكِيُّ لَيْسَتْ لَهُ جَوْلَةٌ الْخَرَّاسَانِيَّ ، وَإِذَا أَدْبَرَ فَهُوَ السَّمُّ النَّاقِعُ ،  
وَالْحَتْفُ الْقَاضِي ، لِأَنَّهُ يُصِيبُ بِسَهْمِهِ وَهُوَ مُدْبِرٌ ، كَمَا يُصِيبُ بِسَهْمِهِ  
وَهُوَ مُقْبِلٌ ، وَلَا يُؤْمَنُ وَهَقَّهُ<sup>(٦)</sup> .

(١) انظر ما سبق في ص ٢٠١ .

(٢) ب : « لعشرة أسهم » محرف ، م : « العشرة أسهم » ؛ وهو خطأ ، وفي ط :  
« العشرة الأسهم » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٣) مج والرسائل : « وللتركي أربعة عين » . وقد وردت « أربعة » مؤنثة مع العين المؤنثة ،  
وهو وجه جائز في العربية مذكور في المطولات . وانظر الصبان ٤ : ٦٢ حيث ذكر ابن هشام  
أن ما كان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثاً ، أو بالعكس ، فإنه يجوز فيه وجهان .

(٤) م : « الألقاء » ، صوابه في ب ، ط .

(٥) الأكساء : جمع كساء ، بالضم ، وهو مؤخر كل شيء . يقال ركب كساءه : وقع  
على قفاه . والمراد : أدبروا وتأخروا . ب فقط : « كسأهم » ، بالإنفراد .

(٦) الوهق ، بالتحريك : حبل شديد القتل يرمى وفيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة  
والإنسان . ب فقط : « رهقه » ، تحريف .

قال : وهم علّموا الفُرسانَ حملَ قوسين وثلاثِ قِسيٍّ ، ومن الأوتار على حَسَبِ ذلك <sup>(١)</sup> .

والتركيُّ في حال شدّته معه كلُّ شَيْءٍ يحتاج إليه ، لنفسه ، ولسلاحه ، ولدابّته ، وأداة دابّته <sup>(٢)</sup> . فأما الصّبر على الحَبَبِ <sup>(٣)</sup> ومواصلة السّير ، وعلى طول السّرى وقطع البلاد [ فعجيبٌ جدًّا ] <sup>(٤)</sup> .

فواحدة <sup>(٥)</sup> : أن فرسَ الخارجيّ لا يصبر صَبْرَ برذونِ التركيّ .

والخارجيّ لا يحسن أن يعالج فرسه إلّا مُعالجةَ الفُرسانِ لخيولهم ، والتركيُّ أَحْذَقُ من البيطار ، وأجود تقويماً لبرذونه على ما يريد من الرّاضة <sup>(٦)</sup> ، وهو استنتجّه ، وهو ربّاه فلوّاً ، ويتّبعه إن ساء <sup>(٧)</sup> ، وإن ركض ركض خلفه ، قد عوّده [ ذلك ] <sup>(٨)</sup> حتّى عرفه ، كما يعرف الفرس : أجدم <sup>(٩)</sup> . والناقة : حلى <sup>(١٠)</sup> ، والجمل : جاه <sup>(١١)</sup> ، والبغل : عدس ، والحمار : سأساً ، وكما يعرف المجنون لقبه ، والصبيّ اسمه .

(١) م ، ط : « على حساب ذلك » .

(٢) ب فقط : « وأداة دابّته » ، تحريف .

(٣) انظر ما معنى في ص ٨٩ . وفي ب : « الجنب » ، تحريف .

(٤) التكلة من مج والرسائل .

(٥) ط فقط : « فظاهر » .

(٦) الراضة : جمع رائض ، وهو من يروض الدابة ويسوسها ويذلّها .

(٧) ب ، م والرسائل : « وتتبعه إن ساء » ، وأثبت ما في ط .

(٨) التكلة من مج والرسائل .

(٩) أجدم ، بوصل الهمة بعدها جيم ودال مهملة ، وهو زجر للفرس ، ومثله « هجدم » بالهاء . وفي الأصول : « أجدم » بالذال المعجمة ، صوابه في مج ومعظم أصول الرسائل . انظر : ٤٧ : ١

(١٠) يقال في زجر الناقة : حل ، وحلى أيضاً . وأنشدوا لأبي النجم :

\* وقد حدوناها بحوب وحلى \*

(١١) جاه ، بكسر الهمزة بعدها جيم ودال مهملة ، وهو زجر للإبل . وربما قيل جاه بالتنوين ، وكذلك جوه جوه بسكون الهمزة . ومثله جأ ، وشأ ، كما يقال جىء جىء : أمر لها بورود الماء وهي على الخوض . وجؤجؤ : أمر لها بورود بالماء وهي بعيدة منه ، أو هو زجر لها لا أمر بورود الماء . وفي م ، ط : « جأ » . وأثبت ما في ب ، مج والرسائل .

ولو حصلت مُدَّةٌ عُمُرِ التُّركِيِّ وَحَسَبَتْ أَيَّامَهُ لَوَجَدَتْ جُلُوسَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ نَادِرًا<sup>(١)</sup>. والتُّركِيُّ يَرْكَبُ فَحْلًا أَوْ رَمَكَةً<sup>(٢)</sup> ، وَيُخْرِجُ غَازِيًا أَوْ مُسَافِرًا ، أَوْ مُتَبَاعِدًا فِي طَلَبِ صَيْدٍ ، أَوْ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، فَتَتَّبِعُهُ الرَّمَكَةُ وَأَفْلَاؤُهَا ؛ إِنَّ أَعْيَاهُ اصْطِيَادُ النَّاسِ اصْطِيَادَ الْوَحْشِ ، وَإِنْ أَخْفَقَ مِنْهَا وَاحْتِاجَ إِلَى طَعَامٍ فَصَدَّ دَابَّةً مِنْ دَوَابِّهِ ، وَإِنْ عَطِشَ حَلَبَ رَمَكَةً مِنْ رِمَاكِهِ ، وَإِنْ أَرَاكَ وَاحِدَةً رَكِبَ أُخْرَى ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْزَلَ إِلَى الْأَرْضِ .

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَبَدَنُهُ يَنْتَقِضُ<sup>(٣)</sup> عَنْ اقْتِيَاتِ اللَّحْمِ وَحَدَهُ - غَيْرِهِ ، وَكَذَلِكَ دَابَّتُهُ تَكْتَفِي بِالْعُنْقُرِ<sup>(٤)</sup> وَالْعُشْبِ وَالشَّجَرِ ، لَا يُظِلُّهَا مِنْ شَمْسٍ ، وَلَا يُكْنِئُهَا مِنْ بَرْدٍ .

قَالَ : وَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى الْخَبَبِ<sup>(٥)</sup> فَإِنَّ الثَّغْرِيَّينَ<sup>(٦)</sup> ، وَالْفُرَّانْقِيَّينَ<sup>(٧)</sup> ، وَالْخِصْيَانِ ، وَالْخَوَارِجَ ، لَوْ اجْتَمَعَتْ قُورَاهُمْ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ لَمَا وَقَفُوا بِتُرْكِيٍّ وَاحِدٍ . وَالتُّركِيُّ لَا يَبْقَى مَعَهُ مَعَ طَوْلِ الْغَايَةِ إِلَّا الصَّمِيمُ مِنْ دَوَابِّهِ ، وَالَّذِي يَقْتُلُهُ التُّركِيُّ بِإِتْعَابِهِ لَهُ . وَيَنْفِيهِ<sup>(٨)</sup> عِنْدَ غَزَاتِهِ هُوَ الَّذِي لَا يَصْبِرُ

(١) نادرًا ، ساقطة من ب . وفي م : « نادر » محرف . وفي م ج والرسائل : « لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الأرض » .  
(٢) الرمكة ، بالتحريك : الأنثى من البراذين . وفي جميع الأصول : « فحل أرماكه » ، وأثبت ما في م ج والرسائل .

(٣) ينتقض : يفسد ويهزل . وفي جميع الأصول : « ينتفض » بالفاء ، ولا وجه له .

(٤) العنقر ، كعصفر : أصل القصب والبردى والبقل مادام أبيض مجتمعا .

(٥) ب : « الجنب » ، تحريف . وانظر ١٩٩ .

(٦) الثغريون : نسبة إلى الثغر ، وهو واحد ثغور الشام . ومن أشهرها : أنطاكية ، وبغراس ، والمصيصة . وأصل أهلها من الروم .

(٧) نسبة إلى الفرائق بالضم ، يعنى بهم عمال البريد ، ويبدو أنهم كانوا من غير العرب .

والفرائق : الذي يدل صاحب البريد على الطريق ، معرب « بروانك » . ب ، م : « والغزانقيين » ط : « والغزانقيين » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) في جميع الأصول : « ويبقيه » ، وأثبت ما في م ج والرسائل .

معه فرسٌ خارجي ، ولا يبقَى معه كلُّ بِرذونٍ بخاريٍّ <sup>(١)</sup> ، ولو سائر خارجياً لاستفرغ جُهدَه <sup>(٢)</sup> قبل أن يبلغَ الخارجيُّ عَفْوَه .

والتركيُّ هو الراعي ، وهو السَّائِس ، وهو الرائيض ، وهو النخَّاس <sup>(٣)</sup> ، وهو البَيْطار ، وهو الفارس . فالتركيُّ الواحدُ أُمَّةٌ على حدة .

قال : وإذا سار التركيُّ في غير عساكر الترك فسار القومُ عشرةَ أميال سار التركيُّ عشرين ميلاً ، لأنَّه ينقطع عن العسكر يمنة ويسرة ، ويصعدُ في ذُرَى الجبال ، ويستبطنُ قُعوَر الأودية ، في طلب الصيد ، وهو في ذلك يرمي كلَّ ما دبَّ ودرج ، وطارَ ووقع .

قال : والتركيُّ لم يَسِر في العسكر سِيرَ النَّاسِ قطُّ ، ولا سارَ مستقيماً قط <sup>(٤)</sup> .

قال : وإذا طالت الدُّلجة ، واشتدَّ السَّير ، وبُعدَ المنزلُ ، وانتصفَ النهار ، واشتدَّ التعب ، وشغلَ النَّاسَ الكلالُ <sup>(٥)</sup> ، وصمتَ المتسايرون فلم يَنْطِقُوا ، وقَطَعَهُم ما هم فيه عن التَّشاغل بالحديث ، وتفسَّخَ <sup>(٦)</sup> كلُّ شَيْءٍ من شِدَّة [ الحرِّ ، وجَمَد كلِّ شَيْءٍ من شِدَّة <sup>(٧)</sup> ] البَرْد ، وتمنى كلُّ جليلِ القُوَى على طُول السُّرى أَنْ تُطوى له الأرض ، وكلِّما رأى خيالاً <sup>(٨)</sup>

(١) ط فقط : « نجاري » ، تحريف .

(٢) هذا الصواب من م ، مج . وفي الرسائل : « لاستفرغ وسعه » . وفي ب : « لا استفرغ جهده » . وفي ط « لا يستفرغ جهده » ، محرفتان .

(٣) ب ، م : « النحاس » ، تحريف . والنخاس ، بالخاء المعجمة : بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها حتى تنشط .

(٤) ب : « ولا مدار » ، صوابه في م ، ط .

(٥) في جميع الأصول : « الكلام » ، ولا يستقيم مع ما بعده . والصواب من مج والرسائل . والكلال : التعب والإعياء .

(٦) التفسخ : عدم الطاقة وقلة الاحتمال . م فقط : « وتفسخ » ، تحريف .

(٧) التكملة من مج والرسائل ، لكن في الرسائل : « وخذ » بالخاء .

(٨) الخيال : مانصب في الأرض ليعلم أنها حي فلا تقرب . والخيال والخيالة أيضاً : ماتشبه لك في اليقظة أو الحلم من صورة

أو علماً استبشَرَ به ، وظنَّ أنَّه قد بلغ المنزل ، وإذا بلغه الفارس نزلَ وهو متفحجٌ <sup>(١)</sup> ، كأنَّه صبيٌّ محقونٌ <sup>(٢)</sup> ، يثنُّ أنينَ المريض ، ويستريح إلى التثاؤب <sup>(٣)</sup> ، ويتداوى مما به بالتمطى والتضجُّع . وترى التركيَّ في تلك الحال ، وقد سار ضِعَفَ ما ساروا ، وقد أتعَبَ مَنْكِبَيْهِ كثرةُ النَّزْعِ <sup>(٤)</sup> ، يرى بقرب <sup>(٥)</sup> المنزلِ عَيْراً أو ظَبِيّاً ، أو عَرَضَ له ثعلبٌ أو أرنب ، كيف يركضُ ركضَ مبتدئٍ مستأنِفٍ ، حتَّى كأنَّ الذي سار ذلك السَّير ، وتعب ذلك التَّعبَ غيره .

وإنَّ بلغ النَّاسُ وادياً فازدحموا على مَسْلَكِهِ أو على قنطرتِهِ ، بَطَنَ <sup>(٦)</sup> بِرذونِهِ فأقحمَهُ ثم طلع من الجانب الآخر كأنَّه كوكبٌ . وإنَّ انتهوا إلى عَقَبَةٍ صَعْبَةٍ ترك السَّنَنُ <sup>(٧)</sup> ، وذهبَ في العَجَلِ صُعُداً ، ثم تدلَّى من موضعٍ يَعِجِزُ عنه الوَعْلُ ، وأنت تحسِّبُهُ مخاطراً بنفسِهِ ، لِلَّذِي ترى من مُطْلَعِهِ . ولو كان في كل ذلك مخاطراً لما دامت له السَّلامةُ ، مع تتابع ذلك منه .

(١) متفحج : قد فتح ما بين رجليه ، وذلك من تأثير طول الركوب . ب : « متفحج » م ، ط : « متفحج » بتقديم الجيم على الحاء ، ولا مادة لهذه في العربية ، وصوابها مأثبت من مج والرسائل .

(٢) محقون : قد أعطى الدواء بالحقنة . وفي جميع الأصول : « مجنون » ، صوابه في مج والرسائل .

(٣) ب : « التناوب » ، م ، ط « التثاؤب » ، والصواب ما أثبت من مج والرسائل .

(٤) النزع في القوس : مد وترها ليرمى بهما .

(٥) في جميع الأصول : « لقرب » باللام ، والوجه ما أثبت . وفي مج والرسائل : « قرب المنزل » .

(٦) بطنه بطناً : ضرب بطنه . ب : « فطن » ، بالفاء ، صوابه في م ، ط ، مج والرسائل .

(٧) السَّنَن ، بالتحريك : نهج الطريق ومحجته . م ، ط : « السير » تحريف .

قال : وَيَفْخَرُ<sup>(١)</sup> الْخَارِجِيُّ بِأَنَّهُ إِذَا طَلَبَ أَدْرَكَ ، وَإِذَا طُلِبَ فَاتَ<sup>(٢)</sup> .  
وَالْتَرَكِيُّ لَيْسَ يُخَوِّجُ إِلَى أَنْ يَفُوتَ ، لِأَنَّهُ لَا يُطَلَّبُ وَلَا يُرَامُ .  
وَمَنْ يَرُومُ مَا لَا يُطْمَعُ فِيهِ ؟ !

فهذا دليلٌ على أَنَّا قد علمنا أَنَّ الْعِلَّةَ الَّتِي عَمَّتِ الْخَوَارِجَ بِالنَّجْدَةِ  
استواءُ حالاتهم في أَشَدِّ الدِّيَانَةِ<sup>(٣)</sup> . واعتقادهم بِأَنَّ الْقِتَالَ دِينٌ ؛ لِأَنَّنَا  
حينَ وَجَدْنَا السَّجِسْتَانِيَّ ، وَالْجَزْرِيَّ<sup>(٤)</sup> ، وَالْيَمَانِيَّ ، وَالْمَغْرِبِيَّ ، وَالْعُمَانِيَّ ،  
وَالْأَزْرَقِيَّ مِنْهُمْ وَالنَّجْدِيَّ<sup>(٥)</sup> ، وَالْإِبَاضِيَّ ، وَالصُّفْرِيَّ<sup>(٦)</sup> ، وَالْمَوْلِيَّ  
وَالْعَرَبِيَّ . وَالْعَجَمِيَّ وَالْأَعْرَابِيَّ ، وَالْعَبِيدَ وَالنِّسَاءَ . وَالْحَائِلَ وَالْفَلَّاحَ ،  
كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ مَعَ اخْتِلَافِ الْأَنْسَابِ ، وَتَبَايُنِ الْبُلْدَانِ - عَلِمْنَا أَنَّ الدِّيَانَةَ  
هِيَ الَّتِي سَوَتْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ ، كَمَا أَنَّ كُلَّ حِجَّامٍ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَىِّ  
جَنْسٍ كَانَ ، وَمِنْ أَهْلِ أَىِّ بَلَدٍ كَانَ ، فَهُوَ يَحِبُّ النَّبِيَّ . وَكَمَا أَنَّ

(١) في جميع الأصول : « ويمجز » ، صوابه في مج والرسائل .

(٢) مج والرسائل : « لم يدرك » .

(٣) مج والرسائل : « في الديانة » .

(٤) ب : « والخزري » ط : « والخزري » ، وأثبت ما في م ومج والرسائل .

(٥) نسبة إلى نجدة بن عامر ، أو ابن عاصم ، الحنفي . ويقال لهم « النجدات » أيضاً .  
وكان نجدة ممن خرج مع ابن الزبير ثم فارقه هو ونافع الأزرق من الخوارج ، فصار نافع  
إلى البصرة ونجدة إلى اليمامة ، وذلك في سنة ٦٤ . الملل والنحل ١ : ١٦٥ والطبري في حوادث ٦٤ .  
ثم صار إلى الطائف ثم إلى البحرين ، ووجه إليه مصعب بن الزبير بجبل بعد خيل فهزمهم ، وظل  
خمس سنوات هو وعماله بالبحرين واليمامة و عمان وهجر والعرض ، ثم نقم عليه الخوارج  
فخلعوه بعد أن كان يسمى أمير المؤمنين ، وأقاموا أبافديك مكاته سنة ٧٣ وقتل نجدة في تلك  
السنة . الطبري والفرق بين الفرق ٦٧ والمواقف ٦٢٩ .

(٦) الصفيرية ، بضم الصاد : طائفة من الخوارج ، وهم أصحاب زياد بن الأصفر ، ويقال  
لهم الزيدية أيضاً . وقولهم كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ، غير أن الصفيرية  
لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسبهم ، وهم يرون ذلك . انظر آراءهم في الملل ١ : ١٨٣  
والفرق ٧٠ والسماعاني ٣٥٤ والمواقف ٦٤٠ ومفاتيح العلوم ١٦ والكمال ٦٠٤ . ط :  
« والصفوى » تحريف .

( ١٤ - رسائل الجاحظ )

أصحاب الخُلُقَانِ<sup>(١)</sup> ، والسَّامَكِينَ ، والنَّخَّاسِينَ والحَاكَةَ ، في كُلِّ بَلَدٍ ومن كُلِّ جَنَسٍ ، شِرَارَ خُلُقٍ اللهُ في المَبَايَعَةِ والمَعَامِلَةِ . فَعَلَمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ ذَلِكَ خَلْقَةٌ في هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ ، وَبِنِيَّةٍ في هَذِهِ التَّجَارَاتِ ، حَتَّى صَارُوا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ النَّاسِ كَذَلِكَ .

قال : ورَأْيَانُهُ في بِلَادِهِ لَيْسَ يُقَاتَلُ عَلَى دِينٍ ، وَلَا عَلَى تَأْوِيلٍ ، وَلَا عَلَى مُلْكٍ وَلَا عَلَى خَرَاجٍ ، وَلَا عَلَى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَا عَلَى غَيْرَةٍ دُونَ الْحُرْمَةِ ، وَلَا عَلَى حَمِيَّةٍ وَلَا عَلَى عداوةٍ ، وَلَا عَلَى وَطَنِ وَلَا عَلَى مَنْعِ دَارٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا مَالٍ ، وَإِنَّمَا يُقَاتَلُ عَلَى السَّلْبِ والخِيَارِ في يَدِهِ . وَلَيْسَ يَخَافُ الوَعِيدَ إِنْ هَرَبَ ، وَلَا يَرْجُو الوَعْدَ إِنْ أَبْلَى عَذْرَاءً . وَكَذَلِكَ هُمْ في بِلَادِهِمْ وَغَارَاتِهِمْ<sup>(٣)</sup> وَحُرُوبِهِمْ .

وهو الطالب غير المطلوب ، ومن كان كذلك فَإِنَّمَا يَأْخُذُ العَفْوَ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَجْهُودِهِ ، ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ لَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَطْمَعُ فِيهِ أَحَدٌ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، أَنْ لَوْ<sup>(٤)</sup> اضْطَرَّه إِحْرَاجٌ أَوْ غَيْرُهُ<sup>(٥)</sup> ، أَوْ غَضَبٌ أَوْ تَدْيُنٌ ، أَوْ عَرَضَ لَهُ بَعْضُ مَا يَصْحَبُ الْمُقَاتِلَ المَحَاحِي مِنَ العِلَلِ وَالْأَسْبَابِ .

قال : وَقَدَاةُ الْخَارِجِيِّ طَوِيلَةٌ صَمَاءً ، وَقَدَاةُ التُّرْكِيِّ مِطْرَدٌ أَجُوفٌ<sup>(٦)</sup> . وَالْقَنَا الْجُوفُ الْقَصَارُ أَشَدُّ طَعْنَةً ، وَأَخْفُ مَحْمِلًا . وَالْعَجَمُ تَجْعَلُ الْقَنَا الطُّوَالَ لِلرَّجَالَةِ ، وَهِيَ قَنَا الْأَبْنَاءِ<sup>(٧)</sup> عَلَى أَبْوَابِ الْخَنَادِقِ وَالْمُضَايِقِ .

(١) يراد بهم من يبيعون الخُلُقَانِ مِنَ الثِّيَابِ ، جَمْعُ خُلُقٍ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْبَالُ . وَانْظُرِ الْحَيَوَانَ ٢ : ١٠٥ .

(٢) ب فَقَطْ : « وَمَنْعُ دَارٍ » .

(٣) فِي الْأَصُولِ : « وَعَادَاتِهِمْ » ، وَأُثْبِتَ مَا فِي مَجِ وَرَسُولِ .

(٤) ب ، م : « أَوْ لَوْ » ط : « وَلَوْ » ، صَوَابُهُ فِي مَجِ وَرَسُولِ .

(٥) ب ، م : « إِخْرَاجٌ أَوْ غَيْرُهُ » ط : « إِحْرَاجٌ أَوْ غَيْرُهُ » ، صَوَابُهُ مِنْ مَجِ وَرَسُولِ .

(٦) الْمِطْرَدُ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ : رَمَحٌ قَصِيرٌ .

(٧) ب : « قَنَا » ، وَإِنَّمَا تَجْمَعُ الْقَنَاةُ عَلَى قَنَوَاتٍ وَقَنَا وَفَنِي ، الْأَخِيرَةُ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ .

وَفِي مَجِ وَرَسُولِ : « قَنَى الْأَبْنَاءِ » . وَالْأَبْنَاءُ سَبَقَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ فِي ص ١٦٧ .



والأبناء في هذا الباب لا يَجرون مع الأتراك والخراسانية ، لأنَّ الغالب على الأبناء المطاعنةُ على أبواب الخنادق ، وفي المضائق ، وهؤلاء أصحاب الخيل والفرسان ، وعلى أصحاب الخيل والفرسان يدور أمر الفروسية<sup>(١)</sup> . لهم الفرُّ والكرُّ . والفارس هو الذي يطوى الجيش طيَّ السَّجَلِ<sup>(٢)</sup> ، ويفرقهم فرق الشعر<sup>(٣)</sup> . وليس يكون الكمين ولا الطليعة ولا السَّاقَة إِلَّا الكبار منهم<sup>(٤)</sup> . وهم أصحاب الأيَّام المذكورة ، والحروب الكبار ، والفتوح العظام .

#### ٢٤ - فصل منها

والشَّحُّ على الوطن ، والحنين إليه ، والصَّبابَةُ به ، مذكور في القرآن<sup>(٥)</sup> ، مخطوط في الصُّحف بين جميع الناس ، غير أنَّ التركيَّ للعلل التي ذكرناها أشدُّ حنيناً ، وأكثر نزوعاً<sup>(٦)</sup> .

وباب آخر مما كان يدعوهم إلى الرجوع قبل ثنى العزم<sup>(٧)</sup> والعادة المنقوضة : وذلك أنَّ التُّرك قومٌ يشتدُّ عليهم الحَضْر<sup>(٨)</sup> والجُثوم<sup>(٩)</sup> ،

(١) ب ، م : « الفروس » ، صوابه في ط . وفي مج والرسائل : « تدور الجيوش »  
(٢) السجل : الصحيفة ، والكتاب الكبير ، والسجل : الكاتب أيضاً أو ملك يطوى كتب بني آدم إذا رفعت إليه ، وبهما فسرت الآية الكريمة : « يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب » في الآية ١٠٤ من الأنبياء . ب : « على السجل » ، صوابه في م ، ط ومج والرسائل .  
(٣) مج والرسائل : « ويفرقهم تفريق الشعر » .

(٤) في الرسائل فقط : « وليس يكون الكمين إلا منهم ولا الطليعة ولا الساقة » .

(٥) في آيات كثيرة فيها ذكر « الديار » . ينظر لها المعجم المفهرس .

(٦) النزوع والنزاع أيضاً : الحنين والاشتياق إلى الأهل والوطن . ب : « نزعا » تحريف . وفي مج : « نزاعا » . وأصل النزاع المغالبة ، يقولون : نازعتمني نفسي إلى هواها أي غالبتمني . كما يقولون نزح إلى أهله ووطنه نزوعاً .

(٧) ب ، م : « عزم الثاني » ، وأثبت ما في ط . وفي مج والرسائل : « قبل العزم الثابت » .

(٨) في جميع الأصول وكذا في مج : « الحضر » ، وأثبت ما في الرسائل .

(٩) جثم جثوماً : لزِم مكانه فلم يبرحه . وهذه الكلمة ساقطة من ط . وفي ب : « الخثوم »

وفي م : « الخثوم » ، صوابها من مج والرسائل .

وُطُول اللَّبِثِ وَالْمُكْثِ ، وَقَلَّةُ التَّصَرُّفِ وَالتَّحَرُّكِ<sup>(١)</sup> . وَأَصْلُ بِنْيَتِهِمْ  
إِنَّمَا وَضَعَ عَلَى الْحَرَكَةِ ، وَلَيْسَ لِلسُّكُونِ فِيهِمْ نَصِيبٌ ، وَفِي قُوَى أَرْوَاحِهِمْ  
فَضْلٌ عَلَى قُوَى أَبْدَانِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ تَوْقُدٍ وَحَرَارَةٍ ، وَاشْتِعَالٍ وَفُطْنَةٍ<sup>(٢)</sup> .  
كَثِيرَةٌ خَوَاطِرُهُمْ ، سَرِيعٌ لِحْظُهُمْ . وَكَانُوا يَرُونَ الْكِفَايَةَ مَعْجَزَةً ، وَطُولَ  
الْمُقَامِ بُلْدَةً<sup>(٣)</sup> ، وَالرَّاحَةَ عُقْلَةً<sup>(٤)</sup> وَالْقِنَاعَةَ مِنْ قِصَرِ الْهَمَّةِ . وَأَنَّ تَرَكَ  
الْغَزْوِ يورث الذَّلَّةَ .

وقد قالت العرب في مثل ذلك : قال عبد الله بن وهب الرّاسبي<sup>(٥)</sup> :  
« حُبُّ الْهُوَيْنَى يُكْسِبُ النَّصَبَ » .

والعرب تقول : « مِنْ غَلَا دِمَاغُهُ فِي الصَّيْفِ غَلَتْ قِدْرُهُ فِي الشِّتَاءِ » .  
وقال أكرم بن صيفي : « مَا أَحَبُّ أَنْتَى مَكْنَى كُلِّ أَمْرِ الدُّنْيَا » ، قيل :  
ولم ؟ قال : « أَخَافُ عَادَةَ الْعَجْزِ<sup>(٦)</sup> » .

فهذه كانت علل التُّرك في حُبِّ الرُّجُوعِ ، وَالْحَنِينِ إِلَى الْوَطَنِ .  
وَمِنْ أَعْظَمِ مَا كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الشُّرُودِ ، وَبِيعَتِهِمْ عَلَى الرُّجُوعِ ،  
وَيُكْرَهُ عِنْدَهُمُ الْمُقَامُ . مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ جَهْلِ قُودَاهِمِ بِأَقْدَارِهِمْ ، وَقَلَّةِ  
مَعْرِفَتِهِمْ بِأَخْطَارِهِمْ ، وَإِغْفَالِهِمْ مَوْضِعَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ<sup>(٧)</sup> ، وَالْإِنْتِفَاعِ

(١) ب ، م : « والتحرُّق » ط : « والتحرُّف » ، صوابهما في مج والرسائل .

(٢) هذا ما في ط . وفي ب ، م ومج والرسائل : « واشتغال » بالعين المعجمة .

(٣) البلدة بضم الباء وفتحها : ضد الذكاء والنفاد والمضاء في الأمور ، ومشلهما بالبلادة .  
ط ، ومج والرسائل : « بلادة » .

(٤) عقلة ، بضم العين المهملة : أى تعقل صاحبها وتجنبه عن الانطلاق . ط فقط : « غفلة » .

(٥) الراسي : نسبة إلى راسب بن مبدعان بن مالك بن نصر بن الأزد . وكان عبد الله هذا قد  
خرج على علي في أربعة آلاف ، ويايعة الخوارج لعشر خلون من شوال سنة ٣٧ وقاتل يوم  
النهر وان سنة ٣٨ كما في الطبري . وانظر التنبيه والإشراف ٢٥٦ وجمهرة ابن حزم ٣٨٦ .

(٦) م : « عارة العجز » . تحريف . وفي الرسائل : « أخاف العجز » .

(٧) الرد : النفع ، من قولهم : هذا أرد من ذاك ، أى أنفع .

بهم ، ولأنهم حين جعلوهم أَسَوةً أَجْنَادَهُمْ<sup>(١)</sup> لم يقنعوا أَن يكونوا في الحاشية والحُشوة ، وفي غِمَارِ العامة<sup>(٢)</sup> ، ومن عُرِضَ العساكر ، وَأَنفُوا [ من ذلك ]<sup>(٣)</sup> لأنفسهم . وذكروا ما يجبُ لهم ، ورأوا أَنَّ الصَّيِّمَ لا يليقُ بهم ، وَأَنَّ الخمولَ لا يجوزُ عليهم . وأنَّهم في المَقَامِ على مَنْ لم يعرف حَقَّهُم أَلَوُّمٌ مِّن مَّنْعِهِمْ حَقَّهُمْ . فلما صادفوا مَلِكاً حَكِيماً ، وبِأَقْدَارِ النَّاسِ عَليماً ، لا يميلُ إلى سوءِ عادة ، ولا يَجْنَحُ إلى هَوًى ، ولا يتعصَّبُ لبلدٍ على بلد . يدور مع التَّدْبِيرِ حَيْثُمَا دار<sup>(٤)</sup> ، ويقيم مع الحَزْمِ حَيْثُمَا أَقام - أَقاموا إِقامةً من مُنَحِ الحِظِّ<sup>(٥)</sup> ، ودان بالحقِّ<sup>(٦)</sup> ، ونَبَذَ العادة ، وآثَرَ الحَقِيقَةَ ، وَرَحَلَ نَفْسَهُ لِقَطِيعَةِ وَطَنِهِ<sup>(٧)</sup> ، وآثَرَ الإِمَامَةَ على مُلْكِ الجَبَرِيَّةِ ، واختار الصَّوابَ على الأَلْفِ .

ثم اعلمْ بعد ذلك كُلَّهُ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ وَقرنٍ وَجِيلٍ وَبَنى أَبٍ وَجَدَتْهُمْ قد بَرَعُوا فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَفَضَّلُوا النَّاسَ فِي الْبَيَانِ ، أَوْ فاقوهم فِي الآدَابِ<sup>(٨)</sup> أَوْ فِي تَأْسِيسِ الْمُلْكِ ، أَوْ فِي الْبَصَرِ بِالْحَرْبِ<sup>(٩)</sup> . فَإِنَّكَ لا تجدهم فِي العَايَةِ وَفِي أَقْصَى النِّهَايَةِ ، إِلَّا أَنَّ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى قد سَخَّرَهم لذلك الْمَعْنَى بِالْأَسْبَابِ . وَقَصَّرَهم عَلَيْهِ بِالْعُلَلِ الَّتِي تُقَابِلُ تِلْكَ

(١) وكذا في مج . وفي الرسائل : « حتى جعلوهم » ، بإسقاط « ولأنهم » .

(٢) النهار : جمع غمرة ، بالفتح ، وهي الزحمة من الناس والماء ، وفي حديث أويس : « أكون في غمار الناس » ، أي جمعهم المتكاثف . وفي الأصول : « نهمارة العامة » صوابه في مج والرسائل .

(٣) التكلة من مج والرسائل .

(٤) ط : « مع التدبير مدار » .

(٥) هذا ما في ط . وفي م : « فهم الحظ » ، وفي ب : « فهم الخط » .

(٦) في جميع الأصول : « ودار بالحق » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٧) رحل نفسه لكذا ، إذا صبر على أذاه . وفي جميع الأصول : « ووصل نفسه بقطيعه وطنه » ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٨) ب ، م : « وأفاقوهم في الآداب » ، وفي ط : « وفاقوهم » . وأثبت ما في مج والرسائل .

(٩) في جميع النسخ : « أو في النصر بالهرب » ، صوابه في ج والرسائل .

الأُمُور ، وَتَصْلُحُ لَتِلْكَ الْمَعَانِي ، لِأَنَّ مِنْ كَانَ مُتَقَسِّمَ الْهُوَى ، مُشْتَرَكَ الرَّأْيِ ، مُتَشَعِّبَ النَّفْسِ <sup>(١)</sup> ، غَيْرَ مُوقِّرٍ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ ، وَلَا مَهِيًّا لَهُ ، لَمْ يَحْذِقْ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ شَيْئًا بِأَسْرِهِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ فِيهِ غَايَتَهُ ، كَأَهْلِ الصِّينِ فِي الصَّنَاعَاتِ ، وَالْيُونَانِيِّينَ فِي الْحِكْمِ وَالْآدَابِ ، وَالْعَرَبِ فِيمَا نَحْنُ ذَاكِرُوهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَالسَّاسَانِ <sup>(٢)</sup> فِي الْمُلْكِ ، وَالْأَتْرَاكِ فِي الْحُرُوبِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ الْيُونَانِيِّينَ الَّذِينَ نَظَرُوا فِي الْعِلَلِ لَمْ يَكُونُوا تُجَارًا وَلَا صُنَاعًا بِأَكْفَهُمْ ، وَلَا أَصْحَابَ زَرْعٍ وَفِلَاحَةٍ ، وَبِنَاءٍ وَغَرْسٍ ، وَلَا أَصْحَابَ جَمْعٍ وَمَنْعٍ وَكَدٍّ <sup>(٣)</sup> . وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تَفْرُغُهُمْ <sup>(٤)</sup> ، وَتُجْرِى عَلَيْهِمْ كِفَايَتَهُمْ ، فَنَظَرُوا حِينَ نَظَرُوا بِأَنْفُسٍ مَجْتَمِعَةٍ ، وَقُوَّةٍ وَافِرَةٍ ، وَأَذْهَانٍ فَارِغَةٍ . حَتَّى اسْتَخْرَجُوا الْآلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَالْمَلَاهِيَّ الَّتِي تَكُونُ جَمَامًا لِلنَّفْسِ ، وَرَاحَةً بَعْدَ الْكَدِّ ، وَسُرُورًا يَدَاوِي قَرْحَ الْمَهْمُومِ <sup>(٥)</sup> ، فَصَنَعُوا مِنَ الْمَرَافِقِ ، وَصَاغُوا مِنَ الْمَنَافِعِ ، كَالْقَرَسُطُونَاتِ <sup>(٦)</sup> ، وَالْقَبَانَاتِ ،

(١) الرسائل فقط : « ومتشعب النفس » .

(٢) مج والرسائل : « وآل ساسان » .

(٣) في مج والرسائل : « ومنع ، وحرص وكد » .

(٤) ب ، ط : « تفرغهم » ، صوابه في م والرسائل .

(٥) القرح ، بالفتح والضم : الجرح . ب : « فرج المهموم » م : « فرح المهموم » ، ط :

« فرح المهموم » ، وأثبت ما في مج . وفي الرسائل : « قرح المهموم » .

(٦) في النزهة المهيجة لداود الأنطاكي بهامش تذكرة داود ١ : ١٥ : « علم مركز

الأثقال مثل القرصطيون ، يعنى القبان » . كما جاء في كتاب التربيعة والتدوير ص ١٣٨ ساسي : « وخبرني عن القرصطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ، ووزن جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » . وانظر الحيوان ١ : ٨١ . ويبدو أنه ضرب من الميزان القبان .

والأسطرلابات<sup>(١)</sup> ، وآلة الساعات ، وكالكونيا<sup>(٢)</sup> ، والكسيران<sup>(٣)</sup> ،  
والبركار<sup>(٤)</sup> ، وكأصناف المزامير والمعاذف . والطب<sup>(٥)</sup> والحساب ،  
والهندسة ، واللحون ، وآلات الحرب ، وكالمجانيق ، والعَرَادَات<sup>(٦)</sup> ،  
والرَّيَّلات<sup>(٧)</sup> ، والدَّبَّابَات ، وآلة النَّفَّاطِين ، وغير ذلك مما يطول ذكره<sup>(٨)</sup> .

وكانوا أصحابَ حِكْمَةٍ ، ولم يكونوا فَعَلَةً . يصوِّرون الآلة ، ويَخْرِطون  
الأداة<sup>(٩)</sup> ، ويَصُوغون المِثْلَ ولا يحسنون العمل بها<sup>(١٠)</sup> ، ويشيرون  
إليها ولا يمسونها ، يُرَغَّبون في التعليم<sup>(١١)</sup> ، ويرَغَبون عن العمل .

فأما سَكَّان الصِّين فإِنَّهُمْ أصحاب السَّبْكِ والصِّيَاغَةِ ، والإِفْرَاغِ  
والإِذَابَةِ ، والأَصْبَاغِ العَجِيبَةِ ، وأَصْحَابُ الخَرْطِ والنَّجْرِ<sup>(١٢)</sup> والتَّصَاوِيرِ ،

(١) الأسطرلاب أو الأسطرلاب : مقياس النجوم ، هو باليونانية : أسطرلابون .  
وأصطر هو النجم ، ولابون هو المرأة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاق في هذا المعنى بلامعنى  
له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأصطر جمع سطر . وهذا اسم يوناني ، اشتقاقه  
من لسان العرب جهل وتخف . انظر مفاتيح العلوم للخوازمي ص ١٣٤ والحيوان ١ : ٢/٨١ :  
٢٤٢ . وقد وقع صاحب القاموس في هذا الوهم الذي نبه عليه الخوارزمي في مادة ( لوب ) .

(٢) ب ، ط : « وكالكرنيا » وفي م : « والكرنيا » ، وأثبت مافي مع والرسائل . وجاء  
في مفاتيح العلوم : « الكونيا » بالواو كما أثبت وقال : « للتجارين يقدرون بها الزاوية القائمة » .  
(٣) كذا في جميع الأصول . وفي مع : « والكشتوان » ، وفي الرسائل : « وكالشيزان » .

(٤) في جميع النسخ « والبوكار » ، صوابه في مع والرسائل . والبركار : آلة هندسية مركبة  
من ساقين متصلتين ، تثبت إحداها وتدور حولها الأخرى ، ترسم بها الدوائر والأقواس ، وهي  
في العامة المصرية « البرجل » ، وفي الفارسية : « بركار » .

(٥) مع والرسائل : « وكالطب » .

(٦) العرادة : منجنيق صغير . والمنجنيق : آلة ترمى بها الحجارة ونحوها في القتال .  
وانظر حواشي البيان ٣ : ١٧ . ط : « والقرادات » ، تحريف .

(٧) انظر ما سبق في حواشي ١ : ٦٩

(٨) ب فقط : « يطيل ذكره » ، تحريف .

(٩) م فقط : « الاداة » ، تحريف .

(١٠) في جميع الأصول : « به » ، صوابه في الرسائل . وفي مع : « ويصوغون المشال  
ولا يحسنون العمل به » .

(١١) مع والرسائل : « في العلم » .

(١٢) مع والرسائل : « والنحت » .

والنَّسِجَ وَالْخَطَّ<sup>(١)</sup> ، وَرَفَقَ الْكَفَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيُعَانُونَهُ ،  
وإن اختلفَ جَوهرُهُ . وتباينت صنعتُهُ ، وتفاوتت ثمنُهُ<sup>(٢)</sup> .

فاليونانيون يعرفون العِلالَ ولا يباشرون العملَ ، وسُكَّانُ الصَّينِ  
يباشرون العملَ ولا يعرفون العِلالَ ، لَأَنَّ أَوْلَئِكَ حُكَمَاءُ ، وهؤلاءُ فَعَلَةٌ .

وكذلك العرب لم يكونوا تَجَّاراً ولا صُنَّاعاً ، ولا أطباءَ ولا حُساباً  
ولا أصحابَ فِلاحة . فيكونوا مَهَنَةً<sup>(٣)</sup> ، ولا أصحابَ زرعٍ ، لخوفهم  
صَغَارِ الحِزْبَةِ<sup>(٤)</sup> . ولم يكونوا أصحابَ جمعٍ وكَسْبٍ ، ولا أصحابَ  
احتكارٍ لما في أيديهم ، وطلبٍ لما عند غيرهم . ولا طلبوا<sup>(٥)</sup> المعاشَ من  
السِّنَةِ الموازين ورؤوس المكايل . ولا عَرَفُوا الدَّوَانِيْقَ والقراريط . ولم  
يفتقروا الفقرَ المُدْفِعَ الذي يَشْغَلُ عن المعرفة . ولم يستغنوا الغِنَاءَ الذي  
يورث البُلْدَةَ<sup>(٦)</sup> . والثَّرَوَةُ التي تُحدثُ الغِرَّةَ<sup>(٧)</sup> ، ولم يحتملوا ذِلاًّ قطُّ  
فيميت قلوبهم ، ويصغُرُ<sup>(٨)</sup> عندهم أنفُسُهُم . وكانوا سُكَّانَ فِياضٍ ،  
وتربية العَرَاءِ ، لا يعرفون العَمَقَ ولا اللَّثْقَ<sup>(٩)</sup> . ولا البُحَارَ ولا الغِلَظَ<sup>(١٠)</sup> .

(١) في الرسائل : « والنسج والخط » .

(٢) ثمنه ، ساقطة من م .

(٣) في حديث عائشة : « كان اناس مهنة أنفسهم » ، جمع ماهن ، ككتب وكتبه ، ويقال  
مهان أيضاً ككاتب وكتاب .

(٤) الصغار ، بالفتح : الذل والضم .

(٥) ب : « ولا طلب » .

(٦) الغناء ، بالفتح : ضد الفقر ، وهو الغنى بالكسر والقصر . ب : « الغناء » م :  
« الغناء » ، وجههما ما أثبت من مج . وفي ط ، ورسائل : « الغنى » . والبدة ، : بضم الباء  
وفتحها : ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور . وفي ط : « البلادة » وفي مج : « التبليد » .

(٧) ب ، م : « العزة » صوابه في ط ومج والرسائل . والغرة : الغفلة .

(٨) ب : « أو تصغير » صوابه في م ، ط . وفي مج : « أو يصغر » ، وفي الرسائل :  
« ويصغر » .

(٩) اللثق ، بالتحريك : الندى والرطوبة والوخامة . والثنق : الندى مع سكون الريح .

(١٠) في جميع النسخ : « الغلط » بالطاء المهملة ، صوابه بالطاء المعجمة ، وهو ضد الرقة  
في الخلق والطبع والعيش ، والمراد غلظ الهواء .

ولا العَفَنَ . ولا التَّخَمَ <sup>(١)</sup> . أَذْهَانُ حديدَة <sup>(٢)</sup> . ونفوسٌ منكرة . فحين حملوا حدهم <sup>(٣)</sup> ، ووجهوا قواهم إلى قول الشعر . وبلاغة المنطق ، وتشقيق اللغة <sup>(٤)</sup> ، وتصاريف الكلام ، وقيافة البشر بعد قيافة الأثر ، وحفظ النسب . والاهتداء بالنجوم ، والاستدلال بالآثار ، وتعرف الأنواء <sup>(٥)</sup> . والبصر بالخيّل والسلاح وآلة الحرب ، والحفظ لكل مسموع ، والاعتبار بكل محسوس ، وإحكام شأن المناقب والمثالب ، بلغوا في ذلك الغاية ، وحازوا كل أمنيّة . وبيعض هذه العلل صارت نفوسهم أكبر ، وهمهم أرفع ، وهم من جميع الأمم أفخر <sup>(٦)</sup> ، ولأَيّامهم أذكّر .

وكذلك الترك ، أصحاب عمَدٍ . وسُكَّانُ فيافٍ ، وأرباب مَواشي . وهم <sup>(٧)</sup> أعرابُ العَجَمَ ، كما أَنَّ هُذَيْلًا أكرادُ العرب ، لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ، ولا الطبُّ والفلاحة والهندسة ، ولا غِرَاسُ ولا بُنيانُ ، ولا شقُّ أنهار ، ولا جبايئة غَلَّات . ولم يكن لهم غير الغارة والغزو والصيد ، وركوب الخيل ، ومقارعة الأبطال ، وطلب الغنائم ، وتدويخ البلاد . وكانت <sup>(٨)</sup> [همهم إلى ذلك مصروفة ، وكانت لهذه المعاني والأسباب مُسَخَّرَةً ، ومقصورةً عليها وموصولةً بها ، أحكموا ذلك الأمر بأسره ، وأتوا على آخره ، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ، ولذتّهم في الحرب وفخرهم ، وحديثهم وسمرهم .

فلما كانوا كذلك صاروا في الحرب كاليونانيين في الحكمة ،

(١) التخّم : الوحش ، وهو الوباء .

(٢) مج والرسائل : « حداد » .

(٣) ب فقط : « أحدهم » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « وتشقيق اللغة » ، تحريف .

(٥) ط : « الأنوار » ، تحريف .

(٦) وكذا في مج ، لكن في الرسائل : « وهمهم أرفع من جميع الأمم وأفخر » .

(٧) ب : « والترك » . (٨) التكملة من م ، ط ، مج والرسائل .

وأهل<sup>(١)</sup> الصِّينِ في الصناعات ، والأعرابِ فيما عددنا ونزلنا<sup>(٢)</sup> ،  
وكالساسان<sup>(٣)</sup> في الملك والسياسة .

ومِمَّا يُسْتَدَلُّ به على أَنَّهُم قد استقصَوْا هذا الباب واستفرغوه ،  
وبلغوا أقصى غايته وتعرفوه ، أَنَّ السَّيْفَ إلى أَن يتقلَّده متقلِّدٌ ، أو  
يضرِب به ضارب<sup>(٤)</sup> ، قد مرَّ على أيِّدٍ كثيرة ، وعلى طبقاتٍ من  
الصُّنَّاعِ ، كلُّ واحدٍ منهم لا يعمل عملَ صاحبه ولا يُحسنه ، ولا يدَّعيه  
ولا يتكلَّفُه ؛ لِأَنَّ الذي يُذيب حديد السَّيْفِ ويُمِّيعه ويصفِّيه ويُهذِّبُه ،  
غيرُ الذي يمدُّه ويمطِّله<sup>(٥)</sup> ، والذي يمدُّه ويمطِّله<sup>(٦)</sup> غيرُ الذي يطَّبعه  
ويسوِّي متنه ، ويقيم خشيبته<sup>(٧)</sup> ، والذي يطَّبعه ويسوِّي متنه غير<sup>(٨)</sup>  
الذي يسقيه ويُرْهفه ، والذي يسقيه ويُرْهفه ، غيرُ الذي يركَّب قبيعته ،  
ويستوثقُ من سيَّالنه<sup>(٩)</sup> ، والذي يعمل مسامير السَّيْلانِ ، وشاربي  
القبيعة<sup>(١٠)</sup> ونعل السَّيْفِ<sup>(١١)</sup> غيرُ الذي ينحت خشب غمده . والذي  
ينحت خشب غمده غيرُ الذي يديغُ جلده ، والذي يديغُ جلده غيرُ  
الذي يحلِّيه ، والذي يحلِّيه ويركَّب نصله غيرُ الذي يخرزُ حماثله .

(١) ب فقط : « وأصل » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « ونولنا » ط : « ونوعنا » ، صوابهما في مج والرسائل .

(٣) مج والرسائل : « وكالساسان » .

(٤) في جميع النسخ : « ويضرِب به ضارب » ، صوابه في مج والرسائل .

(٥) المثل : المد والبسط . ط : « ويمطه » .

(٦) ط : « ويمطه » .

(٧) يقال سيف مشقوق الخشبية : عرض حين طبع . ب فقط : « خشابته » .

(٨) ب ، م : « سوى » .

(٩) السَّيْلان ، بالكسر : سنخ قائم السيف ، أي أصل مقبضه .

(١٠) القبيعة : ما على مقبض السيف من فضة أو حديد . والشاربان : أنفان طويلان في

أصل مقبض السيف . وفي ب : « وشاذي القبيعة » وفي م ، ط : « وشاذي القبيعة » .

(١١) نعل السيف : الحديد التي تكون في أسفل جفنه من حديدة أو فضة ، وفي الحديث :

« كان نعل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضة » . مج والرسائل : « ونصل السيف » .



وكذلك السَّرجُ ، وحالات السَّهم والجَعْبَة والرُّمَح ، وجميع السلاح مما هو جارح<sup>(١)</sup> أو جُنَّة .

والتركيُّ يعمل هذا كله بنفسه ، من ابتدائه إلى غايته ، ولا يستعينُ برفيقٍ ، ولا يَفْزَعُ إلى رأى صديق ، ولا يختلف إلى صائغ ، ولا يشغل قلبه بمِطالته وتسويفه<sup>(٢)</sup> ، وأكاذيبِ مواعيده، وبغُرمِ كِرائه<sup>(٣)</sup> . وليس في الأرض كلُّ تركيٍّ كما وصفنا ، كما أنه ليس كلُّ يونانيٍّ حكيماً ، ولا كلُّ صينيٍّ حاذقاً ، ولا كلُّ أعرابيٍّ شاعراً فائقاً<sup>(٤)</sup> ، ولكن هذه الأمور في هؤلاء أعمُّ وأتمُّ ، وفيهم أظهر وأكثر .

قد قلنا في السَّبب الذي تكاملت به النجدة والفروسيَّة في الترك دونَ جميع الأمم ، وفي العلل<sup>(٥)</sup> التي من أجلها نظموا جميعَ معاني الحرب ، وهي معاني تشتمل على مذاهبَ غريبةٍ ، وخصالٍ عجيبةٍ ، فمنها ما يُقضى<sup>(٦)</sup> لأهله بالكرم ، ويبعدُ الهمة ، وطلبُ الغاية . ومنها ما يدلُّ على الأدب السديد<sup>(٧)</sup> ، والرأى الأصيل ، والفطنة الثاقبة ، والبصيرة النافذة .

ألا ترى أنه ليس بدُّ لصاحب الحرب من الحلم والعلم ، والحزم والعزم ، والصبر والكيان ، ومن الثقافة وقلة الغفلة ، وكثرة التجربة ؟ ولا بدُّ من البصر بالخيال والسلاح<sup>(٨)</sup> ، والخبرة بالرجال والبلاد ،

(١) م ، ط : « خارج » ، صوابه في ب ، ومج والرسائل .

(٢) م ، ط : « بمطله وتسويفه » . والمطل والمطال : التسويف وتأجيل موعد الوفاء بالشيء .

(٣) هذا الصواب من مج والرسائل . وفي ب : « وبغرم كرائه » ، وفي م : « وبغرم كرائه » وفي ط : « وبغرم كرائه » .

(٤) مج والرسائل : « قائقاً » . القائف : الذي يتتبع الآثار ويعرفها ، ويعرف شبه الرجل

بأخيه وأبيه . وأثبت ما في سائر النسخ

(٥) كذا في مج والرسائل . وفي جميع النسخ : « في العلل » بسقوط الواو .

(٦) في الأصول : « يفضى » بالفاء ، وأثبت ما في مج والرسائل .

(٧) كذا في مج والرسائل . وفي ب : « الأرب الشديد » ، وفي م ، ط : « الأدب الشديد » .

(٨) ب : « في الخيل والسلاح » ، وفي مج : « من البصر في الخيول والسلاح » .

والعلم بالمكان والزمان والمكايد ، وبما فيه صلاح الأمور كلها<sup>(١)</sup> .

والمُلْك يحتاج إلى أواخٍ شِداد . وأسبابٍ مِتان . ومن أمتنها سبباً ، وأعمّها نفعاً ، ما ثبتته في نصابه<sup>(٢)</sup> ، وسكّنه في قراره ، وزاده في تمكينه وبهائه ، وقطع أسباب المظمة فيه ، ومنع أيدي البُغاة من الإشارة إليه ، فضلاً عن البسط عليه .

قد قلنا في مناقب جميع الأصناف بجُمْلٍ ما انتهى إلينا ، وبلغه علمنا ، فإن وقع بالموافقة فبتوفيق من الله تعالى وصنعه . عزّ ذكره . وإن قصر دون ذلك فالذي قصر بنا<sup>(٣)</sup> نقصان علمنا ، وقلة حفظنا ، وأسماعنا<sup>(٤)</sup> . فأمّا حُسن [النِّيَّة<sup>(٥)</sup>] ، والذي<sup>(٦)</sup> نضمر من المحبة والاجتهاد في القربة ، فإننا لا نرجع في ذلك إلى أنفسنا بلائمة . وبين التقصير من جهة العجز وضعف القوة<sup>(٧)</sup> فرق .

ولو كان هذا الكتاب من كُتب المناقضات . وكُتب المسائل والجوابات ، وكان كلُّ صنف من هذه الأصناف يريد الاستقصاء على صاحبه . ويكون غايته إظهار نفسه وإن لم يصل إلى ذلك إلا بإظهار نقص أخيه ووليّه ، لكان كتابنا كبيراً . كثير الورق عظيماً . ولكنّ القليل الذي يجمع . خيرٌ من الكثير الذي يفرّق .

ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ، ونسأله العون والتسديد ، إنّه سميعٌ قريب ، فعّالٌ لما يريد .

(١) في الرسائل : « صلاح هذه الأمور كلها » .

(٢) ب : « ما ثبتته في نصابه » م : « ما ثبتته » فقط ، صوابهما في ط ، ميج والرسائل .

(٣) ب ، م : « فما الذي قصر بنا » ، صوابه في ط وميج والرسائل .

(٤) ميج والرسائل : « وسمعتنا » .

(٥) التكملة من ميج والرسائل . وفي م : « وأما حسن » فقط . وفي ط : « ورجم حسنه » .

(٦) ط : « الذي » بطرح الواو .

(٧) ميج والرسائل : « وضعف العزم » .

من كتابه في  
حُجَجِ النُّبُوَّةِ



## ٢٥ - فصل (١) من صدر كتابه

## في حجج النبوة

الحمد لله الذى عرفنا نفسه ، وعلمنا دينه ، وجعلنا من الدعاة إليه ،  
والمحتجيين له . فنحن نسأله تمام النعمة ، والعون على أداء شكره ، وأن  
يوفقنا للحق برحمته ، إنه ولى ذلك ، والقادر عليه ، والمرغوب إليه  
فيه ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

ثم إننا قائلون فى الأخبار ، ومخبرون عن الآثار ، ومفرقون بين  
أسباب الشبهة ، وأسباب الحجة ، ثم مفرقون بين الحجة التى تلزم  
الخاصة دون العامة ، ومخبرون عن الضرب الذى يكون الخاصة فيه  
حجة على العامة ، وعن الموضع الذى يكون القليل فيه أحق بالحجة من  
الكثير ، ولم شاع الخبر وأصله ضعيف ؟ ولم خفى وأصله قوى ؟  
وما الذى يؤمن من فساده وتبديله مع تقادم عصره ، وكثرة الطاعنين  
فيه (٢) ، وعن الحاجة إلى رواية الآثار ، وإلى سماع الأخبار ، وعن  
أخلاق الناس وآبائهم ، ومذاهب أسلافهم ، وعن سير الملوك قبلهم (٣) ،  
وما صنعت الأيام بهم ، وعن شرائع أنبيائهم ، وأعلام رسلهم ، وعن أدب  
حكماهم ، وأقاويل أئمتهم وفقهائهم ، وعن حالات من غاب عن أبصارهم  
فى دهرهم ، ولم كان الإخبار على الناس (٤) أخف من الكتمان ؟ ولم

(١) ب فقط : « فصل منب » .

(٢) كلمة « فيه » من ط فقط .

(٣) ب : « وعن سر الملوك قبلهم » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « عن الناس » .

كَانَ الصَّمْتُ أَثْقَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَلَامِ ؟ وَمَا الضَّرْبُ الَّذِي يَقْدِرُونَ عَلَى كِتْمَانِهِ وَطِيئِهِ ، وَالضَّرْبُ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَى إِذَاعَتِهِ وَنَشْرِهِ ؟ وَلَمْ اجْتَمَعَتِ الْأُمَمُ عَلَى الصَّدَقِ فِي أُمُورٍ . وَاخْتَلَفَتْ فِي غَيْرِهَا ؟ وَلَمْ حَفِظَتْ أُمُورًا وَنَسِيَتْ سِوَاهَا ؟ وَلَمْ كَانَ الصَّدَقُ أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ ؟ وَلَمْ كَانَ الصَّمْتُ أَثْقَلَ وَالْقَوْلُ أَفْضَلَ ؟

وَالْعَجَبُ مِنْ تَرْكِ الْفُقَهَاءِ تَمْيِيزَ الْآثَارِ ، وَتَرْكِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْقَوْلَ فِي تَصْحِيحِ الْأَخْبَارِ ، وَبِالْأَخْبَارِ يَعْرِفُ النَّاسُ النَّبِيَّ مِنَ الْمُتَنَبِّئِ <sup>(١)</sup> ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ ، وَبِهَا يَعْرِفُونَ الشَّرِيعَةَ مِنَ السُّنَّةِ ، وَالْفَرِيضَةَ مِنَ النَّافِلَةِ ، وَالْحَظَرَ مِنَ الْإِبَاحَةِ ، وَالْاجْتِمَاعَ مِنَ الْفُرْقَةِ . وَالشُّذُوزَ مِنَ الْإِسْتِغَاظَةِ <sup>(٢)</sup> ، وَالرَّدَّ مِنَ الْمَعَارِضَةِ ، وَالنَّارَ مِنَ الْجَنَّةِ . وَعَامَّةَ الْمَفْسَدَةِ مِنَ الْمَصْلَحَةِ <sup>(٣)</sup> .

فَإِذَا نَزَلَتْ الْأَخْبَارُ مَنَازِلَهَا وَقَسَمَتْهَا ، ذَكَرْتُ حُجَجَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَلَائِلَهُ وَشَرَائِعَهُ وَسُنَنَهُ ، ثُمَّ جَنَسْتُ الْآثَارَ عَلَى أَقْدَارِهَا ، وَرَتَّبْتُهَا فِي مَرَاتِبِهَا ، وَقَرَّبْتُ ذَلِكَ وَاخْتَصَرْتُهُ . وَأَوْضَحْتُ عَنْهُ وَبَيَّنَّنْتُهُ ، حَتَّى يَسْتَوِيَ فِي مَعْرِفَتِهَا مَنْ قَلَّ سَمَاعُهُ وَسَاءَ حِفْظُهُ . وَمَنْ كَثُرَ سَمَاعُهُ وَجَادَ حِفْظُهُ ، بِالْوُجُوهِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْأَدَلَّةِ الْإِضْطِرَاقِيَّةِ .

وَلَمْ أُرِدْ فِي هَذَا الْكِتَابِ جَمْعَ حُجَجِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَفْصِيلَهَا وَالْقَوْلَ فِيهَا ، لِنَقْضِ مَسْئَلَتِي <sup>(٤)</sup> ، أَوْ لَوْ هُنَّ كَانَ فِي أَصْلِهَا مِنْ نَاقِلِيهَا

(١) ب : « المتنبئ » بالهمز .

(٢) م فقط : « الإفاضة » .

(٣) م ، ط : « والمصلحة » .

(٤) ب : « لبغض سببها » ط : « لبغض مسألتها » م : « لبغض مسألتها » ، والوجه ما أثبت .

والمخبرين عنها ، أو لأن طعن الملحدين نهكها وفرق جماعتها ، ونقص قواها . ولكن لأمر ساذكرها وأحتج .

وكيف تقصّر الحجة عن بلوغ الغاية ، وتنقص عن التمام <sup>(١)</sup> ، والله تعالى المتوكل بها ، ومُسَخَّر أصناف البرية ومهيّج النفوس على إبلاغها <sup>(٢)</sup> ، وقد أخبر بذلك عن نفسه في محكم كتابه عزّ ذكره <sup>(٣)</sup> ، حين قال : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ <sup>(٤)</sup> . وأدنى منازل الإظهار إظهار الحجة على من ضارّه وخالف عليه .

وقال عزّ ذكره : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وأخبر أنّه أمر الأحمر والأسود ، ولم يكن ليأمر الأقصى إلّا كما يأمر الأدنى <sup>(٦)</sup> ويأمر الغائب على الحاضر <sup>(٧)</sup> ، قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : ﴿ وما أرسلناك إلّا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً ﴾ <sup>(٨)</sup> .

فأقول : إنّ كلّ مُطَبِّقٍ محجوج <sup>(٩)</sup> « والحجة حجتان : عيان ظاهر ،

(١) ب : « وينقص عن التمام » ، والوجه ما في م ، ط .

(٢) ب ، م : « عن إبلاغها » .

(٣) ب : « عن ذكره » ، تحريف .

(٤) الآية : ٣٣ من سورة التوبة . وفي الكتاب العزيز أيضاً : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً » . الآية ٢٨ من سورة الفتح .

(٥) الآية ٨ من سورة الصف .

(٦) كلمة « إلّا » ليست في جميع النسخ ، كما أن كلمة : « يكن » ساقطة من ب .

(٧) كذا في الأصول ، والوجه : « إلّا كما يأمر الحاضر » .

(٨) الآية ٢٨ من سورة سبأ .

(٩) المطبق : القادر ، والمراد المكلف . وفي ط : « منطبق » . والمنطبق : البليغ ، ولاوجه له هنا .

وخبِرَ قاهر. فإذا تكلمنا في العيان وما يفرغ منه<sup>(١)</sup> فلا بد من التعارف في أصله وفرعه منه . ولا بد من التصادق في أصله ، والتعارف في فرعه . فالعقل هو المستدل ، والعيان والخبر هما علّة الاستدلال وأصله ، ومُحال كَوْنُ الفرع مع عدم الأصل ، وكون الاستدلال<sup>(٢)</sup> مع عدم الدليل . والعقل مضمّن بالدليل ، والدليل مضمّن بالعقل ، ولا بد لكل واحد منهما من صاحبه<sup>(٣)</sup> ، وليس لإبطال أحدهما وجه مع إيجاب الآخر .

والعقل نوع واحد ، والدليل نوعان : أحدهما شاهد عيان يدل على غائب ، والآخر مجيء خبر يدل على صدق .

ثم رجع الكلام إلى الإخبار عن دلائل النبي صلى الله عليه وسلم وأعلامه ، والاحتجاج لشواهد وبرهانه ، فأقول :

إن السلف الذين جمعوا القرآن<sup>(٤)</sup> في المصاحف بعد أن كان متفرقاً في الصدور ، والذين جمعوا الناس على قراءة زيد ، بعد أن كان غيرها<sup>(٥)</sup> مطلقاً غير محظور ، والذين حصّنه ومنعوه الزيادة والنقصان لو كانوا جمعوا علامات النبي صلى الله عليه وسلم ، وبرهانه ، ودلائله وآياته وصنوف بدائعه ، وأنواع عجائبه في مقامه وظعنه<sup>(٦)</sup> ، وعند دعائه واحتجاجه في الجمع العظيم ، وبحضرة العدد الكثير الذي

(١) ب : « وما يفرغ » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « ويكون » ، صوابه في ط .

(٣) ط فقط : « من صاحب » .

(٤) ب فقط : « جعلوا القرآن » .

(٥) أى غير قراءة زيد .

(٦) الظن ، بالفتح والتحريك : السير والارتحال . ب فقط : « وطعنه » بالطاء المهملة ،

تحريف .



لا يستطيعُ الشكُّ في خبرهم إلا الغبىُّ الجاهلُ ، والعدوُّ المائِلُ ، لما استطاعَ اليومَ أن يدفعَ كَوْنَهَا وصحَّةَ مَجِيئِهَا <sup>(١)</sup> ، لا زنديقٌ جاحدٌ ، ولا دُهرىٌّ معانِدٌ ، ولا متطرِّفٌ ماجنٌ ، ولا ضعيفٌ مخدوعٌ ، ولا حدّثٌ مغرورٌ ؛ ولكان مشهوراً في عوامنا كشهرة في خواصنا ، ولكان استبصارُ جميعِ أعياننا في حقِّهم كاستبصارهم في باطلِ نصارهم ومَجوسهم ، ولما وجدَ الملحدُ مَوْضِعَ طمعٍ في غنىِّ يستميله <sup>(٢)</sup> ، وفي حدّثٍ يمّوه له <sup>(٣)</sup> .

ولولا كثرةُ ضُعفائنا مع كثرةِ الدُّخلاءِ فينا ، الذين نَطَقُوا بِأَلْسِنَتنا ، واستعانُوا بعقولنا على أغبيائنا وأغمارنا ، لما تكلفنا كَشَفَ الظَّاهِرِ ، وإظهارَ البارزِ ، والاحتجاجَ الواضحَ .

إِلَّا أَنَّ الذى دعا سلفنا إلى ذلك ، الاتِّكَالُ على ظهورها واستفاضةِ أمرها .

وإذ كان <sup>(٤)</sup> ذلك كذلك فلم يُؤْتَ من أُتِيَ من جُهلنا وأحداثنا ، وسفهائنا وخلعائنا <sup>(٥)</sup> إلا من قِبَلِ ضعفِ العناية ، وقِلَّةِ المبالاة ، ومن قِبَلِ الحداثةِ والفَرارةِ ، ومن قِبَلِ أَنَّهُمْ حملوا على عقولهم من دقيقِ الكلام قبلَ العلمِ بجليله ما لم تبلغه قُواهرهم ، وتَنَسَّعَ له صدورهم ، وتحملهُ أقدارهم ، فذهبوا عن الحقِّ <sup>(٦)</sup> يميناً وشمالاً ، لأنَّ مَنْ لم يَلْزَمْ الجادَّةَ تَخَبَّطَ ، وَمَنْ تناولَ الفرعَ قبلَ إحكامِ الأَصْلِ سَقَطَ ، ومن خَرَقَ بنفسه

(١) ب : « وصحة مجها » ، صوابه في م ، ط .

(٢) في جميع الأصول : « يستميله » . واستملاه الكتاب : سأله أن يمليه عليه . ولا وجه

له هنا .

(٣) م ، ط : « يمّوه له » .

(٤) ب ، م : « وإن كان » ، وأثبت ما في ط .

(٥) الخليج : المستتر بالشرب واللّهو ، وأصله الشاطر الخبيث الذى خلطته عشرينه وتبرهوا

منه . ط : « وخلعائنا » ، تحريف .

(٦) ط فقط : « عن الحق » ، محرف ،

وكلّفها فوق طاقتها<sup>(١)</sup> ، ولم ينلْ مالا يقدر عليه تفلّت منه ما كان يقدر عليه<sup>(٢)</sup> .

فإذا كانوا كذلك فإنّما أتوا من قبل أنفسهم ، ولم يؤتوا من سلفهم ، أو لأنّ الله تبارك وتعالى صرف أسلافنا بنسيانٍ أو غيره ليمتحن بذلك غيرهم في آخر الزمان ، وليعرضهم لطاعته بالذبّ عن دينه ، والاحتجاج لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وليجرى هذا الخير على أيديهم ، كما أجرى أكثر منه على أيدي أسلافهم ، لئلاّ يُبخس أحد خليفته<sup>(٣)</sup> من العلماء والفقهاء ، ولأنّ يجعل فضله مقسماً بين جميع الأولياء ، وإن كان الأوّل أحقّ بالتقديم ، والآخر أحقّ بالتأخير ، لئلاّ يقدّموا من الاحتمال ، وأعطوا من المجهود ، ولأنّهم أصل هذا الأمر ونحن فرعُه ، والأصل أحقّ بالقوّة من الفرع . وهم السابقون ونحن التابعون ، وهم الذين وطّئوا لنا ، وكلّفونا ما لم نكن لنكلّفه أنفسنا ، فتجرّعوا دُوننا المرار<sup>(٤)</sup> ، ومنحونا رُوح الكفاية . ولأنّ الله تعالى اختارهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولأنّ القرآن نطق بفضيلتهم ؛ والله تعالى أعلم بمن بعدهم ، والذي جمّع أسلافنا<sup>(٥)</sup> الذين جمعوا النّاس على قراءة زيد ، دون أبيّ بن كعب وعبد الله بن مسعود ، والذين رأوا من قول عبد الله في المعوذتين<sup>(٦)</sup> ، وقول أبيّ في سورتى الحفد والخلع<sup>(٧)</sup> .

(١) ب ، م : « طاقتها » .

(٢) عليه ، ساقطة من ب .

(٣) ب ، م : « لئلاّ يبخس من أحد خليفته » .

(٤) ب ، م : « للذين » ، تحريف .

(٥) المرار ، بالضم : شجر مر .

(٦) أي والله تعالى هو الذي جمع الأسلاف .

(٧) انظر في ذلك البرهان ١ : ٢٥١ والإتقان ١ : ١٨٤ . وانظر لتعليل عدم كتابته

للمعوذتين ولأم الكتاب في مصحفه ، مقدمه كتاب المبانى نشرة آرثر جفرى ص ، ٩٣ ، ٩٦ - ٩٧ .

(٨) هذا التصويب من الإتقان للسيوطي ١ : ١٨٤ . وفي جميع الأصول =

وَمِنْ تَعَلَّقِ النَّاسِ بِالْاِخْتِلَافِ ، فَكَانُوا لَا يَزَالُونَ قَدْ رَأَوْا الرَّجَلَ يَرُوى الحَرْفَ الشَّاذَّ ، وَيَقْرَأُ بِالْحَرْفِ الَّذِي لَا يَعْرِفُونَهُ ، فَرَأَوْا أَنَّ تَحْصِينَهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحَمْلِ النَّاسِ عَلَى الْمَقْرُوءِ عِنْدَهُمْ <sup>(١)</sup> ، الْمَشْهُورِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَشُدُّوا فِي ذَلِكَ لَمْ يَنْقُطِ الطَّمَعُ ، وَلَمْ يَنْزَجِرِ الطَّيْرُ <sup>(٢)</sup> ، لِأَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ لَوْ قَرَأَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ خُطْبَائِهِمْ وَبُلَغَائِهِمْ سُورَةً وَاحِدَةً ، طَوِيلَةً أَوْ قَصِيرَةً ، لِتَبَيَّنَ لَهُ فِي نِظَامِهَا وَمَخْرَجِهَا ، وَفِي لَفْظِهَا وَطَبْعِهَا ، أَنَّهُ عَاجِزٌ عَنْ مِثْلِهَا . وَلَوْ تَحَسَّدَى بِهَا أَبْلَغُ الْعَرَبِ لَظَهَرَ عَجْزُهُ عَنْهَا . وَلَيْسَ ذَلِكَ <sup>(٣)</sup> فِي الْحَرْفِ وَالْحَرْفِينَ ، وَالْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَتَيْنِ .

أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ كَانَ يَنْتَهِيًّا فِي طَبَائِعِهِمْ ، وَيَجْرِي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ أَنَّ يَقُولَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَإِنَّا لِلَّهِ ، وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، وَرَبُّنَا اللَّهُ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي الْقُرْآنِ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَتَفَرِّقٌ غَيْرَ مُجْتَمِعٍ ؛ وَلَوْ أَرَادَ أَنْطَقَ النَّاسُ أَنَّ يُؤَلَّفَ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ سُورَةٌ وَاحِدَةً ، طَوِيلَةً أَوْ قَصِيرَةً ، عَلَى نَظْمِ الْقُرْآنِ وَطَبْعِهِ ، وَتَأْلِيفِهِ وَمَخْرَجِهِ لَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وَلَوْ اسْتَعَانَ بِجَمِيعِ قَحْطَانَ وَمَعْدُّ بْنِ عَدْنَانَ .

وَرَأَوْا <sup>(٤)</sup> بِفَهْمِهِمْ وَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ أَنَّ يَحْصِنُوهُ مِمَّا يَشْكُلُ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُفْتَعَلَ مِثْلُهُ مِنَ الْحَرْفِ وَالْحَرْفِينَ ، وَالْكَلِمَةِ وَالْكَلِمَتَيْنِ ،

= : «سورتي العرب» ووجهه ما أثبت من الإتيان . وانظر النصوص فيه . وجاء في كتاب مقدمتان في علوم القرآن ص ٧٥ : «وأما ما ذكر عن أبي بن كعب أنه عد دعاء القنوت : اللهم إنا نستعينك» إلى آخره ، سورة من القرآن ، فإنه إن صح ذلك عنه فإنه كتبها في مصحفه لا على أنها من القرآن ، بل ليحفظها ولا ينساها احتياطاً ، لأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتت بها في صلاة الوتر .

(١) ب : «المكروه عندهم» م : «المكروه» فقط ، صوابهما في ط .

(٢) م فقط : «الطين» .

(٣) ذلك ، ساقطة من ب ، م .

(٤) ب فقط : «فرأوا» .

وقد كانوا عرفوا الابتداع الكثير<sup>(١)</sup> على البلغاء والشعراء ، وخافوا إن هم لم يتقدموا في ذلك أن يتطرقوا عليه . كما تطرقوا على الرواية<sup>(٢)</sup> ، لأنهم حين رأوا كثرة الرواية في غير ذوى السابقة ، ورأوا كثرة اختلافها ، والغرائب التي لا يعرفونها ، لم يكن لهم إلا تحصين الشيء الذي عليه مدار الأمر ، وإن كانوا يعلمون أن الله بالغ أمره .

فعلى الأئمة أن تحوط هذه الأمة ، كما حاط<sup>(٣)</sup> السلف أولها ، وأن يعملوا<sup>(٤)</sup> بظاهر الحيلة ، إذ كان على الناس الاجتهاد<sup>(٥)</sup> ، وليس عليهم علم الغيوب . وإنما ذلك كمنحو رجل أبصر نبياً يحيى الموتى فعرف صدقه ، فلما انصرف سأله عنه بعض من لم ير ذلك ولا صح عنه ، فعليه أن لا يكتمه ، وإن كان يعلم أن الله تعالى سيعلمه ذلك من قبل غيره ، وأنه عز ذكره سيسمعه صيحته على حبه وكرهه .

ورأوا أن قراءة زيد أحق بذلك ، إذ كانت آخر العرض ، ولأن الجمع الذين سمعوا آخر العرض أكثر ممن سمع أوله ، فحملوا الناس على قراءة زيد ، دون أبي وعبد الله ، وإن كان الكل حقاً ، إذ كان رب حق في بعض الزمان أقطع للقليل والنال ، وأجدر أن يُميت الخلاف ، ويحسم الطمع . فتركوا حقاً إلى حق العمل به أحق .

ولو أن فقيهاً رأى إطباق العلماء على صوم يوم عرفة ، واستنكارهم الإفطار فيه ، فأفطر وأظهر ذلك ليعلمهم موضع الفريضة من النافلة ،

(١) ب : « امتناع الكثير » ، م : « المبتاع الكثير » وأثبت ما في ط .

(٢) المتطرف : الذي لا يثبت على أمر . وفي الأصول : « أن يتطرقوا عليه كما تطرقوا على الرواية » ، مع سقوط « على الرواية » من م . والصواب ما أثبت .

(٣) ب ، م : « أحاط » .

(٤) ب ، م : « وأن يعمل » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « إذا كان » . وكلمة « على » ساقطة من ب .

أو خاف أن يلحق الفرض على تطاول الأيام ما ليس فيه - كان مصيباً ، وكان قد ترك حقاً إلى أحق منه .

وللحق درجات ، وللخلاف درجات ، وللحرام درجات . ألا ترى أن لولى المقتول أن يقتل ويصفح ، وأنه إن قتل قتل بحق ، وإن صفح صفح بحق ، والصفح أفضل من القتل .

ولو أن رجلاً أخرج ساكناً بيتاً له <sup>(١)</sup> ، أو اقتضى ديناً له ساعة محلّه <sup>(٢)</sup> ، أو طلق زوجته وما دخل بها <sup>(٣)</sup> - لكان ذلك له ، ولحق فعل <sup>(٤)</sup> . وغير ذلك الحق أولى به .

وكيف لا يكون أولى به وهو أحسن ، والثواب فيه أعظم ، وإلى سلامة الصدر أقرب .

وقد يكون الأمران حسنين ، وأحدهما أحسن . وقد يكون الأمران قبيحين ، وأحدهما أقبح .

وبعد ، فعلى الناس طاعة الأئمة في كل ما أمرُوا به ، إلا فيما تبين أنه معصية . فأمّا غير ذلك فإنه واجب مفروض ، ولازم غير مرفوع .

وعلمُوا أيضاً أنهم لا يبقون إلى آخر الزمان ، وأن من يجيء بعدهم لا يقوم مقامهم ، ولا يفصل الأمور تفصيلهم . ولو عرفوا كمعرفتهم ، وأرادوا ذلك كإرادتهم ، لما أطيعوا كطاعتهم .

وعلموا أن الأكاذيب والبدع ستكثر ، وأن الفتن ستفتح ، وأن

(١) بيتاً ، ساقطة من ب ، م .

(٢) ب ، م : « واقتضى » . ومحل الدين : وقت حلول أدائه . وفي ط : « عند حلول أجله »

(٣) ب ، م : « ولما دخل بها » ووجه هذه : « ولما يدخل بها » .

(٤) ب ، م : « ولحق فعله »

الفساد سيفشوا ، فكرهوا أَنْ يجعلوا للمتطرفين علة<sup>(١)</sup> ، ولأهل الزَّيغ حجة .

بل لا شك<sup>(٢)</sup> أَنَّهُمْ لو تركوا الناس عامةً يقرءون على حرفِ فلانٍ وكلِّ ما أجاز فيه فلانٌ عن فلان ، لآلحق قومٌ في آخر الزَّمان بهم ما ليس منهم ، ولا يجرى مجراهم ، ولا يجوز مجازهم .

## ٢٦ - فصل منه في الاحتجاج للجمع

### على قراءة زيد

ولو كان زيد من آل أبي العاص ، أو من عرض بني أمية ، لوجد ابن مسعود متعلقاً .

ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد إلى القول سبيلاً .

ولو كان ابن مسعود رجلاً من بني هاشم لوجد للطعن موضعاً .

ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه استبدَّ بذلك الرأى على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وسعدٍ وظلحة والزبير رحمهم الله ، وجميع المهاجرين والأنصار ، لوجد للتهمة مساعداً .

فأما والأمر كما وصفنا ونزلنا ، فما الطاعن على عثمان إلا رجلٌ أخطأ خطئة الحق<sup>(٣)</sup> ، وعجل على صاحبه . ولكل بني آدم من الخطأ نصيب ، والله عز ذكره يغفر له ويرحمه .

(١) في جميع الأصول : « للمتطرفين » . وانظر ما سبق في حواشى ٢٣٠ .

(٢) ب : « بل شك » ، صوابه في م ، ط .

(٣) ب ، م : « أخطأ خطه » مع سقوط كلمة « الحق » ، والصواب في ط .

والذى يخطئُ عثمان في ذلك فقد خطأَ علياً وعبدَ الرحمن وسعداً ،  
والزبيرَ وطَلحة ، وعليه الصحابة (١) .

ولو لم يكن ذلك رأىً على لغيره ، ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ،  
ولو لم يمكنه في زمن عثمان لأمكنه في زمن نفسه ، وكان لا أقل من  
إظهار الحجة إن لم يملك تحويل الأمة ، وكان لا أقل من التجربة  
إن لم يكن من النجاح على ثقة ، بل لم يكن لعثمان في ذلك ما لم يكن  
لجميع الصحابة ، وأهل القدام والقُدوة . ومع أن الوجه فيما صنعوا واضح ،  
بل لا نجد لما صنعوا وجهاً غير الإصابة والاحتياط ، والإشفاق والنظر  
للعواقب ، وحسن طعن الطاعن .

ولو لم يكن ما صنعوا لله تعالى فيه رضا (٢) لما اجتمع عليه أول  
هذه أول الأمة وآخرها . وإن أمراً اجتمعت عليه المعتزلة والشيعة ،  
والخوارج والمرجئة ، لظاهر الصواب ، واضح البرهان ، على اختلاف  
أهوائهم ، وبغيتهم لكل ما ورد عليهم .

فإن قال قائل : هذه الروافض بأسرها تأبى ذلك وتنكره ، وتطعن  
فيه ، وترى تغييره (٣) .

قلنا : إن الروافض ليست مِنَّا بسبيل ، لأن من كان أذانه غير  
أذناننا ، وصلاته غير صلاتنا ، وطلاقه غير طلاقنا ، وعقده غير عقبتنا ،  
وحجته غير حجبتنا ، وفقهاؤه غير فقهاءنا (٤) وإمامه غير إمامنا ،

(١) ط : « وما عليه الصحابة » .

(٢) م فقط : فيها صنعوا « مع سقوط كلمة « فيه » من ب ، م . وأثبت ما في ط .

(٣) ب ، م : « لغيره » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) غير فقهاءنا ، ساقط من ب ، م .

وقراءته غير قراءتنا ، وحلاله غير حلالنا ، وحرامه غير حرامنا ، فلا نحن منه ولا هو منّا<sup>(١)</sup> .

ولأى شئٍ حامت<sup>(٢)</sup> عن قراءة ابن مسعود ، فو الله ما كان أحدٌ أفرطَ في العمريّة منه ، ولا أشدَّ على الشيعة منه ، ولقد بلغ من حبه لعمر رضى الله عنه أن قال : لقد خشيت الله تعالى في حبى لعمر . فلم يُحامون عنه وهو كان شجاهم<sup>(٣)</sup> لو أدركهم .

## ٢٧ - فصل منه

فآمن الله رجلاً فارقههم ولزم الجماعة ، فإنَّ فيها الأنسة والحجة<sup>(٤)</sup> ، وترك الفرقة فإنَّ فيها الوحشة والشبهة . والحمد لله الذى جعلنا لا نفرق بين أئمتنا ، كما جعلنا لا نفرق بين أنبيائنا .

## ٢٨ - فصل منه

والذى دعانا إلى تأليف حُججِ الرُّسولِ ونظُمها ، وجمعَ وجوهها وتلوينها - أنَّها متى كانت مجموعةً منظومةً ، نشطَ لحفظها وتفهمها مَنْ كان عسى أن لا ينشطَ لجمعها ، ولا يقدرَ على نظمها ، وجمع متفرِّقها ، وعلى اللَّفظ المؤثر عنها<sup>(٥)</sup> ، ومَنْ كان عسى أن لا يعرف وجهَ مطلبها ، والوقوعَ عليها .

(١) ب ، م : « ولا نحن منه ولا هو منّا » ، صوابه في ط .

(٢) في جميع الأصول : « جانب » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سياتى .

(٣) أصل الشجا : ما يعترض في خلق الإنسان والداية من عظم أو عود أو غيرها ، ومنه

قول سويد بن أبي كاهل في المفضليات ١٩٨ :

ويرانى كالشجا في خلقه عسراً مخرجه ما ينزع

وفى م فقط : « سخاهم » تحريف .

(٤) الأنس ، بالضم ، والأنسة ، بالتحريك : الطمأنينة . ط فقط : « الأنس » .

(٥) كذا في جميع النسخ . وأراها « المأثور عنها » . يقال أثر الحديث أثراً : نقله ورواه

عن غيره ، فهو مأثور .



ولعلَّ بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها .

ولعلَّ بعضهم وإن كان قد عَرَفَهَا بِحَقِّهَا وَصَدَّقَهَا فلم يعرفها من أسهل طرقها ، وأقرب وجوها .

ولعلَّ بعضهم أن يكون قد عَرَفَ فنسَى ، أو تهاون بها فعَمِيَ ، بل لا نشكُّ أنَّها إذا كانت مجموعة محبَّرة<sup>(١)</sup> ، مستقصاة مفصلة ، أنَّها ستزِيد<sup>(٢)</sup> في بصيرة العالم ، وتَجْمَعُ الكلَّ لمن كان لا يعرف إلاَّ البعض ، وتذكر النَّاسِيَّ ، وتكون عُدَّةً على الطاعن<sup>(٣)</sup> .

ولعلَّ بعض من ألحد في دينه ، وعمى عن رُشدِه ، وأخطأ موضعَ حظِّه<sup>(٤)</sup> أن يدعوهُ العُجْبُ بنفسه ، والثَّقة بما عنده ، إلى أن يلتبس قراءتها ، ليتقدَّم<sup>(٥)</sup> في نقضها وإفسادها ، فإذا قرأها فهمها ، وإذا فهمها انتبه من رقدته<sup>(٦)</sup> ، وأفاق من سكرته<sup>(٧)</sup> ، لعزُّ الحقِّ ، وذُلُّ الباطل ، ولاِشراق الحجَّة على الشُّبهة<sup>(٨)</sup> ، ولأنَّ من تفرد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجائاه<sup>(٩)</sup> ، لأنَّ الإنسان لا يُباهى بنفسه<sup>(١٠)</sup> ،

(١) من تحرير الخط والشعر ونحوهما ، أى تحسينه ، ب ، م : « بخيرة » صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « سيزيد » ، صوابه في ط .

(٣) في جميع الأصول : « ويجمع » و « يذكر » و « يكون » ، صوابها كلها بالناء كما أثبت .

(٤) ب فقط : « خطه » ، تحريف .

(٥) ب ، م : « ليقدم » ، صوابه في ط .

(٦) م فقط : « فإذا قرأها وفهمها انتبه من رقدته » .

(٧) ب ، م : « عن سكرته » .

(٨) ب فقط : « ولاِشراق » بالقاف .

(٩) المجاثاة : أن يجلس مع خصمه على ركبتيه لخصومة . وفي الليان والتبيين ٣ : ٦ : « وبالأرجاز عند المتح وعند مجاثاة الخصم » . وفي ب ، م : « وحائاه » ، وفي ط : « وجافاه » صوابهما ما أثبت .

(١٠) ب ، م : « نفسه » ، صوابه في ط .

والحقُّ بعدُ قاهرٌ له . ومع التَّلاقِي يحدث التَّبَاهِي ، وفي المحافل يقلُّ الخُضوع ، ويشتدُّ النُّزوع .

ثمَّ رَجَعَ الكلامُ إلى حاجة النَّاسِ إلى استماع الأخبار ، والتفقه في تصحيح الآثار ، فأقول : إِنَّ النَّاسَ لو استغنَوْا عن التَّكْرِيرِ <sup>(١)</sup> ، وكُفُّوا مَثَوْنَةَ البَحْثِ والتَّنْقِيرِ <sup>(٢)</sup> لَقَلَّ اعتبارُهُمْ <sup>(٣)</sup> . ومن قَلَّ اعتباره قَلَّ عِلْمُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عِلْمُهُ قَلَّ فَضْلُهُ ، ومن قَلَّ فَضْلُهُ كَثُرَ نَقْصُهُ ، ومن قَلَّ عِلْمُهُ وَفَضْلُهُ وَكَثُرَ نَقْصُهُ لم يُحَمَّدْ على خَيْرٍ أَتَاه ، ولم يُذَمَّ على شَرٍّ جَنَاه ، ولم يَجِدْ طَعْمَ الْعِزِّ ، ولا سُرورَ الظَّفَرِ ، ولا رَوْحَ الرَّجَاءِ ، ولا بَرْدَ الْيَقِينِ ، ولا راحةَ الْأَمْنِ .

وكيف يُشْكِر من لا يقصد ، وكيف يُلَام من لا يتعمد ، وكيف يُقْصَد من لا يعلم . وما عسى أَنْ يَبْلُغَ قَدْرُ سُرورٍ من لا يحسن من السُّرورِ إِلَّا ما سُرَّ به حَوَاسُهُ <sup>(٤)</sup> وَمَسَّ جِلْدُهُ <sup>(٥)</sup> .

وكيف يَأْتِي أَرْبَحَ الْأَفْعَالِ ، وَأَبْعَدَ الشَّرِّينِ من رَكْبٍ في شِراةِ السَّبَاعِ <sup>(٦)</sup> وَغَبَاوَةِ الْبَهَائِمِ ، ثمَّ <sup>(٧)</sup> لم يُعْطِ الْآلَةَ الَّتِي بها يستطيع التَّفْرِيقَ <sup>(٨)</sup> بين ما عليه وله ، والعِلْمَ بِمَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ ، فيَقْوَى بها على عَصِيَانِ طَبَائِعِهِ ، وَمُخَالَفَةِ شَهَوَاتِهِ ، وبها يعرف عَوَاقِبَ الْأُمُورِ ، وما تَأْتِي به

(١) في جميع الأصول : « قد استغنوا عن التكرير » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ب فقط : « وكفوا عن مَثَوْنَةِ البَحْثِ والتَّنْقِيرِ » .

(٣) ب ، ط : « لقلّة اعتبارهم » ، صوابه في م .

(٤) ب ، م : « وحواسه » ، والوجه حذف الواو كما في ط .

(٥) ب فقط : « ومس جلده » .

(٦) ب ، م : « من ركب في شِراة السباع » ، ط : « من ركب شِراة السباع »

صوابهما ما أثبت .

(٧) ثم ، ساقطة من ب .

(٨) ب ، م : « تفرقة » .

الدَّهْوَرُ<sup>(١)</sup> ، وَفَضْلُ<sup>(٢)</sup> لَذَّةِ الْقَلْبِ عَلَى لَذَّةِ الْبَدَنِ .

وَإِنَّ سُرُورَ الْجَاهِلِ لَا يَحْسُنُ فِي جَنْبِ سُرُورِ الْعَالَمِ ، وَإِنَّ لَذَّةَ الْبِهَائِمِ لَا تَعُشُرُ<sup>(٣)</sup> لَذَّةَ الْحَكِيمِ الْعَالِمِ .

وَأَيُّ سُرُورٍ كَسُرُورِ الْعِزِّ وَالرِّيَاسَةِ ، وَاتِّسَاعِ الْمَعْرِفَةِ ، وَكَثْرَةِ صَوَابِ الرَّأْيِ ، وَالتَّجَحُّجِ الَّذِي لَا سَبَبَ لَهُ إِلَّا حُسْنُ النَّظَرِ وَالتَّقَدُّمُ<sup>(٤)</sup> فِي التَّدْبِيرِ ، ثُمَّ الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، وَأَنَّكَ بَعْرُضٌ وَلَا يَتِيهِ وَالْجَاهِ عِنْدَهُ ، وَأَنَّهُ الَّذِي يَرْعَاكَ وَيَكْفِيكَ ، وَأَنَّكَ إِذَا عَمِلْتَ الْيَسِيرَ<sup>(٥)</sup> أَعْطَاكَ الْكَثِيرَ ، وَمَتَى تَرَكْتَ لَهُ الْفَائِئِ أَعْطَاكَ الْبَاقِي ، وَمَتَى أَدْبَرْتَ عَنْهُ دَعَاكَ ، وَمَتَى رَجَعْتَ إِلَيْهِ اجْتَبَاكَ ، وَيَحْمَدُكَ عَلَى حَقِّكَ ، وَيُعْطِيكَ عَلَى نَظَرِكَ ، لِنَفْسِكَ وَلَا يُفْنِيكَ إِلَّا لِيُبْقِيَكَ<sup>(٦)</sup> ، وَلَا يُمِيتُكَ إِلَّا لِيُحْيِيكَ ، وَلَا يَمْنَعُكَ إِلَّا لِيُعْطِيكَ . وَأَنَّهُ الْمُبْتَدِئُ بِالنِّعْمَةِ قَبْلَ السُّؤَالِ ، وَالنَّازِلُ لَكَ فِي كُلِّ حَالٍ .

وَهَذَا كُلُّهُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِغَرِيزَةِ الْعَقْلِ . عَلَى أَنَّ الْغَرِيزَةَ لَا تَنَالُ ذَلِكَ بِنَفْسِهَا ، بَمَا بَاشَرَتْهُ حَوَاسُّهَا ، دُونَ النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ ، وَالْبَحْثِ وَالتَّصَفُّحِ .

وَلَنْ يَنْظُرَ نَازِرٌ وَلَا يَفْكُرَ مَفَكِّرٌ<sup>(٧)</sup> دُونَ الْحَاجَةِ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى

(١) ب : « وما يأتي به الدهور » .

(٢) الفضل : الزيادة . وفي ب ، م : « وفضلة » ، وإنما الفضلة والفضالة : البقية من الشيء ، فالوجه ما أثبت من ط .

(٣) تعشرها : تبلغ عشرها . ب ، م : « لا يعشر » ، صوابه ما أثبت . وفي ط : « لاتعادل » .

(٤) في جميع الأصول : « والتقديم » .

(٥) ب : « علمت اليسير » .

(٦) ب ، ط : « ولا يفنيك » ، وأثبت ما في م . وفي جميع الأصول : « إلا ليقيك » . والمراد بالإبقاء هنا الإبقاء الأبدي في الآخرة .

(٧) ب : « ولم ينظرنا ولا فكر مفكر » ، صوابه في م ، ط .

الفكرة<sup>(١)</sup> ، وعلى طلب الحيلة . ولذلك وضع الله تعالى في الإنسان طبيعة الغضب ، وطبيعة الرضا ، وطبيعة البخل والسخاء ، والعجز والصبر ، والرياء والإخلاص ، والكبر والتواضع ، والسخط والقناعة ، فجعلها عروفاً . ولن تفي<sup>(٢)</sup> قوة غريزة العقل بجميع<sup>(٣)</sup> قوى طبائعه وشهواته ، حتى يقيم ما اعوج منها<sup>(٤)</sup> ، ويسكن ما تحرك ، دون النظر الطويل الذي يشدها ، والبحث الشديد الذي يشحذها ، والتجارب التي تحنكها<sup>(٥)</sup> ، والفوائد التي تزيد فيها<sup>(٦)</sup> . ولن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر<sup>(٧)</sup> ، ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج<sup>(٨)</sup> ، ولن تبعد<sup>(٩)</sup> الرؤية إلا لبعد الغاية وشدة الحاجة .

ولو أن الناس تركوا وقدر قوَى غرائزهم<sup>(١٠)</sup> ، ولم يهاجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكير في معاشهم ، وعواقب أمورهم ، وألجئوا إلى قدر خواطرهم التي تولدها مباشرة حواسهم ، دون أن يسمعهم الله تعالى خواطر الأولين ، وأدب السلف المتقدمين ، وكُتِبَ رب العالمين ، لما أدركوا من العلم إلا اليسير<sup>(١١)</sup> ، ولما ميزوا من الأمور إلا القليل .

(١) ب فقط : « على الفكر » .

(٢) ب فقط : « ولم يف » ، تحريف .

(٣) يقال هذا الشيء لا يفي بذلك ، أى يقصر عنه ولا يوازيه . وفى جميع النسخ :

« لجميع » ، والصواب ما أثبت .

(٤) ب ، م : « ماعدا منها » ، صوابه فى ط .

(٥) يقال حنكته التجارب : حنكا ، بالفتح ، وحنكاً بالتحريك ، وأحنكته وحنكته

تحنيكاً ، واحتنكته : أى هذبته وأحكته . ب : « الذى يحنكها » م : « التى يحنكها » ، صوابهما فى ط .

(٦) ب ، م : « التى يزيد فيها » ، صوابها فى ط .

(٧) ب ، م : « يكثر الخواطر » ، وأثبت ما فى ط .

(٨) ب : « ولم يكثر » صوابه فى م ، ط ، وفى ب ، م : « حتى يكثر الحوائج » ، وأثبت ما فى ط .

(٩) ب : « ولن يبعد » صوابه فى م ، ط .

(١٠) م : « تركوا قدر قوَى غرائزهم » .

(١١) ب : « الستر » م : « التستر » ، صوابهما ط .

ولولا أَنَّ الله تعالى أراد تشریف العالم وتربيته<sup>(١)</sup> ، وتسويد العاقل ورفع قدره ، وَأَنْ يجعله حكيماً ، وبالعواقب عليمًا ، لما سخر له كلَّ شئٍ ، ولم يسخره لشيءٍ ، ولما طبعه الطبع الذى يجىء منه أريبٌ حكيم ، وعالمٌ حليم .

كما أَنَّهُ عزَّ ذكره لو أراد أَنْ يكون الطفل عاقلاً ، والمجنون عالماً ، لطبعهم طبع العاقل ، ولسواهم تسوية العالم ، كما أراد أَنْ يكون السبع وثاباً ، والحديد قاطعاً ، والسم قاتلاً ، والغذاء مقيماً ؛ فكذلك أراد<sup>(٢)</sup> أَنْ يكون المطبوع على المعرفة عالماً ، والمهيأ للحكمة حكيمًا ، وذو الدليل مستدلاً ، وذو النعمة مستنفعاً بها<sup>(٣)</sup> .

فلما علم الله تبارك وتعالى أَنَّ الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم ، دون أَنْ يردَّ عليهم آداب المرسلين ، وكُتب الأولين ، والأخبار عن القرون ، والجبابرة الماضين - طبع كلَّ قرنٍ من الناس على أخبار من يليه ، ووضع القرن الثانى دليلاً يُعلم به صدق خبر الأول ؛ لأنَّ كثرة السماع للأخبار العجيبة ، والمعاني الغريبة ، مشحذة للأذهان ، ومادة للقلوب ، وسبب للتفكير ، وعلة للتنقيير<sup>(٤)</sup> عن الأمور .

وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكيراً ، وأكثرهم تفكيراً أكثرهم علماً ، وأكثرهم علماً أرجحهم عملاً . كما أَنَّ أكثر البصراء رؤيةً للأعاجيب أكثرهم تجارب<sup>(٥)</sup> ، ولذلك

(١) ب ، م : « وتربيته » .

(٢) أراد ، من ط فقط .

(٣) ب ، م : « والدليل مستدلاً والنعمة مستنفعاً بها » ، صوابه فى ط .

(٤) ب ، م : « للتبقيير » ، صوابه فى ط .

(٥) فى جميع الأصول : « تجارباً » ، والصواب ما أثبت .

صار البصير أكثر خواطر<sup>(١)</sup> من الأعمى ، وصار السميع البصير أكثر خواطر من البصير .

وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة ، وعلى قدر ضعف الحاجة يكون السكون ، كما أنَّ الرَّاجِيَ والخائف دائبان ، والآيس والآمن وادعان .

وإذا كان<sup>(٢)</sup> الله تعالى لم يَخْلُقْ عباده في طبع عيسى بن مريم ، ويحيى بن زكريا ، وآدم أبي البشر ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وَخَلَقَهُمْ منقوصين<sup>(٣)</sup> ، وعن درك مصالحتهم عاجزين ، وأراد منهم العبادة ، وكلفهم الطاقة<sup>(٤)</sup> ، وترك العنان<sup>(٥)</sup> للأمل البعيد ، وأرسل إليهم رسله ، وبعث فيهم أنبياءه ، وقال : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾<sup>(٦)</sup> ، ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله<sup>(٧)</sup> عليهم السلام ، ولا أحضرهم عجائب أنبيائه<sup>(٨)</sup> ، ولا أسمعهم احتجاجهم ، ولا أراهم تدبيرهم - لم يكن بد من أن يُطْلِع<sup>(٩)</sup> المعانين على أخبار الغائبين ، وأن يسخر أسما<sup>(١٠)</sup> الغائبين لأخبار المعاندين ، وأن يخالف بين طبائع

(١) ب ، م : « خواطرا » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط .

(٢) ب : « وإن كان » ، تحريف .

(٣) ط فقط : « ناقصتين » .

(٤) كذا في جميع النسخ . والمراد : ما يطيقون . لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

(٥) العنان : السير أو الحبل الذي تمسك به الدابة . وإطلاق العنان هنا كناية عن اتساع مدى

الأمل . وفي جميع الأصول : « العيان » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٧) ب ، م : « وحجج رسله » ، صوابه في ط .

(٨) ب : « ولا أخبر » م : « ولا أخضر » ، صوابهما في ط .

(٩) ب ، م : « يطعم » ، وجهه في ط .

(١٠) ب ، م : « يسحر » ، صوابه في ط .

المُخْبِرِينَ ، وَعَلَى النَّاqِلِينَ <sup>(١)</sup> ، لِيَدُلَّ السَّامِعِينَ ، وَمَنْ يَجِيبُ مِنَ النَّاسِ <sup>(٢)</sup> .

على أَنَّ العددَ الكثيرَ المختلفى العلل ، المتضادى الأسباب ، المتفاوتى الهمم ، لا يَتَّفِقُونَ على تَخْرُصِ الخبرِ فى المعنى الواحد <sup>(٣)</sup> ، وكما لا يَتَّفِقُونَ على الخبر الواحد على غير التَّلَاقى والتراسلِ إِلَّا وهو حقٌّ . فكذلك <sup>(٤)</sup> لا يمكن مثلهم فى مثل عللهم التَّلَاقى عليه ، والتراسلُ فيه . ولو كان تلافيهم ممكناً . وتراسلهم جائزاً لظهر ذلك وفشا ، واستفاضَ وبدا .

ولو كان ذلك أيضاً ممكناً ، وكان قولاً متوهماً لبطلتِ الحُجَّةُ ، ولُنَقِضَتِ العادة <sup>(٥)</sup> ، وَلَفَسَدَتِ العبرة ، ولعادتِ النَّفْسُ بعلَّةِ الإخبارِ جاهلة ، ولكان للناس <sup>(٦)</sup> على الله أكبرُ الحُجَّةِ . وقد قال الله جل وعز : ﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، إِذْ كَلَّفَهُمْ <sup>(٨)</sup> طَاعَةَ رُسُلِهِ ، وتصدقَ أنبيائه ورسله وكتبه <sup>(٩)</sup> ، والإيمانَ بجنَّته وناره ، ولم يضعْ لهم دليلاً على صدق الأخبار ، وامتناع الغلط فى الآثار ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(١) ب إلفقط : « وعلى الناقلين » ، تحريف .

(٢) ط فقط : « ومن يجيب » .

(٣) التخرص ، المراد به الحزر والتقدير والفهم . وسيأتى فى ٢٤٨ س ١٢ : « لا يَتَّفِقُونَ على تخرص الخبر الواحد فى المعنى الواحد فى الزمن الواحد » .

(٤) ب ، م : « فلذلك » ، صوابه فى ط .

(٥) ب ، م : « ولانقضت » ، تحريف .

(٦) ب : « الناس » ، محرفة .

(٧) من الآية ١٦٥ من سورة النساء .

(٨) ط : « إِذْ كَلَّفَهُمْ » .

(٩) ب : « أنبيائه وكتبه » م : « أنبيائه ورسله » ، وأثبت النص كاملاً من ط .

(١٦ - رسائل الجاحظ)

واعلم أنَّ الله تعالى إنما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ، ولم يحبَّ أن يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم ؛ لأنَّ الناس لو لم يكونوا مسخرين بالأسباب المختلفة ، وكانوا مجبرين<sup>(١)</sup> في الأمور المتفقة والمختلفة ، لجاز أن يختاروا بأجمعهم التجارة والصناعة ، ولجاز أن يطلبوا بأجمعهم الملك والسياسة<sup>(٢)</sup> . وفي هذا ذهابُ العيش ، وبُطلان المصلحة ، والبوار والتواء<sup>(٣)</sup> .

ولو لم يكونوا مسخرين بالأسباب ، مُرتهنين بالعِلل لرغبوا عن الحِجامة أجمعين . والبيطرة ، والقِصابة ، والدِّباجة . ولكن لكلِّ صنفٍ من الناس مُزِينٌ عندهم ما هم فيه ، ومُسَهِّلٌ ذلك عليهم . فالحائك إذا رأى تقصيراً من صاحبه أو سوءَ حِذْقٍ أو خرقاً<sup>(٤)</sup> قال له : يا حِجَّام ! والحِجَّام إذا رأى تقصيراً من صاحبه قال له : يا حائك ! ولذلك لم يُجمعوا على إسلام أبنائهم في غير الحِياكة والحِجامة ، والبيطرة والقِصابة .

ولولا أنَّ الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سبباً للاتِّفاق والائتلاف ، لما جعل واحداً قصيراً والآخر طويلاً ، وواحداً حسناً وآخر قبيحاً ، وواحداً غنياً وآخر فقيراً<sup>(٥)</sup> ، وواحداً عاقلاً وآخر مجنوناً ، وواحداً ذكياً وآخر غيبياً . ولكن خالف بينهم ليختبرهم ، وبالاختبار يُطيعون ، وبالطاعة يسعدون . ففرق بينهم ليجمعهم ، وأحبَّ أن يجمعهم على

(١) ب فقط : « مجبرين » تحريف .

(٢) ط : « لجاز أن يختاروا بأجمعهم الملك والسياسة » بسقوط ما قبل « بأجمعهم » الثانية .

(٣) التوى ، مقصور : الهلاك ، كما في اللسان والقاموس . وفي ب : « التواء » ،

وفي م ، ط : « التواء » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) الخرق ، بالضم ، وبالتحريك : ضد الرفق ، وأن لا يحسن الرجل العمل .

(٥) ب ، م : « والآخر فقيراً » .



الطاعة ليجمهم على المَثُوبَةِ . فسبحانه وتعالى ، ما أحسن ما أبلى وأوَّى ،  
وأحكم ما صنع ، وأتقن ما دبّر ! لَأَنَّ الناس لو رغبوا كلُّهم عن عار  
الحياكة <sup>(١)</sup> لبقينا عُرَاءَ . ولو رغبوا بآجمعهم عن كدِّ البناء لبقينا  
بالعُرَاءَ . ولو رغبوا عن الفِلاحة لذهبت الأَقْوات ، ولَبَطَلُ أَصْلُ المعاش .  
فسخرهم على غير إكراه ، ورغَّبهم من غير دعاء .

ولولا اختلافُ طبائعِ الناس وعِلَلهم لما اختاروا من الأشياءِ إِلَّا  
أَحْسَنها ، ومن البلادِ إِلَّا أَعَدَلَهَا ، ومن الأمصارِ إِلَّا أَوْسَطَهَا . ولو كانوا  
كذلك لتناجَرُوا على طلبِ الأَواسطِ <sup>(٢)</sup> ، وتشاجَرُوا على البلادِ العُلْيَا ،  
ولمَّا وَسِعَهُمْ بِلَدٌ ، ولمَّا تَمَّ بينهم صُلح . فقد صار بهم التَّسخيرُ إلى غايةِ  
القناعة .

وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حَوَّلْتَ ساكني الآجامِ إلى الفياضِ ،  
وساكني السَّهْلِ إلى الجبالِ ، وساكني الجبالِ إلى البحارِ ، وساكني  
الوَبَرِ إلى المدَرِّ ، لأَذاب قلوبهم الهمَّ ، ولَأَتَى عليهم فَرطُ النِّزاعِ .  
وقد قيل <sup>(٣)</sup> : « عَمَّرَ اللهُ البُلدانَ بِحُبِّ الأَوطانِ » .

وقال عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ رحمه الله تعالى : « ليس الناسُ بشيءٍ من  
أقسامهم أَقْنَعَ منهم بأَوطانهم » .

وقال معاويةُ في قومٍ من اليمنِ رَجَعُوا إلى بلادهم بعد أن أَنزَلهم من

(١) ب فقط : « لو غربوا » تحريف . وفي ب ، م : « من عار الحياكة » ، صوابه  
في ط .

(٢) في اللسان : « تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا في ذلك » . ب ، ط :  
« طلب الواسط » ، وأثبت ما في م .

(٣) وكذا في الحيوان ٣ : ٢٢٧ . ونسب القول إلى عمر رضى الله عنه في رسالة الخنيزر  
إلى الأوطان . انظر رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩

الشام منزلاً خصباً ، وفرض لهم في شرف العطاء<sup>(١)</sup> : « يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم » .

وقال الله جلّ وعز : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup> . فقرن الضنّ بالأوطان إلى الضنّ بمهج النفوس<sup>(٣)</sup> .

وليس على ظهرها إنسانٌ إلا وهو مُعجبٌ بعقله ، لا يسره أن له بجميع ما له ما لغيره ، ولولا ذلك لماتوا كمداً ، ولذأبوا حسداً ، ولكن كلُّ إنسان وإن كان يرى أنه حاسد في شيء فهو يرى أنه محسود في شيء .

ولولا اختلاف الأسباب لتنازعوا بلدةً واحدةً ، واسماً واحداً ، وكُنيةً واحدةً . فقد صاروا كما ترى مع اختيار الأشياء المختلفة<sup>(٤)</sup> إلى الأسماء القبيحة ، والألقاب السمجة<sup>(٥)</sup> . والأسماء مبذولةً ، والصناعات مُباحةً ، والمتاجر مُطلقةً ، ووجوه الطرق مُخلّاة<sup>(٦)</sup> ، ولكنها مُطلقة في الظاهر ، مقسمة في الباطن ، وإن كانوا لا يشعرون بالذي دبر الحكيم من ذلك ، ولا بالمصلحة فيه .

فسبحان من حَبَّبَ إلى واحدٍ أن يسمي ابنه محمداً ، وحَبَّبَ إلى آخر أن يسميه شيطاناً<sup>(٧)</sup> ، وحَبَّبَ إلى آخر أن يسميه عبد الله ، وحَبَّبَ

(١) ب ، م : « في شوف العطاء » ، ط : « في شون العطاء » . والوجه ما أثبت .

(٢) من الآية ٦٦ من سورة النساء .

(٣) ب ، م : « الظن » في الموضعين ، صوابه في ط .

(٤) كلمة « الأشياء » من ط فقط . وفي م : « مع اختبار مختلفة » . وصواب الكلام في ط .

(٥) السمج ، بالفتح ، وككتف : القبيح . ب فقط : « السمحة » تحريف .

(٦) ب : « مُخلّاة » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب ، م : « شيطان » .

إلى آخر أن يسميه حماراً<sup>(١)</sup> ، لأنَّ الناس لو لم يُخالف بين عللهم في اختيار الأسماء والكنى ، جاز<sup>(٢)</sup> أن يجتمعوا على شيء واحد ، وكان<sup>(٣)</sup> في ذلك بطلان العلامات ، وفساد المعاملات .

وأنت إذا رأيت ألوانهم وشمائلهم واختلاف صورهم ، سمعت لغاتهم ونغمهم<sup>(٤)</sup> علمت أن طبائعهم وعللهم المحجوبة الباطنة ، على حسب أمورهم الظاهرة .

وبعض الناس وإن كان مسخراً للحياكة<sup>(٥)</sup> فليس بمسخر للفسق والخيانة<sup>(٦)</sup> ، وللاحكام<sup>(٧)</sup> والصدق والأمانة .

وقد يسخر الله الملك<sup>(٨)</sup> لقوم بأسباب قديمة وأسباب حديثة ، فلا يزال ذلك الملك مقصوراً عليهم ، ما دامت تلك الأسباب قائمة ، إذا كانوا للملك مسخرين<sup>(٩)</sup> ، وكان الناس لهم مسخرين ، بالجبرية<sup>(١٠)</sup> والنخوة ، والفظاظة والقسوة ، ولطول الاحتجاب والاستتار ، وسوء اللقاء والتضييع .

(١) ب فقط : « خمار » . ومن سمى به « معقر بن حمار البارقي » ، ومن لقب بذلك « مروان الحار » .

(٢) ط : « وجاز » بزيادة واو .

(٣) ط : « كان » بدون واو .

(٤) م : « ونغماتهم » .

(٥) ب : « وإن كانوا مسخراً للحياكة » ط : « وإن كانوا مسخرين للحياكة » . والوجه ما أثبت من م .

(٦) ب : « للتفسيق والخيانة » .

(٧) ب ، ط : « والأحكام » .

(٨) ط : « يسخر الملك » ب ، م : « يسخر الملة الملك » ووجه هذه الأخيرة ما أثبت .

(٩) ب : « فليس إذا كانوا » ، م ، ط : « فليس إذا كانوا » . والوجه حذف « فليس » .

وفي ب ، م : « المسخرين » .

(١٠) الجبرية : الكبرياء . وانظر لفاتها الثلاث عشرة في القاموس . وفي ب ، م :

« الجبرية » .

وقد يكون الإنسان مسخراً لأمرٍ ، ومخيراً في آخر .

ولولا الأمر والنهي لجاز التسخير في دقيق الأمور وجليلها ، وخفيها وظاهرها ؛ لأنَّ بنى الإنسان <sup>(١)</sup> إنما سُخِّرُوا له إرادة العائدة عليهم <sup>(٢)</sup> ، ولم يسخَّروا للمعصية ، كما لم يسخَّروا للمفسدة .

وقد تستوى الأسباب في مواضع ، وتختلف في مواضع <sup>(٣)</sup> . كلُّ ذلك ليجمع الله تعالى لهم مصالح الدنيا ، ومرشد الدين .

ألا ترى أنَّ أُمَّةً قد اجتمعت على أنَّ عيسى عليه السلام هو الله ، وأُمَّةً قد اجتمعت على أنَّه ابن الله ، وأُمَّةً اجتمعت على أنَّ الآلهة ثلاثة ، عيسى أحدها . ومنهم يتبدَّد <sup>(٤)</sup> ، ومنهم من يتدهَّر <sup>(٥)</sup> ، ومنهم من يتحوَّل نِسْطورياً بعد أن كان يعقوبياً ، ومنهم من أسلم بعد أن كان نصرانياً . ولست واحداً <sup>(٦)</sup> هذه الأُمَّة مع اختلاف مذاهبها ، وكثرة تنقلها ، انتقلت مرَّةً واختلفت مرَّةً ، متعمدة أو ناسيةً ، في يومٍ واحد ، فجعلته - وهو الجمعة - يومَ السَّبْت ، ولم تَخْطُبْ في يومِ جُمُعَةٍ بخطبةٍ يوم خميس ، ولا غلِطْتُ في كانون الأوَّلِ فجعلته كانون الآخر ، ولا بين الصَّوم والإِفطار ؛ لأنَّ الباب الأوَّل في باب الإمكان

(١) ب ، م : « لأنَّ الإنسان » ، تحريف .

(٢) م : « الفائدة عليهم » .

(٣) ب : « وقد يستوى » و « يتفاوت » ، صوابهما في م ، ط .

(٤) يريد : يعبد البد ، بالضم ، وهو الصنم . ب : « يتبدد » م : « يتدبر » ط : « يتذبذب » . وأرى أن الجاحظ قد اشتق هذا الفعل من « البد » ، كما اشتق الفعل التالي من الدهر ، وكلاهما لم تذكره المعاجم .

(٥) يتدهر ، أراد يدين بمذهب الدهرية ، بضم الدال نسبة غير قياسية إلى الدهر بالفتح . وانظر آراهم المتفرقة في الحيوان ١ : ٢/١٧ : ٤/١٣٩ : ٨٥ : ٥/٤٣٢ : ٤٠ : ٦/٣٢٧ : ٢٧٠ ، بالإضافة إلى مادة ( الدهرية ) في دائرة المعارف الإسلامية ٩ : ٣٣٧/

٣٤٠

(٦) م فقط : « واجدة » تحريف .

وتعديل الأسباب والامتحان ، والباب الثاني داخل في باب الامتناع وتسخير النفوس وطرح الامتحان .

وقد زعم ناس من الجهال ، ونفر من الشكّاء ، ممن يزعم أنّ الشكّ واجب في كلّ شيء ، إلّا في العيان ، أنّ أهل المنصورة <sup>(١)</sup> وافوا مُصلّاهم يومَ خميسٍ على أنّه يومُ الجمعة ، في زمن منصور بن جُمهور <sup>(٢)</sup> . وأنّ أهل البحرين جَلَسوا عن مُصلّاهم <sup>(٣)</sup> يومَ الجمعة على أنّه يومَ خميس ، في زمن أبي جعفر ، فبعثَ إليهم وقومهم .

وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الأمصار ، ولا في العدد الكثير من أهل القرى ، لأنّ الناس من بين صانع لا يأخذ أجرته ولا راحة له دون الجمعة ، وبين تجار قد اعتادوا الدعة في الجُمع <sup>(٤)</sup> ، والجلوس عن الأسواق . ومن معلّم كتاب لا يصرف غلمانَه إلّا في الجمع . وبين معنى بالجمُع يتلاقى هناك مع المعارف <sup>(٥)</sup> والإخوان والجلساء . وبين معنى بالجمُع حرصاً على الصلاة ، ورغبة في الثواب . ومن رجل عليه موعدٌ ينتظره . ومن صيرفي [ يصرف ذلك اليومَ سفاتجَه <sup>(٦)</sup> وكتب

(١) المنصورة هذه كانت قصبة السند ، واسمها القديم « هنباد » قال المسعودي : سميت المنصور بمنصور بن جمهور عامل بني أمية . وقال هشام : بناها فسميت به ، وكان قد خرج مخالفاً لهارون وأقام بالسند . وانظر معجم البلدان .

(٢) ب : « منصورى بن جمهور » ، وفي ط : « منصورى » فقط . ولمنصور هذا أخبار في تاريخ الطبري انتهت بهزيمته وموته عطشاً حين وجه إليه أبو العباس السفاح جيشاً إلى الهند بقيادة موسى بن كعب . وذلك في سنة ١٣٤ . وكان أول ظهور أمره سنة ١٢٥ .

(٣) أى لم يذهبوا إلى المسجد يوم الجمعة . ب فقط : « على مصلّاهم » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « المداعة في الجمع » ، صوابه في ط . وما بعده إلى « الجمع » التالية ساقط من م .

(٥) ب ، م : « تلقى هناك من المعارف » .

(٦) جمع سفتجة ، بضم السين وفتح التاء ، وهى كما في المصباح : كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قرصاً لآخر فيأمن بذلك على ماله من خطر الطريق . وفي القاموس : أن يعطى مالا لآخر ، وللآخر مال في بلد المعطى فيوفيه إياه ثم ، فيستفيد أمن الطريق . المعطى بضبط =

أصحابه . ومن جندى فهو<sup>(١)</sup> [ يعرف بذلك نوبته<sup>(٢)</sup> ] . وبعض كالسؤال  
والمساكين والقصاص ، الذين يمدون أعناقهم للجمعة انتظاراً للصدقة  
والفائدة ، في أمور كثيرة ، وأسباب مشهورة .

ولو جاز ذلك في أهل البحرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل  
البصرة والكوفة ، ولو جاز ذلك في الأيام لكان في الشهور أجوز ، ولو  
جاز ذلك في الشهور لكان في السنين أجوز . وفي ذلك فساد الحج ،  
والصوم ، والصلاة ، والزكاة ، والأعياد .

ولو كان ذلك جائزاً لجاز أن يتفق الشعراء على قصيدة واحدة ،  
والخطباء على خطبة واحدة ، والكتّاب على رسالة واحدة ، بل جميع  
الناس على لفظة واحدة .

وإنما نزلت لك حالات الناس ، وخبرتك عن طبائعهم ، وفسرت  
لك عللهم لتعلم أن العدد الكثير لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد  
في المعنى الواحد في الزمن الواحد<sup>(٣)</sup> ، على غير التشاعر<sup>(٤)</sup> ، فيكون  
باطلاً . وسأوجدك موضع اختلافهم واتفاقهم<sup>(٥)</sup> ، وأنه لم يخالف  
بينهم في بعض الوجوه إلا إرهاساً لمصلحتهم<sup>(٦)</sup> ، ولتصح أخبارهم .

= اسم الفاعل . وثم ، أي هناك . واللفظ فارسي معرب ، وقد فسرت حديثاً بأنها حوالة صادرة من دائن  
يكلف فيها مدينه دفع مبلغ معين في تاريخ معين لأذن شخص ثالث ، أو لإذن الدائن نفسه ،  
أو لإذن صاحب الحوالة .

(١) هذه التكملة من م ، ط . لكن في م : « يعرف » موضع « يصرف » . مع سقوط كلمة  
« اليوم » وكلمة « أصحابه » .

(٢) ب ، م : « ذلك بنوبته » .

(٣) التخرص ، سبق تفسيره في ٢٤١ .

(٤) التشاعر : تفاعل من قولهم شعر بكذا : أحس به . وانظر العثمانية ص ٣ .

(٥) يقال أوجده الشيء : جعله يجده ويظفر به ، كما في اللسان والقاموس . وفي ط :

« وسأبين لك » .

(٦) الإرهاس : الإرصاء ، والإثبات ، والتأسيس .

أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَبِعْ قَطُّ سِلْعَةً بِدَرَاهِمٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ الدَّرَاهِمَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ سِلْعَتِهِ . وَلَمْ يَشْتَرِ <sup>(١)</sup> أَحَدٌ قَطُّ سِلْعَةً بِدَرَاهِمٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَى أَنَّ تِلْكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ دَرَاهِمِهِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ السِّلْعَةِ يَرَى فِي سِلْعَتِهِ مَا يَرَى فِيهَا صَاحِبُ الدَّرَاهِمِ ، وَكَانَ صَاحِبُ الدَّرَاهِمِ يَرَى فِي الدَّرَاهِمِ مَا يَرَى فِيهِ <sup>(٢)</sup> صَاحِبُ السِّلْعَةِ مَا اتَّفَقَ بَيْنَهُمَا شِرَاءٌ أَبَدًا ، وَلَا بَيْعٌ أَبَدًا . وَفِي هَذَا جَمِيعُ الْمَفْسَدَةِ ، وَغَايَةُ الْهَلَكَةِ .

فَسَبِّحَانَ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْنَا مَا فِي أَيْدِي غَيْرِنَا ، وَحَبَّبَ إِلَى غَيْرِنَا مَا فِي أَيْدِينَا ، لِيَقَعَ التَّبَايُعُ . وَإِذَا وَقَعَ التَّبَايُعُ وَقَعَ التَّرَائُبُحُ ، وَإِذَا وَقَعَ التَّرَائُبُحُ وَقَعَ التَّعَايُشُ .

وَيَدُلُّكَ أَيْضًا عَلَى اخْتِلَافِ طَبَائِعِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ : أَنَّكَ تَجِدُ الْجَمَاعَةَ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمُ الْفَاكِهَةَ وَالرُّطَبَ ، فَلَا تَجِدُ يَدَيْنِ تَلْتَقِيَانِ <sup>(٣)</sup> عَلَى رُطْبَةٍ بَعِينَةٍ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْجَمِيعِ يَرَى مَا حَوَاهُ الطَّبَقُ ، غَيْرَ أَنَّ شَهْوَتَهُ وَقَعَتْ عَلَى وَاحِدَةٍ غَيْرِ الَّتِي آثَرَهَا صَاحِبُهُ <sup>(٤)</sup> . وَلِرُبَّمَا سَبَقَ الرَّجُلُ إِلَى الْوَاحِدَةِ ، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُهُ يَرِيدُهَا فِي نَفْسِهِ ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْفَرْطِ ، وَلَوْ كَانَتْ <sup>(٥)</sup> شَهْوَاتُهُمْ وَدَوَاعِيهِمْ تَتَّفَقُ عَلَى وَاحِدَةٍ بَعِينَةٍ لَكَانَ فِي ذَلِكَ التَّمَانُعُ وَالتَّجَاذِبُ <sup>(٦)</sup> ، وَالْمُبَادَرَةُ وَسَوْءُ الْمَخَالَطَةِ وَالْمُؤَاكَلَةِ . وَكَذَلِكَ هُوَ فِي شَهْوَةِ النِّسَاءِ وَالْإِمَاءِ ، وَالْمَرَائِبِ وَالْكُسَى . وَهَذَا كَثِيرٌ ، وَالْعِلْمُ بِهِ قَلِيلٌ . وَبِأَقْلٍ مِمَّا قُلْنَا <sup>(٧)</sup> يَعْرِفُ الْعَاقِلُ صَوَابَ مَذْهَبِنَا . وَاللَّهُ تَعَالَى نَسْأَلُ التَّوْفِيقَ .

(١) ب : « ولم يشر » ، صوابه في م ، ط .

(٢) فيه ، ساقطة من ب . وفي م : « فيها » ، تحريف .

(٣) ب فقط : « فلا نجد » بالنون . وفي ب ، م : « يلتقيان » ، واليد أنثى .

(٤) ب ، م : « صاحبها » .

(٥) ب فقط : « كان » .

(٦) م فقط : « التحارب » .

(٧) ب : « وبأقل ما قلنا » .

وهو الذى <sup>(١)</sup> خالف بين طبائعهم وأسبابهم ، حتى لا يتفق على  
تخرض خبر واحد <sup>(٢)</sup> ، لأنَّ فى اتفاق طبائعهم وأسبابهم فى جهة الإخبار  
فسادُ أمورهم ، وقلة فوائدهم واعتبارهم ، وفى فساد أخبارهم فسادُ  
متاجرهم والعلم بما غاب عن أبصارهم ، وبطلانُ المعرفة بأنبيائهم  
ورسلهم عليهم السلام ، ووَعْدِهِم ووَعِيدِهِم ، وأمْرِهِم ونهيهم وزَجْرِهِم ،  
ورغبتهم ، وحُدُودِهِم ، وقصاصهم الذى هو حياتهم ، والذى يعدل  
طبائعهم ، ويسوى أخلاقهم ، ويقوى أسبابهم <sup>(٣)</sup> ، والذى به يَتَمَنَعُونَ  
من تَوَاتُبِ السَّبَاعِ <sup>(٤)</sup> ، وقلة احتراس البهائم ، وإضاعة الأعمار . وبه  
تكثر خواطِرُهُم وتفكيرهم ، وتحسن معرفتهم <sup>(٥)</sup> .

ولم نقلُ إِنَّ العددَ الكثير <sup>(٦)</sup> لا يجتمعون على الخبرِ الباطل ،  
كالتكذيب والتَّصْديق ، ونحن قد نجد اليهود والنصارى ، والمجوس  
والزنادقة ، والدُّهْرِيَّةَ وعِبَادَ البِدَّةِ <sup>(٧)</sup> يكذبون النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وينكرون آيَاتِهِ وأَعْلَامَهُ ، ويقولون : لم يأت بشيء ، ولا بانَ  
بشيء . وإنَّما قلنا : إِنَّ العددَ الكثير <sup>(٨)</sup> لا يتفقون على مثل إخبارهم  
أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بن عبد المطلب ، التَّهَائِيَّ الأَبْطَحِيَّ عليه السلام  
خرج بمكة ، ودعا إلى كذا ، وأمرَ بكذا ، ونهى عن كذا ، وأباح كذا ،

(١) ب ، م : « والذى » .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٤١ ، ٢٤٨ .

(٣) ب ، م : « ويقوم أسبابهم » .

(٤) ب ، م : « تواتر » ، صوابه فى ط .

(٥) ب ، ط : « ويحسن معرفتهم » .

(٦) ب ، م : « ولم يقل إن العدد كثير » ، تحريف ما فى ط .

(٧) البددة : جمع بد ، بالصنم ، وهو الضم ، معرب بت ، ويجمع أيضاً على أبداد .  
وفى ب ، م : « البدرة » ، وفى ط : « المبدرة » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ب ، م : « كثير » ، صوابه فى ط .



وجاء بهذا الكتاب الذى نقرؤه ، فوجب العمل بما فيه ، وأنه تحدّى  
البلغاء<sup>(١)</sup> والخطباء والشُعراء ، بنظمه وتأليفه ، فى المواضع الكثيرة ،  
والمحافل العظيمة . فلم يَرْمُ ذلك أَحَدٌ ولا تكلّفه ، ولا أتى ببعضه  
ولا شبيه منه ، ولا ادّعى أنّه قد فعل ، فيكون ذلك الخبر باطلاً .

وليس قولُ جَمْعِهِمْ إِنَّهُ كان كاذباً<sup>(٢)</sup> معارضةً لهذا الخبر ، إِلَّا أَن  
يُسَمُّوا الإنكار معارضة . وإنّما المعارضة مثلُ الموازنة والمُكايَلة ، فمتى  
قابلونا بأخبارٍ فى وزن أخبارنا ومخرجها ومجيئها ، فقد عارضونا  
ووازنونا وقابلونا ، وقد تكافينا<sup>(٣)</sup> . وتدافعنا . فأما الإنكار فليس بحجة ،  
كما أَنَّ الإقرار ليس بحجة ، ولا تصديقنا للنبيّ صلى الله عليه وسلم  
حُجَّةٌ على غيرنا ، ولا تكذيبُ غيرنا له حُجَّةٌ علينا ، وإنّما الحُجَّةُ فى  
المجىء الذى لا يمكن فى الباطل مثله .

فإن قلتَ : وأى مجىء أثبتَ خبر النَّصارى عن عيسى بنِ مريمَ  
عليه السلام ؟ وذلك أَنَّكَ لو سألتَ النَّصارى مجتمعين ومتفرقين  
لخبروك عن أسلافهم أَنَّ عيسى قد قال : إني إله .

قلنا : قد علمنا أَنَّ نصارى عصرنا لم يكذبوا على القرن الذى كان  
قَبْلَهُمْ ، والذين كانوا يَلُونَهُمْ . ولكنَّ الدليل على أَنَّ أصلَ خبرهم ليس  
كفرعه ، أَنَّ عيسى عليه السلام لو قال : إني إله - لما أعطاه الله تعالى  
إحياء الموتى ، والمشي على الماء . على أَنَّ فى عيسى عليه السلام<sup>(٤)</sup> دلالةً  
فى نفسه ، أَنَّهُ ليس بإله ، وَأَنَّهُ عبدٌ مدبرٌ ، ومقهورٌ ميسرٌ ، وليس

(١) ب : « تجد » م : « تعد » صوابهما فى ط .

(٢) ب : « أَنَّهُ كذا كان كاذباً » م : « أَنَّهُ كان كاذبة » ، صوابهما فى ط .

(٣) ب : « تكافأنا » بالهمز .

(٤) ب فقط : « على أَنَّ عيسى عليه السلام » .

خبرهم هذا إلا كإخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذى يليهم أن بولس<sup>(١)</sup> قد كان<sup>(٢)</sup> جاء بالآيات والعلامات . وكإخبار المانوية<sup>(٣)</sup> عن القرن الذى كان يليهم منه<sup>(٤)</sup> أن ماى قد كان جاءهم بالآيات والعلامات . وكإخبار المجوس عن آبائهم الذين كانوا يلونهم أن زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات . وقد علمنا أن هؤلاء النصارى لم يكذبوا على القرن الذى كان يليهم ، ولا الزنادقة ولا المجوس . ولكن الدليل على أن أصل خبرهم ليس كفره<sup>(٥)</sup> أن<sup>(٦)</sup> الله جلّ وعز لا يعطى العلامات من لا يعرفه ، لأن بولس إن كان عنده أن عيسى عليه السلام إله فهو لا يعرف الله تعالى ، بل لا يعرف الربوبية من العبودية ، والبشرية من الإلهية .

## ٢٩ - فصل منه

وللنصارى خاصة رياء عجيب<sup>(٧)</sup> ، وظاهر زهد ، والناس أبطأ شئ عن التصفح ، وأسرع شئ إلى تقليد صاحب السن والسمت ، وظاهر العمل أدعى لهم من العلم .

(١) بولس : أحد الحواريين ، وقد قام نيرون ملك الروم بقتله هو وبطرس بمدينة رومية وصلبهما منكسين ، وذلك بعد وفاة المسيح باثنتين وعشرين سنة ، وذلك بعد ثلاث عشرة سنة من ملكه . ابن الأثير ١ : ٣٢٥ والتنبيه والإشراف ١٠٩ - ١١٠ . وفى م فقط : « يونس » تحريف .

(٢) كان ، ساقطة من ب ، م .

(٣) المانوية ، والمانية : أتباع ماى المتنبي الذى زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام ، واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية . وانظر ما كتبت من تحقيق فى حواشى الحيوان ٤ : ١ . وفى ط : « المانوية » .

(٤) أى من زمن ماى . وفى ب ، م : « منهم » .

(٥) أن ، ساقطة من ب ، ط .

(٦) ط فقط : « لأن » .

(٧) م : « رثاء » ، وهى لغة قرآنية .

### ٣٠ - فصل منه على ذكرهم

وكلُّ قومٍ بنوا دينهم على حبِّ الأشكال<sup>(١)</sup> ، وشبه الرجال<sup>(٢)</sup> ،  
يشتدُّ وجدُّهم به<sup>(٣)</sup> وحبُّهم له ، حتَّى ينقلب<sup>(٤)</sup> الحبُّ عِشْقاً ، والوجدُ  
صِبابَةً ، للمشاكلة التي بين الطبائع ، والمناسبة التي بين النفوس .

وعلى قدر ذلك يكون البُغْض والحقد ، لأنَّ النَّصارى حين جعلوا  
ربَّهم إنساناً مثلهم بَخَمَتْ نفوسُهم بالهَيْبَةِ له<sup>(٥)</sup> لتوهُمهم الربوبية ،  
وَأَسَمَحَتْ بالموَدَّة لتوهُمهم البَشَرِيَّة ، فلذلك قَدَرُوا من العبادة على ما لم  
يقدِّر عليه مَنْ سواهم<sup>(٦)</sup> . وبمثل هذا السَّبَب صارت المشبَّهة منَّا أَعَبَدَ  
مَنْ ينفي التَّشْبِيه ، حتَّى ربَّما رأيتَه يتنَفَّس من الشوق إليه ، وَيَشْهَق<sup>(٧)</sup>  
عندَ ذكر الزيارة ، ويبكي عند ذكر الرؤية ، وَيُغْشَى عليه عند ذكر رَفْع  
الحُجُب . وما ظنُّك بشوقٍ مَنْ طَمِع في مجالسة ربِّه عزَّ وجلَّ ، ومحادثَةِ  
خالقه عزَّ ذكره .

ولقد غالت القومُ غَوْلٌ ، ودعاهم أمرٌ ، فانظُرْ ما هو ؟ وإنَّ<sup>(٨)</sup> سألَتني  
عنه خبرتكَ : إنَّما هو نتيجةُ أحدِ أمرين : إمَّا تقليدُ الرِّجال ، وإمَّا طلبُ  
تعظيمهم . ولذلك السَّبَب لم ترض اليهودُ من إنكار حقِّه بتكذيبه ،  
حتَّى طلبت قتله وصلَّبه ، والمُثَلَّة به ، ثم لم ترض بذلك حتَّى زعمت

(١) ط : « بنوا على حبِّ الأشكال » .

(٢) ب ، م : « وشيد الرجال » ط : « وشد الرجال » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٣) ب : « أشدَّ وجدهم به » م : « اشتدَّ وجدهم به » ، وأثبت ما في ط .

(٤) ب : « تقرب » م : « يقرب » ، صوابهما في ط .

(٥) بجمت : خضعت وأقرت . وفي ب : « نجعت ؛ تحريف . م ، ط : « بالهيته له »  
والإلهية : الربوبية . وأثبت ما في ب .

(٦) ب ، م : « من العبادة ما لم يقدر عليه سواهم » .

(٧) ب ، م : « ويشهد » .

(٨) ب : « وإذا » .

أنَّه لغير رِشْدَةٍ ، فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهودُ دونَ بلوغها ، ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دونَ غايتها . وبذلك السَّبب صارت الرافضة أشدَّ صبايةً وتحرقاً ، وأفرطَ غضباً ، وأدومَ حِقْدًا . وأحسنَ تواصلاً من غيرهم أيضاً .

وربَّ خبرٍ قد كان فاشياً<sup>(١)</sup> فدخل عليه من العِلل ما منعه من الشُّهرة ، وربَّ خبرٍ ضعيف الأصل ، واهن المخرج ، قد تهيأ له من الأسباب ما يُوجب الشُّهرة .

### ٣١ - فصل منه

واعلم أنَّ لأكثر الشُّعر ظعنًا<sup>(٢)</sup> وحظوظاً ، كالبيت يحظى ويسير ، حتَّى يحظى صاحبه بحظّه ، وغيره من الشُّعر أجودُ منه . وكالمثل يحظى ويسير ، وغيره من الأمثال أجود . وما ضاع من كلام النَّاسِ وضلَّ أكثرُ ممَّا حُفِظَ وحُكِيَ . واعتبر ذلك من نفسك ، وصديقك وجليسك . وأمر الأسباب عجب . ومن ذلك قتلُ عليِّ بن أبي طالب<sup>(٣)</sup> من السَّادة والقادة والحُماة ، ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته ، فأضرب النَّاسُ عن ذكرهم ، وجَهِلتِ العوامُ مواضعهم ، وأخذوا في ذكر عمرو بن عبْدود<sup>(٤)</sup> فرفَعُوهُ فوق كلِّ فارس مشهور ، وقائدٍ مذكور .

(١) فاشياً : ذائعاً منتشرًا . ب ، م : « ناسياً » صوابه في ط .

(٢) في الأصول : « ظعنًا » بالمهمله ، صوابه ما أثبت . والظعن : الارتحال والسير .

(٣) ب ، م : « وليس كل ذلك يعرف قبل علي بن أبي طالب » ، تحريف .

(٤) عمرو بن عبدود : أحد أشراف قريش . وقد ظهر أمره في غزوة بدر الكبرى قاتل فيها فأثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه ، ودعا إلى المبارزة ، فنازله علي بن أبي طالب وجاوله حتَّى قتله . وانظر السيرة ٤٣٦ ، ٦٧٧ ، ٦٩٩ . وفي ب ، م : « وأخذوا في ذلك » . وود : صنم يقال بفتح الواو وضمها ، وفتحها أكثر في اللغة وفي القراءات .

وقد قرأتُ على العلماء كتاب الفجار<sup>(١)</sup> الأوّل . والثاني ، والثالث .  
وأمر المطيبين<sup>(٢)</sup> والأحلاف<sup>(٣)</sup> ، ومقتل أبي أزيهر<sup>(٤)</sup> ، ومجىء الفيل ، وكلّ  
يومٍ جمّع كان لقريش ، فما سمعتُ لعمرٍو هذا في شيءٍ من ذلك ذكرًا .

فإن قلت : إنّ نُبْلَ القتال زيادةً في نُبْلِ المقتول ، فكلُّ من قتله على  
ابن أبي طالب رضوان الله عليه أنبلُّ منه وأحقُّ بالشهرة ، ولكن أشعار  
ابنِ دأبٍ<sup>(٥)</sup> ، ومناقلة الصّبيان في الكتّاب هما اللتان أورثناه<sup>(٦)</sup>  
ما ترى وتسمع .

(١) أيام الفجار معروفة في أيام العرب أيام الجاهلية . وسميت فجاراً لأنها كانت في الأشهر  
الحرم ، وكانت قبل مبعث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بست وعشرين سنة . وقال النبي صلى  
الله عليه وسلم : « كنت أنبل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » أنبل . : أناوهم  
النبل ، أي السهام . وانظر العقد ٥ : ٢٥١ - ٢٥٧ . ب ، م : « الفجار » ، صوابه في ط .  
(٢) المطيبون : هم أسد ، وزهرة ، وتميم ، عقدت معهم بنو عبد مناف حلفاً مؤكداً على  
ألا يتخاذلوا ، وأن يكونوا يداً واحدة على أخذ مافي يدي عبد الدار من الحجابة والرفادة واللواء  
والسقاية ، فأخرجت بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً فوضعوها في المسجد ، ثم غس القوم  
أيديهم فيها جميعاً وتعاقدوا ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً ، فسموا المطيبين . وكان أبو بكر  
من المطيبين .

(٣) الأحلاف ، هم خمس قبائل من قريش : عبد الدار ، وجميع ، وسهم ، ومخزوم ، وعدى  
ابن كعب . تعاقدت معهم بنو عبد الدار حلفاً مؤكداً ألا يتخاذلوا ، فسموا الأحلاف . وكان عمر  
ابن الخطاب من الأحلاف . انظر اللسان (حلف) ، وكذلك المخبر لابن حبيب ١٦٦ - ١٦٧ .  
(٤) في ب ، ط : « ومقتل أبي أزيهر » وفي م : « ومقتل بن أبي أزيهر » ، صوابهما  
ما أثبت . وانظر خبر مقتل أبي أزيهر اللومى في كتاب أسماء المغتالين من نوادر المخطوطات  
٢ : ١٤٩ . والذي قتله هو هشام بن الوليد بن المغيرة .

(٥) اسمه عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان خطيباً شاعراً ناسباً ، وكان يضع الحديث  
والشعر كأحاديث السمر . وكان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند ، وفيهما  
يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان كثير الأدب ، عذب الألفاظ ، صاحب خطوة عند الهادى . روى عنه شبابة بن سوار ،  
ومحمد بن سلام الجمحي . تاريخ بغداد ٥ : ٨٤٥ ولسان الميزان ٤ : ٤٠٨ . ط : « ابن ود » ،  
تحريف .

(٦) ب : « ورثنا » م : « أورثنا » ، وأثبت مافي ط .

## ٣٢ - فصل منه في أمر الأخبار

وإنما ذكرت هذا لتعلم أنَّ الخبر قد يكون أصله ضعيفاً ثم يعود قوياً ، ويكون أصله قوياً فيعود ضعيفاً ، للذي يعتريه من الأسباب ، ويحلُّ به من الأعراض ، من لدن مخرجه وفُصُوله ، إلى أن يبلغ مدته <sup>(١)</sup> ، ومنتهى أجله ، وغاية التدبير فيه ، والمصلحة عليه .

فلما كان هذا مخوفاً ، وكان غير مأمونٍ على المتقادم منه وضعَّ الله تعالى لنا على رأس كلِّ فترة علامة ، وعلى غاية كلِّ مدَّة أمانة ، ليُعيدَ قوَّةَ الخبر ، ويجدد ما قد همَّ بالدُّروس ، بالأنبياء والمرسلين <sup>(٢)</sup> عليهم السلام أجمعين . لأنَّ نوحاً عليه السلام هو الذي جدَّد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليهما السلام ، حتَّى منعها الخلل ، وحماها النقصان بالشواهد الصادقة ، والأمارات القائمة . وليس أنَّ أخبارهم وحججهم قد كانت درست واختلت ، بل حين همَّت بذلك <sup>(٣)</sup> وكادت . بعثه الله عزَّ وجل بآياته لثلاث تخلو الأرض من حُججه ، ولذلك سمَّوا آخر الدهر الفترة . وبين الفترة والقِطعة فرق . فاعرف ذلك .

ثم بعث الله جلَّ وعزَّ إبراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التي كانت بينه وبين دهر نوح ، وإنما جعلها <sup>(٤)</sup> الله تعالى أطول فترة كانت في الأرض ، لأنَّ نوحاً كان لبث في قومه يحتاج ويُخبر ، ويؤكد ويبين ، ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً ، ولأنَّ آخر آياته كانت أعظم الآيات ، وهي الطوفان ، الذي أغرق الله تعالى به <sup>(٥)</sup> جميع أهل الأرض

(١) ب : « تبلغ مدته » .

(٢) ط : « من أنباء المرسلين » .

(٣) كلمة « بل » من ط فقط .

(٤) ب ، م : « جملة » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « التي غرق الله تعالى » فقط ، صوابه في ط .

غيره وغير شيعته ، وإنَّما أفار الماء<sup>(١)</sup> من جوف تنور ، ليكون أعجب للآية<sup>(٢)</sup> ، وأشهر للقيصة ، وأثبت للحجة .

ثم ما زالت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، بعضهم على إثر بعض في الدهر الذي بين إبراهيم ، وبين عيسى عليهما السلام . فلتَرادف حججهم ، وتظاهر أعلامهم ، وكثرة أخبارهم ، واستفاضة أمورهم ، ولشدة ما تأكَّد ذلك في القلوب ، ورسخ في النفوس ، وظَّهر على الألسنة ، لم يدخلها الخطل والنقص<sup>(٣)</sup> والفساد ، في الدهر الذي كان بين النبي عليه السلام وبين عيسى عليه السلام .

فحين هَمَّت بالضعف ، وكادت تنقص عن التمام<sup>(٤)</sup> ، وانتهت قوتها ، بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فجدد أفاصيص آدم ونوح ، وموسى وهارون ، وعيسى ويحيى ، عليهم السلام ، وأموراً بين ذلك ، وهو الصادق ، بالشواهد الصادقة ، وأن الساعة آتية<sup>(٥)</sup> ، وأنه ختم الرسل عليهم السلام به ، فعلمنا عند ذلك أن حجته ستم إلى مُدَّتْها ، وبلوغ أمر الله عز وجل فيها .

### ٣٣ - فصل

ثم رجع الكلام إلى القول في الأخبار ، فأقول :

إنَّ الناس مُؤَكَّلون بحكاية كلِّ عجب ، وميسرون للأخبار عن

(١) يقال فار الشيء : جاش ، وأفرته وفرتة أيضاً بالتعدية فيما . وأنشد ابن الأعرابي :

وكانوا قعوداً حولها يرقبونها  
وكانت فتاة الحى من يغيرها  
ويروى : « يغيرها » ويروى : « يغيرها » . ط فقط : « فار الماء » .

(٢) ب : « وليكون » بزيادة واو .

(٣) ب : « لم يدخلها النقص » فقط . م : « لم يدخلها الخلل والنقص » ، وأثبت ما في ط .

(٤) ب : « وكانت تنقص عن التمام » ، صوابه في م ، ط .

(٥) ب ، م : « أن الساعة آتية » .

كلّ عظيم ، وليسوا<sup>(١)</sup> للحسن أحكى منهم للقيح ، ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضرّ ، وعلى قدر كبر الشيء تكون حكايتهم له واستماعهم<sup>(٢)</sup> .

ألا ترى أنّ رجلاً من الخلفاء لو ضرب عنق رجلٍ من العظماء لما أمسى وفي عسكره وبلدته جاهلٌ ولا عالمٌ إلا وقد استقرّ ذلك عنده وثبت في قلبه<sup>(٣)</sup> ، لأنّ الناس بين حاسدٍ فهو يحكى ذلك الذى دخل عليه من الشكّل وقلّة العدد ، وبين واجدٍ<sup>(٤)</sup> يعجبّ الناس ، وبين واعظٍ معتبر ، وبين قومٍ شأنهم الأراجيف بالفساد والصالح . ولو كان ضرب عنقه في يوم عيدٍ ، أو حلبةٍ<sup>(٥)</sup> ، أو استمطارٍ ، أو موسمٍ ، لكان أشدّ لاستفاضة ، وأسرع لظهوره .

ولو جاز أنّ يكتم الناس هذا وشبهه على الإيثار للكتان ، وعلى جهة النسيان ، لكنّا لندرى : لعلّه قد كان في زمن صفيّين والجميل والنّهروان حربٌ مثلها أو أشدّ منها ، ولكن الناس آثروا الكتان ، واتّفقوا على النسيان .

فإذا كان قتل الملك الرجل من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ، ومن قلوب الحكماء والغوغاء ، فما ظنك بمن لو أبصروا رجلاً قد أحياء بعد أن ضرب عنقه ، وأبان رأسه من جسده ، أليس كان يكون تعجبهم<sup>(٦)</sup> من إحيائه أشدّ من تعجبهم من قتله ، وكان يكون إخبارهم من خلفوا في منازلهم ومن وردّ عليهم عن القتل ليكون سبباً للإخبار عن الإحياء ، إذ كان الأوّل صغيراً في جنب الثّاني .

(١) ب ، م : « وليس هم » .

(٢) ب : « يكون » بالياء . وكلمة « له » من ط فقط .

(٣) ب ، م : « ذلك عنده وقلبيّه » تحريف .

(٤) ب ، م : « واحد » ، صوابه في ط .

(٥) يوم الحلبة : يوم سباق الخيل . ب ، م : « خلية » ، صوابه في ط .

(٦) ط فقط : « أليس يكون يكون تعجبهم » .



فهذا يدلُّ على أَنَّ أعلامَ الرُّسل عليهم السلام وآياتهم أَحَقُّ بالظُّهور والشهرة ، والقهر للقلوب والأسماع ، من مخارجهم وشرائعهم . بل قد نعلم أَنَّ موسى عليه السلام لم يُذكر ولم يُشهر إِلَّا لأعاجيبه وآياته . وكذلك عيسى عليه السلام ، ولولا ذلك لما كانا إِلَّا كغيرهما ممن لا يُشعر بموته ولا مولده .

وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة بأعلامهما<sup>(١)</sup> وأعاجيبهما ، وأنت لم تسمع بذكرهما قطُّ ، دون ما ذكر من أعلامهما .

فإذا كان شأنُ النَّاسِ الإخبارَ عن كلِّ عَجِيبٍ ، وحكاية كلِّ عَظِيمٍ ، والإطراف بكلِّ طريفٍ ، وإيراد كلِّ غريبٍ من أمور دنيائهم ، فما لا يمتنع<sup>(٢)</sup> في طبائعهم ، ولا يخرج من قوى الخليفة في البطش والحيلة ، أَحَقُّ بالإخبار والإذاعة ، وبالإظهار والإفاضة ، هذا على أَنَّ يُترك الطُّباعُ وما يُولدُ عليه<sup>(٣)</sup> ، والنفوسُ وما تُنتج<sup>(٤)</sup> ، والعللُ وما يسخرُ . فكيف إنَّ كان الله عز وجل قد خَصَّ أعلامَ أنبيائه وآياتِ رسله عليهم السلام من تهيج النَّاسِ على الإخبار عنها<sup>(٥)</sup> ، ومن تسخير الأسماع لحفظها ، بخاصة لم يجعلها لغيرها<sup>(٦)</sup> .

### ٣٤ - فصل منه

فإن قال قائل : إنَّ الحجَّةَ لا تكون حجةً حتى تعجز الخليفة<sup>(٧)</sup> ،

(١) ب ، م : « وكيف يتقدم » وبهذا في ب فقط : « المعرفة » . وتتمة الكلام من م ، ط .

(٢) ب ، م : « ولما يمتنع » ، صوابه في ط .

(٣) الطُّباع : الطبع ، ويكون أيضاً جمعاً للطبع ، كما قال الأزهري . وفي ط : « وما تولد عليه » ، فلها وجهها .

(٤) ب ، م : « وما ينتج » .

(٥) ب ، م : « عن الإخبار عنها » ، صوابه في ط .

(٦) ب ، م : « خاصة لم يجعلها لغيرها » .

(٧) ب ، م : « حتى يعجز الخليفة » .

وتخرج<sup>(١)</sup> من حدّ الطاقة ، كإحياء الموتى ، والمشي على الماء ، وكفلق البحر ، وكإطعام الثّمار في غير أوان الثّمار ، وكإنطاق السّباع ، وإشباع الكثير من القليل ، وكلّ ما كان جسماً مُخترعاً ، وجرمًا مُبتدعاً . وكالذي لا يجوز أن يتولّاه إلّا الخالق ، ولا يقدر عليه إلّا الله عزّ ذكره .

فأمّا الأخبار التي هي أفعال العباد ، وهم تولّوها ، وبهم كانت ويقولهم حدثت ، فلا يجوز أن يكون حجة ، إذ كان<sup>(٢)</sup> لا حجة إلّا مالا يقدر عليه الخليفة ، وما لا يتوهم من جميع البرية .

قلنا : إنّنا لم نزعّم أنّ الأخبار حجة فيحتجّون علينا بها ، وإنّما زعمنا أنّ مجيئها حجة ، والمجىء ليس هو أمر يتكلّفه الناس ويختارونه على غيره ، ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهبّثوا له ، ولفعلوه في الباطل<sup>(٣)</sup> كما يجيئ لهم في الحق . والمجىء أيضاً ليس هو فعلاً قائماً فيستطيعونه أو يعجزوا عنه<sup>(٤)</sup> ، وإنّما هو الإنسان ، يعلم أنّه إذا لقي البصريين فأخبروه أنّهم قد عاينوا بمكة شيئاً ، ثم لقي الكوفيّين فأخبروه بمثل ذلك ، أنّهم قد صدّقوا<sup>(٥)</sup> . إذ كان<sup>(٦)</sup> مثلهم لا يتواطأ<sup>(٧)</sup> على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب ، وعلى اختلاف طبائعهم وهمهم وأسبابهم . فليس بين هذا وبين إحياء الموتى والمشي على الماء فرق ، إذ كان الناس لا يقدرّون عليه ، ولا يطمعون فيه ، والمجىء إنّما هو معنى

(١) ب ، م : « ويخرج » .

(٢) ب فقط : « إذا كان » ، تحريف .

(٣) هذا مافى ط . وفي م : « وتهبّثوا لفعله في الباطل » ، وفي ب : « وتهبّثوا لفعلوه في الباطل » .

(٤) ب ، م : « فيستطيعونه أو يعجزون له عنه » .

(٥) في ب : « فأخبروه بمثل ذلك قد صدّقوا » . وتتمّة الكلام من م ، ط .

(٦) ب فقط : « إذا كان » ، تحريف .

(٧) ب ، م : « يتواطأ » ، تحريف .

معقول ، وشيءٌ موهوم . إذ كان<sup>(١)</sup> كيف يكون ومعلومٌ أنَّ الناس لا يمكنهم أن يقدرُوا ، ولا يستطيعون فعله . وإنَّما مدارُ أمرِ الحُجَّةِ على عجز الخليفة . فمتى وَجَدْتَ أمراً ووجدت الخليفة عاجزاً عنه<sup>(٢)</sup> فهي حجة . ثمَّ لا عليك جوهرًا كان أو عَرَضًا ، أو موجوداً أو متوهماً معقولاً . ألا ترى أنَّ فُلُقَ البحرِ ليس هو من جنس اختراع الثمار ، لأنَّ الفلق هو انفراج أجزاء ، والثمار أجرامٌ حادثة .

وكذلك لو ادَّعى رجلٌ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أرسله وجعل حجَّته علينا<sup>(٣)</sup> الإخبار بما أكلنا وادَّخرنا وأضمرنا ، لكان قد احتجَّ علينا .  
فإن قلتم<sup>(٤)</sup> : إنَّ المنجمين ربَّما أخبروا بالضمير ، وبالأمر المستور ، و ببعض ما يكون .

قلنا : أمَّا واحدة<sup>(٥)</sup> فإنَّ خطأ المنجمين كثير ، وصوابهم قليل ، بل هو أقلُّ من القليل . وأنتم لا تقدرُون أن تقفوناً<sup>(٦)</sup> من أخبار المرسلين عليهم السلام في كثير أخبارهم على خطأ واحد<sup>(٧)</sup> ، والذي سهل قليل المنجمين طرافةً ذلك منهم<sup>(٨)</sup> ، لأنهم لو قالوا فأخطئوا أبداً لما كان

(١) م ، ط : « إذا كان » .

(٢) ب : « غيره عجزه » م : « غير عاجزة » ، صوابهما في ط .

(٣) ب : « فجعله حجة علينا » تحريف . وفي ط : « فجعل حجته علينا » ، وأثبت

مافي ب .

(٤) ب : « فلم قلتم » تحريف . ط : « فإن قلت » ، وأثبت مافي م .

(٥) بدله في ط : « هناك فرق » .

(٦) ط : « أن تقفون » صوابه في ب ، م .

(٧) ب : « في كثرة أخبارهم » . ب ، ط : « على خطأ واحد » . والجاحظ يميل كثيراً

إلى استبدال « الخطاء » بمعنى الخطأ ، وهو ماورد هنا في نسخة م . انظر الحيوان ١ : ٢١٣ / ٣ :

٢٥٨ ، ٥٥٠ والبيان ٤ : ١٦ ، ٦٧ .

(٨) الطرافة من الطريف ، وهو الشيء الغريب المستحدث . وفي جميع النسخ : « طرافة »

بالطاء المعجمة ، والظرافة : الكيس والخذق ، ولا وجه لها هنا .

عَجَبًا ، لَّأنَّه ليس بِعَجَبٍ أَنْ يكونَ الناسُ لا يعلمونَ ما يكونُ قبلَ أَنْ يكونَ ، ومنَ أعجَبِ العجبِ أَنْ يوافقَ قولُهم بعضَ ما يكونُ .  
وقد نجدُ المنجِّمينَ يختلفونَ في القضية الواحدة ، ويُخطئونَ في أكثرِها . وقد نجدُ الرُّسولَ يُخبرهمَ عمَّا يَأْكُلونَ ويشربونَ ويدَّخرونَ ويُضْمرونَ ، في الأمورِ الكثيرةِ المعاني ، والمختلفةِ في الوجوه ، حتَّى لا يخطيءَ في شيءٍ من ذلك . وليس في الأرضِ منجِّمٌ ذكرَ شيئاً<sup>(١)</sup> أو وافقَ ضميراً إلَّا وأنتَ واجدٌ بعضَ مَنْ يَزْجُرُ<sup>(٢)</sup> قد يَجِيءُ بمثله وأكثرَ منه .

فإن قلت : إِنَّ الناسَ يَكْذِبُونَ في الإخبارِ عن الأعرابِ والكهَّانِ من كلِّ جيلٍ ؟

قلنا : فهم في إخبارهم عن المنجِّمينَ أَكْذَبُ .

وبعدُ ، فالناسُ غيرُ مستعظمينَ لكثرةِ كَذِبِ المنجِّمينَ وخطاياهم وخُدَعهم ، والناسُ يستعظمونَ<sup>(٣)</sup> اليسيرَ من المرسلينَ عليهم السلام . وكلِّما كانَ الرجلُ في عينِكَ أعظَمَ ، وكانَ عن الكذبِ أَزَجَرَ ، كانَ كَذِبُهُ عندَكَ أعظَمَ . وإنَّما المنجِّمُ عندَ العوامِّ كالطبيبِ الذي إنَّ قَتَلَ المريضَ علاجهُ كانَ عندهم أَنَّ القضاةَ هو الذي قَتَلَهُ<sup>(٤)</sup> ، وإنَّ برأ كانَ هو أبرأه . على أَنَّ صوابهمَ أكثرُ ، ودليلهمَ أظهرُ .

وقد صارَ النَّاسُ لا يقتصرونَ للمنجِّمينَ على قدرِ ما يسمعونَ منهم ، دونَ أَنْ يولِّدوا لهمُ ، ويضعوا الأعاجيبَ عَنْ أَلْسِنَتِهِمْ .

(١) ب ، م : « قال شيئاً » .

(٢) الزجر : ضرب من الكهانة . وفي جميع النسخ : « مايزجر » . ووجهه ما أثبت .

(٣) في جميع النسخ : « يستقطون » ، صوابه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « إن قبل المريض » ، و « هو الذي قبله » صوابهما في ط .

وكلُّ ملحدٍ في الأرض للرسول طاعنٍ عليه ، عائبٍ له ، يرى أنَّ يصدِّق عليه كلَّ كذابٍ يريد ذمَّهُ ، وأنَّ يكذِّب كلَّ صادقٍ يريد مدحه .  
وبعدُ ، فلو كان خبرُ المنجمين <sup>(١)</sup> في الصواب كخبر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، الذي هو حُجَّةٌ ، لما كان خبرُ المنجمين حُجَّةً .  
فإن قلت : ولم ذاك ؟

قلتُ : لأنَّ من كثر صوابه على غير استدلالٍ ومقايَسة ، وعلى <sup>(٢)</sup> غير حسابٍ وتجربة ، أو على نظيرٍ ومُعَايَنةٍ لم يكن الأمر من قبل الوحي <sup>(٣)</sup> ؛ لأنَّك لو قلت قصيدةً في نفسك فحدثك بها رجل ، وأنت تعلم أنَّه ليس بمنجمٍ ، وأنشدكها كلها ، لعلمت أنَّ ذلك لا يكون إلَّا بوحى .

ومثل ذلك رجلٌ اشتدَّ وجَعُ عينه فعالجه طبيبٌ فبرأ <sup>(٤)</sup> ، فلو جعل الطبيبُ ذلك حُجَّةً على نُبوِّته لوجب علينا تكذيبه ، ولو قال رجلٌ من غير أنَّ يمسه أو يدنوَّ إليه : اللهمَّ إن كنتُ صادقاً عليك فاشفه الساعة ، فبرأ <sup>(٥)</sup> من ساعته لعلمنا أنَّه صادق .

فإن قالوا : وما علمنا أنَّ محمداً عليه السَّلامُ لم يكن منجماً ؟  
قلنا : إنَّ علمنا بذلك كعلمنا بأنَّ العباسَ وحمزةً وعلياً وأبا بكرٍ وعمر ، رضوانُ الله عليهم أجمعين ، لم يكونوا منجمين ، ولا أطباءً متكهنين . وكيف يجوز أن يصير إنسانٌ عالماً بالنُّجوم من غير أن يختلف

(١) ب فقط : « غير المنجمين » ، تحريف .

(٢) ب ، م : « عل » بسقوط الواو .

(٣) ب ، م . : « لم يكن الأمر قبل الوحي » ، وإكماله من ط .

(٤) ط : « فبرئ » ، وهما لغتان : برأ يبرأ ويبرؤ ، وبرئ يبرأ ، أى شفى من مرضه .

(٥) م ، ط : « فبرى » .

إلى المنجمين ، أو يختلفوا إليه ، أو يكون علم النجوم فاشياً في أهل بلاده ، أو يكون في أهله واحدٌ معروف به . ولو بلغ إنسانٌ في علم النجوم ، وليست معه عِلَّةٌ من هذه العلل ، وكان ذلك يخفى ، لكان ذلك كـبعض الآيات والعلامات .

ومتى رأينا حاذقاً بالكلام ، أو بالطب ، أو بالحساب ، أو بالغناء ، أو بالنجوم ، أو بالعروض ، خَفِيَ على الناس موضعه وسببه ؟ !  
وجميع ما ذكرنا ، فعناية الناس به <sup>(١)</sup> وعداوتهم ، وشهرته في نفسه ، دون محمد صلى الله عليه وسلم .

وهل نصب أحدٌ قطُّ لأحدٍ إلا بدون ما نصَّبَ له رهطه <sup>(٢)</sup> ، وأداني أهله <sup>(٣)</sup> ، ومن معه في بيته وربعه .

وما أعرف - يرحمك الله - المعاند والمسترشِد والمصدق والمكذب ، ينكر أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن منجماً ولا طبيباً . وإذا قال الجاهل : إنه قد كان يعلم الخطَّ فخفى له ذلك ، وتعلم الأسباب والقضاء في النجوم فخفى له ذلك ، وتعلم البيان وقدر منه <sup>(٤)</sup> على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك ، أليس مع قوله ما يعلمُ خلافه ، يعلم أنه قد سلَّم له أعجوبةٌ كأعجوبة إِبْرَاهِيمَ الْأَكْمَه والأبرص ، والمشى على الماء ، إذ كان ذلك لا يجوز ، ولا يمكنُ في الطبائع والعقل والتجربة .

وافهم يرحمك الله ما أنا واصفه لك : هل يجد التَّارِك لتصديقه

(١) ب ، م : « عناية الناس به » .

(٢) نصب له : أظهر له العدا . ط : « وهل نسب أحد قط لأحد إلا دون مانسبه له رهطه » ، تحريف . وبعد كلمة « رهطه » في كل من ب ، م وردت لفظة « نعمة » مقحمة .

(٣) الأداني : جمع أدنى ، وهو الأقرب . ب ، م : « وأراني » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وتعلم البيان على قدر منه » ، صوابه في ط .

أنَّه لا يدري بزعمه ، لعلَّه كان أعلمَ الخلق بالنجوم ، ناظراً لنفسه ، غير معاندٍ لحجَّة عقله . وهو لم يجد أحداً قطُّ برَّعَ في صناعةٍ واحدةٍ فمخفى على الناس موضعه بكلِّ ما حكينا وفسرنا .

وأنت كيف تعلم أنَّه ليس في إخوانك مَنْ ليس بمنجَّم ، وأنَّ فيهم من ليس بطبيب ، إلَّا بمثل ما يعرف به رهطُ النبي صلى الله عليه وآله منه .

وكيف لم يشتهر ذلك ، ولم لم يحتجَّ به عليه ؟ ولقد بلغ من إسرافهم في شتمه ، وإفراطهم عليه ، أنَّ نافقوا وأحالوا ، لأنَّهم كانوا يقولون له : أنت ساحرٌ ، وأنت مجنون ! وإنَّما يقال للرجل : ساحر ، لخلابته وحسن بيانه ، ولطُف مكايده ، وجودة مداراته وتجبُّيه . ويقال : مجنونٌ ، لضدِّ ذلك كله .

### ٣٥ - فصل منه

وليس ينتفع الناس بالكلام في الأخبار إلَّا مع التَّصادق ، ولا تصادق إلَّا مع كثرة السماع ، والعلم بالأصول ؛ لأنَّ رجلاً لو نازع في الأخبار ، وفي الوعد والوعيد ، والخاصَّ والعامَّ ، والناسخ والمنسوخ ، والفريضة والنافلة ، والسُّنة والشريعة ، والاجتماع والفرقة ، ثم حَسُنَتْ نيَّته ، وناضحَ عن نفسه <sup>(١)</sup> ، لما عرف حقائق باطلٍ دون أن يكون قد عرف الوجوه ، وسمع الجُمْل <sup>(٢)</sup> ، وعرف الموازنة ، وما كان في الطبائع ، وما يمتنع فيها . وكيف أيضاً يقول في التَّساويل مَنْ لم يسمع بالتنزيل ؟ وكيف يعرف صدقَ الخبرِ من لم يعرف سبب الصدق <sup>(٣)</sup> ؟

(١) في اللسان ( نضح ) : « ويقال هو يناضح عن قومه وينافح عنهم ، أى يذب عنهم » . وفي جميع النسخ : « وناصح عن نفسه » ، صوابه ما أثبت .

(٢) ب : « وسئل الجمل » ، صوابه في م ، ط .

(٣) م فقط : « سبب الخبر » .

واعلم أنَّ من عود قلبه التشكُّك<sup>(١)</sup> اعتراه الضعف ، والنفس عُرُوف<sup>(٢)</sup> ، فما عودتها من شيء جرت عليه .

والمتحير<sup>(٣)</sup> إلى تقوية قلبه وردَّ قوته عليه وإفهامه موضع رأيه ، وتوقيفه<sup>(٤)</sup> على الأمر الذي أثقل صدره<sup>(٥)</sup> ، أحوَجُ منه إلى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله ، والمجيء الذي لا يكذب مثله . وسنتكلف من علاج دائه ، وترتيب إفهامه إن أعان على نفسه ، بما لا يُبقي سبباً للشك ، ولا علة للضعف . والله تعالى المعين على ذلك ، والمحمود عليه .

### ٣٦ - فصل منه

ومتى سمعنا نبي الله عليه السلام أتكل على عدالته ، وعلى معرفة قومه بقديم طهارته ، وقلّة كذبه ، دون أن جاءهم بالعلامات والبرهانات؟ ولعمري لو لم نجد<sup>(٦)</sup> الحافظ ينسى ، والصادق يكذب ، والمؤمن يبذل ، لقد كان ما ذهبوا إليه وجهاً .

### ٣٧ - فصل منه في ذكر دلائل

#### النبي عليه الصلاة والسلام

وباب آخر يُعرف به صدقه ، وهو إخباره عما يكون ، وإخباره عن

(١) ب : « التشكُّك » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ب ، ط : « عُرُوف » ، صوابها في م .

(٣) في جميع النسخ : « والمتحير » بالخاء المعجمة ، وإنما يراد هنا المتحير المتشكك ، فالوجه ما أثبت .

(٤) في جميع النسخ : « وتوقيفه » ، تحريف ما أثبت .

(٥) ب : « أثقل صدره » صواب هذه ما أثبت . وفي م ، ط : « أشغل صدره » ، وهي صحيحة أيضاً . لكن في القاموس : « وأشغله لغة جيدة ، أو قليلة ، أو رديئة » .

(٦) ب ، م : « أن لو نجد » ، صوابه في ط .



ضمائر الناس<sup>(١)</sup> ، وما يأكلون وما يدخرون ، ولدعائه المستجاب الذى لا تأخير فيه ، ولا خلّف له . وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وسلم حين لقى من قريش والعرب ما لقى من شدة أذاهم له ، وتكذيبهم إياه ، واستعانتهم عليه بالأموال والرجال ، دعا الله جلّ وعزّ أن يجذب بلادهم ، وأن يدخل الفقر بيوتهم ، فقال صلى الله عليه وآله : « اللهم سنين كسنى يوسف<sup>(٢)</sup> . اللهم اشدّد وطأتك على مُصر » .

فأمسك الله عزّ وجلّ عنهم المطرَ حتى مات الشجر ، وذَهَب الثمر ، وقُلّت المزارعُ ، وماتت المواشى ، وحتى اشتَووا القِدّ والعِلْهز<sup>(٣)</sup> .

فعند ذلك وفد حاجبُ بن زُرارة على كسرى ، يشكو إليه الجَهْد والأَزْل<sup>(٤)</sup> ويستأذنه فى رعى السّواد<sup>(٥)</sup> ، وهو حين ضمّنه عن قومه ، وأرهنه قوسه . فلما أصاب مَصْرَ خاصّة الجَهْد ، ونَهَكهم الأَزْل ، وبلغت الحُجّة مبلغها ، وانتهت الموعظةُ منتهاها ، عادَ بفضله صلى الله عليه وسلم ، على الذى بدأهم به ، فسأل ربّه الخِصْبَ وإِدْرار الغَيْث ، فاتّاهم منه ما هَدَمَ بُيُوتَهُمْ ، ومنَعهم حوائِجَهُمْ ، فكَلَّمهم فى ذلك فقال : « اللهم حَوِّكِنَا وَلَا عَلَيْنَا » . فأمطر الله عزّ وجلّ ما حولهم ، وأمّسك عنهم .

وكتب إلى كسرى يدعوه إلى نجاته وتخليصه من كفره ، فبدأ باسمه على اسمه ، فاتّف من ذلك كسرى لشقوّته ، وأمر بتحزيق الكتاب ،

(١) ب فقط : « ضمير الناس » .

(٢) ب فقط « كسنى يوسف » ، تحريف . وكانت سنو يوسف سبعاً شداداً ذات قحط وغلاء . والحديث من أفراد البخارى . انظر الحديث ٦١٩ من الألف المختارة .

(٣) القد ، بالكسر : سير يقدر من جلد غير مدبوغ . والعِلْهز ، كزبرج : خليط من الدم وأوبار الإبل ، وقد يخلطون به القردان ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه .

(٤) الأزل ، بالفتح : شدة الزمان ، يقال هم فى أزل من العيش وأزل من السنة .

(٥) السواد : جماعة النخل والشجر ، لحضرته واسوداده . وسواد العراق : ما حوالى

مدنه من القرى والرسائيق .

فلَمَّا بلغه صَلَّى اللهُ عليه وسلم قال : « اللَّهُمَّ مَزِقْ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ » .  
 فَمَزَّقَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ ملكه ، وَجَدَّ أَصله ، وَقَطَعَ دَابِرَه ، لِأَنَّ كُلَّ مَلِكٍ فِي  
 الْأَرْضِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أُخْرِجَ مِنْ مُعْظَمِ مَلِكِهِ ، فَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى بَقِيَّةٍ مِنْهُ ،  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَتْرُكْ مَلِكًا بِحَيْثُ تَنَالَهُ الْحَوَافِرُ وَالْأَخْفَافُ  
 وَالْأَقْدَامُ ، إِلَّا أَزَالَهُ عَنْهُ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهُ إِلَى عِقَابٍ يَعْتَصِمُ بِهَا <sup>(١)</sup> ،  
 وَمَعَاقِلَ يَأْوِي إِلَيْهَا ، أَوْ طَرَدَهُ إِلَى خَلِيجٍ مَنِيعٍ ، لَا يَقْطَعُهُ إِلَّا السُّفُنُ <sup>(٢)</sup> ،  
 فَهُمْ مِنْ بَيْنِ هَارِبٍ قَدْ دَخَلَ فِي وَجَارٍ ، أَوْ اخْتَفَى <sup>(٣)</sup> فِي غَيْضَةٍ ، أَوْ مُقِيمٍ  
 عَلَى فَمٍ شِعْبٍ ، وَرَأْسٍ مَضِيقٍ ، قَدْ سَخَتْ نَفْسُهُ عَنْ كُلِّ سَهْلٍ ، وَأَسْلَمَ  
 كُلُّ مَرَجٍ أَوْ مُلْكٍ لَا قَرَارَ لَهُ ، وَلَيْسَ بِذِي مَدَرٍ فَيُؤْتَى ، وَإِنَّمَا أَصْحَابُهُ  
 أَكْرَادٌ يَطْلُبُونَ النُّجْعَةَ ، أَوْ كَخَوَارِجٍ يَطْلُبُونَ الْغِرَّةَ <sup>(٤)</sup> . فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ  
 مَلِكٌ يُصْجِرُ لَهُمْ <sup>(٥)</sup> ، وَيَقِيمُ بِإِزَائِهِمْ ، وَيَغَادِيهِمْ الْحَرْبَ وَيُمَسِّيهِمْ ،  
 وَيَسَاجِلُهُمُ الظُّفَرَ وَيَنَاهِضُهُمْ ، كَمَا كَانَتْ مَلُوكُ الطَّوَائِفِ ، وَكَالَّذِي كَانَ  
 بَيْنَ فَارَسَ وَالرُّومِ - فَلَا ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ  
 بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> . إِلَى قَوْلِهِ عَزَّ ذَكَرَهُ :  
 ﴿ الْمَشْرُكُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> . فَلَمْ يَرْضَ أَنْ أَظْهَرَ دِينَهُ حَتَّى جَعَلَ أَهْلَهُ الْغَالِبِينَ  
 بِالْقُدْرَةِ ، وَالظَّاهِرِينَ بِالْمَنْعَةِ ، وَالْآخِذِينَ الْإِثَاوَةَ .

(١) العقاب : جمع عقبة ، وهى طريق فى الجبل وعرة .

(٢) ب : « لا يَمْنَعُهُ » ، صوابه فى م ، ط .

(٣) فى جميع النسخ : « واختفى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ب فقط : « العزة » .

(٥) أصح : برز وظهر . ب ، م : « يصخر » ط : « يصهر » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) الآية ٣٣ من سورة التوبة و ٢٨ من سورة الفتح و ٩ من سورة الصف . وختام الأولى

والأخيرة : « ولو كره المشركون » ، وختام الوسطى : « وكفى بالله شهيدا » .

(٧) ب ، م : « الكافرون » ، تحريف ، صوابه فى ط .

وكتب كسرى إلى فيروز الديلمي<sup>(١)</sup> ، وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن : أن أحمل إلى هذا العبد الذي بدأ بأسه قبل اسمي ، واجترأ على ، ودعاني إلى غير ديني ! فأتاه فيروز فقال : إن ربّي أمرني أن أحملك إليه . فقال صلى الله عليه وسلم : « إن ربّي خبرني أنه قد قتل ربك البارحة ، فأمسك على ريشمًا يأتيك الخبر ، فإن تبين لك صدق ، وإلا فانت على أمرك » . فراع ذلك فيروز وهاله ، وكره الإقدام عليه ، والاستخفاف به ، فإذا الخبر قد أتاه : أن شيرويه قد وثب عليه في تلك الليلة فقتله . فأسلم وأخلص ، ودعا من معه من بقية الفرس إلى الله عزّ ذكره<sup>(٢)</sup> فأسلموا .

### ٣٨ - فصل منه<sup>(٣)</sup> في ذكر النبي صلى الله عليه وآله

ثم إن الذي تقدّمه صلى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقدمة ، في الأزمان المتباعدة ، والبُلدان الموجودة بكلّ مكان ، على شدة عداوة أهلها ، وتعصّب حاملها ، ومع قوّة حسدهم ، وشدة بغيتهم . وما ذلك ببديعٍ منهم ومن آبائهم ، على أنّهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم . وكلّ النّاس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم . وآباؤهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم السلام ، وتعنّتوا رسلهم صلى الله عليه وآله ، حتّى خلاهم الله عزّ وجل من يده ، وأفقدتهم عصمته وتوفيقيه .

(١) فيروز الديلمي ، ويقال « فيروز بن الديلمي » كما في ب ، وهو صحابي يكنى أبا الضحاك ، وأبا عبد الرحمن . وكان من أبناء الأساورة من فارس ، الذين كان كسرى قد بعثهم إلى قتال الحبشة . ووفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعد إسلامه رجع إلى اليمن وأعان على قتل الأسود العنسي الكذاب ، وأتى برأسه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقد سكن مصر . ومات في خلافة عثمان ، وقيل في خلافة معاوية ، باليمن سنة ٥٣ . الإصابة ٧٠٤ .

(٢) م : « عز وجل » .

(٣) منه ، ساقطة من ب .

ولم استدلَّ على ذكره في التَّوراة والإنجيل والزَّبُور ، وعلى صِفته  
والبشارة به في الكُتُب إِلَّا لِأَنَّكَ <sup>(١)</sup> متى وجدتَ النَّصرانيَّ واليهوديَّ  
يُسلم بأرض الشام وجدته يَعْتَلُّ بِأُمُورٍ ، ويحتجُّ بِأَشْيَاءٍ مثلِ  
الأُمُور التي يحتجُّ بها من أسلم بالعراق . وكذلك من أسلم بالحجاز ،  
ومن أسلم من اليمن ، من غير تلاقٍ ولا تعارف ، ولا تشاعُرٍ <sup>(٢)</sup> . وكيف  
يتلاقون ويتراسلون ، وهم غير متعارفين ولا مُتَشاعرين؟ ولو كانوا كذلك  
لظهر ذلك ولم ينكتِم ، كما حكينا قبلَ هذا . ولو قابلتَ بين أخبارهم  
واحتجاجهم مع كثرة الألفاظ واختلاف المعاني ، لوجدتها متساوية .

### ٣٩ - فصل منه

فإن قال قائل : لمَ كانت أعلامُ موسى عليه السلام في كثرتها <sup>(٣)</sup>  
مع غيِّ بني إسرائيل ، ونقصان أحلام القبط ، في وزنِ أعلام محمد  
صلى الله عليه وسلم وفي قدرها ، مع أحلام قريش ، وعُقول العرب .  
ومتى أحسبتَ أن تعرفَ غيِّ بني إسرائيل ونقصان <sup>(٤)</sup> أحلام  
القبط ، ورُجحان عقول العرب <sup>(٥)</sup> ، وأحلام كنانة <sup>(٦)</sup> ، فأت <sup>(٧)</sup>  
بَواديهم ورباعهم . وانظر إلى بنيهم <sup>(٨)</sup> وبقيائهم ، كما نظرتَ إلى بني  
إسرائيل من اليهود <sup>(٩)</sup> وغيِّ بني من مضى من القبط - تعتبرُ ذلك وتعرفُ

(١) ب ، م : « بأنك » .

(٢) انظر ما سبق في ص ٢٥٠

(٣) ب ، م : « وكثرتها » .

(٤) ط : « ونقص » .

(٥) رجحان ، ساقطة من ب ، م .

(٦) ب ، م : « وأحكام كنانة » .

(٧) ط : « فانظر » .

(٨) ب : « بينهم » ، صوابه في م ، ط .

(٩) ب ، م : « من اليهود عليهم لعنة الله تعالى وعز ودين من مضى من القبط » .

ما أقول . ثم انظرُ في أشعار العرب الصَّحيحة <sup>(١)</sup> ، والخطب المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والألفاظ المشهورة ، والمعاني المذكورة ، ممَّا نقلته الجماعاتُ عن الجماعات ، وكلام العرب ومعانيهم في الجاهليَّة . ثم تفقَّد ، وسلَّ أهل العلم والخبرة عن بني إسرائيل ، فإنَّ وجدتَ لهم مثلاً سائراً كما تسمع للقبط والفرس ، فضلاً عن العرب فقد أبطلنا فيما قلنا .

وقد كان الرَّجلُ من العرب يقف المواقف ، ويسيرُ عدَّة أمثال <sup>(٢)</sup> ، كلُّ واحدٍ منها ركنٌ يُبنى عليه ، وأصلٌ يتفرَّع منه <sup>(٣)</sup> .

أو هل تسمع لهم <sup>(٤)</sup> بكلامٍ شريفٍ ، أو معنىً يستحسنه أهلُ التجربة ، وأصحابُ التدبير والسياسة ، أو حُكم <sup>(٥)</sup> أو حِكْمة ، أو حِذْقٍ في صناعة ، مع تَرادُفِ المُلْك فيهم ، وتَظَاهُرِ الرِّسالة في رجالهم .

وكيف لا تقضي عليهم بالغيُّ والجهل ، ولم تسمعْ لهم بكلمةٍ فاخرةٍ ، أو معنىً نبيهٍ <sup>(٦)</sup> ، لا مَن كان في المبدى ، ولا مَن كان في المحضَر <sup>(٧)</sup> ، ولا من قاطنى السَّواد <sup>(٨)</sup> ، ولا من نازلى الشَّام ؟

ثم انظرُ إلى أولادهم مع طول لُبثهم فينا ، وكَوْنهم معنا ، هل غيرُ

(١) هذا ما في م . وفي ب ، ط : « في الأشعار الصحيحة » .

(٢) ب ، م : « ويسير عدة أميال » ط : « وينشئ عدة أمثال » ، وأثبت الصواب من بينهما .

(٣) ب ، م : « ركن يبنى وأصل لفرع منه » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « أهم » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « أو حكم » .

(٦) النبيه : الجليل المشهور . ب فقط : « بينة » ، تحريف .

(٧) المبدى : مكان خروجهم في البادية ، خلاف المحضَر في الحاضرة . ب : « المبداء »

م ، ط : « المبدأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ب فقط : « قاطن السواد » .

ذلك من أخلاقهم وشائيلهم ، وعقولهم ، وأحلامهم ، وآدابهم ، وفطنهم ؟  
فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم .

وليس النصارى كاليهود ، لأن اليهود كلهم من بنى إسرائيل إلا القليل .

وبعد ، فلم يضرب فيهم غيرهم ، لأن مناكحهم مقصورة فيهم ،  
ومحبوسة عليهم ، قصور أولهم مؤداة إلى آخرهم <sup>(١)</sup> ، وعقول أسلافهم  
مردودة على أخلافهم <sup>(٢)</sup> ، ثم اعتبر بقولهم لنبيهم عليه السلام : ﴿ اجعل  
لنا إلهاً كما لديهم إلهة ﴾ <sup>(٣)</sup> حين مروا على قوم يعكفون على أصنام  
لم يعبدونها . وكقولهم : ﴿ أرنا الله جهرة ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وكعكوفهم على عجل  
صنع من حليهم ، يعبدونه من دون الله ، بعد أن أراهم من الآيات ما أراهم .  
وكقولهم : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فكان  
الذى جاء به موسى عليه السلام ، مع نقص بنى إسرائيل والقيبط ، مثل  
الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، مع رجحان قريش والعرب .

وكذلك وعد محمد عليه السلام بنار الأبدي ، كوعيد موسى بنى  
إسرائيل بالقاء الهلاس على زروعهم <sup>(٦)</sup> ، والهم على أفئدتهم ، وتسليط  
الموتان على ماشيتهم <sup>(٧)</sup> ، وبإخراجهم من ديارهم ، وأن يظفر بهم

(١) في جميع النسخ : « قصوراً ولهم مؤداة إلى آخره » ، وأرى الوجه فيما أثبت .

(٢) الأخلاف : جمع خيف ، بالتحريك ، وهو الولد صالحاً كان أو طالحاً . ب ، م  
« أخلاقهم » ، صوابه في ط .

(٣) من الآية ١٣٨ من الأعراف .

(٤) من الآية ١٥٣ من النساء .

(٥) من الآية ٢٤ من المائدة .

(٦) الهلاس ، بالضم : شبه السل من الهزال . وفي سفر اللاويين ٢٦ : ١٦ : « أسلط عليكم  
رجباً وسلا وحى تقى العينين ، وتلتف النفس ، وتزرعون باطلا زرعكم فياً كله أعداؤكم » .

(٧) انظر سفر اللاويين ٢٦ : ٢٢ . والموتان ، بالضم ويفتح : موت يقع في الماشية .

عدوهم . فكان تعجيل العذاب الأدنى<sup>(١)</sup> في استدعائهم واستماتتهم ، وردعهم عما يريد بهم ، وتعديل طبائعهم ، كتأخير العذاب الشديد على غيرهم ، لأنَّ الشديد<sup>(٢)</sup> المؤخر لا يزجر إلا أصحاب النظر في العواقب ، وأصحاب العقول التي تذهب في المذاهب<sup>(٣)</sup> .

فسبحان من خالف بين طبائعهم وشرائعهم ليتفقوا على مصالحهم في دنيائهم ، ومرآشدهم في دينهم ، مع أنَّ محمداً صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها في العقل موقع ، كموقع فلق البحر من العين ، وذلك قوله لقريشٍ خاصَّةً ، وللعرب عامَّةً ، مع ما فيهما من الشعراء والخطباء والبلغاء ، والدهاة والحلماء<sup>(٤)</sup> ، وأصحاب الرأي والمكيذة ، والتجارب والنظر في العاقبة : إن عارضتموني بسورة واحدة فقد كذبت في دعوائى . وصدقت في تكذيبى .

ولا يجوز أن يكون مثلُ العرب في كثرة عددهم واختلافِ علمهم ، والكلامُ كلامهم ، وهو سيّد عملهم ، فقد فاض بيانهم ، وجاشت به صدورهم ، وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم . حتّى قالوا في الحيات والعقارب ، والذباب والكلاب ، والخنافس والجعلان ، والحمير والحمام ، وكل ما دبَّ ودرج ، ولاح لعين ، وخطر على قلب . ولهم بعد أصنافُ النظم . وضروبُ التأليف ، كالقصيد<sup>(٥)</sup> ، والرجز ، والمزدوج . والمُجانس<sup>(٦)</sup> ، والأسجاع<sup>(٧)</sup> والمنثور .

(١) ب ، م : « الدون » .

(٢) ب فقط : « لأن العذاب » .

(٣) ب فقط : « بالمذاهب » .

(٤) العلماء : ذوو الألب والعقول . م فقط : « والحكماء » .

(٥) ب فقط : « كالقصة » .

(٦) هو م عرف بعد بالجدس في اصطلاح البلاغيين .

(٧) ب ، م : « الأسجاع » ، ط : « الأسماع » ، صوابهما ما أثبت .

وبعد . فقد هَجَّوهُ من كلِّ جانب . وهاجَى أصحابُه شعراءَهُم <sup>(١)</sup> ،  
ونازعوا خُطباءَهُم ، وحاجَّوهُ في المواقف ، وخاصَّمُوهُ في المواسم ، وبادَّوهُ  
العداوة <sup>(٢)</sup> ، وناصَبُوهُ الحرب . ففَقَتَل منهم ، وقتَلُوا منه . وهم أثبتُ  
النَّاسِ حِقْدًا ، وأبعدُهُم مطلبًا ، وأذكُرهم لخير أو لشرٍّ ، وأنفاهم له .  
وأهْجَاهم بالعَجْز ، وأمدَحهم بالقوَّة ، ثمَّ لا يُعارضه معارضٌ . ولم  
يتكلَّف ذلك خطيبٌ ولا شاعر .

ومحالٌ في التعارف . ومستنكرٌ في التصادق . أن يكون الكلامُ  
أَخْصَرَ عندهم <sup>(٣)</sup> ، وأيسَرَ مَثُونَةً عليهم ، وهو أبلغ في تكذيبهم  
وأنقَضُ <sup>(٤)</sup> لقوله ، وأجدر أن يعرف ذلك أصحابُه <sup>(٥)</sup> فيجتمعوا على  
ترك استعماله ، والاستغناء به ، وهم يبذلون مُهْجَهُم <sup>(٦)</sup> وأموالهم ،  
ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره ، وفي توهين ما جاء به ، ولا  
يقولون ، بل لا يقول واحدٌ من جماعتهم : لِمَ تقتلون أنفسكم <sup>(٧)</sup> ،  
وتستهلكون أموالكم ، وتخرجون من دياركم ، والحيلةُ في أمره يسيرة .  
والمأخذ في أمره قريب ؟ ! ليؤلَّف واحدٌ من شعرائكم وخطباءكم كلاماً  
في نظم كلامه ، كأقصر سورة يُخَذِّلُكم بها ، وكأصغر آيةٍ دعاكم إلى  
معارضتها . بل لو نَسُوا ، ما تركهم حتَّى يذكُرهم ، ولو تغافلوا ما ترك  
أن ينبِّههم ، بل لم يرض بالتَّنبيه دون التوقيف .

(١) ب : « وهجى أصحابه شعراؤهم » .

(٢) يقال باداه بالعداوة : جاهره بها . وبادره إلى الشيء : عاجله وسابقه . ووردت  
« العداوة » هنا متعدياً إليها الفعل بغير الحرف . وفي ط : « وبادروه العداوة » .

(٣) من الاختصار . وفي اللسان : « الاختصار في الكلام أن تدع الفضول وتستوجز  
الذي يأتي على المعنى » .

(٤) ب ، م : « وأنقص » بلصاد المهمة .

(٥) ذلك ، من ط فقط .

(٦) ب ، م : « ويبذلون » ب فقط : « مهجعهم » ، صوابه في م ، ط .

(٧) ب ، م : « ولم تقتلون أنفسكم » .



فدلَّ ذلك العاقلَ على أنَّ أمرهم في ذلك لا يخلو من أحد أمرين :  
 إمَّا أنَّ يكونوا عَرَفُوا عجزهم ، وأنَّ مثلَ ذلك لا يتهيأُ لهم . فرأوا  
 أنَّ الإضرابَ عن ذكره ، والتَّغافلَ عنه في هذا الباب وإن قرَّعهم به ،  
 أمثلَ لهم في التدبير . وأجدر <sup>(١)</sup> أن لا يتكشَّفَ أمرهم للجاهل والضعيف ،  
 وأجدر أن يَجِدُوا إلى الدعوى سبيلاً ، وإلى اختداع الأنبياء سبباً ، فقد  
 ادَّعوا القُدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه ، وهو قوله عزَّ ذكره : ﴿ وَإِذَا  
 تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا <sup>(٢)</sup> ﴾ .

وهل يُدْعِنُ الأعرابُ وأصحابُ الجاهليَّة للتَّفريع بالعجز <sup>(٣)</sup> ،  
 والتَّوقيف على النقص ، ثم لا يبذلون مجهودهم ، ولا يخرجون مكنونهم <sup>(٤)</sup>  
 وهم <sup>(٥)</sup> أَشَدُّ خلق الله عز وجل أنْفَةً ، وأَفَرَطُ حَمِيَّةً ، وأَطْلَبُهُ بِطَائِلَةً ،  
 وقد سَمِعُوهُ <sup>(٦)</sup> في كلِّ مَنْهَلٍ وَمَوْقِفٍ . والنَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِالخَطَّابَاتِ ،  
 مُوَلَّعُونَ بالبلاغات . فمن كان شاهداً فقد سمعه ، ومن كان غائباً فقد  
 أتاه به من لم يُزَوِّدْهُ <sup>(٧)</sup> .

وإمَّا أن يكونَ غيرُ ذلك .

ولا يجوز أن يُطَبِّقُوا <sup>(٨)</sup> على ترك المعارضةِ وهم يقدرُون عليها ،

(١) ب ، م : « وأحذر » ، تحريف ماقى ط .

(٢) الآية ٣١ من سورة الأنفال .

(٣) ب ، م : « والأعراب وأصحاب الجاهلية التفريع بالعجز » . وصواب النص وتماه

في ط .

(٤) ب ، م : « تم لا يبذل مجهودها ويخرج مكنونها » ، صوابه في ط .

(٥) ب ، م : « وهو » .

(٦) ب ، م : « وقد سمعته » .

(٧) نظر إلى قول طرفة في معلقته :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ب ، م : « يروده » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « أن يطبقوا » ، تحريف ماقى ط .

لأنَّه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحُلماء<sup>(١)</sup> ، مع اختلاف عِللهم ، وبُعْد هِمَمهم ، وشِدَّة عداوتهم الإطباقُ على بذل الكثير ، وصَوْن اليسير .

وهذا من ظاهر التدبير ، ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء ، وأهل المعارف<sup>(٢)</sup> فكيف على الأعداء ، لأنَّ تحبير الكلام أهون من القتال ، ومن إخراج المال .

ولم يُقل<sup>(٣)</sup> : إِنَّ القوم قد تركوا مساءلته<sup>(٤)</sup> في القرآن والطعن فيه . بعد أن كثرت خصومتهم في غيره .

ويدلُّك على ذلك قوله عزَّ وجلَّ<sup>(٥)</sup> : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾<sup>(٦)</sup> وقوله عز ذكره : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾<sup>(٧)</sup> ، وقوله تعالى جل ذكره : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ﴾<sup>(٨)</sup> .

ويدلُّك كثرة هذه المراجعة ، وطول هذه المناقلة ، على أنَّ التفريع<sup>(٩)</sup> لهم بالعجز كان فاشياً ، وأنَّ عجزهم كان ظاهراً .

(١) ط فقط : « والحكاه » بالكاف . وانظر ما سبق في ٢٧٥ .

(٢) ب ، م : « وعلى المعارف » ، تحريف مافى ط .

(٣) م ، ب : « ولم تقبل » ، وأثبت مافى ط .

(٤) م : « مسألته » ، وهي لغة جائزة فيب .

(٥) ذلك ، ساقطة من ب . وفي ب ، م : « عز ذكره » .

(٦) الآية ٣٢ من الفرقن . وفي م : « أنزل عليه » تحريف .

(٧) الآية ١٥ من يونس .

(٨) الآية ٤ من الفرقان .

(٩) م ، ط : « التفريع » ، صوابه في ب .

ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم تحدّاهم بالنظر والتأليف<sup>(١)</sup> ، ولم يكن أيضاً أراحَ عليهم ، حتّى قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾<sup>(٢)</sup> وعارضوني بالكذب . لقد كان في تفصيله له وتركيبه ، وتقديمه له واحتجاجه ، ما يدعو إلى معارضته ومغالبته وطلب مساويه .

ولو لم يكن تحدّاهم من كلّ ما قلنا ، وقرّعهم بالعجز عمّا وصفنا - وهل هذا<sup>(٣)</sup> إلّا بمديحه له ، وإكشاره فيه - لكان ذلك سبباً مُوجباً لمعارضته ومُغالبته وطلب تكذيبه ، إذ كان كلامهم هو سيّد عملهم ، والمثبوتة فيه أخفّ عليهم ، وقد بذلوا النفوس والأموال . وكيف ضاع منهم ، وسقط على جماعتهم نيّفاً وعشرين سنة ، مع كثرة عددهم ، وشدة عقولهم ، واجتماع كلمتهم؟! وهذا أمرٌ جليلُ الرأى ، ظاهرُ التدبير<sup>(٤)</sup> .

#### ٤٠ - فصل منه في ذكر امتناعهم من معارضة القرآن لعلمهم بعجزهم عنها<sup>(٥)</sup>

والذى منعهم من ذلك هو الذى منع ابن أبى العوّاء<sup>(٦)</sup> ، وإسحاق بن

(١) ب ، م : « والتأليف » .

(٢) الآية ١٣ من سورة هود . وبدلها لها في ب ، م : « فهااتوا مفتريات » ، ويصح هذا الكلام لو لم يكن مسبوقاً بكلمة « تعالى » .

(٣) ب ، م : « قل هذا » .

(٤) بعده في ب : « لا يحمل من ابتداء القول فيه وساربه » ، وفي م : « لحمل من ابتداء القول فيه وساربه » ، وهاتان العبرتان لم تردا في ط .

(٥) ط : « في كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها » ، صوابه في ب ، م

(٦) هو عبد الكريم بن أبى العوّاء ، من بنى عمرو بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، وكان أحد الزنادقة ، صلبه محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بلبصرة . جمهرة ابن حزم ٣١٦ . وكان خال معن بن زائدة ، وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة : كان يرى في السردين المانوية من الشنوية ، وكان يقول بالتناسخ ، وكان يميل إلى رأى الرافضة في الإمامة ، والرابع قوله بالقدر في أبواب التعدين والتجويز . الفرق بين الفرق ٢٥٥ - ٢٥٦ .

طالوت<sup>(١)</sup> ، والنعمان بن المنذر ، وأشباههم من الأرجاس ، الذين استبدلوا بالعزّ ذلاً ، وبالإيمان كُفراً ، والسعادة شقوة<sup>(٢)</sup> ، وبالحجة شبهة .

بل لا شبهة في الزندقة خاصة . فقد كانوا يصنعون الآثار ، ويولّدون الأخبار ، ويبثونها في الأمصار . ويقطعون في القرآن ، ويسألون عن مُشابهه ، وعن خاصه وعامه<sup>(٣)</sup> ، ويضعون الكتب على أهله . وليس شيء مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل غبي<sup>(٤)</sup> ، ولا معاند ذكي .

#### ٤١ - فصل منه

ولما كان أعجب الأمور عند قومِ فرعون السحر ، ولم يكن أصحابه قط في زمانٍ أشدَّ استحكاماً فيه منهم في زمانه ، بعث الله موسى عليه السلام على إبطاله وتوهينه . وكشف ضعفه وإظهاره . ونقض أصله<sup>(٥)</sup> لردع الأغبياء من القوم<sup>(٦)</sup> . ولن نشأ على ذلك من السفلة والطغام . لأنه لو كان أتاهاهم بكل شيء ، ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة ، لكانت نفوسهم إلى ذلك متطلعة ، ولاعتلّ به أصحاب الأشغاب<sup>(٧)</sup> ، ولشغلوا به بال الضعيف<sup>(٨)</sup> ، ولكن الله تعالى جدّه ، أراد حسم الداء . وقطع المادة ، وأن لا يجدد المبطلون متعلّقاً ،

(١) يبدو أنه أحد الزنادقة ، ولم أجده خبراً .

(٢) ب ، م : « شقاوة » ، وهما بمعنى ما يقابل السعادة . وفي التنزيل العزيز : « ربنا غلبت علينا شقوتنا » ، وقرأ ابن مسعود : « شقاوتنا » .

(٣) ب : « وعن خاصة وعامة » ، صوابه في م ، ط .

(٤) ب : « عى » م : « غى » ، صوابهما في ط .

(٥) ب فقط : « ونقض أصله » ، تحريف .

(٦) بدل هذا كله في ب : « لأغبياء القوم » وفي م : « الأغبياء القوم »

(٧) الأشغاب : جمع شغب ، بالتحريك ، وهي لغة ضعيفة في الشغب ، بالفتح ، وهو تهيج الشر . وفي ب : « الأشغاب » وفي ط : « الأشغال » ، وأثبت ما في م .

(٨) ب فقط : « باب الضعيف » .

ولا إلى اختداع الضعفاء سبيلاً<sup>(١)</sup> ، مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات ، وضروب العلامات .

وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله ، وعلى خاصة علمائه الطُّبِّ ، وكانت عوامُّهم تعظم على ذلك خواصَّهم ، فأرسله الله عزَّ وجلَّ بإحياء الموتى ، إذ كانت<sup>(٢)</sup> غايتهم علاج المرضى . وأبرأ لهم الأكمه<sup>(٣)</sup> إذ كانت غايتهم علاج الرَّمَدِ<sup>(٤)</sup> ، مع ما أعطاه الله عزَّ وجلَّ من سائر العلامات . وضروب الآيات ؛ لأنَّ الخاصَّة إذا بَخَعَت بالطَّاعة<sup>(٥)</sup> ، وقهرتها الحجَّة ، وعَرَفَت موضع العجز والقوَّة ، وفَصَّلَ ما بين الآيَةِ والحيلة . كان أنجعَّ للعمامة ، وأجدر<sup>(٦)</sup> أن لا يبقى في أنفسهم بقية .

وكذلك دهرُ محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، كان أغلبُ الأمور عليهم ، وأحسنُها عندهم ، وأجلُّها في صدورهم ، حُسْنُ البيان ، ونظْمُ ضروب الكلام ، مع علمهم له ، وانفرادهم به . فحين استحسنت لفهمهم<sup>(٧)</sup> وشاعت البلاغة فيهم . وكثُر شعراؤهم ، وفاق النَّاسَ خطباءُهم ، بعثه الله عزَّ وجلَّ ، فتحدَّاهم بما كانوا لا يشكُّون أنَّهم يقدرُون على أكثر منه .

(١) ب ، م : « للضعفا سبيلا » .

(٢) ب فقط : « إذا كانت »

(٣) ب : « وإبرأهم الأكمه » تحريف . وفي ط : « وإبراء الأكمه » ، وأثبت ما في م . والأكمه : الذي يولد أعمى .

(٤) الرمد : وجع العين وانتفاخها ، وهو أَرَمَد ورَمَد ، والآنثى رَمْداء . ب ، م : « الرمدى » ، صوابه في ط .

(٥) بَخَعَت : خضعت وأقرت . وفي ط فقط : « نجعت » تحريف وانظر ما مضى في ص

. ٢٥٥

(٦) ب فقط : « واجدر » ، تحريف .

(٧) لفهمهم ، ساقطة من ب .

فلم يَزَلْ يقرِّعهم بعجزهم ، وينتقصهم على نقصهم<sup>(١)</sup> ، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم ، كما تبين لأقويائهم وخواصهم . وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط<sup>(٢)</sup> ، مع سائر ما جاء به من الآيات ، ومن ضروب البرهانات .

ولكلُّ شيء بابٌ ومأتى ، واختصارٌ وتقريب . فمن أحكم الحكمة إرسال كلِّ نبيٍّ بما يفهم أعجب الأمور عندهم<sup>(٣)</sup> ، ويُبطل أقوى الأشياء في ظنهم .

#### ٤٢ - فصل في ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

وآية أخرى لا يعرفها إلا الخاصة ، ومتى ذكرتُ الخاصة فالعامة في ذلك مثلُ الخاصة . وهى الأخلاق والأفعال التى لم تجتمع لبشرٍ قطُّ قبله<sup>(٤)</sup> ، ولا تجتمع لبشرٍ بعده .

وذلك أننا لم نَرَ ولم نسمع لأحدٍ قطُّ كصبره ، ولا كعلمه . ولا كوفائه ، ولا كزهده ، ولا كجوده ، ولا كنجدته . ولا كصدق لهجته ، وكرم عشرته<sup>(٥)</sup> ، ولا كتواضعه ، ولا كعلمه ، ولا كحفظه ، ولا كصمته إذا صمت ، ولا كقوله إذا قال ، ولا كعجيب منشئه<sup>(٦)</sup> ، ولا كقلته

(١) انتقصه واستنقصه : نسب إليه النقصان . ب ، م : « ينتقصهم » ، ط : « ينقصهم » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لفظ الجلالة ثابت في ط فقط .

(٣) أصل الإفحام الإسكات عن الجواب ، والمراد الفوق والغلبة . ب ، م : « يفهم » صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « لبشرى » في هذا الموضع وتاليه . وأثبت ما في ط . والبشر : الإنسان ، يطلق على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث . وقد يجمع على أ بشار ، ويشئ كما في قوله تعالى : « أنؤمن لبشرين مثلنا » .

(٥) العشرة : المخالطة والمصاحبة . وفي جميع النسخ : « عشيرته » ، صوابه ما أثبت . وأما عشيرة الرجل فهم بنو أبيه الأقربون وقبيلته .

(٦) ب ، م : « منشاه » .

تَلَوْنَهُ ، وَلَا كَعْفُوهُ ، وَلَا كدَوَامَ طَرِيقَتِهِ ، وَقَلَّةَ امْتِنَانِهِ .

وَلَمْ نَجِدْ<sup>(١)</sup> شَجَاعاً قَطُّ إِلَّا وَقَدْ جَالَ جَوْلَةً ، وَفَرَّ فَرَّةً ، وَانْحَازَ مَرَّةً ،  
مِنْ مَعْدُودِي شُجْعَانِ الْإِسْلَامِ ، وَمَشْهُورِي فُرْسَانِ الْجَاهِلِيَّةِ ، كَفُلَانٍ  
وَفُلَانٍ .

وَبَعْدُ . فَقَدْ نَصَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَاجَرَ مَعَهُ قَوْمٌ ، وَلَمْ نَرِ  
كَنْجِدَتَهُمْ نَجْدَةً ، وَلَا كَصَبْرَهُمْ صَبْرًا . وَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الْجَوْلَةُ وَالْفَرَّةُ<sup>(٢)</sup> ،  
كَمَا قَدْ بَلَغْتُكَ عَنْ يَوْمِ أَحُدَ ، وَعَنْ يَوْمِ حُنَيْنٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ  
وَالْأَيَّامِ .

فَلَا يَسْتَطِيعُ مُنَافِقٌ وَلَا زَنْدِيقٌ وَلَا دُهْرِيُّ ، أَنْ يَحْدِثَ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالَ جَوْلَةً قَطُّ<sup>(٣)</sup> ، وَلَا فَرَّ فَرَّةً قَطُّ ، وَلَا خَامَ  
عَنْ غَزْوَةٍ ، وَلَا هَابَ<sup>(٤)</sup> حَرْبَ مَنْ كَاثَرَهُ .

(١) ب ، م : « ولم تجد » بالناء .

(٢) ب ، م : « والعزة » ، وليست مرادة هنا .

(٣) ب ، م : « فقط » في هذا الموضع وتاليه ، والصواب في ط .

(٤) ب ، م : « وهاب » .





من كتابه في

خلق القرآن



١ - فصل من صدر كتابه في خلق القرآن<sup>(١)</sup>

ثَبَّتَكَ اللَّهُ بِالْحُجَّةِ ، وَحَصَّنَ دِينَكَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ ، وَتَوَفَّاكَ مُسْلِمًا ،  
وَجَعَلَكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

وقد أعجبنى<sup>(٢)</sup> ، حَفِظَكَ اللَّهُ ، اسْتَهْدَاؤُكَ الْعِلْمَ وَفَهْمُكَ لَهُ ،  
وَشَغْفُكَ بِالْإِنْصَافِ وَمِيلُكَ إِلَيْهِ ، وَتَعْظِيمُكَ الْحَقَّ وَمُؤَالَاتُكَ فِيهِ ،  
وَرَغْبَتُكَ عَنِ التَّقْلِيدِ وَزِرَائِتِكَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup> ، وَمُؤَاتَرَةُ كُتُبِكَ عَلَى بُعْدِ  
دَارِكَ ، وَتَقْطُوعِ أَسْبَابِكَ ، وَصَبْرُكَ إِلَى أَوَانِ الْإِمْكَانِ . وَاتِّسَاعُكَ عِنْدَ  
تَضَائِقِ الْعُذْرِ .

وفهمتُ ، حَفِظَكَ اللَّهُ ، كِتَابَكَ الْأَوَّلَ ، وَمَا حَثَّتْ عَلَيْهِ مِنْ تَبَاذُلِ  
الْعِلْمِ<sup>(٤)</sup> ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْبَحْثِ ، وَالتَّحَابِّ فِي الدِّينِ ، وَالنَّصِيحَةِ لَجَمِيعِ  
الْمُسْلِمِينَ .

وقلتَ : اَكْتُبْ إِلَى كِتَابًا تَقْصِدُ فِيهِ إِلَى حَاجَاتِ النُّفُوسِ ، وَإِلَى  
صَلَاحِ الْقُلُوبِ ، وَإِلَى مُعْتَلِجَاتِ الشُّكُوكِ ، وَخَوَاطِرِ الشُّبْهَاتِ ، دُونَ الَّذِي  
عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ التَّطْوِيلِ ، وَمَنِ التَّعَمُّقِ وَالتَّعْقِيدِ ، وَمَنِ تَكَلُّفِ  
مَا لَا يَجِبُ ، وَإِضَاعَةِ مَا يَجِبُ .

وقلتَ : كُنْ كَالْمُعَلِّمِ الرَّفِيقِ ، وَالْمُعَالِجِ الشَّفِيقِ ، الَّذِي يَعْرِفُ الدَّاءَ  
وَسَبَبَهُ ، وَالدَّوَاءَ وَمَوْقِعَهُ ، وَيَصْبِرُ عَلَى طُولِ الْعِلَاجِ ، وَلَا يَسْأَمُ كَثْرَةَ  
التَّرْدَادِ .

(١) هذا العنوان ساقط من ط ، والكلام فيها متصل بما سبق . ومثل ذلك فيما نشره .  
السندوب في رسائل الجاحظ ١٤٧ وهو مظنة النقل من ط .

(٢) ط : « قد أعجبنى » بطرح الواو .

(٣) ط فقط : « ودرايتك عليه » .

(٤) ب ، م : « وما حثيت عليه من تباذل العلم » .

وقلت : اجعلْ تجارتك التي إياها تُؤمِّل ، وصناعتك التي إياها تعتمد - إصلاحَ الفاسدِ ، وردَّ الشَّارد .

وقلت : ولا بدَّ من استجماع الأصول ، ومن استيفاء الفروع ، ومن حَسْمِ كُلِّ خاطر ، وقَمْعِ كُلِّ ناجم ، وصرفِ كُلِّ هاجس ، ودفعِ كُلِّ شاغل ، حتى تتمكَّن من الحجَّة (١) ، وتتهنَّأ بالنعمة (٢) ، وتجد رائحة الكفاية ، وتتلج ببرد اليقين ، وتُفْضِيَ إلى حقيقة الأمر . إن كان لا بدَّ من عوارض العجز ، ولواحق التَّقْصِير ، فالبرُّ لها أجمل (٣) ، والضرر علينا في ذلك أيسر .

وقلت : ابدأ بالأقرب فالأقرب (٤) ، وبكلِّ ما كان آنقَ في السَّمْع ، وأحلى في الصَّدر ، وبالباب الذي منه يُؤْتَى الرِّيّض المتكلِّف (٥) ، والجسور المتعجرف ، وبكلِّ ما كان أكثرَ علماً ، وأنفذَ كَيْدًا .

وسألتنى بتفتيح الاستبْداد (٦) ، والعجلة إلى الاعتقاد ، وصِفَة الأناة ومقدارها ، ومقدِّمات العلوم ومنتهاتها . وزعمتَ أنَّ من اللفظ مالا يُفْهَم معناه دون الإشارة ، ودونَ معرفة السَّبَب والهيئة ، ودونِ إعادته وكرهه (٧) وتحريره واختياره (٨) .

(١) ب ، م : « حتى يتمكن من الحجَّة »

(٢) ب : « ويهنأ بالنعمة » ، م : « ويهنأ بالنعمة » ، صوابهما في ط .

(٣) ب ، م : « فالفروع لها أجل » ، صوابه في ط .

(٤) في الأصول : « بالأخوف فالأخوف » ، صوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى في

٢٩٣ س ١٠ .

(٥) أصله من الرِّيض من الدواب ، وهو الذي لم يقبل الرياضة ولم يمهر المشية ولم يذل لراكبه ، فلراد الذي يعسر التفاهم معه . ب ، ط : « المريض » م : « الرِّيض » بالباء ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ب ، م : « بتفتيح الاستبداد » ، ط : « بتفتيح الاستداد » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ب ، م : « دون إعارته وكسوه » ط : « دون إعارته وركته » وبسقوط الواو منهما ، صوابهما ما أثبت . والكر : الإعادة ، يقال كر عليه الحديث : أعاده .

(٨) في جميع النسخ : « وتحديده واحتيازه » ، تحريف ما أثبت .

وقلت : فإن أنت لم تصوّر ذلك كلّهُ صورة تُغنى عن المشافهة ،  
وتكتفى بظاهرها عن المراسلة <sup>(١)</sup> - أحوجتنا إلى لقائك . على بُعد دارك <sup>(٢)</sup> ،  
وكثرة أشغالك ، وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة .

فكتبت لك كتاباً ، أجهدتُ فيه نفسي <sup>(٣)</sup> ، وبلغت منه أقصى ما يمكن  
مثلى فى الاحتجاج للقرآن . والرّد على كلّ طعان . فلم أدع فيه مسألةً  
لرافضى ، ولا لحديثي ، ولا لحشوي ، ولا لكافرٍ مُبادٍ ، ولا لمنافقٍ مقموع ،  
ولا لأصحاب النّظام ، ولمن نجّم بعد النّظام ، ممّن يزعم أنّ القرآن  
خلق <sup>(٤)</sup> ، وليس تأليفه بحجة ، وأنّه تنزيلٌ وليس ببرهان ولا دلالة .

فلما ظننت <sup>(٥)</sup> أنّي قد بلغت أقصى محبتك ، وأتيت على معنى  
صفتك ، أتاني كتابك تذكر أنّك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن ،  
وإنما أردت الاحتجاج لخلق القرآن . وكانت مسألتك مبهمّة ، ولم  
أك أنّ أحدث لك فيها تأليفاً <sup>(٦)</sup> ، فكتبت لك أشقّ الكتابين وأثقلهما ،  
وأغمضهما معنىً وأطولهما .

ولولا ما اعتللت به من اعتراض الرافضة ، واحتجاج القوم علينا  
بمذهب مُعمر <sup>(٧)</sup> ، وأبي كلدة <sup>(٨)</sup> . وعبد الحميد ، وثُمّامة <sup>(٩)</sup> ، وكلّ من

(١) ط فقط : « المرسلة » .

(٢) م فقط : « بد دارك » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « أجهدتُ فيه نفسي » ، صوابه فى ط .

(٤) خنق ، أى مخلوق . وفى جميع النسخ : « حق » .

(٥) ب فقط : « فما ظننت » .

(٦) فى جميع النسخ : « تأليفه » ، والوجه ما أثبت .

(٧) معمر بن عباد السلمي ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة . الملل ١ : ٨٣ / ٢ : ١٦

والمواقف ٦٢٣ والفرق بين الفرق ١٣٦ . وهو بتشديد الميم كما فى لسان الميزان ٦ : ٧١ .

(٨) أبو كلدة : ذكر الجاحظ بعض آرائه فى الحيوان ١ : ٢٣٤ / ٣ : ٣٩٥ / ٤ : ٣٣٢ .

(٩) ثُمّامة بن أشرس : أحد المعتزلة البصريين . ورد بغداد واتصل بهارون وغيره من

الخلفاء . وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ =

زَعِمَ أَنَّ أَفْعَالَ الطَّبِيعَةِ مخلوقة على المجاز دون الحقيقة ، وَأَنَّ متكلمي الحشوية<sup>(١)</sup> والناطقة قد صار لهم بمنظرة أصحابنا ، وبقراءة كُتِبْنَا بعضُ الفطنة - لَمَّا كُتِبْتُ لَكَ ، رغبةً بك عن أقدارهم ، وَضَنَّا<sup>(٢)</sup> بالحكمة عن إعتارهم<sup>(٣)</sup> ، وَإِنَّمَا يكتب على الخصوم والأَكْفَاء<sup>(٤)</sup> ، وللأولياء على الأعداء ، ولمن يرى<sup>(٥)</sup> للنظر حقاً ، وللعلم قدراً ، وله في الإنصاف مذهبٌ ، وإلى المعرفة سبب .

وزعمتَ أَنَّكَ لم تر في كُتُبِ أصحابنا إلَّا كتاباً لا تفهمه ، أو كتاباً وجدتَ الحجة على واضع الكتاب فيه أثبت .

وقلت : وإيَّاكَ أَن تتكل على مقدار ما عندهم . دون أَن تعتصر<sup>(٦)</sup> قُوَى باطلهم ، وتوقيهم جميعَ حقوقهم ، وإذا تقلدتَ الإخبار عن خَصْمِكَ فحطه كحياطتك لنفسك ، فَإِنَّ ذلك أبلغُ في التَّعْلِيمِ ، وَأَيْسُ<sup>(٧)</sup> للخصوم .

= وانظر البيان : ١٠٥ وعيون الأخبار ٣ : ٣٧ وتأويل مختلف الحديث ٦٠ والفرق ١٥٩ ولسان الميزان ٢ : ٨٤ .

(١) الحشوية : بفتح الشين وسكونها ، فبالسكون نسبة إلى الحشو ، وبالفتح نسبة إلى الحشا ، لأن الحسن البصري أمر بردهم إلى حشا الحلقة ، أي جانبها ، وهم طائفة اختلف العلماء في تعريفها . فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر في تأويل مختلف الحديث ص ٩٦ أنها من الألقاب التي كان أهل الحديث يلقبون بها . قال : « وقد لقبوهم بالحشوية والناطقة والمهجرة » . وقد استوجبت في كتاب فرق الشيعة ص ٧ : « والبترية أصحاب الحديث منهم سفيان بن سعيد الثوري ، وشريك بن عبد الله ، وابن أبي ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ومالك بن أنس ، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم . وقد سماوا الحشوية . ويطلقون هذا اللفظ أيضاً على « المشبهة » الذين يشبهون الله بخلقه وكذا على المجسمة . انظر شفاء الغليل ٧١ . وفي ب ، م : « الحشوة » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « وظن » ، صوابه في ط .

(٣) أعثره على الأمر : أطلعه عليه . وفي التنزيل العزيز : « وكذلك أعثرنا عليهم » ، أي أطلعنا .

(٤) ب فقط : « عن الخصوم والأَكْفَاء » .

(٥) ب ، م : « لمن يرى » يسقوط الواو .

(٦) ب ، م : « تقتصر » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « وأيس » .

وقلت : وزعموا أنه يلزمك أن تزعم أن القرآن ليس بمخلوقٍ إلا على المجاز ، كما ألزم ذلك نفسه <sup>(١)</sup> معمر وأبو كلدة وعبد الحميد وثُمَامَة ، وكلُّ مَنْ ذهبَ مذهبهم ، وقاس قياسهم .

فتفهّم -- فهّمك الله -- ما أنا واصفُه لك ، ومُورِدُه عليك <sup>(٢)</sup> :  
اعلم أن القوم يلزمهم ما ألزموه أنفسهم ، وليس ذلك إلا لعجزهم عن التخلص بحقّهم ، وإلاّ لذهابهم عن قواعد قولهم <sup>(٣)</sup> ، وفروع أصولهم ، فليس لك أن تضيف العجز الذي كان منهم إلى أصل مقالتهُم ، وتحمل ذلك الخطأ على غيرهم <sup>(٤)</sup> . فلربّ قولٍ شريفٍ الحسب ، جيّد المُرْكَب ، وافرٍ العِرض ، برى من العيوب ، سليمٍ من الآفن ، قد ضيَّعه أهله ، وهجَّنه المفترون عليه ، فالزموه ما لا يلزمه ، وأضافوا إليه ما لا يجوز عليه .

ولو زعم القوم على أصل مقالتهُم أن القرآن هو الجسم دون الصّوت والتقطيع ، والنّظم والتّأليف ، وأنه ليس بصوتٍ ولا تقطيع ولا تأليف ، إذ كان الصوت عندهم لا يُخترع كاختراع الأجسام المصوّرة <sup>(٥)</sup> . ولا يحتمل التقطيع كاحتمال الأجرام المتجسّدة ، والصّوت عَرَضٌ ، لا يحدث من جوهرٍ إلا بدخول جوهرٍ آخرٍ عليه ، ومحال أن يحدث إلا وهناك جسمان قد صلَّ أحدهما صاحبه ، ولا بدّ من مكانين : مكانٍ زال عنه ، ومكانٍ آل إليه . ولا بدّ من هواءٍ بين المُصْطَكِّين . والجسم قد يحدث وحده ولا شيء غيره ، والصّوت على خلاف ذلك .

(١) ط فقط : « لنفسه » .

(٢) ط فقط : « ومورد عليك » .

(٣) ب ، م : « عواقب قولهم » .

(٤) ب ، م : « ولحمل » تحريف . وفي أيضاً : « الخطأ » تحريف .

(٥) ب ، م : « المصوبة » ، صوابه في ط .

والعرض لا يَقُومُ بنفسه ، ولا بدَّ من أن يَقُومَ بغيره ، والأعراض من أعمال الأجسام ، لا تكون إلا منها ، ولا تُوجد إلا بها وفيها<sup>(١)</sup> .  
والجسم<sup>(٢)</sup> لا يكون إلا من جسم ، ولا يكون إلا من مخترع الأجسام .  
وليست لكون الجسم من الله علةٌ توجبهُ ، ولا يحدث إِذَا حدثَ إلا اختياراً ، وإلا ابتداءً واختراعاً . والصوت لا يكون إلا عن علةٍ موجبة ، ولا يكون إلا تولّداً ونتيجةً ، ولا يحدث إلا من جرّمين ، كاصطكاك الحجرين ، وكقرع اللسان باطن الأسنان ، وإلا من هواءٍ يتضاغط<sup>(٣)</sup> ، وريح تختنق<sup>(٤)</sup> ، ونارٍ تلتهب . والريح عندهم هواءٌ تحرك ، والنار عندهم ريحٌ حارّة . هكذا الأمر عندهم .

فلو قالوا : لا يكون الشيء مخلوقاً في الحقيقة ، دون المجاز وعلى مجازي اللغة ، إلا وقد بان الله عز وجل باختراعه ، وتولّاه بابتداعه ، وكان منه على اختيار ، والابتداع<sup>(٥)</sup> : الذي يمكن تركه وإنشاء عقبيه بدلاً منه ، على ما كان يوكدّه<sup>(٦)</sup> ، ونتيجته من أجسامٍ يستحيل أن يُخلَق من أفعالها ، ويجلبها الله تعالى منها<sup>(٧)</sup> .

والقرآن على غير ذلك ، جسمٌ وصوت ، وذو تأليفٍ وذو نظم ، وتوقيعٍ وتقطيع ، وخلقٌ قائمٌ بنفسه ، مستغنٍ عن غيره ، ومسموعٌ في الهواء<sup>(٨)</sup> ، ومرئى في الورق ، ومفصلٌ وموصل ، واجتماعٌ وافتراق ،

(١) ب ، م : « لا يكون » و « ولا يوجد » بالياء فيهما ، والصواب من ط .

(٢) ب فقط ؛ « من الجسم » ولا وجه له .

(٣) ب ، م : « والأمر هواء يتضاغط » ، تحريف .

(٤) ب : « تحقيق » ، م « تحقيق » محرف .

(٥) ب : « والابتداء » ، صوابه في م ، ط .

(٦) ب : « بولده » م : « تولده » ، وأثبت ما في ط .

(٧) م : « ويجعلها » ط : « ويحلها » ، وأثبت ما في ب .

(٨) ب ، ط : « في الهوى » ، صوابه في م .



ويمحتمل الزيادة والنقصان ، والفناء والبقاء ، وكل ما احتملته الأجسام ، ووُصِفَتْ به الأجرام . وكل ما كان <sup>(١)</sup> كذلك فمخلوق في الحقيقة دون المجاز وتوسّع أهل اللغة .

فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا في القياس ، ووافقوا أهل الحق ، وكانوا مع الجماعة ، ولم يُضَاهُوا أهل الخلاف والفرقة ، ولم يَصِمُوا أَنْفُسَهُمْ <sup>(٢)</sup> بقول المشبهة ، إذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل ، وبه أشبه .

ولا يجوز أن أذكر موافقتي لهم ، ومخالفتي عليهم في صدر هذا الكتاب ، لأن التدبير في وضع الكتاب ، والسياسة في تعليم الجهال أن يُبدَأَ بالأوضح فالأوضح ، والأقرب فالأقرب ، وبالأصول قبل الفروع ، حتى يكون آخر الكتاب لآخر القياس .

وآخر الكلام لا يفهم - أرشدك الله - ولا يُتَوَهَّمُ إِلَّا على ترتيب الأمور ، وتقديم الأصول . فإذا رتبنا الأمور ، وقدمنا الأصول صارت أواخر المعاني في الفهم كأوائلها ، ودقيقها كجليلها <sup>(٣)</sup> .

## ٢ - فصل منه

وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الإسلام أعظم فِرْيَةٍ <sup>(٤)</sup> ، وأشدُّ بليّةً ، وأشنعُ كُفْراً ، وأكبرُ إثماً من كثير مما أجمعوا على أنه كفر .

(١) ب ، م : « وكلما كان » خطأ كتابي . وفي ط : « كل ما » بدون واو .

(٢) في جميع النسخ : « ولم يفهموا أنفسهم » .

(٣) ط فقط : « ورقيقها كجليلها » ، تحريف .

(٤) الفرية ، بكسر الفاء : الاسم من الافتراء ، وهو الاختلاق والكذب . ب فقط :

« قرية » محرف .

وبعد ، فنحن لم نكفر إِلَّا مَنْ أَوْسَعْنَاهُ حُجَّةً ، ولم نَمْتَحِنْ إِلَّا أَهْلَ  
التُّهْمَةِ ، وليس كشف المتَّهم من التَّجَسُّس <sup>(١)</sup> ، ولا امتحان الظَّنِّينِ مِنْ  
هَتَكِ الْأَسْتَارِ . ولو كان كلُّ كَشْفٍ هَتَكًا ، وكلُّ امْتِحَانٍ تَجَسُّسًا <sup>(٢)</sup> ،  
لكان القاضي أَمْتَكَ النَّاسِ لِسْتَرٍ ، وَأَشَدَّ النَّاسِ كَشْفًا لِعَوْرَةٍ .

والذين خالفوا في العَرْشِ إِنَّمَا أَرَادُوا نَفْيَ التَّشْبِيهِ فَعَلِطُوا ، والذين  
أَنكَرُوا أَمْرَ الْمِيزَانِ <sup>(٣)</sup> إِنَّمَا كَرِهُوا أَنْ تَكُونَ الْأَعْمَالُ أَجْسَامًا وَأَجْرَامًا  
غِلَظًا . فَإِنْ كَانُوا قَدْ أَصَابُوا فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْطَئُوا  
فإِنَّ خَطَأَهُمْ لَا يَتَجَاوَزُ بِهِ إِلَى الْكُفْرِ . وقولُهم وخِلَافُهُمْ بَعْدَ ظَهْوَرِ  
الْحُجَّةِ تَشْبِيهُ لِلْخَالِقِ بِالْمَخْلُوقِ <sup>(٤)</sup> ، فَبَيْنَ الْمَذْهَبَيْنِ أَبْيَنُ الْفَرْقِ <sup>(٥)</sup> .

وقد قال صاحبُكم للخليفة المعتصم ، يَوْمَ جَمَعَ الْفُقَهَاءَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ  
وَالْقُضَاةَ وَالْمُخْلِصِينَ ، إِعْذَارًا وَإِنْذَارًا : امْتَحَنْتَنِي وَأَنْتَ تَعْرِفُ مَا فِي  
الْمِحْنَةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْفِتْنَةِ . ثُمَّ امْتَحَنْتَنِي مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ هَذِهِ الْأُمَّةِ !  
قال المعتصم : أَخْطَأْتُ ، بَلْ كَذَبْتُ ، وَجَدْتُ الْخَلِيفَةَ قَبْلِي قَدْ حَبَسَكَ  
وَقَيْدَكَ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ حَبَسَكَ عَلَى تُّهْمَةٍ لَأَمْضَى الْحُكْمَ فِيكَ ، وَلَوْ لَمْ  
يَخْفُكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَا عَرَّضَ لَكَ . فَسْأَلِي إِيَّاكَ عَنْ نَفْسِكَ لَيْسَ مِنْ  
الْمِحْنَةِ ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ الْإِعْتِسَافِ <sup>(٦)</sup> ، وَلَا مِنْ طَرِيقِ كَشْفِ الْعَوْرَةِ ،  
إِذْ كَانَتْ حَالُكَ هَذِهِ الْحَالِ ، وَسَبِيلُكَ هَذِهِ السَّبِيلِ .

وقيل للمعتصم في ذلك المجلس : أَلَا تَبْعَثُ إِلَى أَصْحَابِهِ حَتَّى  
يَشْهَدُوا إِقْرَارَهُ ، وَيُعَايِنُوا انْقِطَاعَهُ ، فَيَنْقُضَ ذَلِكَ اسْتِبْصَارَهُمْ ، فَلَا يُمْكِنُهُ

(١) م : « من التجسس » ، وهما بمعنى ، وبه فسر قوله تعالى : « ولا تجسسوا » .

(٢) م : « تحسسا » . وانظر الحاشية السابقة .

(٣) ب ، م : « والذين أنكروا معناكم في الميزان » ، والوجه ما أثبت من ط .

(٤) ب ، م : « للخلق بالخدوق » ، والصواب من ط .

(٥) ب : « المفرق » ، تحريف ما أثبت من م ، ط .

(٦) ولا من طريق الاعتساف ، ساقط من م .

جَعَدُ مَا أَقَرَّ بِهِ عِنْدَهُمْ<sup>(١)</sup>؟ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ ، وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ :  
لَا أُرِيدُ أَنْ أُوتَى بِقَوْمٍ إِنْ اتَّهَمْتُهُمْ مُيِّزْتُ فِيهِمْ بِسِيرَتِي فِيهِمْ<sup>(٢)</sup> ، وَإِنْ  
بَانَ لِي أَمْرُهُمْ أَنْفَذْتُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ . وَهُمْ مَا لَمْ أُوتَ بِهِمْ<sup>(٣)</sup> كَسَائِرِ  
الرَّعِيَّةِ ، وَكَغَيْرِهِمْ مِنْ عَوَامِ الْأُمَّةِ ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ<sup>(٤)</sup> أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ السَّتْرِ ،  
وَلَا شَيْءٍ أَوْلَى بِي مِنَ الْأَنَاءَةِ وَالرَّفْقِ .

وما زال به رفيقاً ، وعليه رقيقاً ، ويقول : لَأَنْ أَسْتَحْيِيكَ بِحَقِّ  
أَحَبِّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتَلَكَ بِحَقِّ ! حَتَّى رَأَاهُ يُعَانِدُ الْحُجَّةَ ، وَيَكْذِبُ صُرَاحاً  
عِنْدَ الْجَوَابِ . وَكَانَ آخِرَ مَا عَانَدَ فِيهِ ، وَأَنْكَرَ الْحَقَّ وَهُوَ يَرَاهُ ، أَنَّ  
أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَوَادٍ<sup>(٥)</sup> قَالَ لَهُ : أَلَيْسَ لَا شَيْءَ إِلَّا قَدِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ ؟  
قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَوْ لَيْسَ الْقُرْآنُ شَيْئاً ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَوْ لَيْسَ  
لَا قَدِيمَ<sup>(٦)</sup> إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَالْقُرْآنُ إِذَا حَدِيثٌ ؟ قَالَ :  
لَيْسَ أَنَا مُتَكَلِّمٌ<sup>(٧)</sup> .

وكذلك كَانَ يَصْنَعُ فِي جَمِيعِ مَسَائِلِهِ ، حَتَّى كَانَ يَجِيبُهُ فِي كُلِّ  
مَا سَأَلَ عَنْهُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمُخْتَقَ<sup>(٨)</sup> ، وَالْمَوْضِعَ الَّذِي إِنْ قَالَ فِيهِ  
كَلِمَةً وَاحِدَةً بَرَى مِنْهُ أَصْحَابُهُ قَالَ : لَيْسَ أَنَا مُتَكَلِّمٌ !

(١) ب ، م : « جَعَدَهَا أَقْرَبَهُ عِنْدَهُمْ » ، صوابه في ط .

(٢) ب ، م : « فِيهِ » .

(٣) ب ، م : « مَا لَمْ أُوتَ بِهِمْ » ، صوابه في ط .

(٤) م ، ط : « وَمَا شَيْءٌ » .

(٥) في جميع النسخ : « أَبِي دَاوُدَ » ، تحريف .

(٦) ب : « أَوَّلَيْسَ إِلَّا قَدِيمٌ » .

(٧) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَتَالِيهِ فِي آخِرِ هَذِهِ الصَّفْحَةِ .

(٨) فِي اللَّسَانِ : « يُقَالُ بَلَغَ مِنْهُ الْمُخْتَقَ ، وَأَخَذَتْ بِمُخْتَقِهِ ، أَيْ مَوْضِعَ الْخِنَاقِ . وَأَنْشَدَ ابْنُ بَرِيٍّ

لَأَبِي النِّجْمِ :

\* وَالنَّفْسُ قَدْ طَارَتْ إِلَى الْمُخْتَقِ \* .

وَفِي م ، ط : « الْمُخْتَقِ » ، تحريف .

فلا هو قال في أول الأمر : لا علم لي بالكلام ، ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجّة<sup>(١)</sup> ، خضع للحق . فمقتته الخليفة ، وقال عند ذلك : أف لهذا الجاهل مرة ، والمُعاند مرة .

وأما الموضع الذي واجه فيه الخليفة بالكذب ، والجماعة بالقيحة<sup>(٢)</sup> ، وقلة الاكتراث وشدة التصميم ، فهو حين قال له أحمد بن أبي دُوَاد<sup>(٣)</sup> : تزعم أن الله رب القرآن ؟ قال : لو سمعت أحداً يقول ذلك لقلت . قال : أفما سمعت ذلك قط من حالف<sup>(٤)</sup> ولا سائل ، ولا من قاص ، ولا في شعر ، ولا في حديث ؟ !

قال : فعرف الخليفة كذبه عند المسألة ، كما عرف عنوده<sup>(٥)</sup> عند الحجّة .

وأحمد بن أبي دُوَاد<sup>(٦)</sup> - حفظك الله - أعلم بهذا الكلام ، وبغيره من أجناس العلم ، من أن يجعل هذا الاستفهام مسألة ، ويعتمد عليها في مثل تلك الجماعة . ولكنه أراد أن يكشف لهم جرأته<sup>(٧)</sup> على الكذب ، كما كشف لهم جرأته<sup>(٨)</sup> في المعاندة . فعند ذلك ضرب به الخليفة .

وآية حجة لكم في امتحاننا إياكم ، وفي إكفارنا لكم .

وزعم يومئذ أن حكم كلام الله كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن

(١) ب ، م : « ظهور الحجّة والحجة » .

(٢) الفحة : الوقاحة . ب فقط : « بالخلقة » ، تحريف .

(٣) في جميع النسخ : « داود » ، تحريف .

(٤) ط ، م : « خالف » بالخاء المعجمة .

(٥) العنود والعناد : الميل عن الحق . ط فقط : « عناده » .

(٦) في جميع النسخ : « داود » .

(٧) ب : « جرائته » ، وأثبت مافي م ، ط .

(٨) ب ، م : « جرائته » ، وأثبت مافي ط .

يكون علمه مُحدثاً ومخلوقاً ، فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً مُحدثاً . فقال له : أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية ، وَيَسْخِجَ آيةً بآية ، وأن يذهب بهذا القرآن ، ويأتى بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مَسْطور ؟ قال : نعم . قال : فهل كان يجوز هذا في العلم ، وهل كان جائزاً أن يبدل الله علمه ، ويذهب به ، ويأتى بغيره ؟ قال : ليس <sup>(١)</sup> .

وقال له : رَوَيْنَا فِي تَشْبِيهِتِ مَا نَقُولُ <sup>(٢)</sup> الْآثَارَ ، وَتَلَوْنَا عَلَيْكَ الْآيَةَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَأَرَيْنَاكَ الشَّاهِدَ مِنَ الْقَوْلِ <sup>(٣)</sup> الَّتِي بِهَا لَزِمَ النَّاسَ الْفَرَائِضُ ، وَبِهَا يَفْصَلُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، فَعَارَضْنَا أَنْتَ الْآنَ بَوَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ . فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، وَلَا اسْتَحْزَى مِنَ الْكَذِبِ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَجْلِسِ <sup>(٤)</sup> ، لِأَنَّ عِدَّةَ مَنْ حَضَرَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُطْمَعَ أَحَدًا أَنْ يَكُونَ الْكَذِبُ يَجُوزُ عَلَيْهِ . وَقَدْ كَانَ صَاحِبَكُمْ هَذَا يَقُولُ : لَا تَقِيَّةَ إِلَّا فِي دَارِ الشُّرْكِ . فَلَوْ كَانَ مَا أَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِ الْقُرْآنِ كَانَ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ التَّقِيَّةِ فَقَدْ أَعْمَلَ التَّقِيَّةَ <sup>(٥)</sup> فِي دَارِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ أَكْذَبَ نَفْسَهُ . وَإِنْ كَانَ مَا أَقْرَبَهُ عَلَى الصَّحَّةِ وَالْحَقِيقَةِ فَلَسْتُمْ مِنْهُ ، وَلَيْسَ مِنْكُمْ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَرِ سِيفًا مَشْهُورًا ، وَلَا ضَرْبَ ضَرْبًا كَثِيرًا ، وَلَا ضَرْبَ إِلَّا ثَلَاثِينَ سَوْطًا مَقْطُوعَةَ الثَّمَارِ <sup>(٦)</sup> ، مَشْعَنَةَ الْأَطْرَافِ <sup>(٧)</sup> ، حَتَّى أَفْصَحَ بِالْإِقْرَارِ مَرَارًا . وَلَا كَانَ فِي مَجْلِسٍ

(١) ط : « قال : لا » .

(٢) ط فقط : « تقول » بالتاء ، محرف .

(٣) في جميع النسخ : « القول » .

(٤) ب ، م : « ولا استخرنا الكذب عليه » ، صوابه في ط . وفي ط : « في هذا المجلس » ،

صوابه في ب ، م .

(٥) ط فقط : « فقد أعملها » .

(٦) ثمرة السوط : عقدة طرفه . وفي حديث الحد : « فأتى بسوط لم تقطع ثمرة » .

(٧) ط : « مشعنة الأطراف » . وتشعيت الشيء : تفريقه .

ضيق ، ولا كانت حاله حال مؤيسة ، ولا كان مثقلاً بالحديد ، ولا خُليع قلبه بشدة الوعيد . ولقد كان يُنازَعُ بِاللَّيْنِ الكلام . ويُجيب بأغلظ الجواب ، ويرزُنون ويخفُّ ، ويحلُمون ويطيّش (١) .

وعبتم علينا إكفارنا إياكم ، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث . وقتلتم : تُكفروننا على إنكار شيءٍ يحتمله التأويل (٢) ، ويشبّت بالأحاديث ، فقد ينبغي لكم أن لا تحتجوا في شيءٍ من القدر والتوحيد . بشيءٍ من القرآن ، وأن لا تُكفروا أحداً خالفكم في شيءٍ وأنتم أسرع الناس إلى إكفارنا ، وإلى (٣) عداوتنا والنّصب لنا .

### ٣ - فصل منه

وأصحابنا - حفظك الله - إذا قاسوا خطأهم ، ومروا على غلطهم فإنما ينقضون به شيئاً من العَرَض والجوهر ، وشيئاً من قولهم في المعلوم والمجهول فقط . وهم قومٌ يكفّهم من التنبيه (٤) أقله ، ومن القول أيسره . وخطأُ النَّابِئَةِ وقولُ الرَّافِضَةِ تشبيهُ مصرّح ، وكفر مُجلّح (٥) ، فليس هذا الجنس من ذلك الجنس . والحمد لله .

وأما إخبارهم عن عيبنا إياهم حين لم يقولوا : إنّ الله تعالى ربُّ القرآن ، وفيما من يقول : إنّ الله تبارك وتعالى ربُّ الكفر والإيمان ،

(١) ب فقط : « ويحلمون » ، صوابه في م ، ط .

(٢) ط : « يحتمل التأويل » .

(٣) ب فقط : « أو إلى » .

(٤) في جميع النسخ : « التنبيه » ، والوجه ما أثبت .

(٥) يقال صرح الشيء ، إذا كشف عنه وأظهره ، وصرح هو إذا انكشف ، ومنه قول

شبل بن شيبان في الحماسة ٣٤ :

فلما صرح الشر فلأسمى وهو عـريـان

والمجلّح ، بالبناء للفاعل أيضاً : الجريء ، وهو من التجليح ، وهو الإقدام على الشر وتكشيف العداوة وتصريحها ، كما في أساس البلاغة .

فإنَّما لم نسألهم<sup>(١)</sup> عن ذلك من جهة ما يتوهمون ، وإنَّما سألناهم عنه بجحدهم ما يرونَ بأبصارهم ، ويسمعون بآذانهم ، في الأشعار المعروفة ، وفي الخطب المشهورة ، وفي الابتهاال<sup>(٢)</sup> عند الدعاء ، وعلى ألسنة العوام والدَّهماء<sup>(٣)</sup> ، وعند اليهود والأيمان ، وعند تعظيم القرآن ، وبما يسمعون من السُّؤال في الطُّرقات ، ومن القصَّاص في المساجد ، لا يرونَ عائباً<sup>(٤)</sup> ، ولا يسمعون زارياً<sup>(٥)</sup> . وليس أنا جعلنا هذا مسألةً على من أنكر خلق القرآن ، ولكنَّا أردنا أن نبين للضعفاء معاندتهم ، وفِرارهم من البُهِت ، ومكابرتهم إذا سمعوا أنَّهم لم يسمعوا النَّاس يقولون : وربُّ القرآن ، وربُّ ياسين ، وربُّ طه ، وأشباه ذلك .

ولعمري أنَّ لو سمعوا النَّاس يقولون عند أيمانهم وابتهاالهم إلى ربِّهم ، على غير قصدٍ إلى خلافٍ ولا وفاق : وربُّ الزُّنى والسَّرِق<sup>(٦)</sup> ، وربُّ الكفر والكذب ، كما سمعواهم يقولون<sup>(٧)</sup> : وربُّ القرآن ، وربُّ يس ، وربُّ طه ! ثم ألزمناهم خلق القرآن بمثل ما لهم علينا في خلق الزُّنى - لقد كان ذلك معارضةً صحيحةً<sup>(٨)</sup> ، وموازنةً معروفةً .

وأما قولهم : إنَّ معنا العامَّة ، والعُباد ، والفقهاء ، وأصحاب الحديث ، وليس معهم إلَّا أصحابُ الأهواء ، ومن يأخذ دينه من أول

(١) ب : « نسأل » ، صوابه في ب ، ط .

(٢) ب ، م : « وفي ابتهاال » .

(٣) والدهماء ، ساقطة من ط .

(٤) م ، ط : « غائباً » بالعين المعجمة ، صوابه في ب .

(٥) زرى عليه وأزرى : غاب . وفي ب : « زوايا » صوابه في م ، ط .

(٦) السرقة ، بالتحريك ، وككتف : السرقة . وفي ط : « والسرقة » وفي ب :

« ورب السرقة » .

(٧) ب ، م : « كما سمعوا وهم يقولون » ، وأثبت ما في ط .

(٨) ب : « معارضة صحيحة » .

الرجال<sup>(١)</sup> ، فأى صاحب هو - يرحمك الله - أبعد من الجماعة من الرافضة ، وهم في هذا المعنى أشقأؤهم<sup>(٢)</sup> وأولياؤهم ، لأن ما خالفوهم فيه صغير في جنب ما وافقوهم عليه ، والذين سموهم أصحاب أهواءهم المتكلمون ، والمصلحون والمستصلحون ، والمميزون<sup>(٣)</sup> . وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلدون ولا يحصلون ، ولا يتخيرون ، والتقليد مرغوب عنه<sup>(٤)</sup> في حجة العقل ، منهى عنه في القرآن<sup>(٥)</sup> ، قد عكسوا الأمور كما ترى ، ونقضوا العادات . وذلك أنا لا نشك أن من نظر وبحث ، وقابل ووازن<sup>(٦)</sup> ، أحق بالتبيين ، وأولى بالحجة .

وأما قولهم : منّا النّسك والعباد ، فعباد الخوارج وحدهم أكثر عدداً من عبادهم ، على قلة عدد الخوارج في جنب عددهم ، على أنهم أصحاب نية<sup>(٧)</sup> ، وأطيب طعمة<sup>(٨)</sup> ، وأبعد من التكسب ، وأصدق ورعاً ، وأقل رياء<sup>(٩)</sup> ، وأدوم طريقة ، وأبذل للمهجة ، وأقل جمعاً ومنعاً ، وأظهر زهداً وجهداً . ولعلّ عبادة عمرو بن عبّيد تفي بعبادة عامة عبادهم . وأما قولهم : إن للقرآن قلباً وسنماً ولساناً وشفعتين ، وأنه يقدر ويشفع ويمحل<sup>(١٠)</sup> ، فإن هذا كله قد يجوز أن يكون مثلاً ، ويجوز أن

(١) ب ، م : « من أدل الرجال » .

(٢) في جميع الأصول : « أشقياؤهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) والمميزون ، ساقط من ط .

(٤) ب ، م : « عليه » ، صوابه في ط .

(٥) ط فقط : « في القراب » ، تحريف .

(٦) ط : « ووزن » ، تحريف .

(٧) ب : « بنة » ، تحريف .

(٨) الطعمة ، بالضم : وجه المكتسب . وبالكسر : السيرة في الأكل .

(٩) هذا ما في ب . وفي م : « رأيا » ، وفي ط : « زيا » .

(١٠) التقديس : التطهير والتبريك . ومنه الأرض المقدسة . ويمحل ، أى يحل بصاحبه ، إذا لم يتبع مافيه وإذا هو ضيعه ، أى يعرضه للهلكة . وفي الحديث عن ابن مسعود : « إن هذا القرآن شافع وماحل مصدق » . وانظر اللسان ( محل ١٤١ ) .



يجعله الله كذلك إذا كان جسماً ، والله على ذلك قادر ، وهو له غير مُعْجَز ، ومنه غير مستحيل . وكلُّ فعل لا يكون عيباً ، ولا ظلماً ولا بخلاً ولا كذباً ، ولا خطأً<sup>(١)</sup> في التدبير ، فهو جائز ، والتعجب منه غير جائز .

#### ٤ - فصل منه

وما أَكْثَرَ من يُجِيب في المسائل ، ويؤلّف الكتب على قَدَر ما يَسْنَح له في وهمه ، وعلى قدر ما يتصوّر له في حاله تلك ، لا يعمل على أصل<sup>(٢)</sup> ، أو لا يشعر<sup>(٣)</sup> بالذي انبنى عليه ذلك الأصل<sup>(٤)</sup> ، وإن كان ممن يعمل على أصل .

وإنما صار علماؤنا إلى ما صاروا إليه لأنهم لا يقفون من القول في خلق القرآن على جواب مهذب ، ومذهب مصفى ، وعلى قول مفروغ منه ، وعلى جوابات بأعيانها . فقد ردّوا فيها النظر ، وامتحنوها بأغلظ المَحَن ، وقلبوها أكثر التقلب<sup>(٥)</sup> ، وتبطّنوا معانيها بأبلغ التفكير ، وتعرفوا كل ما فيها ، واعتصروا جميع قواها ، وسهلوا سبلها ، وذلّلوا العبارة عنها<sup>(٦)</sup> ، احتقاراً منهم لمن خالفهم ، واتكالا على طول السلامة منهم ، وثقة بطول الظفر بهم .

ومن تمام أمر صاحب الحق أن لا يتكل على عجز الخصم ، وأن لا يُعْجَبَ بظهوره<sup>(٧)</sup> على من لاحظ له في العلم .

(١) الخطاء ، كسحاب : الخطأ . ط فقط : « خطأ » .

(٢) ط : « على أصله » .

(٣) في الأصول : « ولا يشعر » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ب ، م : « في الذي عليه ذلك الأصل » ، صوابه في ط .

(٥) ط : « وقلبوها » فقط .

(٦) ط : « وذبوا العناد عنها » ب : « وذلّلوا العبادة عنها » ، صوابه في م .

(٧) ظهر عليه : غلبه . ب ، م : « بظهور » ، وأثبت ما في ط .

وعلى العلماء أَنْ يخافوا دُولَ العلم<sup>(١)</sup> ، كما يخافُ الملوك دول المُلْك . وقد رأيت البُكرية<sup>(٢)</sup> ، والجبرية ، والفضلية<sup>(٣)</sup> ، والشمرية<sup>(٤)</sup> وإنهم لأحقَر عند المعتزلة من جُعِل<sup>(٥)</sup> مما زالوا يستقُون<sup>(٦)</sup> من علمائهم ، ويستملُون من كبرائهم ، ويدُرُسُون كتبهم ، ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم ، حتَّى رأيت شَبِيبَتَهُمْ ونابَتَهُمْ<sup>(٧)</sup> ، يدَّعون أَنهم أَكْفَاءُ ، ويجمع بينهم في البلاء . والنَّابِئَةُ اليوم في التشبيه<sup>(٨)</sup> مع الرَّافضة ، وهم دائِبُونَ<sup>(٩)</sup> في التَّأَلُّم من المعتزلة . غدرهم كثير<sup>(١٠)</sup> ، ونَصَبُهُمْ شديد ، والعوامُّ معهم ، والحشو يُطيعهم<sup>(١١)</sup> .

الآن<sup>(١٢)</sup> معك أمران : السُّلطان وميلُهُم إليه ، وخَوْفُهُم منه .  
والعاقبة للمتقين .

- (١) الدول : جمع دولة ، وهى الانتقال من حال إلى حال .  
(٢) البكرية : أتباع بكر بن أخت عبد الواحد بن زيد . وقد ذكرهم البغدادى فى الفرق فى فصل مع الجهمية والضرارية . الفرق ١٩٩ والفصل ٤ : ١٩١  
(٣) الفضلية الذين يعنهم الجاحظ ، هم أتباع الفضل بن عيسى الرقاشى البصرى . وهم طائفة من المعتزلة . وهناك فضلية الخوارج ، ينتسبون إلى الفضل بن عبد الله . انظر مفاتيح العلوم ١٩ والبيان ١ : ٣٠٦ .  
(٤) الشمرية ، بالشين المعجمة المكسورة والميم المشددة المفتوحة ، كما فى السمعانى ٣٣٨ . قال : « والمشهور بهذه النسبة عمرو بن أبى عثمان الشمرى ، رأس المعتزلة » .  
(٥) الجعل : دويبة شبيهة بالخنفساء ، يضرب بها المثل فى الحقارة والهوان ، وفى اللصوق بالإنسان يتبعه إلى الغائط ، إذ قالوا : « ألصق من جعل » . حياة الحيوان للدميرى . و « من جعل » من ط فقط .  
(٦) ب ، م : « يسبقون » ، صوابه فى ط .  
(٧) ب : « شيتهم ونابيتهم » م : « شيتهم ونابيتهم » ط : « شيبهم ونابيتهم » ، والوجه ما أثبت .  
(٨) فى جميع النسخ : « فى التشبيه به » ، وكلمة « به » مقحمة .  
(٩) ب : « داينون » ، صوابه فى م ، ط .  
(١٠) ط : « عددهم كثير » .  
(١١) ب ، م : « يطيعهم » .  
(١٢) ب ، م : « إلا أن » .

١٠

من كتابه في  
الرد على النصارى



## ١ - فصل من صدر كتابه في

الرد على النصارى<sup>(١)</sup>

الحمد لله الذى مَنَّ علينا بتوحيده ، وجعلنا مِمَّنْ يَنْفَى شُبُهَةَ خَلْقِهِ<sup>(٢)</sup> وسياسة عبادِهِ<sup>(٣)</sup> ، وجعلنا لا نفرِّق بين أَحَدٍ من رُسُلِهِ ، ولا نَجْحد كتاباً أَوْجَبَ علينا الإقرار به ، ولا نُضيف إليه ما ليس منه ، إِنَّهُ حميدٌ مجيدٌ ، فعَالٌ لما يريد .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكُمْ ، وفهمت ما ذكرتم فيه<sup>(٤)</sup> من مسائل النَّصارى قِبَلَكُمْ ، وما دَخَلَ على قلوب أَحَدائِكُمْ وَضَعْفَائِكُمْ مِنَ اللَّبْسِ ، والذى خِفْتُمُوهُ على جواباتهم من الْعَجْزِ ، وما سَأَلْتُمْ مِنْ إِقْرَارِهِم بِالْمَسَائِلِ ، وَمِنْ حُسْنِ مَعُونَتِهِم بِالْجَوَابِ .

وذكرتم أَنَّهُمْ قالوا : إِنَّ الدَّلِيلَ على أَنَّ كِتَابَنَا باطلٌ ، وَأَمْرُنَا فاسدٌ ، أَنَّنَا نَدْعَى عَلَيْهِمْ ما لا يَعْرِفُونَهُ فيما بينهم ، ولا يَعْرِفُونَهُ مِنْ أَسْلَافِهِمْ ، لَأَنَّا نَزَعُ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ قال فى كتابه على لسانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونى وَأُمَّى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup> ﴾ ، وَأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَدِينُوا قَطُّ بِأَنَّ

(١) نشر هذا الاختبار من قبل ، بعد ظهوره على هامش الكامل ، فى مجموعة يوشع فنكل ، وعنوانها ( ثلاث رسائل لأبى عثمان عمرو بن بجر الجاحظ ) وطبعت فى المطبعة السلفية سنة ١٣٤٤ . وجعلت هذه المجموعة هدية من مجلة الزهراء التى كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب ، إلى قرائها فى السنة الثانية . والرسالة التى تليها هى ( ذم أخلاق الكتاب ) ، ثم ( رسالة القيان ) . وقد قت بنشرها بين الأخيرتين فى الجزء الثانى من الرسائل فى الصفحات ٢٠٩ - ١٣٩ .

(٢) يعنى كونه مخلوقاً .

(٣) إشارة إلى ما يرى المعتزلة من أنه غير خالق لأفعال العباد ، فهم يخلقون أفعالهم ويريدونها ، فيحاسبون على ما فعلوا .

(٤) ب : « من ما ذكرتم » .

(٥) الآية ١١٦ من سورة المائدة .

مريم إله في سرهم ، ولا ادّعوا ذلك قط في علانيتهم . وأنهم زعموا أنا  
ادّعينا عليهم ما لا يعرفون ، كما ادّعينا على اليهود ما لا يعرفون ، حين  
نطق كتابنا ، وشهد نبينا : أن اليهود قالوا : إن عزيراً ابن الله <sup>(١)</sup> ،  
وإن يد الله مغولة <sup>(٢)</sup> ، وإن الله فقير وهم أغنياء <sup>(٣)</sup> . وهذا ما لا يتكلم  
به إنسان ، ولا يعرف في شيء من الأديان .

ولو كانوا يقولون في عزير <sup>(٤)</sup> ما نَحَلْتُمُونِ وادّعيتموه ، لما  
جحدوه من دينهم ، ولما أنكروا أن يكون من قولهم ، ولما كانوا بإنكار  
بنوة عزير أحق منا بإنكار بنوة المسيح ، ولما كان علينا منكم بأس  
بعد عقد الذمة ، وأخذ الجزية .

وذكرتم أنهم قالوا : ومما يدل على غلطكم في الأخبار ، وأخذكم  
العلم عن غير الثقات <sup>(٥)</sup> ، أن كتابكم ينطق : أن فرعون قال ليهامان :  
﴿ ابن لي صرحاً ﴾ <sup>(٦)</sup> . وهامان لم يكن إلا في زمن الفرس ، وبعد  
زمن فرعون بدهر طويل ، وإن ذلك معروف عند أصحاب الكتب ،  
مشهور عند أهل العلم . وإنما اتخذ صرحاً ليكون إذا علاه أشرف على الله .  
وفرعون لا يخلو من أن يكون جاحداً لله تعالى ، أو مقراً به . فإن  
كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحدّه ، فما وجه اتخاذه  
الصّرح وطلب الإشراف ، وليس هناك شيء ولا إله ؟

(١) ب : « عزير ابن الله » .

(٢) إشارة إلى الآية ٦٤ من المائدة .

(٣) إشارة إلى الآية ١٨١ من آل عمران .

(٤) ب فقط : « يقولون في شيء في عزير » .

(٥) في جميع النسخ : « الثقات » ، وهو خطأ فدح في الرسم الذي يوجب رسم تاء جمع  
المؤنث السالم مبسوط .

(٦) من الآية ٣٦ في غافر .

(٧) م فقط : « لم يكن في زمن الفرس » ، تحريف .

وإن كان مُقَرَّراً بالله عارفاً به ، فلا يخلو من أن يكون مشبَّهاً أو نافياً  
للتشبيه . فإن كان ممن يَنْفِي الطُّول والعَرْض والعُمُق والحُدود والجهاتِ ،  
فما وَجْهُ طلبه له في مكانٍ بعينه ، وهو عنده بكلِّ مكان ؟ وإن كان  
مشبَّهاً فقد عَلِمَ أَنَّهُ ليس في طاقةِ بنى آدم أن يبنُوا بُنياناً ، أو يرفعوا  
صَرحاً يخرِقُ سَبْعَ سَمَواتٍ بِأَعْمَاقِهِنَّ ، والأجزاء التي بينهنَّ ، حتَّى يحاذيَ<sup>(١)</sup>  
العرشَ ثم يعلُوهُ .

وفرعونُ وإن كان كافراً فلم يكن مجنوناً ، ولا كان إلى نَقْصِ  
العقلِ من بين الملوكِ منسوباً . على أَنَّ الحُكْمَ قد يقومُ<sup>(٢)</sup> بعقول الملوكِ  
بالفضيلة على عُقول الرعية .

وذكرتم أَنَّهُم قالوا : تَزْعُمُونَ أَنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ يحيى بنَ زكريَّا  
يُخْبِرُ أَنَّهُ ﴿ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾<sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّهُم يجدون في كتبهم  
وفيما لا يختلف فيه خاصَّتُهُم وعامَّتُهُم أَنَّهُ كان من قبل يحيى بن زكريَّا  
غيرُ واحدٍ يقال له يحيى ، منهم : يُوْحَنَّا بن فرح<sup>(٤)</sup> .

وزعتم أَنَّهُم قالوا لكم<sup>(٥)</sup> : إِنَّكُمْ ذكرتم أَنَّ اللهَ قال في كتابه  
لنبيِّكم : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾<sup>(٦)</sup> ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ  
الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>(٧)</sup> ، وَإِنَّمَا عَنَى بقوله : ﴿ أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ :

(١) ب : « يحازى » ، تحريف .

(٢) ب : « قد يقدم » . (٣) من الآية ٧ في سورة مريم .

(٤) لم أجد له ذكراً في كتب الجاحظ ، كما لم أجد له خبراً إلا في سفر إرميا ٤٠ : ٨ .

و٤١ : ٤٣ و١١ : ٦ . واسمه في هذا السفر : يوحانان بن قاريح .

(٥) ب فقط : « لك » صوابه في م ، ط .

(٦) كذا القراءة في الآية ٤٣ من سورة النحل . أما في الآية ٧ من سورة الأنبياء فقراءة

الجمهور فيها : « يوحى إليهم » ، كما ورد في نسخة ب . وقرأها حفص فقط : « نوحى إليهم »  
انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٠٩ .

(٧) هي الآية ٤٣ من سورة النحل ، ونصها هو نص الآية ٧ من سورة الأنبياء .

( ٢٠ - رسائل الجاحظ )

أَهْلَ التَّوْرَةِ . وَأَصْحَابَ الْكِتَابِ يَقُولُونَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مِنَ النِّسَاءِ نَسِيَّاتٍ ، مِنْهُنَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ <sup>(١)</sup> ، وَبَعَثَ مِنْهُنَّ حَنَّةَ <sup>(٢)</sup> ، وَسَارَى <sup>(٣)</sup> ، وَرَفْقَى <sup>(٤)</sup> .

وَذَكَرْتُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا : زَعَمْتُمْ أَنَّ عِيسَى تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَنَحْنُ عَلَى تَقْدِيمِنَا لَهُ ، وَتَقْرِبِينَا لِأَمْرِهِ ، وَإِفْرَاطِنَا بِزَعْمِكُمْ فِيهِ ، عَلَى كَثْرَةِ عَدَدِنَا ، وَتَفَاوُتِ بِلَادِنَا ، وَاخْتِلَافِنَا فِيمَا بَيْنَنَا ، لَا نَعْرِفُ ذَلِكَ وَلَا نَدَّعِيهِ <sup>(٥)</sup> ، وَكَيْفَ نَدَّعِيهِ وَلَمْ نَسْمَعْهُ عَنْ سَلَفٍ ، وَلَا أَدْعَاهُ مِنَّا مَدْعٍ .

ثُمَّ هَذِهِ الْيَهُودُ لَا تَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَتَزْعُمُ أَنَّهَا لَمْ تَسْمَعْ بِهِ إِلَّا مِنْكُمْ ، وَلَا تَعْرِفُهُ الْمَجُوسُ ، وَلَا الصَّابِثُونَ ، وَلَا عِبَادُ الْبِدَّةِ <sup>(٦)</sup> مِنَ الْهِنْدِ وَغَيْرِهِمْ ،

(١) انظر بقية نسبا في الطبري ١ : ٥٨٦ .

(٢) هي حنة بنت فنوثيل ، من سبط أشير . إنجيل لوقا ٢ : ٣٦ .

(٣) سميت في العهد القديم « ساراي » تكوين ١١ : ٢٩ ، ٣٠ / ١٢ : ٥ ، ١١ ، ١٧ / ١٦ : ١ - ٩ وجاء في سفر التكوين ١٧ : ٥ : في مخاطبة إبراهيم عليه السلام : « فلا يدعى اسمك بعد لإبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم » وفي الفقرة الخامسة عشرة منه : « وقال الله لإبراهيم : ساراي امرأتك لاتدعى اسمها ساراي ، بل اسمها سارا » . وفي حواشي سفر التكوين أن « سارة » بمعنى رئيسة . وسارة هذه هي بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، كما في الطبري ١ : ٢٤٤ ، وفيها الآية الكريمة : « وامرأته قائمة فضحكك فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » . وسارة تضبط بتخفيف الراء ، ويخطئ من يشدها ، وإن كانت قد ضبطت بذلك في اللسان (هجر ١١٨ ورقم ١٨٠) وشرح القسطلاني ٤ : ١٠٢ . وما يمين ضبطها بتخفيف الراء قول جرير في ديوانه ٥٤٣ :

فيجمعنا والعز أولاد سارة أب لايبالي بعده من تعذرا

(٤) ورسمت في الطبري : « رفقا » ، وهو الوجه ، لأن جميع المنتهى بالألف اللينة من الأسماء الأعجمية حقه أن يكتب بالألف ، ماعدا الأسماء الخمسة : موسى ، عيسى ، كسرى ، بخاري ، متى . وهي رفقا ابنة بتويل بن ناحور بن تارخ ، وهي امرأة إسحاق ، كما في الطبري ١ : ٣١٣ . وتسمى أيضاً « رفقة » في التكوين ٢٤ : ١٥ ، ٢٩ / ٢٥ : ٢٠ .

(٥) ب ، م : « لا يعرف ذلك ولا يدعيه » ، صوابه في ط .

(٦) البد ، بالضم : الصنم الذي يعبد ، وهو إعراب بت ، بالفارسية بضم الباء أيضاً . والجمع البددة . ب : « البدرة » ط : « المدرة » ، صوابها في م . وانظر ما سبق في حواشي ٢٥٢ .



ولا التُّرك والخزر<sup>(١)</sup> ، ولا بلغنا ذلك عن أحدٍ من الأمم السالفة ، والقرون الماضية ، ولا فى الإنجيل ، ولا فى ذِكْر صفاتِ المسيح فى الكُتُب والبشاراتِ به على ألسنة الرُّسل .

ومثُلُ هذا لا يجوز أن يجھله الولیُّ والعدوُّ ، وغيرُ الولیِّ وغيرُ العدوِّ ، ولا يُضربَ به مثل ، ولا يروَّحَ به النَّاسُ ، ثم يُجمع النصارى على رده ، مع حُبِّهم لتقوية أمره . ولم يكونوا ليضادوكم<sup>(٢)</sup> فيما يرجع عليهم نفعه . وكيف لم يكذبوكم فى إحيائه الموتى ، ومشيئه على الماء ، وإبراء الأكمه والأبرص ؟! بل لم يكونوا ليتفقوا على إظهار خلاف دينهم ، وإنكاراً عظيماً حجة كانت لصاحبهم ، ومثُل هذا لا ينكم ولا ينفك ممن يخالف ويُنم<sup>(٣)</sup> .

والكلام فى المهد أعجب من كلِّ عجب ، وأغرب من كلِّ غريب ، وأبدع من كلِّ بديع ، لأنَّ إحياء الموتى والمشي على الماء ، وإقامة المُقعد ، وإبراء الأعمى ، وإبراء الأكمه<sup>(٤)</sup> قد أتت به الأنبياء ، وعرفه الرُّسل ، ودار فى أسماعهم . ولم يتكلَّم صبيُّ قطُّ ، ولا مولودٌ فى المهد .

وكيف ضاعت هذه الآية ، وسقطت حُجة هذه العلامة من بين كلِّ

علامة ؟ !

وبعد ، فكلُّ أعجوبة يأتى بها الرجال<sup>(٥)</sup> ، والمعروفون بالبيان ،

(١) م : « والخزر » ، تحريف . والخزر : جيل من التُّرك كان مقر حكمهم فى سهوب القوقاز الشمالية . وانظر مادق ( بلنار ) و ( الخزر ) فى دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ب ، م : « ولم يكن ليضادوكم » .

(٣) ب فقط : « ويُنم » بالتاء .

(٤) الأكمه : الذى يولد أعمى ، ومصدره الكمه ، بالتحريك . وربما جاء الكمه فى الشعر للعمى العارض ، كما جاء فى قول سويد بن أبى كاهل البشكري فى المفضليات ٢٠٠ :

كُهِتَ عَيْنَاهُ لَمَّا ابْيَضَّتَا فَهَسُو يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعَ

(٥) ب ، م : « الرجل » ، وأثبت ما فى ط .

والمنسوبون إلى صواب الرأي ، تكون<sup>(١)</sup> الحيلة في الظن إليها أقرب ، وخوف الخدعة عليها أغلب . والصبي المولود عاجز في الفطرة ، ممتنع من كل حيلة ، لا يحتاج فيه إلى نظر ، ولا يشبهه من شاهده بدخل<sup>(٢)</sup> .

## ٢ - فصل منه

وسنقول في جميع ما ورد علينا من مسائلكم ، وفيما لا يقع إليكم من مسائلهم ، بالشواهد الظاهرة ، والحجج القويّة ، والأدلة الاضطرارية ، ثم نسألهم بعد جوابنا إياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم ، وانتشار مذهبهم<sup>(٣)</sup> ، وتهافت دينهم .

ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال مالا نحسن ، ونسأله القصد في القول والعمل ، وأن يكون ذلك لوجهه ، ولنصرة دينه ، إنه قريب مجيب .

فأنا مبتدئ في ذكر الأسباب التي لها<sup>(٤)</sup> صارت النصارى أحب إلى العوام من المجوس ، وأسلم صدوراً عندهم من اليهود ، وأقرب مودة ، وأقل غائلة ، وأصغر كُفراً ، وأهون عذاباً .

ولذلك أسباب كثيرة ، ووجود واضحة ، يعرفها من نظر ، ويجعلها من لم ينظر .

(١) ب ، م : « فكون » ، صوابه في ط .

(٢) ط فقط : « ولا يشبهه » . والدخل ، بالتحريك وبالفتح أيضاً : الرية والنش . قال الله تعالى : « تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم » . وفي كلام ابنة الحس : ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل

(٣) انتشار مذهبهم : تفرقه وعدم ترابطه . ويقولون : ضم الله شرك ، بالتحريك ، أى لم شعثك .

(٤) ب : « التي بها » .

أَوَّلُ ذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا جِيرَانَ الْمُسْلِمِينَ بِشَرْبٍ وَغَيْرِهَا ، وَعَدَاوَةُ الْجِيرَانِ شَبِيهَةٌ بِعَدَاوَةِ الْأَقَارِبِ فِي شِدَّةِ التَّمَكُّنِ وَثَبَاتِ الْحَقْدِ ، وَإِنَّمَا يُعَادِي الْإِنْسَانُ مَنْ يَعْرِفُ ، وَيَعِيلُ عَلَى مَنْ يَرَى ، وَيُنَاقِضُ مَنْ يُشَاكِلُ ، وَيَبْدُو لَهُ عِيُوبٌ مِنْ يُخَالِطُ . وَعَلَى قَدَرِ الْحُبِّ وَالْقُرْبِ يَكُونُ الْبُغْضُ وَالْبُعْدُ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرُوبُ الْجِيرَانِ وَبَنَى الْأَعْمَامِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَسَائِرِ الْعَرَبِ أَطْوَلَ ، وَعَدَاوَتُهُمْ أَشَدَّ .

فَلَمَّا صَارَ الْمُهَاجِرُونَ لِلْيَهُودِ جِيرَانًا ، وَقَدْ كَانَتْ الْأَنْصَارُ مُتَقَدِّمَةً الْجَوَارِ ، مَشَارَكَةً فِي الدَّارِ ، حَسَدَتْهُمْ الْيَهُودُ عَلَى النِّعْمَةِ <sup>(١)</sup> فِي الدِّينِ ، وَالْاجْتِمَاعِ بَعْدَ الْإِفْتِرَاقِ ، وَالتَّوَاصُلِ بَعْدَ التَّقَاعُطِ ، وَشَبَّهُوا عَلَى الْعَوَامِ <sup>(٢)</sup> ، وَاسْتَأْلَوْا الضَّعْفَةَ ، وَمَاثَلُوا <sup>(٣)</sup> الْأَعْدَاءَ وَالْحَسَدَةَ ، ثُمَّ جَاوَزُوا الطَّعْنَ وَإِدْخَالَ الشُّبْهَةِ ، إِلَى الْمَنَاجِزَةِ وَالْمُنَابَذَةِ بِالْعَدَاوَةِ ، فَجَمَعُوا كَيْدَهُمْ ، وَبَذَلُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي قِتَالِهِمْ ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَطَالَ ذَلِكَ وَاسْتَفَاضَ فِيهِمْ <sup>(٤)</sup> وَظَهَرَ ، وَتَرَادَفَ لَذَلِكَ الْغَيْظُ ، وَتَضَاعَفَ الْبُغْضُ ، وَتَمَكَّنَ الْحَقْدُ .

وكَانَتْ النَّصَارَى لِبَعْدِ دِيَارِهِمْ <sup>(٥)</sup> ، مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُهَاجِرِهِ ، لَا يَتَكَلَّفُونَ طَعْنًا <sup>(٦)</sup> ، وَلَا يُثِيرُونَ كَيْدًا <sup>(٧)</sup> ،

(١) ب ، م : « حَسَدَتْهُمْ الْيَهُودُ النِّعْمَةَ » ، وَهِيَ صَحِيحَةٌ أَيْضًا ، يَقَالُ حَسَدَهُ عَلَى الشَّيْءِ ، وَحَسَدَهُ إِيَّاهُ ، كَمَا فِي قَوْلِ شَمْرِ بْنِ الْحَارِثِ الضَّبِّيِّ :

فَقُلْتُ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَحْسُدُ الْإِنْسَانَ الطَّعَامَا

(٢) ط فَقَطْ : « الْقَوَامِ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) ب ، م : « وَمَاثَلُوا » ، صَوَابُهُ فِي ط . وَالْمَالَاةُ : الْمُسَاعَدَةُ ، وَالْمَشَايِعَةُ .

(٤) ب ، م : « وَاسْتَفَاضَ فِيهِمْ » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٥) ب ، م : « دِيَارِهَا » .

(٦) ب ، م : « لَا يَتَكَلَّفُ طَعْنًا » ، صَوَابُهُ فِي ط .

(٧) ب ، م : « وَلَا يَسْتَرْكِيدًا » ، وَالْوَجْهُ فِي ط .

ولا يجمعون على حرب<sup>(١)</sup> . فكان هذا أول أسباب ما غلظت القلوب على اليهود ، وليئنها على النصارى .

ثم كان من أمر المهاجرين إلى الحبشة ، واعتمادهم على تلك الجنبية<sup>(٢)</sup> ما حَبَّبَهُمْ<sup>(٣)</sup> إلى عوام المسلمين . وكلَّمَا لَانَتْ القلوب لقوم غلظت على أعدائهم ، وبقدَّر ما نقص من بُغض النصارى زاد في بغض اليهود . ومن شأن النَّاس حُبُّ من اصطنع إليهم خيراً أو جرى على يديه<sup>(٤)</sup> ، أراد الله بذلك أو لم يُرِدْهُ ، وبقصد<sup>(٥)</sup> كان أم باتفاق .

وأمر آخر ، وهو من أمتن أسبابهم وأقوى أمورهم ، وهو تأويل آية غلِطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة ، وحفظتها النصارى واحتجَّت ، واستالت قلوب الرعاع والسفلة ، وهو قول الله تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾<sup>(٦)</sup> . إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup> . وفي نفس الآية أعظم الدليل على أَنَّ الله تعالى لم يعن هؤلاء النصارى ولا أشباههم : الملكانية<sup>(٨)</sup> واليعقوبية<sup>(٩)</sup> ، وإنما عني

(١) ب ، م : « ولا يجمع على حرب » ، تحريف .

(٢) الجنبية : الجانب . وفي ط فقط : « الجهة » .

(٣) ب فقط : « ما حَبَّبَهُمْ » ، صوابه في م ، ط .

(٤) الكلام بعده إلى كلمة « باتفاق » ساقط من ط .

(٥) في الأصل ، وهو هنا ب ، م : « وبعد » ، والوجه ما أثبت .

(٦) الآية ٨٢ من سورة المائدة .

(٧) يعني الآيات ٨٢ - ٨٥ من سورة المائدة .

(٨) ب فقط : « الملكانية » ، صوابه في م ، ط . ويقال ملكانية وملكائية أيضاً بالهمز ،

كما في مفاتيح العلوم ٢٣ . ويقال أيضاً الملكية ، كما في التنبيه والإشراف للمسعودي ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣١ . وجاء في مفاتيح العلوم ٢٣ : « وهم منسوبون إلى ملكاء ، وهم

أقدمهم » ، أي أقدم النصارى . وفي الملل والنحل ٢ : ٦٢ : « الملكانية أصحاب ملكا الذي ظهر

بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » ومعناه الملك بالسريرية .

والمراد بهم أتباع مذهب قياصرة الروم الذي يسمى أيضاً المذهب الخلقيدوقى ، الذي أقره الجمع

المعقود في خلقيدونية سنة ٤٥١ م . وفي مفاتيح العلوم : « وأهل الروم كلهم ملكائية » . وانظر

تاريخ الأمة القبطية ( الحلقة الثانية ص ٩١ - ٩٣ ) .

(٩) اليعقوبية ، أو اليعاقبة : ثلاثة فرق قدماء النصارى ، وهم الملكانية ، والنسطورية ، =

صَرَبَ بَحِيرًا<sup>(١)</sup> ، وَصَرَبَ الرُّهْبَانُ الَّذِينَ كَانَ يَخْدُمُهُمْ سَلْمَانُ<sup>(٢)</sup> .  
وبين حَمْلِ قَوْلِهِ<sup>(٣)</sup> : ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ على الغلط منهم  
في الأسماء ، وبين أن نجزم عليهم<sup>(٤)</sup> لأنهم نصارى - فرق .

كما ذكر اليهود أنه جاء الإسلام وملوك العرب رجلاً : غَسَّانِيٌّ  
ولُخْمِيٌّ ، وهما نصرانيان . وقد كانت العرب تدين لهما ، وتؤدّي  
الإتاوة إليهما ، فكان تعظيم قلوبهم لهما راجعاً<sup>(٥)</sup> إلى تعظيم دينهما .  
وكانت تهما ، وإن كانت لقاحاً<sup>(٦)</sup> لا تدين الدين<sup>(٧)</sup> ، ولا تؤدّي

= واليعقوبية . وهم ينسبون إلى مار يعقوب . قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم : « وهم قليل » .  
وفي الفصل لابن حزم ١ : ٤٩ : « ينسبون إلى يعقوب البرذعاني ، وكان راهباً بالقسطنطينية » .  
وانظر الملل والنحل ٢ : ٦٦ .

(١) بحيرا الراهب ، بفتح الباء ، كما في القاموس ، وقد رسم بالياء في آخره في القاموس  
وشرحه ، والوجه كتابته بالألف كما في الإصابة ٥٩٥ . وهو الذي لقي الرسول صلى الله عليه وسلم  
قبل البعثة في ركب قريش حين نزلوا بصرى من أرض الشام ، فاستضافهم جميعاً ، وعرف رسول  
الله ما كان يعرف من صفته من قبل . السيرة ١١٥ - ١١٧ .

(٢) سلمان الفارسي : صحابي جليل ، أصله من رام هرمز ، وقيل من أصبهان ، وكان قد  
سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث ، فخرج في طلب ذلك ، وأسلم ، وشهد بدرأ ،  
وأخى النبي بينه وبين أبي الدرداء . الإصابة ٣٣٥٠ والسيرة ١٣٦ ، ٣٤٥ ، ٦٦٣ ، ٦٧٧ .  
ب : « نجد منهم سلمان م : « يجذهم سلمان » وفي ط : « يجذبهم سلمان » ، والصواب ما أثبت .  
وقد وجدت نصاً صريحاً في سيرة ابن هشام ١٣٨ يقول فيه سلمان لأسقف الكنيسة في الشام قبل  
إسلامه : « إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيسك » . ثم تروى  
السيرة تنقله في كنائس الموصل ، ونصيبين ، وعمورية ، ومن عمورية انتقل إلى أرض العرب  
حتى كان بالمدينة ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل في الإسلام .

(٣) ب ، م : « وبين قوله » بسقوط كلمة « حمل » .

(٤) ب : « نجرم » ط : « نجري » . وأثبت ما في م .

(٥) ب ، م : « راجعة » ط : « راجع » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) يقل حتى لقاح ، كسحاب : لم يدينوا للملوك ولم يملكوا ولم يصيهم سبباً في  
الجاهلية . قال ثعلب : مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقت لم تطاوع الفحل .

(٧) كلمة « الدين » ساقطة من ط . وفي ب ، م : « لا يدين » . صوابهما في ط .

الأتاوة ، ولا تَدِينُ لِلْمُلُوكِ ، فَإِنَّهَا<sup>(١)</sup> كانت لا تمتنعُ من تعظيم ما عَظَّمُ الناس ، وتصغيرِ ما صَغَّرُوا .

ونصرانيَّةُ النُّعْمان ومُلُوكِ غَسَّانَ مشهورةٌ في العرب ، معروفةٌ عند أهل النَّسَبِ ، ولولا ذلك لَدَلَّتْ عَلَيْهَا<sup>(٢)</sup> بالأشعار المعروفة ، والأخبار الصحيحة .

وقد كانت تَتَجَرَّ إلى الشَّامِ ، وَيَنْفُذُ<sup>(٣)</sup> رجالُها إلى مُلُوكِ الرُّومِ ، ولها رحلةٌ في الشَّتَاءِ والصَّيْفِ ، في تجارةٍ مرَّةً إلى الحبشة ، ومرَّةً قِبَلَ الشَّامِ ، ومرَّةً بيشرب<sup>(٤)</sup> ، ومصيفُها بالطَّائِفِ ، ومرَّةً منيحين مستأنفاً بحمده<sup>(٥)</sup> ، فكانوا أصحاب نعمة ، وذلك مشهورٌ مذكورٌ في القرآن ، وعند أهل المعرفة .

وقد كانت تهاجر إلى الحبشة<sup>(٦)</sup> ، وتأتى بابَ النَّجاشيِّ وافدةً ، فيحبُّوهم بالجزيل<sup>(٧)</sup> ، ويعْرِفُ لهم الأقدار ، ولم تكن تعرف كسرى<sup>(٨)</sup> ، ولا تأنس بهم . وقيصِرُ والنَّجاشيُّ نصرانيان ، فكان ذلك أيضاً للنَّصارى ، دون اليهود .

والآخر من النَّاسِ تَبَعَ لِلأَوَّلِ في تعظيم من عَظَّمُ ، وتصغير من صَغَّرَ .

(١) ب ، م : « وبأنها » ط : « لأنها » ، والوجه ما أثبت

(٢) ب فقط : « عليه » تحريف . (٣) ط فقط : « وتنفذ » .

(٤) ومرة بيشرب ، ساقطة من ط .

(٥) كذا وردت هذه العبارة في ب . م مع سقوطها من ط . لكن في م : « بجده » . ولعلها

« ومرة ميمين » من أيمن ويمن تيميناً ، إذا أتى اليمن .

(٦) ب ، م : « تهاجر الحبشة » ، صوابها في ط .

(٧) يحبُّوهم ، من الجباء ، وهو العطاء بلا من ولا جزاء . ب ، م : « فيحبُّوهم » ط :

« فيحبُّوهم » ، صوابها ما أثبت .

(٨) ط : « ولم يكن يعرف ذلك كسرى » .

وأخرى<sup>(١)</sup> : أَنَّ العرب كانت النصرانية فيها فاشية ، وعليها غالبية ،  
إِلَّا مُضَر ، فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ، ولم تَفُشْ فيها النصرانية ،  
إِلَّا مَا<sup>(٢)</sup> كَانَ مِنْ قَوْمٍ مِنْهُمْ نَزَلُوا الْحِيرَةَ<sup>(٣)</sup> يَسْمُونَ : الْعِبَاد ، فَإِنَّهُمْ  
كَانُوا نَصَارَى ، وَهُمْ مَعْمُورُونَ مَعَ نَبَذٍ يَسِيرٍ<sup>(٤)</sup> فِي بَعْضِ الْقَبَائِلِ .  
وَلَمْ تَعْرِفْ مُضَرَ إِلَّا دِينَ الْعَرَب ، ثُمَّ الْإِسْلَام .

وَعَلَبَتِ النَّصْرَانِيَّةُ عَلَى مُلُوكِ الْعَرَبِ وَقَبَائِلِهَا : عَلَى لَخْمٍ ، وَغَسَّانٍ ،  
وَالْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بَنَجْرَانَ ، وَقُضَاعَةَ ، وَطِىٍّ ، فِي قَبَائِلٍ كَثِيرَةٍ ،  
وَأَحْيَاءٍ مَعْرُوفَةٍ . ثُمَّ ظَهَرَتْ فِي رُبَيْعَةٍ فَغَلَبَتْ عَلَى تَغْلِبَ وَعَبْدِ الْقَيْسِ  
وَأَفْنَاءِ بَكْرِ<sup>(٥)</sup> ، ثُمَّ فِي آلِ ذِي الْجَدَيْنِ خَاصَّةً .

وَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَلَيْسَتْ الْيَهُودِيَّةُ<sup>(٦)</sup> بِغَالِبَةٍ عَلَى قَبِيلَةٍ ، إِلَّا مَا كَانَ  
مِنْ نَاسٍ مِنَ الْيَمَانِيَةِ ، وَنَبَذٍ يَسِيرٍ<sup>(٧)</sup> مِنْ جَمِيعِ إِبَادٍ وَرُبَيْعَةٍ . وَمَعْظَمُ  
الْيَهُودِيَّةِ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْثَرَبَ وَحِمِيرَ وَتَبَاءَ وَوَادِي الْقُرَى ، فِي وَلَدِ هَارُونَ ،  
دُونَ الْعَرَبِ .

فَعَطَفَ قُلُوبَ دَهْمَاءِ الْعَرَبِ عَلَى النَّصَارَى الْمُلُكُ الَّذِي كَانَ فِيهِمْ ،  
وَالْقَرَابَةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ . ثُمَّ رَأَتْ عَوَامُنَا أَنَّ فِيهَا مُلُكًا قَائِمًا ، وَأَنَّ  
فِيهِمْ عَرَبًا كَثِيرَةً<sup>(٨)</sup> ، وَأَنَّ بَنَاتِ الرُّومِ وَلَكِنَّ الْمُلُوكَ الْإِسْلَامَ ، وَأَنَّ فِي

(١) ط : « وأخرى ، وهى » .

(٢) فى الأصول : « إلا من كان » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) نزلوا الحيرة ، ساقط من ب .

(٤) النبذ ، بالفتح : الشيء القليل . ب فقط : « معمورون مع نبذ يسيرة » ،

صوابه فى ط .

(٥) الأقتناء : الأخلاط النزاع من هاهنا وهاهنا ، الواحد فنو ، بالكسر .

(٦) ب ، م : « لليهودية » ، صوابه فى ط .

(٧) ب : « ونبذ يسيرة » تحريف . وانظر ما مضى قريباً .

(٨) ب ، م : « غرباً كثيرة » صوابه بالعين المهملة كما فى ط .

النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين ، فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ، ولم يروا ذلك في اليهود .

وإنما اختلفت <sup>(١)</sup> أحوال اليهود والنصارى في ذلك لأن اليهود ترى أن النظر في الفلسفة <sup>(٢)</sup> كفر ، والكلام في الدين بدعة ، وأنه مجلبة لكل شبهة ، وأنه لا علم إلا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء ، وأن الإيمان بالطب ، وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة والخروج إلى الدهرية ، والخلاف على الأسلاف وأهل القدوة ، حتى إنهم ليبهرجون المشهور بذلك ، ويحرّمون كلام من سلك <sup>(٣)</sup> سبيل أولئك .

ولو علمت العوام أن النصارى والرّوم ليست لهم حكمة ولا بيان ، ولا بُعد رؤية <sup>(٤)</sup> ، إلا حكمة الكف ، من الخرط والنجر والتصوير ، وحياسة البيزوني <sup>(٥)</sup> لأخرجتهم من حدود الأدباء ، ولمحتهم من ديوان الفلاسفة والحكماء ؛ لأن كتاب المنطق والكون والفساد ، وكتاب العلوي <sup>(٦)</sup> ، وغير ذلك ، لأرسطاطليس <sup>(٧)</sup> ، وليس برومي ولا نصراني .

وكتاب المجسطي لبطليموس <sup>(٨)</sup> ، وليس برومي ولا نصراني .

وكتاب إقليدس لإقليدس ، وليس برومي ولا نصراني .

(١) ب ، م : « اختلف » .

(٢) ب فقط : « في الفلسفة » .

(٣) ط : « كلام سالك » .

(٤) ب ، م : « رؤية » .

(٥) البيزوني : السنديس . قال ابن بري : هو رقيق الديباج . وضبطه صاحب القاموس كجرحل وعصفور ، وصاحب اللسان بالضم فقط . ط : « البيزوني » تحريف . وانظر اللسان والقاموس ( بزني ) .

(٦) ذكره في الحيوان ٦ : ٢٨٠ باسم « الآثار العلوية » . ط فقط : « العدوي » تحريف .

(٧) ب ، م : « لأرسطوطيلس » ، وأثبت ماني ط والحيوان .

(٨) انظر حواشي الحيوان ١ : ٨٠ .



وكتاب الطب لجالينوس ، ولم يكن رومياً ولا نصرانياً .

وكذلك كتب ديمقراط وبُقراط وأفلاطون ، وفلان وفلان .

وهؤلاء ناس<sup>(١)</sup> من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم ، وهم اليونانيون ، ودينهم غير دينهم ، وأدبهم غير أدبهم ، أولئك علماء ، وهؤلاء صنّاع أخذوا كتبهم<sup>(٢)</sup> لقرب الجوار ، وتداني الدار ، فمنها ما أضافوه إلى أنفسهم ، ومنها ما حولوه إلى ملّتهم . إلا ما كان من مشهور كتبهم ، ومعروف حكمهم ، فإنهم حين لم يقدرُوا على تغيير أسائها زعموا أن اليونانيين قبيل من قبائل الروم ، ففجروا<sup>(٣)</sup> بأديانهم على اليهود ، واستطالوا بها على العرب ، وبدخوا بها على الهند<sup>(٤)</sup> ، حتى زعموا أن حكماءنا أتباع حكمائهم ، وأن فلاسفتنا اقتدوا على مثالمهم<sup>(٥)</sup> ، فهذا هذا .

ودينهم<sup>(٦)</sup> يرحمك الله - يُضاهي الزندقة ، ويناسب في بعض وجوه قول الدهرية ، وهم من أسباب كل حيرة وشبهة .

والدليل على ذلك أننا لم نر أهل ملّة<sup>(٧)</sup> قط أكثر زندقة من النصارى ، ولا أكثر متحيراً أو مترنحاً منهم<sup>(٨)</sup> .

وكذلك شأن كل من نظر في الأمور الغامضة بالعقول الضعيفة : ألا ترى أن أكثر من قتل في الزندقة ممن كان ينتحل الإسلام ويُظهره ،

(١) ط فقط : « أناس » .

(٢) ب : « أخذ وكتبهم » ، وهو تحريف كتابي .

(٣) ب ، م : « فجروا » ، صوابه في ط

(٤) البذخ والبذوخ : تطاول الرجل بكلامه واختاره ، وفعله كفرح يفرح ، وقعد يقعد .

(٥) ب : « اقتدروا » ، تحريف . ط : « احتلوا » ، وأثبت ما في م .

(٦) ط : « فهذا هو دينهم » ، وإخاله تصرفاً من الناشر . وما أثبت من ب ، م هو لغة الجاحظ .

(٧) ط : « أهل مكة » ، صوابه في ب ، م .

(٨) الترنح : التمايل والاضطراب . وفي جميع الأصول : « متحيزاً » بالزاي ، صوابه ما أثبت .

هم<sup>(١)</sup> الذين آباؤهم وأُمَّهاتهم نصارى .

على أنك لو عددت اليومَ أهلَ الظَّنَّةِ ومواضعِ التَّهمة لم تجد أكثرهم إلا كذلك .

ومَّا عَظَّمهم في قلوب العوامِّ ، وحبَّهم إلى الطَّعام ، أنَّ منهم كُتَّابَ السَّلاطين ، وقرَّاشي الملوك<sup>(٢)</sup> ، وأطباء الأشرافِ ، والعطارين والصَّيارفة . ولا تجد اليهوديَّ إلا صَبَّاغًا ، أو دَبَّاغًا ، أو حَجَّامًا ، أو قَصَّابًا ، أو شَعَّابًا .

فلَمَّا رَأَتِ العوامُّ اليهودَ والنَّصارى توهُمَت أنَّ دينَ اليهود في الأديان كصناعتهم في الصَّناعات ، وأنَّ كُفْرهم أَقْدَرُ الكُفْرِ، إذ كانواهم أَقْدَرُ الأُمَم . وإنما صارت النَّصارى أَقْلَّ مَسَاخَةٍ من اليهود<sup>(٣)</sup> ، على شِدَّةِ مَسَاخَةِ النَّصارى ، لأنَّ الإسرائيلى لا يزوجُ إلاَّ الإسرائيلى، وكل مناحيهم مردودةٌ فيهم<sup>(٤)</sup> ، ومقصورةٌ عليهم ، وكانت الغرائبُ لا تشوبهم ، وفحولةُ الأجناسِ لا تُضرب ولا تضربُ فيهم ، لم يُنجبوا في عَقْل ولا أَسْر ولا مِلحٍ<sup>(٥)</sup> . وإنَّكَ لتعرف ذلك في الخيلِ والإبلِ ، والحمير والحمام . ونحن - رحمك الله - لم نُخالف العوامَّ في كثرةِ أموالِ النَّصارى ، وأنَّ فيهم مُلكًا قائمًا ، وأنَّ ثيابهم أنظف<sup>(٦)</sup> ، وأنَّ صناعتهم أحسن .

(١) ب : « وهم » ، والواو مقحمة .

(٢) يراد بالفراش من يتعهد فراش البيت وأثاثه . وانظر ما كتبت في ذلك في ( حول ديوان البحري ) ٣٩ - ٤٠ والحيوان ٣ : ٤٣٥ .

(٣) المسيح من الناس : الذى : الذى لا ملاحه له . وقد مسخ مساخة .

(٤) ب : « وكل مناحيهم مردون فيهم » ط ، م : « وكل مناحيهم مردودة فيهم » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) الأسر : شدة الخلق . وفى التنزيل العزيز : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » . والملح ، بالكسر : الرضاع واللبن .

(٦) ب : « وأن ما بهم » م : « ما بهم » ط : « ما بهم » ، والوجه ما أثبت . وانظر ما سأتى في ٣٢٥ من قوله : « والنصراني وإن كان أنظف ثوبًا » .

وإنما خالفنا في فرق ما بين الكُفْرين والفرقتين ، في شدة المعاندة واللَّجاجة ، والإِرصادِ لأهلِ الإسلامِ بكلِّ مَكيدة ، مع لُؤْمِ الأصول ، وخبث الأعراق .

فأمَّا المُلْكُ والصَّناعةُ والهيئَةُ ، فقد علمنا أنَّهم اتَّخذوا البراذين الشهريَّة<sup>(١)</sup> ، والخيَلِ العِتاق ، واتَّخذوا الجَوَقات<sup>(٢)</sup> ، وضربوا بالصَّوالِجة ، وتحذَفُوا المِدينى<sup>(٣)</sup> ، وليسوا المُلحَمَ والمطبَّقة<sup>(٤)</sup> ، واتَّخذوا الشاكريَّة<sup>(٥)</sup> ، وتسمَّوا بالحسن والحُسين ، والعبَّاسَ والفضلَ وعلى ، واكتنَّوا بذلك أجمع ، ولم يبقَ إلَّا أنْ يتسمَّوا بمحمَّد ، ويكتنُّوا ببائى القاسم . فرغب إليهم المسلمون ، وترك كثيرٌ منهم عقَدَ الزَّنانير ، وعقَّدها آخرون<sup>(٦)</sup> دون ثيابهم ، وامتنع كثيرٌ من كُبرائهم من إعطاء الجزية ، وأنفوا مع أقدارهم من دفعها<sup>(٧)</sup> وسبُّوا من سبَّهم ، وضربوا من ضربهم .

(١) الشهريَّة ، سبق تفسيرها في ١٢٨ . وكلمة « اتَّخذوا » ساقطة من ب ، م .  
(٢) الجوقة : جماعة من الناس ، معربة كما في شفاء الغليل . والمراد فرق الفروسيَّة ونحوها .  
(٣) تحذيف الشعر : تطريزه وتسويته . وفي اللسان : « قال النضر : التحذيف في الطرة أن تجعل سكينية كما تفعل النصارى » . فقد وضع التحذف هنا موضع التحذيف . وفي الأصول هنا : « وتحذقوا » ، ولا وجه له .

(٤) في اللسان : « الملحم : جنس من الثياب » . وفي القاموس : « وككرم : جنس من الثياب » . وألحم الناسج الثوب . وفي المثل : « ألحم ما أسديت » أى تمم ما ابتدأته من الإحسان . واللمة ، بالضم : خيوط النسج العرضية يلحم بها السدى ، كما في المعجم الوسيط . وفيه أيضاً : « الملحم جنس من الثياب يختلف نوع سداه ونوع لحمته ، كالصوف والقطن ، أو الحرير والقطن » ، أى لا يكونان من نوع واحد . أما المطبقة ، فهي من قولهم : طابق بين قيصين : لبس أحدهما على الآخر . فالمراد الثياب المزودة المتطابقة .

(٥) الشاكريَّة ، يراد بهم الجند المستأجرون ؛ لأن الشاكرى معناه كما في القاموس : الأجير المستخدم ، معرب جاكرك . وانظر حواشى الحيوان ٢ : ١٣٠ ورسائل الجاحظ ١ : ٣٠ .

(٦) ب ، م : « وعقدوها آخرون » ، وأثبت ما فى ط .

(٧) ب ، م : « وأنف مع أقدارهم من دفع » ، صوابه فى ط .

وما لهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه ، وقضأتنا أو عامتهم<sup>(١)</sup> يرون أن دم الجاثليق<sup>(٢)</sup> والمطران والأسقف وفاء بدم جعفر وعلى والعياس وحمزة .

ويرون أن النصراني إذا قذف أم النبي صلى الله عليه وسلم بالغواية<sup>(٣)</sup> أنه ليس عليه إلا التعزير والتأديب<sup>(٤)</sup> ، ثم يحتجّون أنهم إنما قالوا ذلك لأن أم النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن مسلمة . فسبحان الله العظيم ! ما أعجب هذا القول<sup>(٥)</sup> وأبين انتشاره<sup>(٦)</sup> !

ومن حكم النبي صلى الله عليه وسلم : أن لا يسأؤونا في المجلس ، ومن قوله : « وإن سبوكم فاضربوهم ، وإن ضربوكم فاقتلوه » .

وهم إذا قذفوا أم النبي عليه السلام بالفاحشة لم يكن له عند أمته إلا التعزير والتأديب . وزعموا أن افتراءهم على النبي ليس بنكث للعهد ، ولا بنقض للعقد .

وقد أمر النبي عليه السلام أن يعطونا الضريبة عن يد منا عالية<sup>(٧)</sup> في قبولنا منهم<sup>(٨)</sup> ، وعقدنا لذمتهم ، دون إراقة دمهم<sup>(٩)</sup> . وقد حكم الله تعالى عليهم<sup>(١٠)</sup> بالذلة والمسكنة .

(١) ط فقط : « وعامتهم » .

(٢) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى ، يكون تحته المطران ، ثم الأسقف ثم القسيس ، ثم الشاس .

(٣) الغواية ، بالفتح : الضلال . ب ، م : « بالغواية » ، صوابه في ط .

(٤) التعزير : التأديب والعقاب .

(٥) ب ، م : « القوم » ، تحريف مافى ط .

(٦) انتشار الأمر : عدم إحكامه . ط فقط : « انتشاره » .

(٧) ب ، م : « عليه » ، وتصح إذا قرئت « عليه » .

(٨) ب ، م : « منه » .

(٩) ب ، م : « وعقدنا له ذمته دون إراقة دمه » .

(١٠) ب ، م : « عليه » .

أَوْ مَا يَنْبَغِي<sup>(١)</sup> لِلْجَاهِل أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْأَئِمَّةَ الرَّاشِدِينَ ، وَالسَّلَفَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمْ يَشْتَرُطُوا عِنْدَ أَخْذِ الْجِزْيَةِ ، وَعَقْدِ الذِّمَّةِ عَدَمَ الْإِفْتِرَاءِ<sup>(٢)</sup> عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتِهِ ، إِلَّا<sup>(٣)</sup> لِأَنَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَعْظَمُ فِي الْعِیُونَ ، وَأَجَلُّ فِي الصُّدُورِ مِنْ أَنْ يَحْتَاجُوا إِلَى تَخْلِيدِهِ فِي الْكُتُبِ ، وَإِلَى إِظْهَارِ ذِكْرِهِ بِالشَّرْطِ ، وَإِلَى تَثْبِيتهِ بِالْبَيِّنَاتِ<sup>(٤)</sup> ، بَلْ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَكَانَ فِيهِ الْوَهْنُ عَلَيْهِمْ ، وَالْمَطْمَعَةُ فِيهِمْ ، وَلَظَنُّوا أَنَّهُمْ فِي الْقَدْرِ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ<sup>(٥)</sup> إِلَى هَذَا وَشَبِهِهِ .

وإِنَّمَا يَتَوَاتَقُ النَّاسُ فِي شُرُوطِهِمْ ، وَيُفَسِّرُونَ فِي عُهُودِهِمْ مَا يُمَكِّنُ فِيهِ الشُّبْهَةَ ، أَوْ يَقَعُ فِيهِ الْغَلَطُ ، أَوْ يَغْنَى عَنْهُ الْحَاكِمُ<sup>(٦)</sup> ، وَيَنْسَاهُ الشَّاهِدُ ، وَيَتَعَلَّقُ بِهِ الْخَضَمُ ، فَأَمَّا الْوَاضِحُ الْجَلِيُّ<sup>(٧)</sup> ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي لَا يُخِيلُ<sup>(٨)</sup> فَمَا وَجَّهَ اشْتِرَاؤُهُ ، وَالتَّشَاغُلُ بِذِكْرِهِ .

وَأَمَّا مَا احتُاجُوا إِلَى ذِكْرِهِ فِي الشُّرُوطِ ، وَكَانَ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْعَهْدِ فَقَدْ فَعَلُوهُ ، وَهُوَ كَالذِّلَّةِ وَالصَّغَارَةِ<sup>(٩)</sup> ، وَإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ ، وَمُقَاسَمَةِ الْكِنَائِسِ ، وَأَنْ لَا يُعِينُوا بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ . فَأَمَّا

(١) ط فقط : « وما ينبغي » .

(٢) كلمة « عدم » من ط .

(٣) إلا ، ساقطة من ب .

(٤) ط : « وتثبيته بالبيِّنات » .

(٥) ب ، م : « فيهم » .

(٦) غنى عنه غباء وغبوة : لم يفتن له . ب ، م : « يغنى » بالنون . ط : « يعيا » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) الجلى : الظاهر . ب ، م : « الجليل » .

(٨) لا يخيل على أحد : لا يشكل . ط : « لا يخيل غيره » ، تحريف ..

(٩) الصغارة ، كسحابة : صغر القدر . وفي اللسان : « ابن سيده : الصغر والصغارة :

خلاف العظم . وقيل الصغر في الجرم والصغارة في القدر » . ب ، م : « والصيرفة » ط : « الصفارة » بالفاء ، ووجهها ما أثبت .

أَن يَقُولُوا لِمَن هُوَ أَذَلُّ مِنَ الدَّلِيلِ ، وَأَقْلُّ مِنَ الْقَلِيلِ ، وَهُوَ الطَّالِبُ الرَّاغِبُ  
فِي أَخْذِ فِدَيْتِهِ ، وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ بِقَبْضِ جَزَيْتِهِ وَحَقْنِ دَمِهِ : نُعَاهِدُكَ  
عَلَى أَنْ لَا تَفْتَرَى <sup>(١)</sup> عَلَى أُمَّةٍ <sup>(٢)</sup> رَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ،  
وَسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ <sup>(٣)</sup> . فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ <sup>(٤)</sup> فِي تَدْبِيرِ أَوْسَاطِ  
النَّاسِ ، فَكَيْفَ بِالْجِلَّةِ وَالْعَلِيَّةِ ، وَأَثَمَةِ الْخَلِيقَةِ ، وَمَصَابِيحِ الدُّجَى ،  
وَمَنَارِ الْهُدَى ، مَعَ أَنْفَةِ الْعَرَبِ ، وَبَاوِ السُّلْطَانِ <sup>(٥)</sup> ، وَغَلَبَةِ الدَّوْلَةِ ،  
وَعِزِّ الْإِسْلَامِ ، وَظُهُورِ الْحُجَّةِ ، وَالْوَعْدِ بِالنُّصْرَةِ .

عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَمْ تُبْتَلْ بِالْيَهُودِ ، وَلَا بِالْمَجُوسِ ، وَلَا الصَّابِئِينَ كَمَا  
ابْتُلِيَتْ بِالنَّصَارَى <sup>(٦)</sup> . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمُتَنَاقِضَ مِنْ  
أَحَادِيثِنَا ، وَالضَّعِيفَ بِالْأَسْنَادِ مِنْ رَوَايَتِنَا ، وَالْمُتَشَابِهَ مِنْ آيِ كِتَابِنَا ،  
ثُمَّ يَخْلُتُونَ بِضَعْفَانِنَا ، وَيَسْأَلُونَ عَنْهَا عَوَامَّنَا ، مَعَ مَا قَدْ يَعْلَمُونَ مِنْ  
مَسَائِلِ الْمُلْحِدِينَ ، وَالزُّنَادِقَةِ الْمَلَاعِينِ ، وَحَتَّى مَعَ ذَلِكَ رَبَّمَا تَبَرَّعُوا <sup>(٧)</sup> إِلَى  
عِلْمَانِنَا ، وَأَهْلِ الْأَقْدَارِ مِنَّا ، وَيَشْغَبُونَ عَلَى الْقَوَى <sup>(٨)</sup> ، وَيُلْبَسُونَ عَلَى  
الضَّعِيفِ .

وَمِنَ الْبَلَاءِ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَرَى أَنََّّهُ مُتَكَلِّمٌ ، وَأَنَّهُ لَيْسَ  
أَحَدٌ أَحَقُّ بِحَاجَةِ الْمُلْحِدِينَ مِنْ أَحَدٍ .

وَبَعْدُ ، فَلَوْلَا مُتَكَلِّمُ النَّصَارَى وَأَطْبَآؤُهُمْ وَمُنْجِجُهُمْ مَا صَارَ إِلَى

(١) ب ، م : « يعاهدك أن لا يفتري » ، ومع سقوط « على » ، وصوابه في ط .

(٢) ب ، م : « على أمة » .

(٣) ب ، م : « وخير سيد الأولين والآخرين » ، تحريف .

(٤) ب ، م : « فهذا ما يجوز » ، تحريف .

(٥) البأو : الكبر والفخر والعظمة . ب : « وبأو » ط : « وشأو » ، صوابهما في ب .

(٦) ط : « كما ابتلت بالنصارى » ، صوابه في ب ، م .

(٧) ب : « تبرعوا » .

(٨) ب ، م : « على القوم » ، صوابه في ط .

أَغْبِيائُنَا<sup>(١)</sup> وظرفائنا ، ومُجَانِنَا وأَحْدَانُنَا<sup>(٢)</sup> شَيْءٌ مِنْ كُتُبِ الْمَنَانِيَّةِ<sup>(٣)</sup> ،  
وَالْدِيصَانِيَّةِ<sup>(٤)</sup> ، وَالْمَرْقُونِيَّةِ<sup>(٥)</sup> ، وَالْفُلَانِيَّةِ<sup>(٦)</sup> ، وَلَمَّا عَرَفُوا غَيْرَ كِتَابِ  
اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَنَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكَانَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ مُسْتَوْرَةٌ  
عِنْدَ<sup>(٧)</sup> أَهْلِهَا ، وَمُخَلَّاةٌ<sup>(٨)</sup> فِي أَيْدِي وَرَثَتِهَا . فَكُلُّ سُخْنَةٍ عَيْنٍ<sup>(٩)</sup>  
رَأَيْنَاهَا فِي أَحْدَانُنَا وَأَغْبِيائُنَا فَمِنْ قَبْلِهِمْ كَانَ أَوَّلُهَا .

وَأَنْتِ إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَهُمْ فِي الْعَفْوِ وَالصَّفْحِ ، وَذَكَرَهُمُ لِلْسِّيَاحَةِ ،  
وَزَرَايَتِهِمْ عَلَى كُلِّ مَنْ أَكَلَ اللَّحْمَانَ<sup>(١٠)</sup> ، وَرَغَبَتَهُمْ فِي أَكْلِ الْحُبُوبِ ،  
وَتَرْكِ الْحَيَوَانِ ، وَتَزْهِيدَهُمْ فِي النِّكَاحِ ، وَتَرْكِهِمْ لَطَلْبِ الْوَلَدِ ، وَمَدِيحَهُمْ  
لِلْجَائِلِيْقِ وَالْمُطْرَانِ وَالْأُسْقَفِ وَالرُّهْبَانِ ، بِتَرْكِ النِّكَاحِ وَطَلْبِ النَّسْلِ ،  
وَتَعْظِيمِهِمُ الرُّؤَسَاءَ - عَلِمْتَ أَنَّ بَيْنَ دِينِهِمْ وَبَيْنَ الزُّنْدَقَةِ نَسَبًا ، وَأَنَّهِمْ  
يَحْنُوْنَ إِلَى ذَلِكَ الْمَذْهَبِ .

(١) م : « أَغْنَانُنَا » ب ، ط : « أَغْبِيَانُنَا » ، صوابهما ما أثبت . وانظر ما سيأتى فى  
فى السطر الخامس .

(٢) المجان : جمع ماجن . ب ، م « وَتَحَابُنَا » ، صوابه فى ط . والأحداث : جمع حدث .  
وفى ب ، م : « وَأَخْدَانُنَا » ط : « وَأَخْدَانُنَا » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) المنانية : أتباع ماني . وانظر ما سبق فى ٢٥٤ .

(٤) الديصانية : فرقة من المجوس . قال ابن النديم : « إِنَّمَا سَمِيَ صَاحِبُهُمْ بِدِيصَانَ بِاسْمِ  
نَهْرٍ وَلَدَ عَلَيْهِ . هُوَ قَبْلَ مَانِي . وَالْمَذْهَبَانِ قَرِيبٌ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا بَيْنَهُمَا خَلْفٌ فِي  
اخْتِلَافِ النُّورِ بِالظُّلْمَةِ » . وانظر الملل ٢ : ٨٨ وانفهرست ٤٧٤ والحيوان ٥ : ٤٦ .

(٥) المرقونية : فرقة من المجوس ، أتباع مرقون . أثبت قديمين أصليين متضادين أحدهما  
النور والآخر الظلمة ، وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع . وفى مفاتيح العلوم ٢٥ :  
« المرقيونية » . وهى فى جميع الأصول : « المرقوبية » ، تحريف . وانظر الملل والنحل ٢ : ٨٩  
ومعجم استينجاس . ١٢١٨ .

(٦) لعله كناية عن أى فرقة كانت .

(٧) ب فقط : « مسطورة » .

(٨) مخلاة : متروكة . وفى جميع الأصول : « مخلاة » بالحاء المهملة .

(٩) سخنة العين : نقىض قرتها ، وذلك من حرارة الحزن . وفى ب فقط : « سخنة »

بالمهملة ، تحريف .

(١٠) الزراية : العيب والإنكار . ب : « وذرياتهم » ، صوابه فى م ، ط

( ٢١ - رسائل الجاحظ )

والعجبُ أَنَّ كُلَّ جَائِلِيٍّ لَا يَنْكِحُ ، وَلَا يَطْلُبُ الْوَلَدَ . وكذلك كُلُّ مَطْرَانٍ <sup>(١)</sup> ، وكلُّ أُسْقَفٍ . وكذلك كُلُّ أَصْحَابِ الصَّوَامِعِ مِنَ الْيَعْقُوبِيَّةِ ، والمُقِيمِينَ فِي الدِّيَارَاتِ <sup>(٢)</sup> والْبَيْوتِ مِنَ النَّسْطُورِيَّةِ . وكلُّ رَاهِبٍ فِي الْأَرْضِ وَرَاهِبَةٍ ، مع كثرة الرُّهْبَانِ وَالرَّوَاهِبِ ، ومع تشبُّه أَكْثَرِ الْقِسِّيِّينَ بِهِمْ فِي ذَلِكَ <sup>(٣)</sup> ، ومع مَا فِيهِمْ <sup>(٤)</sup> من كثرة الغُزَاةِ ، وَمَا يَكُونُ فِيهِمْ مِمَّا يَكُونُ فِي النَّاسِ ، من الْمَرْأَةِ الْعَاقِرِ ، وَالرَّجُلِ الْعَقِيمِ .

عَلَى أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ مِنْهُمْ امْرَأَةً لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِسْتِبْدَالِ بِهَا ، وَلَا عَلَى أَنْ يَتَزَوَّجَ أُخْرَى مَعَهَا <sup>(٥)</sup> ، وَلَا عَلَى التَّسَرُّيِّ عَلَيْهَا . وَهُمْ مَعَ هَذَا قَدْ طَبَّقُوا الْأَرْضَ ، وَمَلَأُوا الْآفَاقَ ، وَغَلَبُوا الْأُمَمَ بِالْعَدَدِ ، وَبِكثَرَةِ الْوَلَدِ . وَذَلِكَ مِمَّا زَادَ فِي مَصَائِبِنَا ، وَعَظُمَتْ بِهِ مَحْنَتُنَا .

وَمِمَّا زَادَ فِيهِمْ ، وَأَنَمَى عَدَدَهُمْ ، أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ ، وَلَا يُعْطَوْنَهُمْ ، لِأَنَّ كُلَّ دِينٍ جَاءَ بَعْدَ دِينٍ ، أَخَذَ مِنْهُ الْكَثِيرَ ، وَأَعْطَاهُ الْقَلِيلَ .

### ٣ - فَصْلُ مِنْهُ

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ رَحْمَتِهِمْ ، وَفَسَادِ قُلُوبِهِمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْخِصَاءِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، وَالْخِصَاءُ أَشَدُّ الْمُثَلَّةِ ، وَأَعْظَمُ مَا رُكِبَ بِهِ إِنْسَانٌ <sup>(٦)</sup> ثُمَّ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِأَطْفَالٍ لَا ذَنْبَ لَهُمْ ، وَلَا دَفَعَ عَنْهُمْ .

(١) المطران ، بفتح الميم وكسر ها ، كما في القاموس .

(٢) ط : « الأديورات » تحريف . ويراد بالديارات أديار النصارى . والديارات معروفة في جموع الدار إذ هو جمع جمع لها ، فهي جمع للديار . وانظر مقدمة كتاب « الديارات » للشابستى . وأما الجمع المعروف لدير ، بالفتح ، فهو الأديار والأديرة .

(٣) ب ، م : « في زل » ، صوابه في ط .

(٤) ب ، م : « وقع مع ما فيهم » ، صوابه في ط .

(٥) على ، ساقطة من ب . وفي ب ، م : « يزوج » .

(٦) ط . فقط : « ركب إنسان » .



ولا نَعْرِفُ قوماً يُعَرَفُونَ بخصاءِ النَّاسِ حيث ما كانوا إِلَّا ببِلادِ  
الرومِ والحَبَشَةِ ، وهم في غيرهما قليلٌ ، وأَقْلُ قليلٌ <sup>(١)</sup> .

على أَنَّهُمْ لم يتَعَلَّمُوا إِلَّا مِنْهُمْ ، ولا كان السَّبَبُ في ذلك غيرَهُمْ ،  
ثم خَصَّوْا أَبْنَاءَهُمْ وَأَسْلَمُوهُمْ في بَيْعِهِمْ . وليس الخِصَاءُ إِلَّا في دينِ  
الصَّابِئِينَ ، فَإِنَّ العابدَ رَبِّمَا خَصَّى نَفْسَهُ <sup>(٢)</sup> ، ولا يَسْتَحِلُّ خِصَاءَ  
ابْنِهِ <sup>(٣)</sup> . فلو تَمَتَّتْ إِرَادَتُهُمْ في خِصَاءِ أَوْلَادِهِمْ في تركِ النِّكَاحِ وطلبِ  
النَّسْلِ كما حَكَيْتُ لك قبلَ هذا - لَانْقَطَعَ النَّسْلُ ، وَذَهَبَ الدِّينُ ،  
وَفُتِنَ الخَلْقُ .

والنصراني وإن كان أَنظَفَ ثوباً ، وَأَحْسَنَ صِنَاعَةً ، وأَقْلَ مَسَاخَةً <sup>(٤)</sup> ،  
فإنَّ باطنَهُ أَلْأَمُّ وَأَقْدَرُ وَأَسْمَجُ ، لَأَنَّهُ أَقْلَفُ ، ولا يَغْتَسِلُ مِنَ الجَنَابَةِ ،  
ويَأْكُلُ لَحْمَ الخِزِيرِ ، وامرأَتُهُ جُنُبٌ لا تَطْهَرُ مِنَ الحَيْضِ ، ولا من  
النَّفَاسِ ، وَيَغْشَاهَا في الطَّمْثِ ، وهى مع ذلك غير مختونة .

وهم مع شَرَارَةِ طبَائِعِهِمْ <sup>(٥)</sup> ، وَغَلَبَةِ شَهَوَاتِهِمْ ليس في دينِهِمْ مَزَاجِرُ  
كنارِ الأَبَدِ في الآخِرَةِ ، وكالْحُدُودِ والقَوَدِ والقِصَاصِ في الدُّنْيَا ، فكيف  
يُجَانِبُ ما يفسده ، وَيُؤَثِّرُ ما يصلحه من كانت حاله كذلك . وهل  
يُصْلِحُ الدُّنْيَا من هو كما قلنا <sup>(٦)</sup> ؟ وهل يَهَيِّجُ على الفَسَادِ إِلَّا مَنْ وَصَفْنَا <sup>(٧)</sup> ؟

(١) انظر الحيوان ١ : ١١٩ ، ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان ١ : ١٢٥ .

(٣) ب ، م : « خِصَاءُ نَفْسِهِ » ، صوابه في ط .

(٤) انظر ما مضى في ص ٣١٨ .

(٥) يقال : شر يشر ويشر شراً ، وشرارة ، فهو شرير كأمير ، وشرير كسكيت .  
وفي جميع الأصول : « شرار » ، والوجه ما أثبت . وانظر الحيوان ٤ : ٦/٢٩٧ : ٤٦٠ .  
وأما الشرار ، بالكسر وكجبل ، فهو ما يتطاير من النار ، واحدهما بهاء .

(٦) ب ، م : « يجانب ما يفسده » ، صوابه في ط .

(٧) ب ، م : « وهل يصلح الدنا كبا قالوا » ، صوابه في ط .

(٨) ب ، م : « وهل التهييج على الفساد إلا كما وصفوا » ، صوابه في ط .

ولو جَهِدْتَ بكلَّ جَهْدِكَ ، وجمعتَ كلَّ عقلِكَ أَنْ تفهم قولهم في المسيح ، لما قدرتَ عليه ، حتَّى تعرف به حدَّ النصرانية . وخاصَّةً قولهم في الإلهية .

وكيف تقدر <sup>(١)</sup> على ذلك وأنت لو خلوتَ ونصرانيَّ نسطوريَّ فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولاً ، ثم إنَّ خلوتَ بأخيه لأُمِّه وأبيه وهو نسطوريُّ مثله فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف أخيه وصنوه . وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية <sup>(٢)</sup> . ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية ، كما نعرف <sup>(٣)</sup> جميع الأديان .

على أنَّهم يزعمون أنَّ الدين لا يخرج في القياس ، ولا يقوم على المسائل <sup>(٤)</sup> ، ولا يثبت في الامتحان ، وإنَّما هو بالتَّسليم لما في الكتب ، والتقليد للأسلاف . ولعمري ، إنَّ <sup>(٥)</sup> من كان دينه دينهم ليجبُ عليه أن يعتذر بمثل عُذرهم .

وزعموا أنَّ كلَّ من اعتقدَ خلاف النصرانية من المجوس والصَّابئين والزنادقة فهو معذور ، ما لم يتعمد الباطل ، ويُعانِد الحقَّ . فإذا صاروا إلى اليهود قَصَّوْا عليهم بالمعاندة ، وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة .

#### ٤ - فصل منه

فأمَّا مسألتهم في كلام عيسى في المهد : أنَّ النصراني مع حُبهم لتقوية أمره لا يُثبتونه ، وقولهم : إِنَّا نقولناه ورويناه عن غير الثقات <sup>(٦)</sup> ،

(١) ب ، م : « يقدر » .

(٢) انظر مامنى في ص ٣١٢ .

(٣) م فقط : « يعرف » .

(٤) في جميع الأصول : « السائل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) إن ، ساقطة من ط .

(٦) في جميع النسخ : « الثقات » ، وهو خطأ في الرسم ، لأنه جمع ثقة .

وَأَنَّ الدليل على أَنَّ عيسى لم يتكلَّم في المهد أَنَّ اليهودَ لا يعرفونه ، وكذلك المجوس ، وكذلك الهند والحَزْرُ والدَّيْلِم . فنقول في جواب مسألتهم عند إنكارهم كلامَ المسيح في المهد مولوداً .

يقال لهم : إِنَّكُمْ حين سَوَّيْتُمُ المسألةَ ومَوَّهْتُموها ، ونَضَمْتُمُ ألفاظها ، ظننتم أَنَّكُمْ قد أَنْجَحْتُمْ <sup>(١)</sup> ، وبلغتم غايتكم . ولعمري لئن حَسَنَ ظاهرها ، وراعَ الأَسْمَاعَ مَخْرَجَهَا <sup>(٢)</sup> . إِنَّهَا لَقَبِيحَةٌ الْمُفْتَشِّش ، سيِّئَةُ الْمُعَرِّى .

ولعمري أَنَّ لو كانت اليهود تَقَرُّ لَكُمْ بإحياء الأربعة الذين تَزْعُمُونَ <sup>(٣)</sup> ، وإقامة المُتَعَدِّ الذي تَدْعُونَ ، وإطعامِ الجَمْعِ الكثير من الأَرْغفة اليسيرة ، وتصييرِ الماءِ جَمَداً <sup>(٤)</sup> ، والمشي على الماء ، ثم أَنْكَرْتِ الكلامَ في المهد من بين جميع آياته وبراهينه <sup>(٥)</sup> لكان لكم في ذلك مقال ، وإلى الطَّعْنِ سبيل . فَأَمَّا وهم يَجْحَدُونَ ذلك أَجْمَع ، فَمَرَّةٌ يَضْحَكُونَ ، وَمَرَّةٌ يَغْتَاظُونَ ويقولون : إِنَّه صاحبُ رُقًى ونِيرَجَاتٍ <sup>(٦)</sup> ، ومُدَاوِي

(١) أنجح : صار ذا نجح وظفر . ويقال أيضاً نَجَح ، إذا أصاب طلبته . ط فقط : « نَجَحْتُمْ » وأثبت ما في ب ، م .

(٢) ب فقط : « لخرجها » ، تحريف .

(٣) ب ، م : « يزعمون » . وهؤلاء الأربعة فيما يذكر المفسرون هم : « عازر » ، وكان صديقاً له ، أحياء بعد ثلاثة أيام فقام من قبره يقطر ودكه وبقى إلى أن ولد له . والثاني : ابن العجوز أحياء وهو على سرير الموت ، فنزل عن أعناق الرجال وحمل سريره ، وبقى إلى أن ولد له . والثالث : بنت العشار ، وقد تمتعت بولدها بعد ما حييت . والرابع : سام بن نوح عليه السلام . سأله أن يحياه ليخبرهم عن حال السفينة . فخرج من قبره . هذا ما ذكره أبو حيان في تفسيره ٢ : ٤٦٧ .

(٤) الجمد ، بالتحريك ، وكذا بالفتح : الماء الجامد . وقيل : هو بالتحريك يكون جمعاً لجامد ، مثل خادم وخدم . ب فقط : « جامداً » .

(٥) ب ، م : « وبرهانه » ، صوابه في ط .

(٦) كذا في ب والحيوان ٤ : ٣٧٠ . في م ، ط : « نيرنجات » ، وهما لغتان في التعريب قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به . وعقب عليه الزبيدي بقوله : « هكذا في سائر النسخ . والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية . وجاء في كتاب المعارف لابن قتيبة ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » . وأقول : هو بالفارسية « نير نك » .

مجانين ، ومتطبب<sup>(١)</sup> ، وصاحب حيل<sup>(٢)</sup> وتربص<sup>(٣)</sup> خدع<sup>(٤)</sup> ، وقراءة كتب ، وكان لسناً مسكيناً<sup>(٥)</sup> ، ومقتولاً مرحوماً ، ولقد كان قبل ذلك صياد سمك ، وصاحب شبك ، وكذلك أصحابه . وأنه خرج على مواطاة<sup>(٦)</sup> منهم له ، وأنه لم يكن لرشدة<sup>(٧)</sup> .

وأحسنهم قولاً ، وألينهم مذهباً من زعم أنه ابن يوسف النجار<sup>(٨)</sup> . وأنه قد كان واطاً<sup>(٩)</sup> ذلك المقعد قبل إقامته بسنين ، حتى إذا شهره بالقعدة<sup>(١٠)</sup> ، وعرف موضعه في الزماني ، مرّ به في جمع من الناس كأنه لا يريد ، فشكا إليه الزمان وقلة الحيلة ، وشدة الحاجة ، فقال : ناولني يدك . فناوله يده ، فاجتذبه فأقامه ، فكان تجمع<sup>(١١)</sup> لطول القعود ، حتى استمر بعد ذلك .

وأنه لم يحي<sup>(١٢)</sup> ميتاً قط ، وإنما كان داوى رجلاً يقال له « لا عازر »<sup>(١٣)</sup> إذ<sup>(١٤)</sup> أغمى عليه يوماً ليلة ، وكانت أمه<sup>(١٥)</sup> ضعيفة العقل ، قليلة المعرفة ، فمرّ بها<sup>(١٦)</sup> ، فإذا هي تصرخ وتبكي : فدخل إليها

(١) التربص : المكث والانتظار . ب ، م : « وترمض » . وفي ط : « وصاحب » وأرى الوجه فيها أثبت .

(٢) ب ، م : « سكيناً » ، وأثبت ما في ط .

(٣) يقال هو لرشدة بالكسر وقد يفتح : نقيض قولهم : لزنية أو لغير رشدة . والرشدة : النكاح الصحيح . ط : « لم يكن له شدة » ، تحريف .

(٤) ط : « وأحسنهم قولاً وألمهم مذهباً » ، تحريف .

(٥) القعدة ، بالكسر : ضرب من القعود .

(٦) ط فقط : « تجمد » .

(٧) ب ، م : « لم يحيى » ، تحريف .

(٨) في جميع الأصول : « لا عازر » ، وإنما هو « لعازر » المذكور في إنجيل يوحنا ١١ : ٤٣ .

(٩) ب فقط : « إذا » .

(١٠) في إنجيل يوحنا ١١ : ٥ أنها أخته وأسمها « مرثا » . وفيه أيضاً أن يسوع كان يحب مرثا وأختها ولعازر . ويفهم من هذا أيضاً أن له أختين .

(١١) ط فقط : « هما » .

لِيُسْكِنَهَا وَيُعْزِيَّهَا ، وَجَسَّ عِرْقَهُ فَرَأَى فِيهِ عِلَامَةَ الْحَيَاةِ ، فِدَاوَاهُ حَتَّى أَقَامَهُ ، فَكَانَتْ لِقَلَّةٍ مَعْرِفَتِهَا<sup>(١)</sup> لَا تَشْكُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، وَلَفَرَحَهَا بِحَيَاتِهِ تُثْنِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ ، وَتَتَحَدَّثُ بِهِ .

فَكَيْفَ تَسْتَشْهَدُونَ قَوْمًا هَذَا قَوْلُهُمْ فِي صَاحِبِهِمْ ، حِينَ قَالُوا : كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ صَبِيٌّ فِي الْمَهْدِ مَوْلُودًا<sup>(٢)</sup> ، فَيَجْهَلُهُ<sup>(٣)</sup> الْأَوْلِيَاءُ وَالْأَعْدَاءُ .

وَلَوْ كَانَتْ الْمَجُوسُ تَقِيرُ لَعِيسَى بِعِلَامَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَبِأَدْنَى أُعْجُوبَةٍ ، لَكَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْكِرُوا عَلَيْنَا بِهِمْ<sup>(٤)</sup> ، وَتَسْتَعِينُوا بِإِنْكَارِهِمْ . فَأَمَّا وَحَالُ عِيسَى فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ عِنْدَ الْمَجُوسِ كَحَالِ زَرَادُشْتَ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ عِنْدَ النَّصَارَى فَمَا اعْتَلَلْتُمْ بِهِمْ ، وَتَعَلَّقْتُمْ فِي إِنْكَارِهِمْ ؟

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : وَكَيْفَ لَمْ تَعْرِفِ الْهِنْدُ وَالْخَزَرُ وَالتُّرْكُ ذَلِكَ ؟ فَمَتَى أَقَرَّتِ الْهِنْدُ لِمُوسَى بِأُعْجُوبَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَضَلًّا عَنْ عِيسَى ؟ وَمَتَى أَقَرَّتِ لِنَبِيِّ بَيَايَةِ ، أَوْ رَوَتْ لَهُ سِيرَةَ ، حَتَّى تَسْتَشْهَدُوا<sup>(٥)</sup> الْهِنْدَ عَلَى كَلَامِ عِيسَى فِي الْمَهْدِ ؟

وَمَتَى كَانَتْ التُّرْكُ وَالْدِيلِمُ وَالْخَزَرُ وَالْبَبَرُ<sup>(٦)</sup> وَالطَّيْلِسَانُ<sup>(٧)</sup> مَذْكُورَةً فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ ، مُحْتَجًّا بِهَا عَلَى هَذَا الضَّرْبِ ؟

(١) ب ، م : « بِقَلَّةٍ مَعْرِفَتِهَا » .

(٢) ب ، م : « مَوْلُودٌ » .

(٣) ب فقط : « فَيَجْهَلُهُ » .

(٤) ب ، م : « تَنْكِرُوا عَلَيْنَا بِهِمْ » .

(٥) ب ، م : « حَتَّى يَسْتَشْهَدُوا » .

(٦) الْبَبَرُ ، بَيَايِن : أَمَّةٌ قَدِيمَةٌ يَبْدُو أَنَّهَا مِنْ أُمِّ التُّرْكِ ، وَتَقَرَّنُ بِالطَّيْلِسَانِ ، كَمَا فِي الْبَيَانِ ١ : ١٣٧ . وَجَاءَ فِي الطَّبْرِي ٤ : ٢٤٦ : « فَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَبِيلٍ بْنُ عَوْفٍ الْأَحْمَسِيُّ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ فَاغَارَ عَلَى أَهْلِ مَوْقَدِنَ وَالْبَبَرِ وَالطَّيْلِسَانِ » ، ب : « وَالسُّرُ » م « وَالسَّر » ط : « وَالتُّر » ، صَوَاهِمَا جَمِيعًا مَا أُثْبِتَ . وَلَمْ تَرِدِ « التُّر » فِي أَثَرٍ مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ ، كَمَا أَنَّ مَعْرِفَةَ الْعَرَبِ بِالتُّرِ جَاءَتْ مُتَأَخِّرَةً ، إِذْ لَمْ يَرِدْ ذِكْرُهُمْ فِي الْكَامِلِ لِابْنِ الْأَثِيرِ قَبْلَ سَنَةِ ٣٤٥ .

(٧) الطَّيْلِسَانُ : إِقْلِيمٌ وَاسِعٌ كَثِيرُ الْبُلْدَانِ وَالسَّكَّانِ مِنْ نَوَاحِي الدَّيْلِمِ وَالْخَزَرِ ، افْتَتَحَهُ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدَةَ فِي سَنَةِ ٣٤ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ . وَانْظُرِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ .

فإن سألونا عن أنفسهم فقالوا : ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحدٍ بثة ؟ أجبناهم بعد إسقاط نكيرهم <sup>(١)</sup> وتشنيعهم ، وتزوير شهودهم .  
 وجوابنا <sup>(٢)</sup> : أنهم إنما قبلوا دينهم <sup>(٣)</sup> عن أربعة أنفس : اثنان منهم من الحواريين بزعمهم <sup>(٤)</sup> : يوحنا ، ومثى . واثنان من المستجيبة <sup>(٥)</sup> وهما : مارقس ولوقس <sup>(٦)</sup> ، وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ، ولا تعمد الكذب ، ولا التواطؤ <sup>(٧)</sup> على الأمور ، والاصطلاح على اقتسام الرياسة <sup>(٨)</sup> ، وتسليم كل واحدٍ منهم لصاحبه حصته التي شرطها له .

فإن قالوا : إنهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذباً ، وأحفظ من أن ينسوا شيئاً ، وأعلى <sup>(٩)</sup> من أن يغلطوا في دين الله تعالى ، أو يضيعوا عهداً .

قلنا : إن اختلاف رواياتهم في الإنجيل ، وتضادها في كتبهم <sup>(١٠)</sup> ، واختلافهم في نفس المسيح ، مع اختلاف شرائعهم ، دليل على صحة قولنا فيهم <sup>(١١)</sup> ، وغفلتكم عنهم .

(١) في الأصول : « تكثيرهم » .

(٢) ط فقط : « فجوابنا » .

(٣) قبلوا دينهم : أخذوه وتلقوه ، كما يقبل الرجل الدلو من المستق والقابلة الولد من

الوالدة .

(٤) ب فقط : « يزعمهم » ، تحريف .

(٥) ب فقط : « من المسيحية » ، تحريف .

(٦) هما مرقس ولوقا .

(٧) ب ، م : « ولا التواطى » ، صوابها في ط .

(٨) ب ، م : « والاصلاح على أقسام الرياسة » ، صوابه في ط .

(٩) ب ، م : « وأعنى » ، تحريف ماقى ط .

(١٠) ب ، م : « وتضاد معاني كتبهم » .

(١١) الكلام بعده إلى نهاية هذه الرسالة بجميع فصولها ، ساقط من ط .

وما يُنكر من مثل لوقس أن يقول باطلاً ، وليس من الحواريين ، وقد كان يهودياً قبل ذلك بأيامٍ يسيرة ، ومن هو عندكم من الحواريين خيرٌ من لوقس عند المسيح في ظاهر الحكم بالطهارة ، والطباع الشريفة ، وبراءة الساحة .

## ٥ - فصل منه (١)

وسألتكم عن قولهم : إذا كان تعالى قد اتخذ عبداً من عباده خليلاً ، فهل يجوز أن يتخذ عبداً من عباده ولداً ، يريد بذلك إظهار رحمته له ، ومحبتة إياه ، وحسن تربيته وتأديبه له ، ولطف منزلته منه ، كما سمى عبداً من عباده خليلاً ، وهو يريد تشریفه وتعظيمه ، والدلالة على خاص حاله عنده .

وقد رأيت من المتكلمين من يُجيز ذلك ولا يُنكره ، إذا كان ذلك على التبنّي والتربية والإبانة له بلطف المنزلة ، والاختصاص له بالرحمة والمحبة ، لا على جهة الولادة ، واتخاذ صاحبة . ويقول (٢) : ليس في القياس فرق بين اتخاذ الولد على التبنّي والتربية وبين اتخاذ الخليل على الولاية والمحبة .

وزعم أن الله تعالى يحكم في الأسماء بما أحب ، كما أن له أن يحكم في المعاني بما أحب .

وكان يجوزُ دعوى أهل الكتاب على التوراة والإنجيل والزبور ، وكتب الأنبياء صلوات الله عليهم في قولهم : إن الله قال : « إسرائيل

(١) هذا الفصل وما يليه من الفصول إلى نهاية هذه الرسالة ساقط من ط كما سبق التنبيه .

(٢) ب : « ونقول » م : « ونقول » ، صوابهما ما أثبت .

بِكْرَى<sup>(١)</sup> « أَى هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَبَنَيْتُ مِنْ خَلْقِي . وَأَنَّهُ قَالَ : « إِسْرَائِيلُ بِكْرَى ، وَبَنُوهُ أَوْلَادِي » . وَأَنَّهُ قَالَ لِدَاوُدَ : « سَيُولَدُ لَكَ غَلَامٌ ، وَيُسَمَّى لِي ابْنًا ، وَأُسَمَّى لَهُ أَبَا<sup>(٢)</sup> » . وَأَنَّ الْمَسِيحَ قَالَ فِي الْإِنْجِيلِ : « أَنَا أَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ ، وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ<sup>(٣)</sup> » ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ أَمَرَ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ يَقُولُوا فِي صَلَوَاتِهِمْ : « يَا أَبَانَا فِي السَّمَاءِ ، تَقَدَّسْ اسْمُكَ<sup>(٤)</sup> » . فِي أُمُورٍ عَجِيبَةٍ ، وَمَذَاهِبَ شَنِيعَةٍ<sup>(٥)</sup> ، يَدُلُّ عَلَى سُوءِ عِبَادَةِ الْيَهُودِ<sup>(٦)</sup> ، وَسُوءِ تَأْوِيلِ أَصْحَابِ الْكِتَابِ ، وَجَهْلِهِمْ مَجَازَاتِ الْكَلَامِ ، وَتَصَارِيفِ اللُّغَاتِ ، وَنَقْلِ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ ، وَمَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَا لَا يَجُوزُ . وَسَبَبُ هَذَا التَّأْوِيلِ كُلُّهُ الْغَىُّ وَالتَّقْلِيدُ ، وَاعْتِقَادُ التَّشْبِيهِ .

وكان يقول: إِنَّمَا وُضِعَتِ الْأَسْمَاءُ عَلَى أَقْدَارِ الْمَصْلَحَةِ ، وَعَلَى قَدَرِ مَا يَقَابِلُ مِنْ طَبَائِعِ الْأُمَمِ . فَرَبَّمَا كَانَ أَصْلَحَ الْأُمُورِ وَأَمْتَنَهَا<sup>(٧)</sup> أَنْ يَتَّبِعَهَا اللَّهُ أَوْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا ، أَوْ يُخَاطِبَهُ بِلَا تَرْجُمَانٍ ، أَوْ يَخْلُقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ ، أَوْ يُخْرِجَهُ مِنْ بَيْنِ عَاقِرٍ وَعَقِيمٍ . وَرَبَّمَا كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ غَيْرَ ذَلِكَ

(١) فِي سَفَرِ الْخُرُوجِ ٤ : ٢٢ : « فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ : هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ ، إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرِ » . وَفِي سَفَرِ هُوشَعَ ١١ : ١ : « لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غَلَامًا أَحَبَّهُتُهُ وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي » . وَفِي رِسَالَةِ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةِ ٩ : ٤ : « الَّذِينَ هُمُ إِسْرَائِيلِيُّونَ ، وَلَهُمُ التَّبَنِيُّ وَالْمُجَدُّ » .

(٢) فِي صَمُوئِيلِ الثَّانِي ٧ : ١٢ - ١٤ : « مَتَى كَلَّمْتُ أَيَّامَكَ وَاضْطَجَعْتَ مَعَ آبَائِكَ أَقِيمَ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأَثْبِتَ مَمْلَكَةَ . هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي وَأَنَا أَثْبِتُ كَرَمِي مَمْلَكَتَهُ إِلَى الْأَبَدِ . أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبَا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا » .

(٣) جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ يُوْحَنَّا ٢٠ : ١٧ فِي مُخَاطَبَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَرْيَمَ الْمَجْدَلِيَّةِ : « قَالَ لَهَا يَسُوعُ : لَا تَلْمَسْنِي لِأَنِّي لَمْ أَصْعَدْ بَعْدَ إِلَى أَبِي . وَلَكِنْ اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ : إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهُكُمْ » .

(٤) فِي الْإِنْجِيلِ مَتَّى ٦ : ٩ : « فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا : أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ » . وَانْظُرْ أَيْضًا الْإِنْجِيلَ لُوقَا ١١ : ٢

(٥) ب : « شَيْعَةٌ » م : « شَعْنَةٌ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبِتَ ، وَإِنْ كَانَتْ « شَعْنَةٌ » صَحِيحَةً أَيْضًا .

(٦) ب : « عِبَارَةٌ » ، وَأَثْبِتَ مَا فِي م .

(٧) ب : « وَأَمْنُهُ » م : « وَأَمْنُهُ » ، وَلَعَلَّ وَجْهَهُ مَا أَثْبِتَ .



كله . وكما تعبّدنا أَنْ نسميه جَوَاداً ونَهَانَا أَنْ نسميه سَخِيّاً أو سَرِيّاً<sup>(١)</sup> وأَمَرْنَا أَنْ نسميه مُؤْمِناً ونَهَانَا أَنْ نسميه مسلماً ، وأَمَرْنَا أَنْ نسميه رَحِيماً ونَهَانَا أَنْ نسميه رَفِيقاً .

وقياس هذا كله واحد ، وإنما يتسع ويسهل على قدر العادة وكثرتها . ولعلّ ذلك كله قد كان شائعاً في دين هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ وإسماعيلٍ ، إذ كان<sup>(٢)</sup> شائعاً في كلام العرب في إثبات ذلك وإنكاره .

وأما نحن - رحمك الله - فإننا لا نُجِيزُ أَنْ يكونَ لله ولد ، لا من جهة الولادة ، ولا من جهة التَّبَنِّي ، ونرى أَنَّ تجويز ذلك جهلٌ عظيمٌ ، وإثمٌ كبيرٌ ؛ لأنّه لو جاز أَنْ يكونَ أباً ليعقوب لجاز أَنْ يكونَ جدّاً ليوسف ، ولو جاز أَنْ يكونَ جدّاً وأباً ، وكان ذلك لا يُوجبُ نسباً ، ولا يُوهِمُ مُشاكلةً في بعض الوجوه ، ولا ينقُصُ من عِظَمِ ، ولا يَحُطُّ من بَهَاءِ ، لجاز أيضاً أَنْ يكونَ عمّاً وخالاً ؛ لأنّه إن جاز أَنْ يسميه<sup>(٣)</sup> من أجل الرحمة والمحبة والتأديب - أباً ، جاز أَنْ يسميه آخر من جهة التعظيم والتفضيل والتسويد أخاً<sup>(٤)</sup> ، ولجاز أَنْ يجد له صاحباً وصديقاً ، وهذا ما لا يجوزُهُ إلّا من لا يعرف عظمة الله ، وصِغَرِ قدر الإنسان .

وليس بحكيمٍ من ابتذلَ نفسه في توقير عبّده ، ووضعَ من قدره في التوقُّرِ على غيره . وليس من الحكمة أَنْ تُحسِنَ إِلَى عبدك بأن تسميَهُ إِلَى

(١) في النسختين : « سَرناً » ، والصواب ما أثبت . والسرى : وصف من سرو وكشف ودعا ورضى ، سراوة وسرواً وسراً وسراء ، وهي المروءة في شرف .

(٢) م : « إذا كان » .

(٣) الكلام بعده إلى « يسميه » التالية ساقط من م .

(٤) في النسختين : « والتفضيل أخا والتسويد أخاً » ، و « أخا » الأولى مقحمة .

نفسك ، وتأتى من الفضل ما لا يجبُ بتضييع ما يجب . وكثيرُ الحمد لا يقوم بقليل الذم<sup>(١)</sup> ، ولم يحمده الله ولم يعرف إحيته من جوز عليه صفات البشر ، ومُناسبة الخلق ، ومُقاربة العباد .

وبعدُ ، فلا يخلو المولى فى رفع عبده وإكرامه من أحد أمرين : إما أن يكون لا يقدر على كرامته إلا بهوان نفسه ، ويكون على ذلك قادراً ، مع وفارقة العظمة ، وتمام البهاء .

وإن كان لا يقدر على رفع قدر غيره إلا بأن ينقص<sup>(٢)</sup> من قدر نفسه فهذا هو العجز ، وضيق الذرع<sup>(٣)</sup> .

وإن كان على ذلك قادراً فأثر ابتذال نفسه والخط من شرفه فهذا هو الجهل الذى لا يحتمل<sup>(٤)</sup> .

والوجهان عن الله جلّ جلاله منفيان .

ووجه آخر يعرفون به صحة قولى ، وصواب مذهبي ، وذلك أن الله تبارك وتعالى لو علم أنه قد كان فيما أنزل من كتبه على بنى إسرائيل : إن أبائكم كان بكرى وابنى ، وإنكم أبناء بكرى - لما كان تغضب عليهم<sup>(٥)</sup> إذ قالوا : نحن أبناء الله ، فكيف لا يكون ابن ابن الله ابنه<sup>(٦)</sup> ،

(١) فى النسختين : « ما لا يقول بقليل الذم » ، والصواب حذف « ما » . لا يقوم به : لا يعادله .

(٢) ب : « ينقص » ، صوابه فى م .

(٣) الذرع : الطاقة ، وهو أيضاً : بسط اليد . والمراد ضيق الخلق ، على المثل . م : « الزرع » ، تحريف .

(٤) فى النسختين : « لا يحمل » ، والوجه ما أثبت .

(٥) التغضب : الغضب ، واستعار الراعى التغضب لشدة غليان القدر فى قوله :

إذا أحشوها بالوقود تغضبت على اللحم حتى تترك اللحم بادياً

وفى النسختين : « تعصب » بالعين المهملة ، صوابه ما أثبت . وانظر الآية ١٨ من سورة المائدة .

(٦) ب : « لا يكون ابن ابنه » م : « لا يكون ابن الله ابنه » . والصواب ما أثبت .

وهذا من تمام الإكرام ، وكمال المحبة ، ولا سيما إن كان قال في التوراة : بنو إسرائيل أبناء بكرى .

وَأنت تعلم أَنَّ العربَ حينَ زعمت أَنَّ الملائكةَ بناتُ الله كيف استعظم الله تعالى ذلك وأكبره ، وغَضِبَ على أهله ، وإنْ كان يعلم أَنَّ العرب لم تجعل الملائكةَ بناتِه على الولادة واتخاذِ الصاحبة ، فكيف يجوز مع ذلك أن يكون الله قد كان يُخبر عباده قبل ذلك بأنَّ يعقوبَ ابنه ، وأنَّ سليمانَ ابنه ، وأنَّ عُزيراً ابنه ، وأنَّ عيسى ابنه <sup>(١)</sup> ؟ .

فالله تعالى أعظمُ من أن يكون له أبوةٌ من صفاته ، والإنسان أحقر من أن يكون بنوةٌ الله من أنسابه .

والقول بأنَّ الله يكون أباً وجداً <sup>(٢)</sup> وأخاً وعمّاً ، للنصارى ألزم ، وإن كان للآخرين لازماً ، لأنَّ النصارى تزعم أنَّ الله هو المسيحُ بنُ مريم ، وأنَّ المسيحَ قال للحواريين : « إخواني » . فلو كان للحواريين أولادٌ لجاز أن يكون الله عمَّهم !

بل قد يزعمون أنَّ مَرْقُسَ هو ابن شَمْعُون الصِّفَا <sup>(٣)</sup> ، وأن زوزرى ابنته ، وأنَّ النصارى تُقرُّ أنَّ في إنجيل مَرْقُس <sup>(٤)</sup> : « ما زاد <sup>(٥)</sup> أُمك وإخوانك على الباب » وتفسيرها : ما زاد <sup>(٦)</sup> : معلّم . فهم لا يمتنعون من أن يكون الله تبارك وتعالى أباً وجداً وعمّاً .

(١) وأن عُزيراً ابنه ، سقط من ب .

(٢) ب : « أباً واحداً » ، صوابه في م .

(٣) في الفصل لابن حزم ٢ : ٢ أن مارقس هو تلميذ شمعون الصفا بن توما .

(٤) في النسختين : « في الإنجيل مرقس » صوابه ما أثبت . وانظر إنجيل مرقس ٣ : ٣٢ .

(٥) ب : « ماذا » بذالين معجمتين . والذي في الإنجيل : « هو ذا » .

(٦) ب : « ماذا » بذالين معجمتين .

ولولا<sup>(١)</sup> أَنَّ اللهَ قد حكى عن اليهود أَنَّهُم قالوا : إِنَّ «عزيراً ابنُ الله<sup>(٢)</sup>» ، ﴿وَيَدُ اللهَ مَغْلُولَةً﴾<sup>(٣)</sup> ، و﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> وحكى عن النَّصارى أَنَّهُم قالوا : «المسيح ابنُ الله» وقال : ﴿قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله﴾<sup>(٥)</sup> . وقال : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾<sup>(٦)</sup> - لكنْتُ لَأَنَّ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْفِظَ بِحَرْفٍ مِمَّا يَقُولُونَ . ولكنِّي لا أَصِلُ إِلَى إِظْهَارِ جَمِيعِ مَخَازِيهِمْ ، وما يُسِرُّونَ مِنْ فُضَائِحِهِمْ ، إِلَّا بِالْإِخْبَارِ عَنْهُمْ ، والحكاية منهم .

فإِنْ قالوا : خَبَرْنَا عَنْ اللهَ ، وعن التَّوراةِ ، أَلَيْستَ حَقًّا<sup>(٧)</sup> ؟ قلنا : نعم . قالوا : فَإِنَّ فِيهَا «إِسْرَائِيلُ بِكْرِي»<sup>(٨)</sup> وَجَمِيعُ مَا ذَكَرْتُمْ عِنَّا مَعْرُوفٌ فِي الْكُتُبِ .

قلنا : إِنَّ الْقَوْمَ إِنَّمَا أَتَوْا مِنْ قَلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ الْكَلَامِ ، ومن سُوءِ التَّرْجُمَةِ ، مع الحكم بما يَسْبِقُ إِلَى الْقُلُوبِ . وَلَعَمْرِي أَنَّ لَوْ كَانَتْ لَهُمْ عَقُولُ الْمُسْلِمِينَ وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَا يَجُوزُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، وما يَجُوزُ عَلَى اللهَ ، مع فَصاحتهم بِالْعِبْرَانِيَّةِ ، لَوَجَدُوا لَذَلِكَ الْكَلَامِ تَأْوِيلًا حَسَنًا ، وَمَخْرَجًا سَهْلًا ، وَوَجْهًا قَرِيبًا . وَلَوْ كَانُوا أَيْضًا لَمْ يُعْطَلُوا فِي سَائِرِ مَا تَرَجَّمُوا لَكَانَ لِقَائِلِ مَقَالٍ ، وَلَطَاعِنِ مَدْخَلٍ ، وَلَكِنَّهُمْ يَخْبِرُونَ أَنَّ

(١) ب : «ولو» .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : «وقالت اليهود عزير ابن الله» ، وهي الآية ٣٠ من التوبة .

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٤) الآية ١٨١ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٣٠ من سورة التوبة . والاقْتِباسُ هُنَا بِطَرَحِ الْوَاوِ ، فَإِنَّ نَصَّ الْآيَةِ : «وقالت

النصارى» . وهو أمر جائز كما أُشِرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِي تَحْقِيقِ النُّصُوصِ ص ٥١ .

(٦) الآية ٧٣ من سورة المائدة .

(٧) في النسختين : «حق» ، صوابه ما أثبت .

(٨) انظر ما مضى في حواشي ص ٣٣٢ .

الله تبارك وتعالى قال في العَشْر آيَات<sup>(١)</sup> التي كتبتهَا أَصَابِعُ اللَّهِ : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ الشَّدِيد ، وَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الثَّقَف<sup>(٢)</sup> » ، وَأَنَا النَّارُ الَّتِي تَأْكُلُ النَّيْرَان<sup>(٣)</sup> » ، أَخَذُ الْأَبْنَاءَ بِحَوْبِ الْأَبَاءِ ، الْقُرْنُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالثَّالِثُ إِلَى السَّابِعِ<sup>(٤)</sup> . وَأَنَّ دَاوُدَ قَالَ فِي الزَّبُور : « وَافْتَحْ عَيْنَكَ يَا رَبُّ » وَ « قُمْ يَا رَبُّ » ، وَ « أَصْغِرْ إِلَى سَمْعِكَ يَا رَبُّ<sup>(٥)</sup> » . وَأَنَّ دَاوُدَ خَبَّرَ أَيْضاً فِي مَكَانٍ آخَرَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى : « وَانْتَبَهَ اللَّهُ كَمَا يَنْتَبِهُ السُّكَرَانُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ<sup>(٦)</sup> » . وَأَنَّ مُوسَى قَالَ فِي التَّوْرَةِ : « خَلَقَ اللَّهُ الْأَشْيَاءَ بِكَلِمَتِهِ ، وَبِرُوحِ نَفْسِهِ » . وَأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي التَّوْرَةِ لِبْنَى إِسْرَائِيلَ : « بِذِرَاعِي الشَّدِيدَةِ أَخْرَجْتُكُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ<sup>(٧)</sup> » . وَأَنَّهُ قَالَ فِي كِتَابِ إِشْعِيَاءَ : « أَحْمَدِ اللَّهَ حَمْدًا جَدِيدًا ، أَحْمَدُهُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ ، يَمَلَأُ الْجَزَائِرَ وَسُكَّانَهَا ، وَالْبُحُورَ وَالْقَفَارَ وَمَا فِيهَا ، وَيَكُونُ بَنُو قَيْدَارَ فِي الْقُصُورِ ، وَسُكَّانُ الْجِبَالِ<sup>(٨)</sup> - يَعْنِي قَيْدَارَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ - لِيَصْبِحُوا وَيُصْبِرُوا لِلَّهِ الْفَخْرَ وَالْكَرَامَةَ ، وَيَسْبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي الْجَزَائِرِ<sup>(٩)</sup> » .

(١) في النسختين : « في العشر آيات » ، والوجه ما أثبت .

(٢) الثقف : الفطن الذكي .

(٣) في النسختين : « أكل النيران » .

(٤) في سفر الخروج ٣٤ : ٧ : « مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع » .

(٥) انظر المزامير ١٧ : ١ و ٢٨ : ٢ و ٦١ : ١

(٦) في المزامير ٧٨ : ٦٥ : « فاستيقظ الرب كئانهم كجبار معيط من الخمر » . عيط الشارب :

قال عيط عيط ، بكسر العين ، وقد عيط تعييطا .

(٧) انظر الخروج ١٣ : ٣ و التثنية ٤ : ٣٤ / ٥ : ١٥ والمزامير ١٣٦ : ١١ - ١٢ .

(٨) في سفر إشعيا ٤٢ : ١٠ ، ١١ : « غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحه من أقصى

الأرض ، أيها المتحدرون في البحر وملؤه ، والجزائر وسكانها . لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان سالف من رموس الجبال » .

(٩) في سفر إشعيا ٤٢ : ١١ - ١٢ : « ليثفوا . ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه

في الجزائر » . وفي الأصل هنا : « يصيحوا ويصبروا لله الفخر والكرامة ، ويلبسون بحمد الله في الجزائر » . وقد أصلحت العبارة في ضوء ما في السفر .

وَأَنَّهُ قَالَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ : « وَيَخْرِجُ الرَّبُّ <sup>(١)</sup> كَالْجَبَّارِ ، وَكَالرَّجُلِ الشُّجَاعِ الْمَجْرَّبِ <sup>(٢)</sup> ، وَيَزْجُرُ وَيَصْرُخُ ، وَيَهَيِّجُ الْحَرْبَ وَالْحَمِيَّةَ ، وَيَقْتُلُ أَعْدَاءَهُ <sup>(٣)</sup> ، يُفْرِحُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ » .

وَأَنَّ اللَّهَ قَالَ أَيْضاً فِي كِتَابِ إِشْعِيَاءَ : « سَكَتٌ . قَالَ : هُوَ مَتَى أَسَكَتَ ، مِثْلَ الْمَرْأَةِ الَّتِي قَدْ أَخَذَهَا الطَّلَقُ لِلْوَلَادَةِ أَتْلَهَفُ <sup>(٤)</sup> ، وَإِنْ تَرَانِي أُرِيدَ أَحْرَثَ الْجِبَالِ وَالشُّعْبَ <sup>(٥)</sup> . وَأَخَذَ بِالْعَرَبِ فِي طَرِيقٍ لَا يَعْرِفُونَهُ <sup>(٦)</sup> » . وَكُلُّهُمْ عَلَى هَذَا اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ مُجْمِعٌ . وَمَعْنَى هَذَا لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ تَرَكْتُهُ لِمَعْرِفَتِكُمْ بِهِ .

وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْيَهُودَ لَوْ أَخَذُوا الْقُرْآنَ فَتَرَجَمُوهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ لَأَخْرَجُوهُ مِنْ مَعَانِيهِ ، وَلِحَوْلِهِ عَنْ وَجْهِهِ ، وَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ إِذَا تَرَجَمُوا : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ <sup>(٧)</sup> ﴾ ، وَ ﴿ لَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي <sup>(٨)</sup> ﴾ ، وَ ﴿ السَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ <sup>(٩)</sup> ﴾ ، وَ ﴿ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى <sup>(١٠)</sup> ﴾ ، وَ ﴿ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ <sup>(١١)</sup> ﴾ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا <sup>(١٢)</sup> ﴾ ،

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ : « وَيُحْيِي الرَّبُّ » وَفِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ : « الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرِجُ » .

(٢) فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ : « كَرَجُلٍ حُرُوبٍ يَنْهَضُ غَيْرَتَهُ »

(٣) فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ : « يَهْتَفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ » .

(٤) لَا رَيْبَ أَنَّ فِي الْعِبَارَةِ تَحْرِيفاً . وَالَّذِي فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ ٤٢ : ١٤ : « قَدْ صَمِتَ مِنْذُ الدَّهْرِ ، سَكَتَ تَجَلَّدَتْ . كَالْوَالِدَةِ أَصْبَحَ أَنْفَخَ وَأَنْخَرَ مَعاً » . سَكَتَ وَتَجَلَّدَتْ بَتَاءَ الْمُتَكَلِّمِ فِيهَا .

(٥) فِي سَفَرِ إِشْعِيَاءَ : « أَخْرَبَ الْجِبَالِ وَالْأَكَامَ وَأَجْفَفَ كُلَّ عَشْبِهَا وَأَجْعَلَ الْأَنْهَارَ يَبَساً وَأَنْشَفَ الْأَجَامَ » .

(٦) كَذَا . وَالَّذِي فِي السَّفَرِ : « وَأَسِيرَ الْعَمَى فِي طَرِيقٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا » . أَسِيرَ مِنَ التَّسْيِيرِ ،

وَالْعَمَى : جَمْعُ أَعْمَى

(٧) الْآيَةُ ٥٥ مِنْ سُورَةِ الزَّخْرَفِ . (٨) الْآيَةُ ٣٩ مِنْ سُورَةِ طه .

(٩) الْآيَةُ ٦٧ مِنْ سُورَةِ الزَّمَرِ .

(١٠) الْآيَةُ ٥ مِنْ سُورَةِ طه .

(١١) الْآيَةُ ٢٢ ، ٢٣ مِنْ سُورَةِ الْقِيَامَةِ .

(١٢) الْآيَةُ ١٤٣ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

و ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> ، و ﴿جَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾<sup>(٢)</sup> .  
وقد يُعلم أنَّ مفسري كتابنا وأصحاب التأويل مِنَّا أَحْسَنُ معرفةً ،  
وَأَعْلَمُ بوجوه الكلام من اليهود ، ومتأولى الكتب ، ونحن قد نجد في  
تفسيرهم ما لا يجوز على الله في صفته ، ولا عند المتكلمين في مقاييسهم<sup>(٣)</sup> ،  
ولا عند النحويين في عربيتهم . فما ظنك باليهود مع غباوتهم وغيبهم ،  
وقلة نظرهم وتقليدهم ؟

وهذا بابٌ قد غَلِطَ فيه العربُ أَنفُسُها ، وفصحاءُ أهل اللغة إذا  
غَلِطَ قلوبها ، وأَخْطَأَتْ عقولها ، فكيف بغيرهم مَن لا يعلم كعلمها ؟  
سمع بعضُ العرب قولَ جميع العرب : « القلوبُ بيد الله » ، وقولهم  
في الدعاء : « نواصينا بيد الله » وقوله جل ذكره : ﴿بِلَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(٤)</sup> ،  
وقولهم : « هذا من أيادي الله ونعمه عندنا » وقد كان من لغتهم أَنَّ الكَفَّ  
أيضاً يدٌ<sup>(٥)</sup> ، كما أَنَّ النعمة يد ، والقُدرة يد ، فغلط الشاعر<sup>(٦)</sup> فقال :  
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا<sup>(٧)</sup>

(١) الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية ٢٢ من سورة الفجر .

(٣) في النسختين : « مقاييسهم » .

(٤) الآية ٦٤ من سورة المائدة .

(٥) في النسختين : « الكفر أيضاً يد » ، والوجه ما أثبت . وهو تمهيد للاستشهاد  
بالبيت التالى ، الذى أثبت للإله كفاً ، وذلك من سوء أدب الشاعر ، وإنما يعبر باليد في ذات  
الله لمعنى النعمة والقُدرة .

(٦) هو محمد بن حازم الباهلى كما في العقد ٣ : ٢٠٦ . وسماه « ابن أبى حازم » ، تحريف .  
وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلى . كان من ساكنى بغداد ، ومولده ومنشؤه بالبصرة . وهو  
من شعراء الدولة العباسية . شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس . ولم يمدح من الخلفاء  
إلا المأمون . كان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وهو صاحب البيت المشهور :

يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرُقن آمحاراً  
وقد عاتبه يحيى بن أكرم على اختصاره للشعر ، فأجابه بأشعار حسان .

انظر الأغاني ١٢ : ١٥١ - ١٦٠ والمرزبانى ٤٢٩ وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(٧) في العقد : \* فلا تحرصن فإن الأمور \*

وقد كان إبراهيمُ بن سيَّارِ النَّظَّامُ يجيبُ بجوابٍ ، وأنا ذاكرُهُ إن شاء الله . وعليه كانت علماء المعتزلة ، ولا أراه مقنعاً ولا شافياً .

وذلك أنَّه كان يجعل الخليلَ مثل الحبيب ، مثل الوليِّ ، وكان يقول : خليلُ الرحمن مثل حبيبه ووليِّه وناصره . وكانت الخلَّة والولاية والمحبة سواءً .

قالوا : ولما كانت كلُّها عنده سواءً جاز أن يسمَّى عبداً له ولداً ، لمكان التربية التي ليست بحضَّانة ، ولمكان الرحمة التي لا تُشتقُّ من الرحم<sup>(١)</sup> ، لأنَّ إنساناً لو رحم جرَّو كلبَ فربَّاه لم يَجْزُ أن يسمِّيه ولداً ويسمِّي نفسه أباً . ولو التَّقَطَّ صبياً فربَّاه جاز أن يسمِّيه ولداً ويسمِّي نفسه له أباً ، لأنَّه شبيهه ولده ، وقد يُولَدُ لمثله مثله . وليس بين الكلاب والبشر أرحام ، فإذا كان شبه<sup>(٢)</sup> الإنسان أبعد من الله تعالى من شبه الجرَّو بالإنسان ، كان الله أحقَّ بألاً يجعله ولده ، وينسبه إلى نفسه .

قلنا لإبراهيم النَّظَّامِ عند جوابه هذا وقياسه<sup>(٣)</sup> الذي قاس عليه ، في المعارضة والموازنة بين قياسنا وقياسه : أرأيت كلباً أَلِفَ كَلَّابِه<sup>(٤)</sup> ، وحامى وأحمى دُونَه ، هل يجوز أن يتَّخذَه بذلك كَلَّةً خليلاً ، مع بُعد التشابه والتَّناسب ؟

فإذا قال : لا . قلنا : فالعبدُ الصالح أبعدُ شبهاً من الله من ذلك الكلبِ المحسنِ إلى كَلَّابِه ، فكيف جازَ في قياسك أن يكون الله خليلَ

(١) في النسختين : « لا يشتق » ، تعريف .

(٢) ب : « شبيهه » .

(٣) ب : « وإن قياسه » .

(٤) الكلاب : صاحب الكلاب ، كما أن المكلب صاحبها الذي يعلمها أخذ الصيد ويصطاد

بها . ب : « أرأيت كلاباً » ، صوابه في م .



من لا يشاكله لمكان إحسانه ، ولا يجوز للكلاب أن يسمّى كلبه خليلاً أو ولداً لمكان حُسن تربيته له ، وتأديبه إيّاه ، ولمكان حُسن الكلب وكُسبه عليه ، وقيامه مقام الولد الكاسب والأخ ، والبار .

والعبد الصالح لا يُشبه الله في وجهه من الوجوه ، والكلب قد يشبه كلابه لوجوه كثيرة ، بل ما أشبهه به ممّا خالفه فيه ، وإن كانت العلّة التي منعت من تسمية الكلب خليلاً وولداً بُعد شبهه من الإنسان .

فلو قلتم <sup>(١)</sup> : فما الجواب الذي أجبت فيه ، والوجه الذي أرتضيتَه ؟

قلنا : إن إبراهيم صلواتُ الله عليه ، وإن كان خليلاً ، فلم يكن خليلاًه بخُلّةٍ كانت بينه وبين الله تعالى ، لأنّ الخُلّة والإخاء والصداقة والتّصافي والخلطة وأشباه ذلك منفيّة عن الله تعالى عزّ ذكره ، فيما بينه وبين عباده ، على أنّ الإخاء والصداقة داخلتان في الخُلّة ، والخُلّة أعمّ الاسمين ، وأخصّ الحالين . ويجوز أن يكون إبراهيم خليلاً بالخُلّة <sup>(٢)</sup> التي أدخلها الله على نفسه وماله ، وبين أن يكون خليلاً [بالخُلّة وأن يكون خليلاً <sup>(٣)</sup>] بخُلّةٍ بينه وبين ربّه — فرق ظاهر ، وبون واضح . وذلك أنّ إبراهيم عليه السلام اختلّ في الله تعالى اختلالاً لم يختلله أحدٌ قبله . لقدفهم إيّاه في النار ، وذبحه ابنه ، وحمله على ماله في الضّيافة والمواساة والآثرة ، وبعداوة قومه ، والبراءة من أبويه في حياتهما ، وبعد موتهما ، وترك وطنه ، والمهجرة إلى غير داره ومسقط رأسه . فصار لهذه الشدائد مختلاً في الله ، وخليلاً في الله . والخليل والمختل <sup>(٤)</sup> سواء في كلام

(١) في النسختين : فلم قلتم ، والوجه ما أثبت .

(٢) الخُلّة ، بالفتح : الحاجة والفقر .

(٣) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٤) في النسختين : « مخول » ، تحريف . وفي اللسان : « ورجل مخل ومختل وخليل وأخل :

معدم فقير » .

العرب . والدليل على أَنَّ يكون الخليل من الخلَّة كما يكون من الخلَّة قولُ زهير بن أبي سُلمى ، وهو يمدح هَرَمًا :

وإنَّ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْغَبَةٍ      يقول لا عاجزٌ مالى ولا حَرِمٌ<sup>(١)</sup>  
وقال آخر :

وإننى إلى أَن تسعفانى بحاجةٍ      إلى آل ليلَى مرَّةً لخليلٍ  
وهو لا يمدحه بأنَّ خليله وصديقه يكون فقيرًا سائلًا ، يأتى يوم المسألة ويبسط يده للصدقة والعطية ، وإنَّما الخليل فى هذا الموضع من الخلَّة والاختلال ، لا من الخلَّة والخلال .

وكأنَّ إبراهيمَ عليه السلام حين صار فى الله مختلًا أَضافه الله إلى نفسه ، وأَبانهُ بذلك عن سائر أوليائه ، فسماه خليلَ الله من بين الأنبياء ، كما سمى الكعبة : بيتَ الله من بين جميع البيوت ، وأهل مكة : أهلَ الله من بين جميع البلدان . وسمى ناقة صالح عليه السلام : ناقةَ الله من بين جميع النوق . وهكذا كلُّ شَيْءٍ عَظَّمَهُ الله تعالى ، من خيرٍ وشرٍ ، وثوابٍ وعقاب . كما قالوا : دَعُهُ فى لعنة الله ، وفى نار الله وفى حرِّه . وكما قال للقرآن : كتاب الله ، وللمحرم : شهر الله . وعلى هذا المثال قيل لحمزة رحمة الله ورضوانه عزَّ ذكره عليه : أسدُ الله ، و<sup>(٢)</sup> [ لخالد رحمةُ الله عليه : سيف الله تعالى .

وفى قياسنا هذا لا يجوز : أَنَّ الله خليل إبراهيم ، كما يقال : إن إبراهيم خليل الله .

(١) ديوان زهير ١٥٣ والعينى ٤ : ٤٢٩ .

(٢) هذه التكملة من م وإن كانت عبارة الدعاء هذه ليست من أسلوب الجاحظ .

فإن قال قائل : فكيف لم يقدموه على جميع الأنبياء ، إذ كان الله قدّمه بهذا الاسم الذى ليس لأحد مثله ؟

قلنا : إن هذا الاسم اشتق له من عمله وحاله وصفته ، وقد قيل لموسى عليه السلام : كلم الله ، وقيل لعيسى : روح الله ، ولم يقل ذلك لإبراهيم ، ولا لمحمد صلوات الله عليهما ، وإن كان محمد صلى الله عليه وسلم أرفع درجة منهم ، لأن الله تعالى كلم الأنبياء عليهم السلام على السنة الملائكة ، وكلم موسى كما كلم الملائكة ، فلهذه العلة قيل : كلم الله . وخلق في نطف الرجال أن قدفها<sup>(١)</sup> فى أرحام النساء على ما أجرى عليه تركيب العالم ، وطباع الدنيا ، وخلق فى رحم مريم روحاً وجسداً ، على غير مجرى العادة ، وما عليه المناكحة . فلهذه الخاصة قيل له : روح الله .

وقد يجوز أن يكون فى نبي من الأنبياء خصلة شريفة ، ولا تكون تلك الخصلة بعينها فى نبي أرفع درجة منه ، ويكون فى ذلك النبي خصال شريفة ليست فى الآخر . وكذلك جميع الناس ، كالرجل يكون له أبوان ، فيحسن برهما وتعاهدهما ، والصبر عليهما ، وهو أعرج لا يقدر على الجهاد ، وفقير لا يقدر على الإنفاق . ويكون آخر لا أب له ولا أم له ، وهو ذو مال كثير ، وخلق سوى ، وجلد طاهر ، فأطاع هذا بالجهاد والإنفاق ، وأطاع ذلك ببر والديه والصبر عليهما .

والكلام إذا حرك تشعب ، وإذا ثبت أصله كثرت فنونه ، واتسعت طرقه . ولولا ملالة القارئ ، ومداراة المستمع لكان بسط القول فى جميع ما يعرض أتم للدليل ، وأجمع للكتاب ، ولكننا إنما ابتدأنا الكتاب لنقتصر به على كسر النصرانية فقط .

(١) فى النسختين : « إذ قدفها » ، ووجه العبارة بما ترى .

## ٦ - فصل منه

قلنا في جواب آخر : إن كان المسيح إنما صار ابن الله لأن الله خلقه من غير ذكر ، فآدم وحواء<sup>(١)</sup> إذ كانا<sup>(٢)</sup> من غير ذكر وأنثى أحق بذلك ، إن كانت العلة في اتخاذه ولداً أنه خلقه من غير ذكر . وإن كان ذلك لمكان التربية فهل رباه إلا كما ربى موسى<sup>(٣)</sup> ، وداود ، وجميع الأنبياء . وهل تأويل : « رباه » إلا غذاه ، ورزقه ، وأطعمه ، وسقاه ، فقد فعل ذلك<sup>(٤)</sup> بجميع الناس . ولم سميت سقيه لهم وإطعامه إياهم تربية ؟ ولم رباه وأنتم لا تريدون إلا غذاه ورزقه ، وهو لم يحضنه ، ولم يباشر تقليبته ، ولم يتول بنفسه سقيه وإطعامه ، فيكون ذلك سبباً له دون غيره ، وإنما سقاه لبن أمه في صغره ، وغذاه بالحبوب والماء في كبره .

## ٧ - فصل منه

والأعجوبة في آدم عليه السلام أبدع ، وتربيته أكرم ، ومُنْقَلَبه أعلى وأشرف ، إذ كانت السماء داره ، والجنة منزله ، والملائكة خدامه . بل هو المقدم بالسُّجُود ، والسُّجُود أشد الخضوع . وإن كان يحسن التعليم والتثقيف<sup>(٥)</sup> ؛ فمن كان الله تعالى يخاطبه ، ويتولى مناجاته دون أن يرسل إليه ملائكته ويبعث إليه رسله ، أقرب منزلةً ، وأشرف مرتبةً ، وأحق بشرف التأديب وفضيلة التعليم .

(١) رسمت في النسختين : « حوى » .

(٢) ب : « إذا كان » م : « إذا كان » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في النسختين « إلا حماد بن موسى » ، صوابه ما أثبت ، وهو من دقيق التحريف ، حرفت « كما » إلى « حماد » و « رب » إلى « د بن » .

(٤) ب : « فهل فعل ذلك » ، صوابه في م .

(٥) أى « وإن كان تقديمه بحسن التعليم » ، وكلمة « التثقيف » ساقطة من م . وفي النسختين :

« وإن كن يحسن التعليم » ، والوجه ما أثبت .

وكان الله تعالى يكلّم آدم كما كان يكلّم ملائكته ، ثم علّمه الأسماء كلّها ؛ ولم يكن ليعلّمه الأسماء كلّها إلّا بالمعاني كلّها ، فإذا [ كان <sup>(١)</sup> ] ذلك كذلك فقد علّمه <sup>(٢)</sup> جميع مصالحة ومصالحة ولده ، وتلك نهاية طباع الآدميين ، ومبلغ قوَى المخلوقين .

## ٨ - فصل منه

فأمّا قولهم إنّنا نقول على الناس ما لا يعرفونه <sup>(٣)</sup> ، ولا يجوز أن يدينوا به ، وهو قولنا إنّ اليهود قالت : إنّ الله تعالى فقيرٌ ونحن أغنياء . وأنّها قالت : إنّ يد الله مغلولة ، وإنّها قالت : إنّ عزيزاً ابنُ الله ، وهم مع اختلافهم وكثرة عددهم ، ينكرون ذلك ويأبونه أشدّ الإباء .

قلنا لهم : إنّ اليهود لعنهم الله تعالى كانت تطعن على القرآن ، وتلتبس نقضه ، وتطلب عيبه ، وتخطئ فيه صاحبه ، وتأتيه من كلّ وجه ، وترصده بكلّ حيلة ، ليلتبس على الضّعفاء ، وتستميل قلوب الأغنياء <sup>(٤)</sup> .

فلما سمعت قول الله تعالى لعباده الذين أعطاهم ، قرضاً ، وسألهم قرضاً على التضعيف ، فقال عزّ من قائل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ <sup>(٥)</sup> 》 . قالت اليهود <sup>(٦)</sup> على وجه الطعن والعيب والتخطئة والتعنّت : تزعم أنّ الله يستقرض منّا ، وما استقرض منّا

(١) تكلّمه يفتقر إليها الكلام .

(٢) ب : فهل علمه ، صوابه في م .

(٣) سقطت كلمة « لا » من النسختين ، ولا يستقيم الكلام بدونها .

(٤) ب : « الأغنياء » ، صوابه في م . وفي النسختين : « ويستميل » ، تحريف .

(٥) الآية ٢٤٥ من سورة البقرة . وقراءة نصب « فيضاعف » هي لعاصم وابن عامر ويعقوب .

وقراءة الجمهور « فيضاعفه » بالرفع على الاستئناف . إتخاف فضلاء البشر ١٥٩ .

(٦) ب : « قالت » فقط .

إِلَّا لِفَقْرِهِ وَغِنَانَا ! فَكَفَرَتْ بِذَلِكَ الْقَوْلِ إِذْ كَانَ<sup>(١)</sup> عَلَى وَجْهِ التَّكْذِيبِ  
وَالْتَّخِطُّةِ ، لَا عَلَى وَجْهِ أَنَّ دِينَهَا كَانَ فِي الْأَصْلِ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ، وَأَنَّ  
عِبَادَهُ أَغْنِيَاءَ . وَكَيْفَ يَعْتَقِدُ إِنْسَانٌ أَنَّ اللَّهَ عَاجِزٌ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، مَعَ  
إِقْرَارِهِ<sup>(٢)</sup> بَأَنَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ ، وَإِنْ شَاءَ حَرَمَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ،  
وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ . وَقَدَرْتُهُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَقَدَرْتُهُ عَلَى وَاحِدٍ .

ومجاز الآية في اللغة واضح ، وتأويلها بين ؟ وذلك أَنَّ الرجلَ  
منهم كَانَ يُقْرِضُ صَاحِبَهُ لِإِرْفَاقِهِ<sup>(٣)</sup> ، لِيَعُودَ إِلَيْهِ مَعَ أَصْلِ مَالِهِ الْيَسِيرِ  
مِنْ رِبْحِهِ ، ثُمَّ هُوَ مَخَاطِرٌ بِهِ إِلَى أَنْ يَعُودَ فِي مِلْكِهِ . فَقَالَ لَهُمْ — بِحُسْنِ  
عَادَتِهِ وَمِنْتَه : آسُوا فَقَرَاءَكُمْ<sup>(٤)</sup> ، وَأَعْطُوا فِي الْحَقِّ أَقْرَبَاءَكُمْ ، مِنْ الْمَالِ  
الَّذِي أَعْطَيْتَكُمْ ، وَالنَّعْمَةَ الَّتِي خَوَّلْتَكُمْ ، بِأَمْرِي إِيَّاكُمْ وَضَمَانِي لَكُمْ ،  
فَاعْتَدَهُ مِنْكُمْ قَرْضاً وَإِنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْكُمْ ، فَأَنَا مُوفِيكُمْ حُقُوقَكُمْ  
إِلَى مَا لَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ هِمَّةٌ وَلَا تَبْلُغُهُ أُمْنِيَّةٌ . عَلَى أَنَّكُمْ قَدْ أَمِنْتُمْ مِنَ الْخِطَارِ ،  
وَسَلِمْتُمْ مِنَ التَّغْرِيرِ .

وَالرَّجُلُ يَقُولُ لِعَبْدِهِ<sup>(٥)</sup> : أَسْلِفْنِي دِرْهَمًا ، عِنْدَ الْحَاجَةِ تَعْرِضُ  
لَهُ<sup>(٦)</sup> ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَهُ وَمَالَهُ لَهُ . وَإِنَّمَا هَذَا كَلَامٌ وَقَعَالٌ يَدُلُّ عَلَى  
حُسْنِ الْمِلْكَةِ ، وَالتَّفَضُّلِ عَلَى الْعَبْدِ وَالْأَمَّةِ ، وَإِخْبَارُ مَنْهُ لِعَبْدِهِ أَنَّهُ  
سَيُعِيدُ عَلَيْهِ مَا كَانَتْ سَخَتْ بِهِ نَفْسُهُ .

(١) ب : « إذا كان » ، صوابه في م .

(٢) في النسختين : « مع قراره » .

(٣) الإرفاق : النفع . وفي م : « لإرفاقه » .

(٤) المؤاساة : مصدر آسأ بماله : أناله منه وجعله فيه أسوة ، فهي المشاركة . وفي الحديث  
« ما أحد عندي أعظم يداً من أبي بكر ، آسأ بنفسه وماله » . وفي ب : « وآسوا » على التخفيف ،  
وإن ذكر صاحب اللسان أنها لغة ضعيفة ، ففي حديث الحديبية : « إن المشركين وآسوننا للصالح » .

(٥) ب : « لعبد » ، صوابه في م .

(٦) في النسختين : « تقرض له » ، تحريف ما أثبت .

وهذا ليس يغلط في الكلام ولا يضيق فيه <sup>(١)</sup> ولكن المتعنت يتعلّق بكلّ سبب ، ويتشبّث بكلّ ما وجد .

وأما إخباره عن اليهود أنّها قالت : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فلم يذهب إلى أنّ اليهود ترى أنّ <sup>(٣)</sup> ساعده مشدودة إلى عنقه بغلّ . وكيف يذهب إلى هذا ذاهب ، ويدين به دائن ؟ ! لأنّه لا بدّ أن يكون يذهب إلى أنّه غلّ نفسه أو غلّه غيره . وأيّهما كان ، فإنّه منقّ عن وهم كلّ بالغ يحتمل التكليف ، وعاقلي يحتمل التثقيف ، ولكنّ اليهود قوم جبرية ، والجبريّة <sup>(٤)</sup> تُبخل الله مرّة ، وتظلمه مرّة <sup>(٥)</sup> ، وإن لم تُقرّ بلسانها ، وتُشهد على إقرارها ، بقولهم : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ يعنون برّه وإحسانه <sup>(٦)</sup> . وقولهم : مغلولة ، لا [يعني] <sup>(٧)</sup> أنّ غيره حبسه ومنعه ، ولكن إذا كان عندهم أنّه الذي منع أياديّه ، وحبس نعمه ؛ فهي مَحْبُوسَةٌ بحبسه ، وممنوعة بمنعه .

والذي يدلّ على أنّهم أرادوا باليدين النعمة والإفضال ، دون

(١) في الأصلين : « وهذا ليس يغلط في الكلام ولا يضيق فيه » .

(٢) الآية ٦٤ من سورة المائدة . (٣) في النسختين : « بأن » تحريف .

(٤) في اللسان : « الجبرية : الذي يقولون : أجبر الله العباد على الذنوب ، أى أكرههم عليه » . والمعروف عند المتكلمين أن الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرأما في الفعل وسمى ذلك كسبا فليس بجبرى . والمعتزلة يسمعون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والإحداث استقلالاً - جبرياً . الملل والنحل ١ : ١٠٨ .

(٥) في اللسان ( ظلم ٢٦٧ ) : « وظلمه ( بالتشديد ) : أنباه أنه ظالم ، أو نسبه إلى الظلم »

وأنشد :

أمت تظلمني ولست بظالم وتنهني نبهاً ولست بنائم

وفي ب : « وتعضمه » ، صوابه ما أثبت من م .

(٦) يره ، ساقطة من ب . وهي في م : « يده » ، ووجه هذه ما أثبت .

(٧) تكملة يفتقر إلى مثلها الكلام .

السَّاعِدِ والذَّرَاعِ ، جَوَابُ كَلَامِهِمْ حِينَ قَالَ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ <sup>(١)</sup> 》 . دليلاً على ما قلنا ، وشاهداً على ما وصَّفنا .

فإن قالوا : فكيف لم نقل إن اليهود بَخَلَّتِ اللهَ وَجَحَدَتْ إِحْسَانَهُ ، دون أن يقال إنَّ يدَ الله مغلولة ؟

قلنا : إنَّ أَرَادَ الله الإِخْبَارَ عَنْ كُفْرِ قَوْمٍ <sup>(٢)</sup> وَسَخِطَ عَلَيْهِمْ ، فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ دِينِهِمْ وَعُيُوبِهِمْ بِأَحْسَنِ الْمَخَارِجِ ، وَيَجْلِيهَا <sup>(٣)</sup> بِأَحْسَنِ الْأَلْفَافِ . وكيف وهو يريد التَّنْفِيرَ عَنْ قَوْلِهِمْ ، وَأَنْ يَبْغِضَهُمْ إِلَى مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ .

ولو أَرَادَ الله تعالى تَلْيِينَ الأَمْرِ وَتَصْغِيرَهُ وَتَسْهِيلَهُ ، لَقَالَ قَوْلًا غَيْرَ هَذَا . وكلُّ <sup>(٤)</sup> صَدَقٌ جَائِزٌ فِي الْكَلَامِ . فَهَذَا مَجَازٌ مَسْأَلَتُهُمْ فِي اللُّغَةِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ .

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ : إِنَّ الْيَهُودَ لَا تَقُولُ إِنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ . فَإِنَّ الْيَهُودَ فِي ذَلِكَ عَلَى قَوْلَيْنِ : أَحَدُهُمَا خَاصٌّ ، وَالْآخَرُ عَامٌّ فِي جَمَاعَتِهِمْ .

فَأَمَّا الْخَاصُّ ، فَإِنَّ نَاسًا مِنْهُمْ لَمَّا رَأَوْا عَزِيرًا أَعَادَ عَلَيْهِمُ التَّوْرَةَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ ، بَعْدَ ذُرُوسِهَا وَشَتَاتِ أَمْرِهَا غَلَبُوا فِيهِ ، وَقَالُوا ذَلِكَ ، وَهُوَ مَشْهُورٌ <sup>(٥)</sup> مِنْ أَمْرِهِمْ . وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ بَقَايَاهُمْ لِبَالِيَمِنَ وَالشَّامِ وَدَاخِلِ بِلَادِ الرُّومِ . وَهَؤُلَاءِ بِأَعْيَانِهِمْ يَقُولُونَ : إِنَّ إِسْرَائِيلَ اللَّهُ ابْنُهُ <sup>(٦)</sup> ، وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى خِلَافٍ تَنَاسُبِ النَّاسِ ، وَصَارَ <sup>(٧)</sup> ذَلِكَ الْإِسْمَ لِعَزِيرِ

(١) من الآية ٦٤ في سورة المائدة .

(٢) ب : « على كفر قوم » ، صوابه في م .

(٣) م : « ويجليها » .

(٤) في النسختين : « وحل » ، ووجهه ما أثبت . (٥) ب : « مشهود » .

(٦) انظر ماسبق في ص ٣٣١ - ٣٣٢ . وهو ترجمة لكلمتي « إسرا » و « إيل » . وفي

تفسير أبي حيان ١ : ١٧١ أن « إسرا » بمعنى العبد ، في العبرانية .

(٧) ب : « وسار » بالسين .



بالطاعة والعلامة ، والمرتبة لآَنَّهُ<sup>(١)</sup> من ولد إسرائيل .

والقول الذى هو عامٌ فيهم ، أَن كلَّ يهودى<sup>(٢)</sup> ولدُهُ إسرائيل ، فهو ابنُ الله ، إذ لم يجدوا ابنَ ابنٍ قطُّ إلا وهو ابن .

#### ٩ - فصل منه

فإن قالوا : ليس المسيحُ روحَ الله وكلمته ، كما قال عزّ ذكره : ﴿ وكلمته ألقاها إلى مريمَ ورُوحُ منه ﴾<sup>(٣)</sup> أو ليس قد أخبر عن نفسه حين ذكر أمّه أَنَّهُ نفخ فيها من رُوحه ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها<sup>(٤)</sup> ؟ أو ليس مع ذلك قد أخبر أَنَّهُ لا أبَ له ، وَأَنَّهُ<sup>(٥)</sup> كان خالقاً ، إذ كان يَخْلُقُ من الطّين كهيئة الطير ، فيكون حيّاً طائراً ؟ فأىُّ شىءٍ بَقِيَ<sup>(٦)</sup> من الدّلالات على مخالفته لمشكلة<sup>(٧)</sup> جميع الخلق ، ومباينة جميع البشر ؟

قلنا لهم : إنَّكم إنَّما سألتمونا عن كتابنا ، وما يجوزُ فى لغتنا وكلامنا ، ولم تَسألونا عما يجوز فى لغتكم وكلامكم . ولو أننا جَوَزنا ما فى لغتنا مالا يجوز ، وقلنا على الله تعالى مالا نعرف ، كنّا بذلك عند الله والسّامعين فى حدِّ المكائرين ، وأَسوأَ حالاً من المنقطعين ، وكُنّا قد أعطيناكم أكثرَ مما سألتم ، وجُزنا بكم فوق أمنيّتكم .

(١) ب : « لا لآَنَّهُ » . و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

(٢) فى النسختين : « أن يكون يهودى » .

(٣) الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٤) فى الأصل : « أو ليس مع ذلك قد أخبر عن حصانة فرجها وطهارتها ، أخبر أَنَّهُ نفخ فيها من روحه » وفى هذا تكرار لا وجه له .

(٥) ب : « وأن » ، صوابه فى م .

(٦) فى النسختين : « نَبى » ، تحريف .

(٧) فى النسختين : « بمشكلة » . والمقصود نَبى المشكلة .

ولو كنّا إذا قلنا: عيسى رُوح الله وكلمته ، وجبَ علينا<sup>(١)</sup> في لغتنا أن يجعله الله ولداً ، ونَجْعَلَهُ<sup>(٢)</sup> مع الله تعالى إلهاً ، ونقول<sup>(٣)</sup> : إنَّ روحاً كانت في الله فانفصلتُ منه إلى بدنِ عيسى وبطنِ مريم . فكُنّا إذا قلنا : إنَّ الله سمى جبريلَ رُوحَ الله ورُوحَ القدس ، وجب علينا أن نقول فيه ما يقولون في عيسى . وقد علمتُ أنَّ ذلك ليس من ديننا ، ولا يجوز ذلك بوجهٍ من الوجوه عندنا ، فكيف نُظهر للناس قولاً لا نقولهُ ، وديناً لا نرتضيه .

ولو كان قوله جلَّ ذكره<sup>(٤)</sup> : ﴿ فنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾<sup>(٥)</sup> يُوجبُ نفخاً كنَفَخَ الزَّقُّ ، أو كنَفَخَ الصَّائغُ في المِنْفَخِ ، وأنَّ بعضَ الرُّوحِ التي كانت فيه انفصلت فاصلةً إلى بطنه وبطن أمه<sup>(٦)</sup> ، لكان قولهُ في آدم يوجب له ذلك ؛ لأنَّه قال : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ﴾<sup>(٧)</sup> . . . إلى قوله : ﴿ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾<sup>(٨)</sup> وكذلك قوله : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾<sup>(٩)</sup> .

والنفخ يكون من وجوه ، والرُّوح يكون من وجوه :

فمنها ما أضافه إلى نفسه ، ومنها ما لم يُضِفْهُ إلى نفسه . وإنَّما

(١) ب : « وجب علينا » ، تحريف ، ما في م .

(٢) في النسختين : « ويجعله » ، محرف .

(٣) في النسختين : « ويقول » .

(٤) في النسختين : « ولو قال جل ذكره » . فينقطع الكلام عما بعده .

(٥) من الآية ٩١ من الأنبياء و ١٢ من التحريم .

(٦) في النسختين : « بعض روح » .

(٧) في النسختين : « بطنها وبطن أمها » .

(٨) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة السجدة .

(٩) الآية ٩ من سورة السجدة .

(١٠) الآية ٢٩ من الحجر و ٧٢ من آص .

يكون ذلك على قَدْر ما عَظُم من الأمور ، فمِمَّا سَمِيَ رُوحاً وَأَضَافَهُ إلى نفسه ، جِبْرِيلُ الرُّوحِ الْأَمِينِ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ . والتوفيق كقول موسى حين قال : إِنَّ بَنِي فَلَانٍ أَجَابُوا فَلَانًا النَّبِيَّ وَلَمْ يُجِيبُوكَ . فقال له <sup>(١)</sup> : « إِنَّ رُوحَ اللَّهِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ » <sup>(٢)</sup> .

وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ رُوحاً ، وجعله يُقِيمُ لِلنَّاسِ مَصَالِحَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَبْدَانِهِمْ ، فلما اشتبهها من هذا الوجه أَلْزَمَهَا اسْمَهُمَا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ <sup>(٣)</sup> وقال : ﴿ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

## ١٠ - فصل منه

قد جعلنا في جواباتهم وقَدَّمنا مسائلهم <sup>(٥)</sup> ، بما لم يكونوا ليبلغوه لأنفسهم ، ليكون الدَّلِيلُ تاماً ، والجوابُ جامعاً ، وليعلم من قرأ هذا الكتاب ، وتدبر هذا الجواب ، أَنَّا لَمْ نَعْتَمِدْ عَجْزَهُمْ ، وَلَمْ نَنْتَهِزْ غِرَّتَهُمْ ، وَأَنَّ الْإِدْلَالَ بِالْحُجَّةِ ، وَالثَّقَّةَ بِالْفَلَجِ وَالنُّصْرَةَ ، هو الذى دعانا إلى أَنْ نُخْبِرَ عَنْهُمْ بما ليس عندهم ، وَأَلَّا نَقُولَ فِي مَسَائِلِهِمْ بِمَعْنَى لَمْ يَنْتَبِهْ لَهُ مُنْتَبِهٌ ، أَوْ يُشِيرَ إِلَيْهِ مُشِيرٌ <sup>(٦)</sup> ، وَأَلَّا يُوردوا فيما يستقبلون ، على

(١) ب : « فقالوا له » ، تحريف .

(٢) إشارة إلى مجاء في سفر العدد ١١ : ٢٧ - ٢٩ : « فركض غلام وأخبر موسى وقال : ألداد وميداد يتنبآن في الخلعة . فأجاب يشوع بن نون خادم موسى من حدائته وقال : ياسيدى موسى ، اردعهما . فقال له موسى : هل تغار أنت لى ، ياليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم » .

(٣) الآية ٥٢ من الشورى .

(٤) الآية ٤ من المعارج .

(٥) م : « وقومنا مسائلهم » .

(٦) في النسختين : « أو يشير » ، وإنما هو عطف على : « لم ينتبه » .

ضُعْفَانِئًا وَمَنْ قَصُرَ نَظَرُهُ مِنَّا ، شَيْئًا إِلَّا وَالْجَوَابُ قَدْ سَلَفَ فِيهِ ،  
وَأَلَسْنَتْهُمْ قَدْ مَدَلْتُ بِهِ <sup>(١)</sup> .

وَسَنَسَّالَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَنَجِيبٌ عَنْهُمْ ، وَنَسْتَقْصِي لَهُمْ فِي جَوَابَاتِهِمْ ،  
كَمَا سَأَلْنَا لَهُمْ أَنْفُسَنَا <sup>(٢)</sup> ، وَاسْتَقْصَيْنَا لَهُمْ فِي مَسَائِلِهِمْ  
فَيَقَالُ لَهُمْ : هَلْ يَخْلُو الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا بَلَا إِلَهَ ، أَوْ إِلَهًا بَلَا  
إِنْسَانَ ؟ أَوْ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وَإِنْسَانًا ؟

فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ إِلَهًا بَلَا إِنْسَانَ ، قُلْنَا لَهُمْ : فَهُوَ الَّذِي كَانَ  
صَغِيرًا فَشَبَّ وَالتَّحَى <sup>(٣)</sup> ، وَالَّذِي كَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ، وَيَنْجُو  
وَيَبُولُ ، وَقُتِلَ بِزَعَمِكُمْ وَصُلِبَ ، وَوُلِدَتْهُ مَرْيَمُ وَأَرْضَعَتْهُ ، أَمْ غَيْرُهُ هُوَ  
الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ عَلَى مَا وَصَفْنَا ؟ فَأَيُّ شَيْءٍ مَعْنَى الْإِنْسَانِ  
إِلَّا مَا وَصَفْنَا وَعَدَدْنَا ؟

وَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا بَلَا إِنْسَانَ ، وَهُوَ الْمَوْصُوفُ بِجَمِيعِ صِفَاتِ  
الْإِنْسَانِ . وَلَيْسَ الْقَوْلُ فِي غَيْرِهِ مِمَّنْ صِفَتْهُ كَصِفَتْهُ إِلَّا كَالْقَوْلِ فِيهِ  
كَاشْتَاهَا عَلَى غَيْرِهِ ؟

وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَلِبْ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْ جَوْهَرِ  
الْبَشَرِيَّةِ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ اللَّاهُوتُ فِيهِ ، صَارَ خَالِقًا وَسُمِّيَ إِلَهًا . قُلْنَا  
لَهُمْ : خَبِّرُونَا عَنِ اللَّاهُوتِ . أَكَانَ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ <sup>(٤)</sup> ، أَمْ كَانَ فِيهِ دُونَ  
غَيْرِهِ ؟

(١) مَدَلْتُ بِهِ : أَذَاعْتَهُ وَأَفْشَيْتَهُ ، وَأَصْلُ الْمَذَلِّ إِشَاعَةُ السَّرِّ . قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :

فَلَا تَمْدُلْ بِسَرِّكَ كُلَّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْاِثْنَيْنِ فَاشِي

ب : « قَدْ دَلْتُ بِهِ » م : « قَدْ زَلْتُ بِهِ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

(٢) ب : « كَمَا سَأَلْنَا لَهُمْ أَنْفُسَنَا » ، صَوَابُهُ فِي م .

(٣) التَّحَى : ظَهَرَتْ لِحْيَتُهُ . ب : « وَالتَّحَى » بِالْجِيمِ ، تَحْرِيفٌ .

(٤) ب : « أَكَانَ فِيهِ وَفِي غَيْرِهِ » فَقَطْ ، وَبَقِيَّةُ الْعِبَارَةِ مِنْ مَّعْ سَقُوطُ كَلِمَةِ « فِيهِ »  
الْثَانِيَةِ ، وَقَدْ أَثْبَتَهَا تَكْمَلَةُ الْقَوْلِ .

فإن زعموا أنه كان فيه وفي غيره ، فليس هو أولى بأن يكون خالقاً ويتسمى إلهاً من غيره . وإن كان فيه دون غيره ، فقد صار اللاهوتُ جسماً .

وسنقول في الكسر عليهم إذا صرنا إلى القول في التشبيه ، وهو قولُ مُعْظَمِهِمْ <sup>(١)</sup> ، والذي كان عليه جماعتهم ، إلا من خالفهم من متكلميهم ومتفلسفيهم ، فإنهم يقولون بالتشبيه <sup>(٢)</sup> والتجسيم ، فراراً من كثرة الشناعة ، وعجزاً عن الجواب . وكفى بالتشبيه قُبْحاً ، وهو قولُ يعمُّ اليهود وإخوانهم من الرافضة ، وشياطينهم من المشبهة والحشوية <sup>(٣)</sup> والناطقة <sup>(٤)</sup> ، وهو بعد متفرق في الناس . والله تعالى المستعان .

(١) ب : « قول منع لهم » م : « منعلهم » ، وأثبت ما رأيته الصواب .

(٢) في النسختين : « في التشبيه » .

(٣) انظر ما سبق من الكلام على الحشوية في ص ٢٨٨

(٤) في النسختين : « النابطة » ، وأثبت واواً قبلها لأن هؤلاء غير هؤلاء . وانظر للناطقة

رسائل الجاحظ ٢ : ٥ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ .

## فهرس الكتب والرسائل

---

صفحة	
٣	الحاسد والمحسود .
٢٥	المعلمين .
٥٣	التربيع والتدوير .
١١١	فى مدح النبىذ وصفة أصحابه .
١٢٩	طبقات المغنين .
١٣٧	النساء .
١٦١	مناقب الترك .
٢٢١	حجج النبوة .
٢٨٣	خلق القرآن .
٣٠١	الرد على النصارى .